بسم الله الرحمن الرحيم

العدد السادس

أهل البيت عليهم السلام

السنة الثالثة: رجب ١٤٢٩- تموز ٢٠٠٨

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام

رئيس التحرير: أ. د. عباس حسين جواد
سكرتير التحرير: د. باقر جواد الزجاجي

أعضاء هيئة التحرير

أ. م. د. مهدي داخل كاظم العبيدي
أ. م. د. عباس مرزوك فليح العبيدي
أ. م. د. حكمت عبيد حسن الخفاجي
أ. م. د. عبود جودي الحلي
أ.م.د. محمد عبد الحسين الخطيب

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ١٠١٩، هاتف: ٣٣٤٩٣٢
Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 334932
karbala@ahlulbaitonline.com ،www.ahlulbaitonline.com

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور
حسين علي محفوظ

الأستاذ الدكتور
ناظم رشيد شيخو

الأستاذ الدكتور
حاكم محسن محمد

الأستاذ الدكتور
حسن عودة زعال

الأستاذ المساعد الدكتور
خديجة الحديثي

الأستاذ الدكتور
صبحي ناصر حسين

الأستاذ الدكتور
أ.د. عباس زبون العبودي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥
ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليهم السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لاتكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنتشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ١٠١٩، فاكس: ٣٢٦٦٨٩

محتويات العدد

كلمة هيئة التحرير ٦

ظاهرة التصحيف والتحريف في التاريخ الإسلامي وضرورة اعادة كتابته من جديد ٨
د. محسن باقر القزويني

تحليل البيئة الاستثمارية للاستثمار المالي الاجنبي في العراق ٢٦
أ.د.حاكم محسن محمد

قياس كفاءة الشركات الزراعية في استخدام مواردها المتاحة ٤٠
دراسة تطبيقية في عينة من شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للاوراق المالية
أ.م.د. خضير مهدي صالح
م.م. محمود فهد عبد علي

إدارة وتصميم محفظة القروض المصرفية باعتماد تحليل مؤشر جودة القرض وفق نموذج (Sherrod) ٦٤
م.م. ميثاق هاتف الفتلاوي

النقود الالكترونية ودورها في الوفاء بالالتزامات التعاقدية. ٨٠
د. باسم علوان العقابي
د. علاء عزيز الجبوري
د. نعيم كاظم جبر

القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي ١١٢
د. أكرم محسن مهدي الياسري

إنشاء سد« لي - صو» على مجرى نهر دجلة والمبادئ القانونية لمجاري المياه الدولية ١٣٠
د. صدام الفتلاوي

صلاحية الولايات أو الأقاليم في أبرام المعاهدات الدولية ١٥٤
د. صلاح جبير البصيصي

الضوابط القانونية لبطاقة الاعتماد المتجدد في علاقة الجهة المصدرة بالحامل ١٧٢
م.م. واثق عبد الجبار جلوب
م. يوسف عودة غانم

الحماية القانونية للمصنفات ومؤلفيها دارسة مقارنة ١٩٢
م.م. أشواق عبد الرسول عبد الأمير الخفاجي

أثر الدراسات المقارنة للأدب في حوار الحضارات بِلَوهر وبوذاسف نموذجاً ٢٢٢
د. حامد صدقي

ابن مقانا الاشبوني شاعر الدولة الحمودية في الأندلس ٢٤٢
د. عدنان محمد ال طعمة

ابـن زهـر الحفيـد ((دراسة فنية لشعره)) ٢٦٢
د. باقر جواد محمد الزجاجي

القرآنية في علويَّات الشيخ صالح الكوَّاز الحلي ٢٧٦
أ. م. د علي كاظم المصلاوي
م. كريمة نوماس المدني

قصيدة المتنبي (على قدر أهل العزم...) نقد وتحليل ٣٠٤
أ.م.د إسماعيل خلباص حمادي

أهمية علم الأصوات في تعليل مسائل النحو ٣١٦
د خالد عباس حسين السياب
م. عباس علي إسماعيل
م. عبد الأمير كاظم عيسى

الجذر (ض ر ب) بين الدلالة المعجمية والاستعمال القرآني ٣٣٨
د. حميد عبد الحمزة عبيد الفتلي

المواقف النقدية لأحمد بن فارس(٣٩٥هـ) في((معجم مقاييس اللغة)) ٣٥٤
أ.د. عبد الكاظم محسن الياسري
د. حيدر جبار عيدان

مفهوم المعنى في التراث النقدي عند العرب ٣٧٦
(من عصر ما قبل الإسلام وحتى نهاية عصر عبد القاهر الجرجاني)
د. منصور مذكور شلش

ما يكتب بالضاد والظاء لابن فهد الشافعي (٨٤٨هـ _ ٨٨٥هـ) دراسة وتحقيق ٣٨٨
أ.م.د حكمت عبيد الخفاجي

كتاب الفلاحة النبطية (عقائد وأفكار). ٤٢٦
عدنان عبيد المسعودي

Correction of Grammar in Writing Classes.....18
تصحيح القواعد في الكتابة المدرسية(باللغة الانكليزية)
شيماء عبدالحسين

كلمة هيئة التحرير

استقطبت مجله اهل البيت عليهم السلام وهي تنهي العدد السادس من سنتها الثالثه، عددا من الابحاث القيمة في مختلف ابواب الحياة الاجتماعية و السياسية والاقتصادية والثقافية، وهي تؤسس للثقافة المقروءة بموازين علمية ذات تاثير على بقية المجلات والاصدارات التي تزخر بها الساحة الجامعية والثقافية في عراقنا اليوم.

لقد حاولت هذه المجلة أن تنقذ اقلام الباحثين من الترف الفكري والترهل الثقافي حتى لو كانت مكتوبة بصيغة علمية وطالبت بتكريس اقلامهم لمعالجات ملحة على ساحتنا الفكرية والثقافية، فانبرت لقضايا منهجية تهم الحياة الجامعية ؛ موقع الجامعات العراقيه بين الواقع والطموح، تطور مناهج التدريس في الجامعات بما يتناسب والتطور الجديد الذي يشهده عراقنا اليوم، واقع التدريس الجامعي وكيفية النهوض بمستوى التدريس في الجامعات من خلاله، آفاق التعليم الاهلي وكيفية تمتين الاواصر بينه وبين التعليم الرسمي لياخذ حيزه في النهوض بالتعليم في العراق.

وعلى غرار ذلك ابحاث اقتصادية، وتربوية، وسياسية تاخذ على عاتقها مواجهة المعضلات الجمة التي يعاني منها العراق في تحوله نحو الديمقراطية والحرية، وتتقصى الحلول والمعالجات لهذه المشكلات ليستهدي بها المسؤولون ورجال الحكم.

ولا شك في أن القضايا الملحة في محافظة كربلاء تحتل حيزا مهما من هذه الابحاث، لا لانّ المجلة تصدر من هذه المحافظة بل لوجود معاناة مستمرة في هذه المحافظة لم ينبر احد لمعالجتها، فكان من مسؤولية هذه المجلة تخصيص مساحه من ابحاثها لمعالجة هذه المشكلات، والعمل على تطوير الحياة في هذه المدينة المقدسة بمختلف اشكالها الحضرية، والخدمية، والفكرية.

وهذه ضابطة اخرى تضاف الى بقية الضوابط التي ذكرناها مستهدين بها الاعداد القادمة من هذه المجلة، انشاء الله تعالى و هي بمثابة دعوة للاقلام الجامعية بان تتجه نحو الاعمار والبناء بعيدا عن الترف والترهل.

والله المعين...

ظاهرة التصحيف والتحريف
في التاريخ الإسلامي
وضرورة اعادة كتابته من جديد

الدكتور محسن باقر القزويني

جامعة أهل البيت عليهم السلام

ظاهرة التصحيف والتحريف في التاريخ الإسلامي
وضرورة اعادة كتابته من جديد

د. محسن باقر القزويني

مقدمة

حاجة الناس إلى التأريخ كحاجتهم إلى الغذاء إذ تجاوز التاريخ مفهومه القديم كقصص وحكايات تسرد على موائد الملوك والأمراء، فلا يحتاج إليه إلا المترفون الذين يجدون في سماع حوادث التاريخ متعة تضاف إلى لذائذهم الأخرى.

أما اليوم فقد أصبح للتأريخ مفهوماً أوسع فهو يعني الحياة بكامل أدوارها فهو ليس الماضي وحسب بل هو الحاضر والمستقبل أيضاً.

تتوسل أمم اليوم في سباقها الحضاري بأية قيمة حضارية تمنحها القدرة على البقاء والاستمرار في هذه الحياة المتلاطمة، فهي تغوص في أعماق تاريخها لكي تكتشف هذه القيمة لتستخرجها من العدم الى الوجود حتى تصبح مبرراً لبقائها على هذه الأرض، ولكل أمة تجارب في الحياة، التجربة هي أكبر رأسمال لدى الأمة، والتاريخ هو الذي يخزن تجارب الأمم.

من هنا؛ جاء اهتمام الأمم المعاصرة بتاريخها.

ومن هنا جاءت الدعوة المدوية بتطهير سجلات التاريخ من الأوساخ، وإزالة الأشواك والألغام التي وضعها سماسرة السلاطين بتزوير الحقائق فحملوا أقلامهم بخبث وكتبوا ما حلا لهم، وجاء من بعدهم من أخذ بهذه الأخبار دون تمحيص وتدقيق، فتحولت بعد عقود إلى حقائق.

فالتاريخ ليس هو الأوراق الصفراء التي بين أيدينا، وحتى لو كُتبت قبل ألف عام، لأن الذين تركوا لنا هذه الأوراق من أمثال الطبري وابن الأثير والمسعودي تركوها على شكل أخبار، وليس على شكل تاريخ، وهناك فرق كبير بين الأخبار والتاريخ.

فالأخبار هي مادة التاريخ من خلالها يمكننا أن نتعرف على الماضي ونكتشف العبر والدلائل.

وإذا كان عالم متخصص في الحديث كالقاري الهروي(١٠١٤هـ) قد جمع (٤٧٨) حديثاً موضوعاً على لسان رسول اللهﷺ فإنّ الأخبار التاريخية لا ترقى لمستوى الأحاديث النبويّة فهي أشدّ عرضة للوضع، لأنها أولاً لا تحمل قدسية الأحاديث النبوية فلا يخشى الوضاعون في وضعها، التي تحاول أن تعطي صورة للأحداث كما يروق للسلطات الحاكمة، أضف إلى ذلك المشاكل التي تتعرض لها هذه الأخبار أثناء التصحيف والنقل وما شابه ذلك. والأنكى من كل ذلك تسامح العلماء في الأخبار التاريخية تحت ذريعة [التسامح في أدلة السنن] باعتبار أن أخبار الأحداث غير الأخبار التي تتعلق بالعبادات وما شابه ذلك فيتسامحون في إسنادها حتى لو كان رواتها مجهولين.

من هنا كان لابدّ من إعادة كتابة التاريخ وفق المعطيات العلمية التي تحاول الوصول إلى الحقيقة من خلال ما هو موجود من الأخبار والقرائن النفسية والاجتماعية. مشرعين البحث حول الجهود السابقة لاعادة كتابة التاريخ.

المبحث الأول: جهود السابقين

المطلب الأول: ابن خلدون واعادة كتابة التاريخ

وأول من لفت الأنظار إلى هذه القضية العلامة ابن خلدون(٨٠٨هـ) في المقدمة التي كتبها لتاريخه، فقد هاله ما تراكم من الأخبار في كتب المؤرخين لاسيما أن ظهوره كان عقب مرحلة التدوين وكتابة التاريخ بأربعة قرون.

وجد ابن خلدون تعارض بعض الأخبار مع القرائن التاريخية، فمثلاً أورد المؤرخون في جيوش بني إسرائيل بأن موسىعليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوق كانوا ستمائة ألف أو يزيدون، وهذا الخبر ينقض ما لدى الفرس من جيوش حيث كانوا أقوى من بني إسرائيل وكانت لهم الغلبة على بني إسرائيل في عهد نبوخذ نصر، ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريباً منه، وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية ؛ مائة وعشرين ألف.

وينقل ابن خلدون خبراً عن عائشة والزهري بأنّ جموع رستم الذين زحف بهم سعد بالقادسية كانت ستين الفاً[١] فلو بلغ بنو اسرائيل العدد الذي ذكره المؤرخون لا تسع نطاق ملكهم وأنفسح مدى دولتهم[٢].

فقسم كبير من أخبار التاريخ تناقلتها الألسن قبل ظهور عصر التدوين والنقل بالواسطة، وليس بالقلم الذي هو عرضة للتصحيف، فإضافة صفر واحد على يمين الرقم (٦) آلاف يقلبه إلى عشرة أضعاف، أو بالعكس زوال صفر واحد نتيجة التصحيف، أو بسبب عوادي الزمن سيقلب الرقم من (٦٠) ألف إلى (٦) آلاف، وليس الأرقام وحدها هي التي تعرضت للتصحيف نتيجة حذف (نقطة واحدة) بل حتى الأسماء هي الأخرى تعرضت للتصحيف فكم من وجوه التاريخ وشخصيات تغيرت أسماؤهم نتيجة حذف أو إضافة نقطة؟ وكم من خبر تشوه نتيجة تقديم كلمة على كلمة، أو

١- المقدمة: ١٠.
٢- المصدر نفسه: ١٠.

حذف كلمة من جملة فإنها اخطاء ممكنة، وقد وقعت فعلاً ولازال هناك لبس كبير نتيجة هذه الظاهرة وسنقدّم نماذج من ذلك في فصل آخر إن شاء الله تعالى.

ويااليت وقع الخطأ في الأخبار بشكل عرضي دون أن يمسها يد الأهواء والأطماع والتيارات السياسية.

وقد هال ابن خلدون ايضاً ما تعرّض إليه [العبيديون] الشيعة الذين حكموا القيروان والقاهرة، فهناك من طعن في نسبهم إلى اسماعيل بن الامام جعفر الصادق عليه السلام، فهؤلاء المؤرخون اعتمدوا حسب قوله إلى أحاديث «لفقت للمستضعفين من بني العباس تزلفاً إليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفنناً في الشمات بعدوهم»[٣].

ويرد ابن خلدون على هذا الدرس بالقول: «لقد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض أمرهم وشيعتهم في ذلك كله على اتمّ ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب اسماعيل جعفر الصادق»[٤].

ويعزي ابن خلدون سبب هذا الاهتمام إلى اخفاء العبيديين اسمائهم كونهم جماعة تتحرك بصورة سرية «حتى لقد سمي محمد بن اسماعيل جد عبيد الله المهدي بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه حين اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة بني العباس بذلك عند ظهورهم إلى الطعن في نسبهم»[٥].

ثم يرد على اولئك المتشككين في نسبهم بوثيقة تاريخية هي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلمات[٦].

وهنا يأتي الدور للتحليل العقلي في تفسير هذه الوثيقة «فالمعتضد اقعد بنسب أهل البيت من كل أحد»[٧].

فلو كانت هناك شائبة في نسبهم لكان المعتضد أول من استغل ذلك الطعن فيهم.

ثم يذكر ابن خلدون ما لحق المهدي صاحب دولة الموحدين من قدح المؤرخين ونسبته إلى الشعوذة والتلبس.

فيقول: «وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في نفوسهم من حسده على شأنه فأنهم لما رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم والفتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بأنه متبوع الرأي مسموع القول موطوٌ العقب نسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبهم والتكذيب لمدعياته»[٨].

وبعد ان يسرد ابن خلدون نماذج صارخة من التزييف والتحريف في التاريخ يشرع في ذكر الأسباب الداعية إلى التحريف فيذكر عدة عوامل منها:

٣- المقدمة: ٢١.

٤- المصدر نفسه، ص٢٢. ويرد السخاوي على ذلك ان ابن خلدون لا نحرافه عن آل علي يثبت نسبه الفاطميين اليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين وكون بعضهم نسب إلى الزندقة: «الاعلان بالتوبيخ ص٥٤٥».

٥- المقدمة: ٢٢.

٦- المقدمة: ٢٣.

٧- المقدمة: ٢٣.

٨- المقدمة: ٢٨.

١. التشيعات للآراء والمذاهب: فكل حزب مذهب أخذ من الاخبار ما يعجبه ونقل منها ما يناسبه وما لا يتناقض مع اهدافه، «فان النفس اذا كانت على الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأي او نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لاول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع عطاءً على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله»[٩].

٢. الثقة بالناقلين(الرواة).

٣. الذهول عن المقاصد: فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب.

٤. توهم الصدق: ويأتي نتيجة الثقة بالناقلين.

٥. جهل الناقلين للأخبار وتطبيق الأحوال على الوقائع، لان بعض الوقائع لا تأخذ أشكالها الطبيعية فتتلبس بلباس آخر فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه، فهناك ممارسات ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر مستندة إلى قاعدة التقية والحذر، فكان لابد للمخبر أن يدرك هذا الأمر فلا يغتر بما يراه أو يسمعه.

٦. تقرب الناس للوجهاء وأصحاب السلطة بالمدح والثناء، فيذكرون ما ليس فيهم ولان النفوس مولعة بحب الثناء فانها تجد طريقها للنشر بسرعة فتتحول إلى حقائق.

٧. الجهل بطبائع الأحوال في العمران، [أي الجهل بطبائع المجتمع وحركته في الحياة]، فان كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله فاذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب.

وهذه العوامل السبعة بمجموعها كافية لتحريف الحقائق وتزييف الأخبار فكان لابد من عمل جادٍ لاعادة كتابة التاريخ يتجاوز هذه النقاط السبعة.

«فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران نميز ما تلحقه من الأحوال لذاته، وبمقتضى طبعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له، واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه»[١٠].

اما ماهي الخطوات العلمية لاعادة كتابة التاريخ، فعلى رأي ابن خلدون:

الخطوة الأولى: التمحيص:

وهو لا يتم الا بمعرفة طبائع البشر، والتمحيص هو الذي يعين لنا صدق الخبر من كذبه، واستحالته او امكانه، فهناك من الاخبار التي لا يقبلها العقل البشري ولا تتلائم والطبيعة البشرية، او طبيعة ذلك الموجود المتعلق بذلك الخبر سواء كان انساناً أو جماداً او حيواناً.

٩- المقدمة: ٣٥.

١٠- المقدمة: ٣٧- ٣٨.

الخطوة الثانية: الجرح والتعديل لرواة الخبر، وهو يأتي بعد مقابلة الخبر بالطبيعة البشرية إذ لا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع، اما اذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح. طبعاً الاخبار التاريخية تختلف عن الاخبار الشرعية فلأن معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها، وسبيل صحة الظن؛ الثقة بالرواة بالعدالة والضبط، فكان لابد من التعديل والتجريح، اما الاخبار عن الواقعات فلابد من صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدماً عليه.(١١)

ثم ان ابن خلدون يقرر في بداية حديثه حول فن التاريخ إلى حاجة «صاحب فن التاريخ إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينها من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القائمين وأخبارهم حتى يكون مستوعباً لأسباب كل خبرة، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلا زيفه واستغنى عنه»(١٢)

المطلب الثاني: شروط المؤرخ عند السخاوي:

أعد العلامة السخاوي(٩٠٢ هـ) رسالة في كيفية كتابة التاريخ، تحمل عنوان، الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، فأفرد في كتابه فصلاً عن شروط المؤرخ، فذكر عدداً من هذه الشروط:

١. العدالة مع الضبط التام الناشئ عنه فريد الاتقان.
٢. لابدّ أن يكون عالماً بطريق النقل، حتى لا يجزم إلا بما يتحققه فإن لم يحصل له مستند معتمد في الرواية لم يجز له النقل كقوله(ص): «كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع».
٣. يكون عارفاً بمقادير الناس وبأحوالهم وبمنازلهم، فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع ليكون ممتثلاً لقوله(ص): «انزلوا الناس منازلهم»
٤. ويحتاج المؤرخ إلى الورع والتقوى حتى لا يؤخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف، خوفاً من الدخول تحت قوله(ص): «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».
٥. نبذ الجهل والتعصب.

ثم يقول السخاوي «والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل وكذلك التعصب، قل ان رأيت تاريخاً خالياً منه»(١٣).

ويضرب مثال على ذلك: «واما تاريخ شيخنا الذهبي(٧٤٦هـ) غفر الله له ولا آخذه، فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط، فلقد أكثر الواقيعة في أهل الدين، اعني الفقراء الذين هم

١١- المقدمة: ٢٨.
١٢- المقدمة: ٢٨.
١٣- الاعلان بالتوبيخ: ص١٣١.

صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثيرين من أئمة الشافعية والحنفية»[١٤]. ثم يقول: هذا هو الحافظ القدوة والامام المبجل، فما ظنك بعوام المؤرخين.

وفي خلاصة أفكاره حول المؤرخ يقول: «فانه يشترط في المؤرخ الصدق، وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وان لا يكون ما نقله مما أخذه في المذاكرة، ثم كتبه بعد، وان يسمي المنقول عنه، فهذه شروط أربعة فيما ينقله، أو ما يقوله من قبل نفسه، وما عساه يطول فيه من المنقول بعض التراجم دون بعض، فيشترط فيه أن يكون عارفاً بحال المترجم علماً وديناً وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جداً، وان يكون حسن العبارة، عارفاً بمدلولات الالفاظ، حسن التصور بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وان لا يغلبه الهوى، فيخيل اليه هواة الأطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الانصاف، والا فالجرد عن الهوى عزيز، فهذه أربعة اخرى، ولك ان تجعلها خمسة، لأن حسن تصوره وعلمه قد لا يحصل معها الاستحضار حين التصنيف، فيجعل حضور التصور زائداً على حسن التصور والعمل، فتصير تسعة شروط في المؤرخ، وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم، فانه يحتاج إلى المشاركة في العلم والقرب منه حتى يعرف مرتبته»[١٥].

نلمس من كلام الشيخ السخاوي امتعاضه وغضبه مما كتبه المؤرخون في ذلك الوقت الذي انتشرت فيه المصنفات.

المطلب الثالث: شروط المؤرخ عند السبكي:

وهناك عالم آخر تحسس خطورة عمل المؤرخ وما سيجلبه من آثار وخيمة على صعيد الفرد والمجتمع وهذا العالم هو تاج الدين السبكي فذكر في كتابه معيد النقم مبيد النعم إلى ما يحدق المؤرخ من مخاطر قائلاً: «والمؤرخون وهم على شفا جرف هار لأنهم يتسطون على أعراض الناس وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من كاذب أو صادق فلابد أن يكون المؤرخ عالماً حافظاً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ليس بينه من الصداقة ما يحمله على التعصب له ولا من العداوة ما يحمله على الغض منه وربما كان الباعث له على الصنعة انه من اقوام مخالفة العقيدة اعتقد انهم على ضلال فيقع فيهم او يقصر في الثناء عليهم»[١٦].

فشروط المؤرخ عند السبكي هي:

أولاً: ان يتوخى الصدق في نقل الأخبار.

ثانياً: ان يكون ذا عفة فلا يتصيد الاخبار الساقطة المستهجنة.

ثالثاً: ان ينبذ التعصب لانه يجعله يغض النظر عن سيئات البعض ويدير ظهره على حسناتهم.

فاين هوهذا المؤرخ الصادق العفيف العادل الذي لا يأخذه الهوى فلا يدفع به الطمع إلى اختراع الأخبار الكاذبة في مدح الملوك والأمراء؟

١٤- المصدر نفسه: ١٣١.

١٥- الاعلان بالتوبيخ: ص١٣١-١٣٢.

١٦- السبكي: معيد النقم، ص٩٤، على هامش تفريح المهج، المطبعة الأدبية، مصر.

المبحث الثاني: إعادة كتابة التاريخ عند المعاصرين:

والصرخة التي اطلقها السخاوي والسبكي ظر يرددها كل المخلصين ممن كتبوا في موضوعات التاريخ وحتى يومنا هذا.

فقد ذكر المؤرخ جواد علي «في أغلب الروايات التي يتصل سندها بكعب الأحبار، أو محمد بن كعب القرظي، أو النعمان السبائي، وهم مسلمة اليهود، أو غيرهم من مسلمة أهل الكتاب طابع القصص الاسرائيلي، وفي اغلبه دس على الرسول وعلى الاسلام كما في قصة الغرانيق، وفي أمور أخرى..»[١٧]

ثم يبين لنا العوامل التي دفعت بهؤلاء المؤرخين إلى اختراع هذا الاسلوب «ويظهر في دراسة هذا النوع من القصص ان أصحابه كانوا يريدون من روايته ونشره وادخاله بين المسلمين أمراً، وان قلوبهم لم تكن مسلمة كالسنتهم، وانهم كذبوا على التوراة والانجيل أحياناً وذلك على سبيل التودد إلى المسلمين والتقرب إليهم على ما يبدو»[١٨]، وبعد أن ينبه إلى خطورة هذه القصص التي تخالف ما جاء في القرآن الكريم عن الرسول يطلب من كتّاب السيرة:

«ولهذا وجب أن يكون اعتماد المؤرخ على هذا الموارد المتقدمة في نظر النقاد، امثال كتب الصحاح في الحديث، وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وسندنا الأول بالطبع ومرشدنا قبل كل هذه هو القرآن»[١٩].

وليس جواد علي أول المؤرخين المعاصرين الذين تنبهوا إلى هذه القضية فكل من كتب في السيرة لأهميتها وخطورتها التفت إليها ودعى إلى إعادة كتابة التاريخ وفق معايير جديدة غير المعايير القديمة التي تعتمد أسلوب الإثارة والشد من خلال السرد القصصي واستثارة الغرائز لدى القارئين والسامعين. وقد تنبه إلى خطورة هذا الموضوع عدد من الدارسين في الموضوعات التاريخية، فيقول امين مدني في كتابه التاريخ العربي ومصادره: «فكثرة روايات الماضين والتناقض الذي يبدو على بعضها، وتدخل الحزبية في نقل الأخبار وجرأة المتحزبين على الوضع والارتجال، ورطّ الكثيرين من رواد الماضي في اخطاء مازال الباحثون مشغولين باظهاره»[٢٠].

وفي عقيدة يسرى ان هذا الأمر غير ممكن لان الكثير من المؤرخين لا يجرؤون على قول الحق.[٢١]

لكني اخالف الأستاذة (يسرى) ان طبيعة عمل المؤرخ في نقل الأحداث هي التي تفرض عليه أن يكون صادقاً مع الناس لان حبل الكذب مهما طال فهو قصير، وقصير جداً.فإذا حجبنا الحقيقة عن الناس فان الزمن كفيل باظهارها في يوم من الأيام، وهو كفيل بأن يميز الصادق عن الكاذب فيحكم على الكاذب بالخروج عن دائرة الاعتماد فلا يؤخذ بكلامه وما يتناقله من الأخبار والروايات وامامنا حشد من الاخباريين والمحدثين الذين كشف الزمن عن اكاذيبهم بالرغم من انها انطلت على الناس

١٧- تاريخ العرب في الاسلام ١/٧٤.
١٨- المصدر نفسه ١/٧٤.
١٩- راجع تاريخ العرب في الاسلام ١/٧٥.
٢٠-: التاريخ العربي ومصادره ٢/٢٩٧.
٢١- يسرى: معجم المؤرخين، ص٢٢.

ردحاً من الزمن فأين هو كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعوانه بن الحكم وهيثم بن عدي، هؤلاء الذين كانوا شيوخاً للطبري، والذين كانوا في صدارة المحدثين الاخباريين.

لقد جاء علماء كثيرون من بعد الطبري حاولوا التعمق في حياة هؤلاء المحدثين والرواة فكتبوا عن كل صغيرة وكبيرة ووضعوا كل راوي في مكانه اللائق به مُسمين الأشياء بأسمائها على رغم ما ورد فيها من نواقص.

المبحث الثالث: خطوات أولى لاعادة كتابة التاريخ:

الخطوة الأولى :فحص رواة الأخبار

أوصلنا الحديث حول اعادة كتابة التاريخ إلى الكلام حول رواة الأخبار او ما كانوا يسمون بـ(الاخباريين). فهم المنبع الذي يُغذي المادة التاريخية المتجمعة في كتب المؤرخين المتقدمين؛ والتاريخ في بداية أمره كان على شكل المغازي والسير والانساب، فاتخذ طابع الحديث في منهجه، وفي تسلسل الرواة، فكان الاخباريون الاوائل محدثين ايضاً، ولم يأخذ التاريخ شكله التخصصي كميدان مستقل الا فيما بعد على ايدي اليعقوبي والمسعودي حيث كانا ابوا التاريخ الاسلامي اللذين ادركا شروط عمل المؤرخ والادوات الضرورية التي يجب عليه استخدامها في عمله، فقد ساحا في البلدان المختلفة وكتبا من وحي مشاهداتهما، ولم يكتفيا بتسلسل الاخبار المنقولة عن فلان وعن فلان، فاصطبغت كتاباتهما التاريخية بالجغرافيا وبقضايا المجتمع، فلم يكتفيا باخبار الملوك والامراء والولاة فقط بل اضافا إلى هذه الأخبار انباء الناس بمختلف اعمالهم وشؤونهم.

لاشك ان البذرة الاولى للتاريخ وضعها رواة الأحاديث الذين كانوا يروون الاحاديث الاخبار جنباً إلى جنب، ينقلونها عن اشخاص واشخاص، وكما تأثر الحديث النبوي بنتائج هذا النهج تأثر التاريخ به أيضاً، بل كان تأثر التاريخ أكبر بكثير لان تحريف خبر حادثة اهون بكثير على الراوي من تحريف حديث نبوي، وعند التدقيق نجد ان التحريف في الخبر التاريخي وقع نتيجة عدة عوامل هي:

١- هناك قوم كانوا يقصدون وضع الاحاديث، وذلك لتشويه معالم الدين لأغراض عديدة، فهؤلاء لم يدخلوا الاسلام بصورة حقيقية بل حاولوا التلبس بستار الاسلام لتحقيق اغراضهم، ووجدوا أفضل السبل لمحاربة الاسلام هو تحريف مبادئه بعد أن عجزوا عن مواجهته في ساحات الوغى.

يُذكر عن ابن ابي العوجاء عندما أُخذ ليُضرب عنقه انه قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة ىلاف حديثاً احرّم فيها الحلال واحلل فيها الحرام.[٢٢]

وعن جعفر بن سليمان قال: سمعتُ المهدي يقول: أقر عندي رجلٌ من الزنادقة أنه وضَع أربعمائة حديث تجول في ايدي الناس.[٢٣]

قال حماد بن زيد: وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث.[٢٤]

٢٢- الآثار المرفوعة: ٦.
٢٣- الآثار المرفوعة: ٥.
٢٤- الآثار المرفوعة: ٧.

وروى عن عبد الله بن زيد المقرئ قال: تاب رجلٌ من اهل البدع عن بدعته فجعل يقول انظروا هذا الحديث عمن تأخذون فإنا كنا إذا ترائينا رأياً جعلنا له حديثاً.[٢٥]

وعن أبي لهيعة انه قال: سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع، فطاف يقول: إن هذهِ الاحاديث دينٌ فأنظروا عمن تأخذون دينكم إنا كنا اذا هوينا امراً صيرناه حديثاً[٢٦].

٢. بدافع الترغيب او الترهيب، فقد عمل البعض على دفع المسلمين نحو بعض القضايا الاسلامية التي يرون انها ضرورية لهم، فيختلقون من أجل ذلك أحاديث لا يرون باساً فيها.

فكان «المزوري» يضع الأحاديث على لسان عكرمة مولى عباس حول بعض الامور المستحبة، ولا يرى ضرراً من ذلك.

فقد سُئل ابن ابي مريم المروزي: من اين لك عن عكرمة مولى ابن عباسٍ في فضائل القرآن، وفضائل كل سورة، ليس عند أصحاب عكرمة شيء منه، فقال: «إني رايت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه ابي حنيفة ومغازي ابن اسحاق فوضعتُ هذا الحديث حسبة»[٢٧]، وقد قال عنه البخاري: منكر الحديث وهو مع ضعفه يكتب الحديث[٢٨].

وكان نوفل بن سليمان يعمل الأمر نفسه فيختلق الأحاديث في التواضع في اللبس والاكل والشرب، ذكر الذهبي حديثاً موضوعاً عنه قال: «وقف رسول الله صلى الله عليه وآله بعسفان فقال: لقد مرَّ بهذهِ القرية سبعون نبياً ثيابهم العباءة ونعالهم الخوص».[٢٩]

٣. الطمع في الدُّنيا، ملئت كتب التراجم والجرح والتعديل باسماء الرواة الذين كانوا يكتسبون من خلال وضع الأحاديث.

نقل الخطيب البغدادي في ترجمته لغياث بن ابراهيم انه دخل على المهدي الخليفة العباسي وكان يحب الحمام فقيل له: حدث أمير المؤمنين فحدثه بحديث ابي هريرة: «لا سبق الا في حافرٍ او نصل وزاد فيه «أو جناح» فأمر له المهدي بعشرة آلاف قال: فلما قام قال: اشهد ان قفاك قفا كذّاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وانما استجلبت ذلك انا فأمر بالحمام فذبحت»[٣٠].

وكان مقاتل بن سليمان يضع الأحاديث مقابل المال فذكره الخطيب البغدادي عن هارون بن أبي عبد الله عن أبيه قال لي المهدي: ألا ترى ما يقول لي هذا؟ يعني مُقاتلاً: قال إن شئت وضعتُ لك أحاديث في العباس، قال: قلت لا حاجة لي فيها[٣١].

وعلى الظاهر أنه مقاتل بن سليمان الذي كان مشهوراً بالكذب.

٢٥- الآثار المرفوعة: ٨.
٢٦- الآثار المرفوعة: ١٢.
٢٧- المصدر نفسه: ٢٥.
٢٨- الذهبي: ميزان الاعتدال
٢٩- وقد جمع السخاوي في المقاصد الحسنة احاديث كثيرة من هذا القبل موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فلمن أراد المزيد مراجعة هذا الكتاب وغيره من الكتب التي رصدت هذهِ الأحاديث الموضوعة. المصدر نفسه: ٤/٢٨١.
٣٠- تاريخ بغداد: ١٢/٣٢٤.
٣١- المصدر نفسه: ١٣/١٦٦.

يقول الخطيب البغدادي انه سمع عبد الصمد بن عبد الوارث انه قال: قدم علينا مقاتل بن سليمان فجعل يحدثنا... فذكرته لأمير المؤمنين أبي جعفر، فقال: لا يكبر عليك فإنه يقول لي: انظر ما تحب ان احدثه فيك حتى احدثه[٣٢].

ويذكر السخاوي هذا التغيير السريع في موقف احد المحدثين وهو الأعمش لما بلغه ولاية الحسن بن عمارة مظالم الكوفة قال «ظالمنا وابن ظالمنا ولي مظالمنا، ثم قال بعد يسير وقد ظهر من المشارٍ شيئاً، صالحنا وابن صالحنا ولي مصالحنا، وانه قيل له في ذلك، فروي: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»»[٣٣].

وهذا نموذج لرواة (الأحاديث الموضوعة) الذين يركضون وراء الربح المادي وهم لا يدركون أبعاد العمل الذي يقومون به.

٤. التعصب السياسي والمذهبي:

من الوسائل الدعائية التي استخدمتها الفئات السياسية والمذهبية للترويج لافكارها ومعتقداتها هو وضع الاحاديث الكاذبة، او تحريف بعض الاحاديث الصادرةعن رسول الله صلى الله عليه وآله.

من هؤلاء الذين فضحهم التاريخ؛ عوانة بن الحكم، إذ ذكر الحموي، «كان عونة بن الحكم عثمانياً ويضع اخباراً لبني أمية»[٣٤].

ووصفه عبد العزيز الدوري: «ويقدم (عوانة) على الأكثر الرواية الأموية للحوادث مقابل الرواية العراقية، وهذا يُوضّح ما يبدو من نبرة اموية في بعض رواياته حتى إنّ تأكيد الأمويين على فكرة الجبر في تفسير الحوادث ينعكس في رواياته»[٣٥].

ومن الاخباريين المعادين لعلي بن أبي طالب عليه السلام وبنيه يأتي الشعبي على رأسهم.

يقول المفيد: كان مشهوراً بالنصب لعلي عليه السلام ولشيعته وذريته، وكان معروفاً بالكذب سكيراً خميراً مقامراً عياراً، وكان معلماً ولد عبد الملك بن مروان وسميراً للحجاج.[٣٦]

وعن أبي حنيفة قال أتيت الشعبي اسأله عن مسألة فإذا بين يديه شطرنج ونبيذ وهو متوشح بملحفة مصبوغة بعصفر فسالته عن مسألة فقال ما تقول فيها بنو أستها قال: فقلت هذا أيضاً. ومن أكاذيبه انه لم يكن مع علي احد من الاصحاب.

ويردّ المفيد عليه: اجمع اهل السير انه شهد البصرة مع علي عليه السلام ثمانمائة من الانصار وتسعمائة من أهل بيعة الرضوان وسبعون من أهل بدر[٣٧].

ومن أكاذيبه: انّ عليا دخل اللحد وما حفظ القرآن وكان الشعبي متملقاً يساير الولاة والحكام حتى الظلمة منهم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد ذكر ابن خلكان حادثة بينه وبين الحجاج تنمّ عن تملقه وتزلفه للولاة.

٣٢- المصدر نفسه: ١٣/١٦٦.
٣٣- المقاصد الحسنة: ص٨٥.
٣٤- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ١٦/١٦٢.
٣٥- الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٥٦.
٣٦- المفيد: الفصول المختارة ص ٢١٦.
٣٧- المفيد: الفصول المختارة، ص٢١٦.

يُقال ان الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يوماً: كم عطاءك في السنة؟ فقال: الفين، فقال: ويحك، كم عطاؤك في السنة؟ فقال الفان، فقال: كيف لحنت اولاً؟ قال: لحن الأمير فلحنت، فلما اعرب اعربت، وما امكن ان يلحن الأمير واعرب أنا، فاستحسن ذلك منه واجازه[٣٨].

والغريب أنّ هذا الرجل الذي يحمل هذهِ المواقف ويحمل هذهِ النفسية الضعيفة امام الامراء وثَقَّهُ الكثير من المتخصصين في علم الرجال، كما انه احد شيوخ أبي الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني الذي نقل تفاصيل مُزيفة عن سيرة السيدة سُكينة.[٣٩]

فكم احدثت يد السياسة والمصالح المذهبية والعصبيات الفئوية من وضع الأحاديث فقلبت الحقائق اما بصناعة الحديث او تحريفه. ففي أجواء التعصب وفي ظروف التصحيف استطاع المندسون أن يضعوا نقاط اضافية ويحرفوا نقاط أخرى ليقلبوا المعنى رأساً على عقب.

فقد أورد نصر بن مُزاحم، وهو من صحابة أمير المؤمنين حديثاً عن الحسن البصري إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه[٤٠]، اما كيف تحوّل الحديث عندما وصل إلى يد المندسين، فقد اورد الخطيب البغدادي في عنوان محمد بن اسحاق بن مهران حديثاً مسنداً عن أبي الزُبير عن جابر قال: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه[٤١].

هكذا تغيّر المعنى بتغيير مكان النقطة، وهكذا تفعل الأموال فعلها في تغيير الحقائق وقلبها بصورة معكوسة.

وقد دفع التعصب المذهبي بأحد المحدثين وهو مأمون بن أحمد الشلمي إلى اختراع الحديث ضد الامام الشافعي، إذ اورد الذهبي: روى عن احمد بن عبد الله عن عبد الله بن ميدان الأزدي عن أنس مرفوعاً: يكون في أمتي رجلٌ يُقال له محمد بن ادريس ... ألى آخر الحديث.

ثم قال عنه الذهبي: وكان يضع الأحاديث[٤٢].

٥. الإسناد المجهول.

المعروف ان تدوين الحديث بدأ متأخراً واخذ المحدثون يذكرون رواة الاحاديث واسنادها فيما بعد أي بعد عصر التدوين، وأمّا الاحاديث التي لم يجدوا لهاسنداً واضحاً فقد وضعوا له اسناداً.

يقول عبد الحي الكنوني: وهناك من استجاز وضع الأسانيد لكل كلام حسن زعماً منهم ان الحسن امرٌ شرعي لابأس بنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[٤٣].

فهم لا يضعوا الاسناد للأحاديث التي لا سند لها بل وضعوا لكل كلام حسن وجدوا لا بأس بنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يدركوا خطورة هذا الأمر وتبعاته على مجرى التاريخ، فقد مهد طريقة وضع الأسانيد لكل كلام حسن السبيل امام مُرضى النفوس والأهواء ليخترعوا الأسانيد لأحاديث لا وجود لها.

٣٨- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٥/٣.

٣٩- راجع كتاب السيدة سكينة بين حقائق التاريخ واوهام المؤرخين. للدكتور محسن باقر الموسوي.

٤٠- نصر بن مزاحم: وقعة صفين، ص٢٦.

٤١- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٢٥٩/١.

٤٢- الذهبي ميزان الاعتدال: ٤٣٠/٣.

٤٣- لكهنوي: الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ص١٥.

فقد نقل الخطيب البغدادي عن عبد الصمد بن عبد الورث، قال: قدم علينا مقاتل بن سليمان فجعل يحدثنا عن عطاء بن أبي رياح، ثم حدثنا الاحاديث نفسها عن الضحاك بن مُزاحم، ثم حدثنا بها عن عمرو بن شعيب فقلنا له ممن سمعتها، قال عنهم كلهم، ثم قال بعد ذلك لا والله ما ادري ممن سمعتها[٤٤].

أما الهيثم بن عُدي وهو من شيوخ الطبري فينقد بشيء من ضعف التدقيق والتساهل في استعمال الاسناد.[٤٥]

الخطوة الثانية: معالجة التحريف والتصحيف

التصحيف؛ هو تغيير في نقط الحروف او حركاتها مع بقاء صورة الخط، اما التحريف فهو العدول بالشيء عن جهته، وحرّف الكلام تحريفاً عدل به عن جهته من زيادة فيه او النقص منه، وهي كثيرة جداً ولم يسلم كتاب منها حتى القرآن الكريم وكتب الحديث، فكيف بكتب التاريخ، وهذه الأمثلة تُوضح لنا حقيقة ذلك.

أمثلة من التصحيف في القرآن الكريم:

١- حكى ابن النديم عن ابن الراوي قال: «مررت بشيخ وبيده مُصحف وهو يقرأ: ﴿ولله ميزاب السموات والأرض﴾ فسلمت عليه وقلت: يا شيخ ايش تقرأ؟ قال: القرآن: ﴿ولله ميزابُ السموات والارض﴾ فقلت: وماتعني بـ ﴿ميزابُ السموات والأرض﴾ قال: هذا المطر الذي ترى، فقلت ويكون التصحيف إلا إذا كان مثلك يقرأ، إنما هو ﴿ميراثُ السموات والأرض﴾.

فقال: اللهم غفراً منذُ اربعين سنة أقرأها وهي في مصحفي هكذا»[٤٦].

وذكر العسكري في «شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: إنّ حمزة الزيّات القارئ المشهور كان يتعلم القرآن من المصحف وهو صغير فقرأ يوماً وأبوه يسمع: ﴿ألم ❖ ذلك الكتاب لا زيت فيه﴾ فقال له أبوه: «دع المُصحف وتلقن: أفواه الرجال»[٤٧].

وذكر الخطيب انواعاً من تصحيف عثمان بن ابي شيبة ﴿فإن لم يُصبها وابلٌ فظِلٌّ﴾ قال: وقرأ مرةً ﴿الخوارج مكلبين﴾ مكان ﴿الجوارح مكلبين﴾ ونُقل عنه انه قرأ ﴿وإذا بطاسيم بطاسيم خبازين﴾ يريد قوله تعالى: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ وقرأ أيضاً﴿فضرب بينهم بسنور له ناب﴾ فقال له بعض اصحابه: إنما هو ﴿بسور له باب﴾ فقال: انا لا اقرأ قراءة حمزة: قراءة حمزة عندنا بُدعة[٤٨].

وكثر التصحيف في الحديث النبوي ايضاً

فهناك الكثير من الأحاديث التي حدث فيها التصحيف.

٤٤- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣/١٦٦.
٤٥- تاريخ بغداد: ترجمة الهيثم بن عدي.
٤٦- ابن النديم: الفهرست، ص٢١٧.
٤٧- العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف، ص٢٢، البابي الحلبي.
٤٨- البغدادي: الجامع لاخلاق الراوي: ١/٢٩٩- ٣٠٠، دار المعارف، الرياض.

نقل الخيب البغدادي عن الدار قطني قوله: ان أبا الحسن موسى بن محمد المثنى العنزي يُحدّث بحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا يأتي أحدكُم يومَ القيامة ببقرةٍ لها خوار» فقال: أو شاة تنعر بالنون، وإنما هو تَيعر بالياء[٤٩].

وفي حديث أنس: «ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» قال فيه شعبة «ذُرّة» بالضم والتخفيف، ونسب فيه الى التصحيف[٥٠].

وأيضاً ان أبابكر الصولي املى في الجامع حديث أبي أيوب: «مَن صام رمضانه واتبعه ستاً من شوال» فقال فيه: «واتبعه شيئاً بالشين والياء»[٥١].

التصحيف في الشعر:

فقد ذكر العسكري تصحيفاً في شعر الحطيئة:

لو سست أمر بنيك حتى تركتهم أدق مِنَ الطَّحين

قال فراوه المفضل: لقد شوشت بالشين المعجمة المفتوحة، وإنما هو بني غير معجمة، أي ملكتُ[٥٢].

وتصحيف في قول المُخبَّل السَّعدي:

وإذا الم خيالها طرقت عيني خماء دموعها تحجمُ

وإنما هو: طرفت بالفاء[٥٣].

التصحيف في الأسماء:

ووقع التصحيف في الأسماء، منها أسماء السند مثلاً في حديث شُعبة عن العوام بن مُراجِم عن أبي عثمان النهدي، عن عثمان بن عفان، قال: «قال رسول الله(ص): لتؤدون الحقوق إلى أهلها.. الحديث» صحف فيه يحيى بن معين فقال: «ابن مزاحم» بالزاي والحاء فرد عليه، وإنما هو «ابن مراجم» بالراء المهملة والجيم[٥٤].

أخطاء المؤرخين:

مما تقدم تبين لنا حجم التصحيف والتحريف في الكتاب المقدس وفي كتب الحديث، فما بالك بكتب التاريخ التي لا تبلغ في قدسيتها كتاب الله العزيز وكتب السنة النبوية، من هنا فلو اعتقدنا بنزاهة المؤرخين الذين دوّنوا لنا التاريخ فاننا لا نستطيع أن نثق بكل ما نقلوه لنا لأنهم بشر والبشر يخطأ كما انه يصيب أيضاً، وقد يكون الخطأ من الناسخ أو الناقل، فالتاريخ عرضة للخطأ، فهو ليس معصوماً ولا يمكننا أن نسلم بكل ما نقله لنا الرواة حتى لو كانوا عدولاً وثقاة لان كلامهم عرضة للتصحيف، والنقل عرضة للتغيير، وامامنا صوراً عديدة للخطأ الذي وقع فيه المؤرخون.

٤٩- الجامع لاخلاق الراوي، ١/٢٩٤.
٥٠- مقدمة ابن الصلاح، ٢٥٣.
٥١- المصدر نفس، ص٢٥٥.
٥٢- شرح ما يقع فيه التصحيف، ص١٣٩.
٥٣- المصدر نفسه، ص١٣٦.
٥٤- مقدمة ابن الصلاح، ص٢٥٢.

من هذه الصور:

أولاً: تصحيف اسماء الاعلام: وهو امر يكاد يكون عادياً في كتب التاريخ، وقد اضطر علماء الرجال ان يضبطوا الاسماء ويميزوها عن الاسماء الأخرى، وكتبوا في ذلك الموسوعات العديدة مثال على ذلك:

النموذج الأول: هناك شخصان احدهما، هلال بن نافع البجلي كان في جيش عمر بن سعد، والثاني هونافع بن هلال البجلي كان في عسكر الامام الحسين عليه السلام كما ذكر الشيخ المفيد في الارشاد[٥٥]. وابن شهر آشوب في المناقب، لكن اختلط الاسمان على البعض فوضعوا هلالاً في مكان نافع بن هلال، لان هلالاً كان في جيش عمر ابن سعد.

وقد اضطر البعض إلى ذكر المرادفات من الأسماء حفظاً للامانة، لكن هذا لا يعفي المؤرخون من تحمل مسؤولية عدم الدقة في بعض الاعلام.

مثال على ذلك: جاء في (أسد الغابة) عن ابن عبد الله انه قيل للنبي صلى الله عليه وآله ان بأرضنا اعناباً نعتصرها افنشرب منها، فقال لا: فراجعته فقالا: لا، فقلت: انا نستسقي به قال بان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء، فقال رواه شعبة عن طارق بن سويد أو «سويد بن طارق» ورواه شريك عن «طارق بن زياد» أو «زياد بن طارق» ورواه الوليد بن أبي ثور عن طارق بن بشر، او بشر بن طارق[٥٦]. انظر كيف اختلط على المؤرخ اسماء الرواة بين اسم الأب والابن.

النموذج الثالث: هناك امرأة باسم ثريا تغزّل بها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها شعراً:

أيها المنكح الثريا سهيلاً ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل اذا استقى يماني

فقد اختلفوا في اسمها واختلفوا في اسم زوجها.

أما هي فقال البعض انها الثريا بنت علي، وهو ما ذكره الاصفهاني في الأغاني، وذكر اخرون انها الثريا ابنة عبد الله[٥٧].

أما اسم زوجها فقد ذكره الاصفهاني بانه سهيل بن عبد العزيز بن مروان[٥٨]. بينما ذكر ابن خلكان بانه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف[٥٩] وهناك كتاب المرادف من الأسماء فيها الأسماء المرادفة وذكر ما يميز كل اسم، ويكفينا ان ننظر إلى أي كتاب قديم أومخطوط إلا ولاحظنا ظاهرة التصحيف في قلب الراء إلى دال والحاء إلى خاء وهكذا وقد كتب العسكري كتاباً بمجلدين يتضمن أكثر من مائتي اسم من الشعراء ممن وقع التصحيف في اسمائهم.

ثانياً: تصحيف الكلمات والحروف، هناك بعض الكلمات عرضة للتحريف بسبب نمط الكتابة الذي كان سائداً في العهود القديمة فكم من كلمة استبدلت نتيجة حذف نقطة أو اضافتها.

٥٥- المفيد، الإرشاد، ١٠٣/٢.
٥٦- ابن الأثير: أسد الغابة ٤٨/٣.
٥٧- الاصفهاني: الأغاني، ٢٩/١.
٥٨- الأغاني، ٢٣٤/١.
٥٩- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧٥/٣.

وقد ذكرنا آنفاً رواية محمد بن اسحاق بن مهران مسندا عن ابي الزبير عن جابر انه قال: اذا رأيتم معاوية يخطب على المنبر فأقبلوه[٦٠].

بينما ذكره نصر بن مزاحم، وهو من حيث الاقدمية اقدم من الخطيب البغدادي، ذكر الحديث عن الحسن البصري (وهو اشهر من ان يعرف) بلفظ «فاقتلوه» وليس «فأقبلوه».

ومثال آخر على التصحيف نتيجة حذف النقاط «حدثهم عن سبعة وسبعين» بينما هي في الأصل «حدثهم عن شعبة وسفين» وفي احيان كثيرة تسقط الاسماء نتيجة التصحيف فيتبدل المعنى، مثال على ذلك ما ذكر الفيروز ابادي بلفظ «المثل» فقال: «والمثل» بالكسر، مِثل بن عجل بن لجيم ملك اليمن، وصحفه عبد الملك بن مروان فقال لقوم من اليمن «والمثل فيكم» فقالوا له: كان لنا ملك يقال له المِثل: فخجل عبد الملك[٦١].

ووقع التصحيف ايضاً في اسم الشاعر الذي قال الابيات التي مطلعها:

وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقاب المسلمين فذلت

فذكر صاحب المناقب بانه سليمان بن قبة الهاشمي[٦٢] بينما ذكره ابن قتيبة وهو سليمان بن قتة التميمي[٦٣].

ثالثاً: الاختلاف في الشعراء، وهو كثير في كتاب الأغاني، وفي غيره من الكتب.

مثال على ذلك: الأبيات الثلاثة التي مطلعها:

ابلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريك خداعاً

فقد ذكر في الجزء الأول ص ١٥٥ انها من نظم عبدالله بن همام بعث بها إلى عبد الله بن الزبير، بينما في الجزء الثالث صفحة ٣٦١ ذكر الناظم انه انس بن زنيم الليثي، وهو ايضاً رأي ابن قتيبة[٦٤].

وذكر ابن قتيبة انه كتب هذه الابيات لعبد الله بن الزبير عند زواج مصعب من عائشة بنت أبي طلحة بينما ذكر الاصفهاني انه عبد الله بن همام كتب هذه الأبيات عند زواج مصعب من سكينة بنت الحسين عليه السلام.

مثال آخر: بيت الشعر:

اهيم بدعد ماحييت فان امت فواكبدي من ذا يهيم بها بعدي

فقد ذكره في الجزء الأول ١٢/١١٦ بأنه لنصيب.

وأكد على ذلك في الجزء ١٦/١٦٤ لكنه في الجزء ٢٢ ذكر بأنه لنمر بن تولب، وهو ما يتفق مع آراء الآخرين كالسيوطي[٦٥].

رابعاً: اختلاف في الالفاظ والاحداث: التفحص الدقيق في الأغاني تظهر لنا مدى الاختلاف في الابيات الشعرية مثلاً:

٦٠- الخطيب البغدادي: ٢/٢٥٩.
٦١- الفيروزآبادي: قاموس المحيط مادة(المثل).
٦٢- ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ٤/١٧٧.
٦٣- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٤٦١.
٦٤- ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء بأنه لانس ابن أبي اناس، ص٤٦١.
٦٥- السيوطي: شواهد المغني، ص١٨٣.

اهيم بدعد ماحييت فان امت فواكبدي من ذايهيم بها بعدي

وورد ايضاً بلفظ «فواحزنا»[٦٦].

وبلفظ «فياحرا» أي ان بيت الشعر ورد ثلاث مرات وفي كل مرة في كل جزء من الأجزاء، وفي كل مرة ورد بلفظ مختلف.

والشيء نفسه في الأسماء فقد ورد فيها الاختلاف في كتاب الأغاني ففي الجزء الأول ورد هذا البيت:

قالت سكينة والدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب[٦٧]

وفي مكان آخر ورد البيت بلفظ آخر:

قالت سعيدة والدموع ذوارف منها على الخدين والجلباب[٦٨]

النتيجة:

مما تقدم برز امامنا التحريف والتصحيف كظاهرة خطيرة في مصادر التاريخ، كيف تبدلت الأسماء والتواريخ والشخوص والحوادث بسبب هذا التحريف الذي وقع بدون قصد أو مع القصد في بعض المواقف.

وهذا ما يؤكد لنا ضرورة وأهمية قيام مؤسسة متخصصة في التاريخ الاسلامي لاعادة كتابته وفق ضوابط وأصول منطقية مستهدين بالتراث الذي قدّمه لنا كبار المؤرخين الذين اطلقوا الصرخة ووضعوا الحلول ولازالت الصرخة مدوية لكن متى نبدأ بالحل؟

ونحن كأمة هي خير الأمم بصريح القرآن الكريم لا يمكن أن يبقى تاريخنا مشوهاً، فلابد من ازالة الغبار عن ثيابنا إذا أردنا ان نبني مستقبلاً مشرقاً لأجيالنا وذلك بعمل دؤوب وكفاح مرير لتخليص تاريخنا من الشوائب والترسبات والاحقاد والضغائن والمبالغات. التي تزخر بها صفحات التاريخ، وهو أمرٌ ليس بالهين لكن بالصبر والاخلاص وانتهاج الاسلوب العلمي سيكون لامتنا تاريخاً ناصعاً ستبني به مستقبلها وتفتخر به امام الأمم.

المصادر والمراجع

١. ابن الأثير (عز الدين ابو الحسن علي)، اسد الغابة في معرفة الصحابة، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، ١٣٤٦هـ ش.
٣. ابن خلدون (عبدالرحمن)، المقدمة، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٤. ابن شهرآشوب (رشيد شهرآشوب)، مناقب آل ابي طالب، منشورات مصطفوي، قم، بلاتاريخ.

٦٦- الاصفهاني: الأغاني، ٢٢٧/٢٢٥.
٦٧- الأغاني: ١٦٢/١.
٦٨- المصدر نفسه: ١٥٩/١٧.

٥. ابن صلاح (عثمان بن عبد الرحمن) مقدمة ابن صلاح ومحاسن الاصطلاح، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠.
٦. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط١ دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
٧. ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب) الفهرست، المكتبة التجارية، القاهرة.
٨. أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار احياء التراث العربي، تحقيق محمد ابو الفضل (ابراهيم) بيروت، ١٩٩٧م.
٩. الخطيب البغدادي (أحمد بن علي)، تاريخ بغداد، دار الفكر، بيروت.
١٠. الخطيب البغدادي الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع، دار المعارف، الرياض.
١١. الدوري (عبدالعزيز)، بحث في نشأة ةعلم التاريخ عند العرب، المكتبة الشرقية، بيروت/ ١٩٦٠م.
١٢. السبكي، معيدالنقم على هامش تقريع المهج/المطبعة الادبية، القاهرة، بلاتاريخ.
١٣. السخاوي (محمد عبدالرحمن)، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.
١٤. السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة.
على الألسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
١٥. السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر) / شرح شواهد المغني، دار مكتبة الحياة، بيروت. بلا تاريخ.
١٦. عبدالغني(يسرى)، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١.
١٧. العسكري (حسن بن عبد الله) شرح ما يقع فيه التصحيف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة/ ١٩٦٣.
١٨. علي (جواد) تاريخ العرب في الاسلام، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٣ الفيروز آبادي (مجدالدين محمد بن يعقوب)، قاموس المحيط ط٢/بيروت.
١٩. لكهنوي (محمد عبدالحي)، الآثار المرفوعة في الاخبار الموضوعة، دار الكتب العلمية، ١٩٨٤م.
٢٠. مدني (امين عبد الله)، التاريخ العربي ومصادره، دار المعارف/ القاهرة ١٩٦١م.
٢١. المفيد (محمد بن محمد النعمان)، الفصول المختارة من العيون والمحاسن، مكتبة الداوري، ط٤، ايران، ١٣٩٦هـ ش.
٢٢. المفيد، الارشاد، دار التيار الجديد، دار المرتضى، بيروت.
٢٣. نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون ط٢، القاهرة.
٢٤. ياقوت الحموي، معجم الادباء، دار المأمون، القاهرة ١٩٣١م.

تحليل البيئة الاستثمارية
للاستثمار المالي الاجنبي في العراق

الأستاذ الدكتور حاكم محسن محمد

عميد كلية الادارة والاقتصاد / جامعة كربلاء

تحليل البيئة الاستثمارية للاستثمار المالي الاجنبي في العراق

أ.د.حاكم محسن محمد

مقدمة:-

يكتسب الاستثمار اهميته من الاثار الايجابية التي تنعكس على الاقتصاد الوطني ولذلك فان وظيفة هذا النشاط الاقتصادي الهام تحظى بالدراسة والتحليل قبل الاقبال على اختيار الفرصة الاستثمارية المراد استثمار الاموال المتاحة المخصصة لها اذ ان الفشل او الاخفاق في اختيار المشروع المجدي ستكون له انعكاسات سلبية على الاقتصاد الوطني حيث تذهب الاموال والجهود التي بذلت وانفقت دون جدوى ودون فائدة ولذلك تجرى الدراسات التحليلية المالية والاقتصادية للبيئة الاستثمارية والفرص الاستثمارية المتاحة قبل الشروع بالاستثمار لاسيما في الدول ذات الحاجة الى الاستثمار أملا في ان ينعكس ذلك بشكل ايجابي على النمو الاقتصادي والاجتماعي بمختلف مكوناته ويتناول هذا البحث تحليلا للبيئة الاستثمارية في العراق للاستثمار المالي والأجنبي ولذلك انصب اهتمام البحث على تحليل البيئة الاستثمارية ومقوماتها واهمية هذا النوع من الاستثمار وجرى تحليل عائد ومخاطرة الاستثمار لبعض الشركات والمصارف ومن قطاعات مختارة وتوصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

اولا:ـ الاطار المعرفي لتحليل البيئة الاستثمارية:ـ

أ/ البيئة الاستثمارية، المفهوم والمقومات

١- مفهوم البيئة الاستثمارية:-

الاستثمار هو عملية توظيف الاموال في الفرص الاستثمارية المتاحة وبناءا على الدراسة التحليلية لهذه الفرص واختيار افضلها وتوفر الفرص الاستثمارية يعتمد على الحالة الاقتصادية التي يمر بها

البلد فالرواج الاقتصادي تتوفر فيه فرص استثمارية متعددة اما في حالة الكساد الاقتصادي لاتوجد فرص مشجعة او جاذبة بسبب الكساد في حين الامر مختلف في حالة الاقتصاد الاعتيادي فالفرص الاستثمارية في هذه الحالة هي اعتيادية وتنسجم مع الحالة الاقتصادية.

أما البيئة الاستثمارية فهي البيئة التي تتوفر فيها مستلزمات الاستثمار والتي تتيح للمستثمرين ورجال الاعمال امكانية او فرصة استثمار اموالهم في افضل فرصة استثمارية استنادا الى الدراسات المالية والاقتصادية التي تجري من قبل المتخصصين لهذه الفرص وتتأثر البيئة الاستثمارية لدولة ما بما يحيط بها من الدول الاقليمية بما فيها من مقومات مشجعة للاستثمار او عوامل مؤثرة بشكل سلبي على عملية الاستثمار عموما فان ذلك يؤثر في البيئة الاستثمارية للدولة اذ لايمكن ان تكون بعيدة عن التأثر بالمحيط الاقليمي ولاسيما توجد علاقات اقتصادية مع هذه الدول وكذلك فان التأثر والتأثير يصبح متبادل ولكن الدولة الاقوى سياسيا واقتصاديا تكون مؤشرة في الطرف الآخر بشكل اكبر وقد يكون التأثير ايجابي او سلبي وبالتالي فان القرارات السياسية وبالتالي الاقتصادية سيكون لها الاثر الواضح في تنمية الاستثمارات وبما ينعكس بشكل ايجابي على الاقتصاد الوطني.

٢- مقومات البيئة الاستثمارية:-

لايمكن للبيئة الاستثمارية ان تكون مناسبة للاستثمار دون مقومات وتعتمد هذه المقومات على السياسة الحكومية، فالحكومة هي صاحبة القرار وهي تعمل على تهيئة البيئة الاستثمارية ولذلك فأن من ابرز المقومات التي يجب ان تكون موجودة هي: (محمد، ٢٠٠٦)

١. **الاستقرار الامني:**

يعد عدم الاستقرار الامني من ابرز العوامل المؤدية الى تجنب الاستثمار في الدولة التي لا يتوفر فيها الاستقرار الامني يتضح ذلك من التجربة في العراق الذي ادى الى عدم توفر الامن الى هروب رؤوس الاموال العراقية الى خارج العراق حيث تستثمر في دول الجوار.

٢. **التشريعات الضريبية:**

يسعى كل مستثمر ورجل اعمال الى تحقيق الارباح من الاستثمار وتعد الضريبة عاملاً محدداً ولذلك فان التشريعات الضريبية المشجعة ستكون من دوافع الاستثمار في العراق ولكن لا يجب الدعوة الى الاعفاء الكامل من الضريبة اذ للبلد حقوقا على المستثمرين واحد ابرز هذه الحقوق هي الضريبة اذ ان المستثمر يقوم بالاستثمار على الارض العراقية وباستخدام موارد واعمال عراقية ولكن ان تكون هذه التشريعات تعمل باعفاءات ضريبية تدريجية مشجعة للمستثمر وضامنه لحقوق العراق.

٣. **وجود مدخرات:**

يتطلب الاستثمار وجود مدخرات وطنية وهي الفوائض عن الاستهلاك او جزء يتم اقتطاعه من الدخل والتنازل عن الاستهلاك الاني للاحتفاظ به كأدخارات واستثماره مستقبلاً اذن هو التنازل في الوقت الحاضر على امل الاستثمار والحصول على عائد مناسب معقول.

٤. وجود شبكات اتصالات متطورة تسمح وتساعد على الاتصال مع مختلف الاسواق الاقليمية والعالمية لتبادل المعلومات وربما البيانات المساعدة في استخدامها للدراسات التحليلية. (الشماع: ١٩٩٢، ص٨٢)

٥. انحسار دور الجماعات الضاغطة من الاحزاب والقوى المتطرفه اذ ان وجود مثل هذه الجماعات وممارستها الضغط على مشروعات الاستثمار سيؤدي الى نزوعها للهروب خارج البلد.
٦. تشريعات قانونية ومالية مشجعة على الاستثمار.
٧. وجود اسواق مالية كفوءة تسهل عملية تداول الاوراق المالية (الاسهم والسندات).
٨. وجود فرص استثمارية يمكن الاستثمار فيها حسب القطاعات الاقتصادية.

ب- الاستثمار المالي الاجنبي، المفهوم والاهمية:

ان مفهوم الاستثمار المالي ينطوي على الاستثمار في الاوراق المالية (الاسهم والسندات) ولذلك يصنف الاستثمار المالي الاجنبي ضمن الاستثمار الاجنبي الغير مباشر وهو توظيف الاموال التي تعود لمستثمرين اجانب في اسواق الاوراق المالية الموجودة في الدول التي تسمح تشريعاتها القانونية للمستثمرين الاجانب من الاستثمار في الاوراق المالية المتداولة في الاسواق المالية سواء منها الاسهم العادية التي يسمح للمستثمر بأقتناءها مالكاً لاصول ثابتاً ومتداولة الشركات التي تعود لها هذه الاسهم وبالتالي يصبح له حق البيع اذ، اصبحت اسعار الاسهم التي اقتناها مرتفعة قياساً بسعر الشراء اذا كان هذا المستثمر من النوع الذي لا يحتفظ بملكية الاسهم وانما هو من النوع الباحث عن العائد السريع من خلال الفرق بين سعري الشراء والبيع وسمي هذا الاستثمار غير مباشر لان ليس للمستثمر الاجنبي حق في ادارة موجودات الشركة التي اقتنى اسمها ويغلب عليه بانه استثمار قصير الاجل لان المستثمر الذي اشترى الاسهم ربما يبيع خلال ايام او اسابيع اذ انه عندما يشتري بسعر معين في احدى الجلسات من شهر معين فانه يستطيع ان يبيع ما اشتراه في الجلسات التالية خلال نفس الشهر اذا ارتفعت اسعار الاسهم التي اشتراها وبالتالي فهو لا ينتظر مقسوم ارباح من هذه الاسهم لان مقسوم الارباح يوزع نهاية السنة وبعد اعداد الحسابات الختامية والنوع الثاني من الاوراق المالية هو السندات وثائق مديونية تطرح من قبل الشركات المساهمة التي تتداول اوراقها في الاسواق المالية وتلجأ الشركات الى طرح السندات في السوق المالية طلبا للتمويل عندما تحتاج الى التمويل بسبب التوسعات الاستثمارية الناتجة عن تزايد الطلب على منتجاتها ولا تتوفر لديها المتطلبات المالية اللازمة لتمويل الاستثمار الجديد والامر الاخر ان هذه الشركات وبحكم ملكيتها الخاصة لاترغب ادارتها بدوافع من المالكين بدخول مالكين جدد ولذلك فهي تتجنب طرح الاسهم الجديدة للتمويل ولذلك فان المالكين احيانا يتنازلون عن حقهم في الارباح الواجبة توزيعها فيعاد استثمارها لتفادي طرح اسهم جديدة ودخول مالكين جدد لما ينطوي على ذلك من تبعات غير مقبولة من قبل المالكين كالمشاركة في اتخاذ القرارات اذ تتسع هذه الدائرة عندما يدخل مالكون جدد اضافة الى انخفاض العوائد على الاسهم بسبب تزايد اعدادها وعلى سبيل المثال لو ان الربح المتحقق في شركة معينة القابل للتوزيع (١٠٠٠٠٠) دينار وان عدد الاسهم الذي يوزع عليها (٥٠٠٠٠) سهم فان حصة السهم ستكون(٢,٠٠)دينار وعلى افتراض ان هذه الشركة احتاجت الى مبلغ (٢٥٠٠٠) دينار لاغراض التوسعات وان هذه التوسعات حققت زيادة في الربح مقدارها (٢٠٠٠٠) دينار أي الربح اصبح (١٢٠٠٠٠) دينار وان عدد الاسهم ٥٠٠٠٠ سهم + ٢٥٠٠٠ سهم على اعتبار ان قيمة

السهم الاسمية هي دينار واحد دينار عدا ٧٥٠٠٠ سهم ولذلك تكون ربحية السهم ١.٦ دينار بانخفاض مقداره(٠.٤) دينار هذا الامر كفاية المالكون ولذلك التمويل عن طريق المديونية بفائدة محددة حسب اسعار الفوائد السائدة الا ان بعض المقرضين يطلبون علاوة تضخم عندما يكون هناك تضخم لان التضخم له اثار سلبية على القوة الشرائية للنقود اذ تقل هذه القوة بسبب التضخم وهناك من يطلب علاوة الاستحقاق وعلاوة السيولة وعلاوة المخاطرة الائتمانية ولكن اغلبها شيوعا هي مخاطرة التضخم وللتمويل بالمديونية عن طريق السندات او القرض ميزة ضريبية اي ان المشرع القانوني اعتبر الفائدة كلفة يتم طرحها من الايرادات كما هو الحال لبقية التكاليف الاخرى في كشف الدخل وقبل فرض الضريبة ويمكن ايضاح هذه الميزة من خلال المثال التالي :-

في المثال السابق الذي كان الربح فيه (١٠٠٠٠٠) دينار وعلى افتراض ان الشركة يستحق عليها فائدة عن قرض قصير الاجل ومقدار هذه الفائدة (١٠٠٠٠) دينار، فأن طرح مبلغ الفائدة قبل فرض الضريبة يقلل من الضريبة المفروضة على الربح وعلى النحو الاتي :-

١٠٠٠٠٠ – ١٠٠٠٠ = ٩٠٠٠٠ دينار

وعلى افترض ان الضريبة ٣٠٪ فان الضريبة المستحقة هي

٣٠٪ × ٩٠٠٠٠ = ٢٧٠٠٠ دينار الضريبة المستحقة

اما لو ان الضريبة تفرض على الربح قبل ان تطرح الفائدة فان مقدار الضريبة سيكون

٣٠٪ × ١٠٠٠٠٠٠ = ٣٠٠٠٠ دينار الضريبة المستحقة

أي ان الربح الصافي بعد الضريبة في الحالة الاولى سيكون (٦٣٠٠٠) دينار وفي الحالة الثانية سيكون (٦٠٠٠٠٠) دينار والفرق بين المبلغين هو الميزة الضريبية للتمويل بالسندات (المديونية) ولذلك فان الشركات تميل الى التمويل وفقا لهذه الطريقة وهذا ينسجم مع الفكر المالي التقليدي الذي يؤكد على الاثر الايجابي للتمويل بالمديونية على خلاف ما دعا اليه كل ف (مدكلياني وميلر) وهذين الباحثين نشرا بحثا سنة ١٩٥٨ جاء فيه ان الاقتراض ليست له أي علاقة او تأثير على كلفة التمويل او القيمة المنشأة وما زال هذا الخلاف قائما ولم يتم اثبات صحة ما ادعياه (Modgilan.meller,1,5 p.275)

ج:- قانون الاستثمار رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٦ والاستثمار المالي الاجنبي:-

تضمن القانون رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ سماح للمستثمر الاجنبي للاستثمار والتداول في سوق العراق للاوراق المالية وقد جاء هذا النص بشكل مطلق اذ لم يحدد نوع وطريقة هذا الاستثمار لذا يجب اعادة النظر في نصوص القانون لاسيما ما يتعلق منها بالاستثمار المالي الاجنبي اذ ان الاستثمار في الاوراق المالية من قبل المستثمر الاجنبي بالرغم من كونه يوفر الموارد المالية للاستثمارات داخل العراق وقد ينطوي على اكتساب الخبرة الفنية اذا كان المستثمر الاجنبي من النوع الذي يهتم بنقل الخبرة ومساعدة الطرف الاخر ولكن ترك هذا الاستثمار طليق دون محددات ستكون له نتائج غير مقبولة اذ ان ذلك يعني ان الدولة تسمح لصاحب المال ان يستثمر امواله في الاوراق المالية المتداولة في سوق الاوراق المالية العراقية دون الزامه بالتزامات تعبر عن سيادة ومصلحة العراق في حماية حقوقه وحقوق مواطنيه وبالتالي فان هذا المستثمر سيحصل على عوائد وامتيازات يقوم بتحويلها الى بلده دون ان يقدم شيئاً للبلد الذي استثمر امواله فيه ولذلك فان هذه النصوص القانونية واجب اعادة

النظر فيها وتعديلها بشكل يتلائم ومصلحة العراق والزام المستثمر الاجنبي بالتزامات قانونية ومالية تضمن حقوق العراق وسيادته على كل نشاط اقتصادي داخل العراق ويمكن معالجة ذلك من خلال عدم السماح للمستثمر بالاستثمار في الاوراق المالية وتداولها في سوق العراق للاوراق المالية الا لمن لديه استثمارات داخل العراق كالاستثمارات المادية كاقامة مصنع او فندق سياحي او شركة سياحية او أي نوع من انواع الاستثمارات الاخرى ذات الاهمية الاقتصادية للعراق مع اعادة النظر في مدة التأجير للمستثمر الاجنبي وجعلها ٢٥ سنة بدلا من ٥٠ سنة قابلة للتمديد مرة واحدة والتأكيد على تحقيق المنافع الاقتصادية للبلد من الاستثمارات الاجنبية كنقل الخبرة والمعرفة التكنلوجية وتدريب الاطر العراقية تدريب الاختصاصات مع اخضاع المستثمر الاجنبي الى الضوابط الامنية في الاقامة في العراق ومن حيث دخوله وخروجه الى العراق والسماح باخراج جزء من الدخول التي يحصل عليها المستثمر والعاملين الاجانب في المشروع وليس ١٠٠٪ اذ لابد من ان ينفق جزء من الدخل على سد متطلباتهم واحتياجاتهم من السكن والطعام والاحتياجات الاخرى.

د ـ العائد والمخاطرة (Return and Risks)

١-العائد:

العائد هو ما يتوقع المستثمر الحصول عليه مستقبلا من استثماره لامواله المتاحة مقابل تنازله عن الاستهلاك الاتي : -

والمستثمر غير راغب في مواجهة المخاطرة في استثماراته ولذلك يحاول تفادي ذلك لكنه راغب في الحصول على عائد مرتفع من محفظته الاستثمارية مقابل استثماره في اذونات الخزينة ذات العائد المتحقق ولذلك يسمى الفرق بين عائد السوق ومعدل الفائدة على اذونات الخزينة بـ علاوة مخاطرة السوق(Market risk) وهذه العلاوة تعالج بمعامل بيتا اذ ان العلاقة بين المخاطرة والعائد علاقة تبادلية (trade off)أي ان ارتفاع المخاطرة يشير الى ارتفاع معدل العائد المطلوب ولذلك في ضوء مستوى يكون معدل العائد المطلوب من قبل المستثمر على الاسهم.

(Besley2 Brigham 2000 p. T 182) Beta (Braly,ef.al,wol,p.296).

اما اذونات الخزينة فان المخاطرة للاستثمار فيها هي صفر لانها مضمونة العوائد ومقابل هذا الانخفاض في المخاطرة او عدم وجود مخاطرة فأن العائد بالمقابل هو منخفض وهذه الاذونات هي متغيرة الاسهم (Brealey and M yers , 2000 , p 195) ولتجنب المخاطرة يتجه المستثمر الى تنويع استثماراته أي ان المستثمر يتفادى المخاطرة اللانظامية من خلال التوجه في الاستثمار الى فرص استثمارية متعددة اخذاً بنظر الاعتبار مستوى العائد والمخاطرة المتوقعة , weston @ Head) .2001 , p. 222)

٢- المخاطرة:- (Risk)

ان المخاطر التي تواجه المستثمر ليست واحدة ولذلك فان احتمالات تحقق العائد بمستوى يختلف عن العائد المتوقع هو اساس المخاطرة وينتج هذا الاختلاف او التباين في مستويات العائد المتحقق لاسباب وعوامل مختلفة منها عوامل خارجية ليس للمستثمر سيطرة عليها واخرى ذات علاقة

بالمستثمر ذاته اذ ربما تكون عدم الكفاءة في الادارة احد العوامل الاساسية وقد ارجعت بعض الدراسات اسباب الفشل الى الادارة غير الكفوءة ولذلك تقسم المخاطرة الى نوعين (محمد ،٢٠٠٥ ، ص٣٤- ٣٥).

١. المخاطرة النظامية :- (Systematic Risk)

وهي المخاطرة الناجمة عن العوامل الاقتصادية المشتركة والشاملة لجميع منظمات الاعمال والمستثمرين ورجال الاعمال ولذلك لايمكن تفاديها بالتنويع (sification Diver) (Fabozzi&Modigliani,1996,P.192-194) (Roos,et.al,2001,D287).

٢. المخاطرة اللانظامية :- (Un Systematic Risk)

هذه المخاطرة ناتجة عن عوامل داخلية خاصة بالمنشأة او بالمستثمر او رجال الاعمال وكما ذكر ناتجه عن عوامل مختلفة من ابرزها عدم الكفاءة الادارية للادارة الا ان هذا النوع من المخاطر يمكن تفاديها بالتنويع.

وكلا المخاطرتين النظامية + اللانظامية يشكلان المخاطرة الكلية

Total Risk = Un Systematic Risk + Systematic Risk

ثانيا:ـ منهجية البحث:ـ

أ. مشكلة البحث :- توفر الاستثمارات الاجنبية والمالية المال اللازم للاستثمار الوطني اذ يمكن ان تعد مصدرا للتمويل وذلك من خلال اقتنائها للاسهم المطروحة في السوق المالية الوطنية ولعدم معرفة هذه الاستثمارات بالبيئة الاستثمارية الوطنية فانها تتجنب الاستثمار في بيئة غير معروفة وبالتالي عدم الاستفادة من مصدر تمويلي يمكن ان يعكس آثارا ايجابية في حالة استثماره.

ب. هدف البحث:ـ

يهدف البحث الى تحقيق مايأتي :-

١- تحليل البيئة الاستثمارية في العراق من الناحية الامنية والاقتصادية والمالية.

٢- تحديد الفرص الاستثمارية المتاحة واي القطاعات المبحوثة هي الانسب في اختيار الاستثمار.

ج. فرضية البحث:ـ

يقوم البحث على الفرضية الاساسية الاتية (ان تحليل البيئة الاستثمارية وتحديد الفرص الاستثمارية المتاحة والقطاعات المناسبة يعد عامل جذب للاستثمارات المالية الاجنبية).

د. عينة البحث:ـ

اختير (١٢) مصرف من مصارف القطاع الخاص و(٨) شركة من شركات الاستثمار المالي وثلاث شركات من شركات التأمين اجري تحليلا لعائد الاسهم لكل منها وعلى اساس التخصص قسمت المجموعة المصرفية ومجموعة شركات الاستثمار المالي المالية ومجموعة شركات التأمين ولعدم توافر بيانات عن القيمة السوقية لاسهم بعض الشركات لذا تم اختيار الشركات التي توفرت عنها البيانات وجرى تحليل القيمة السوقية أي ان عدد الشركات في فقرة تحليل العائد هي اكبر من عددها عند تحليل القيمة السوقية بسبب عدم توفر البيانات كما ذكر عن القيمة السوقية اما المدة الزمنية فكانت للمدة من (٢٠٠٥- ٢٠٠٢) وهي المدة المتوفرة.

هـ ـ الاساليب الاحصائية المستخدمة في التحليل:

١- الانحراف المعياري $\partial = \sqrt{\frac{(x-\overline{x})^2}{n-1}}$

٢-معامل بيتا $B = \frac{\mathrm{cov}(R_m, R_i)}{VARR_m}$

٣- معامل الارتباط:-

$$r = \frac{\sum Xi\,Yi - \frac{\sum Xi\,Yi}{n}}{\sqrt{\left[\sum Xi^2 - \frac{(\sum Xi)^2}{n}\right]\left[\sum Yii^2 - \frac{(\sum Yi)^2}{n}\right]}}$$

٤-الانحدار الخطي:- Y=a+bx

ثالثا:ـ تحليل عائد ومخاطرة الاستثمار المالي لبعض الشركات من قطاعات مختارة:ـ

أ. تحليل العائد:ـ

يوضح الجدول (١) متوسط عائد المدة لبعض الشركات المصرفية وكان اعلى متوسط لهذه المجموعة لمصرف الشرق الاوسط العراقي للاستثمار بلغ (٠,٥٥٦)يليه مصرف البصرة الدولي للاستثمار حيث بلغ (٠,٤٠٠) وكان ادنى متوسط عائد للمدة يعود لمصرف الموصل للتنمية والاستثمار وكان (٠,٠٧٥) ويمكن القول ان التباين في عوائد المصارف المبحوثة هو أمر اعتيادي اذ يرجع ذلك الى عدة عوامل من بينها حجم الموجودات المستثمرة ونوعها وتنويعها ومدى تعرض الاستثمارات الى المخاطرة، ومن ملاحظة الجدول رقم (٢) يتضح ان شركة الوئام للاستثمار المالي وهي من شركات الاستثمار المالي قد حققت اعلى متوسط لهذه المجموعة بلغ (٠,٥٢٥) في حين كان ادنى متوسط لشركة الخير للاستثمار المالي وهذا المتوسط يقترب من متوسط مصرف الشرق الاوسط العراقي للاستثمار المتوسط يزيد على كل من متوسط المتوسطات للمدة ولمجموع المصارف الذي (٠,٢٧٠) ولشركات الاستثمار المالي الذي كان (٠,٢٢٩) ولشركات التأمين الذي بلغ (٠,١٢٣) اذ كان هذا المتوسط اقل المتوسطات للمجموعة وان متوسط المدة لشركات التأمين بلغ (٠,١٨٨) كأعلى متوسط لشركة الأمين تليها شركة دار السلام للتأمين اذ بلغ (٠,١١٩) ثم الاهلية للتأمين اذ بلغ (٠,٠٦٣) أي ان متوسط المتوسطات كان اعلى من متوسط شركتي دار السلام للتأمين والاهلية للتأمين واقل من متوسط شركة الامين ويمكن القول ان هذا التفاوت الذي يرجع الى العوامل التي جرى الاشارة اليها بالنسبة للمجموعة الاستثمارية المصرفية وكان للظروف الاقتصادية التي يمر بها العراق التي مازالت مستمرة كبير الاثر الكبير على اتجاهات الاستثمار وعوائده والمخاطر التي تحيط به.

جدول (١)

عائد الاسهم لبعض المصارف العراقية (شركات مساهمة)

ت	السنة / المصرف	2002	2003	2004	2005	متوسط المدة
	الموصل للتنمية والاستثمار	0.025	0.025	0.150	0.100	0.075
	شركة بغداد للاعمال المصرفية	0.450	0.166	0.025	0.025	0.166
	الائتمان العراقي	0.400	0.400	0.425	0.225	0.363
	الخليج التجاري	0.150	0.050	0.100	0.100	0.100
	المصرف العراقي الاسلامي	0.450	0.123	0.025	0.025	0.125
	الاهلي العراقي	0.250	0.275	0.325	0.075	0.231
	الاقتصاد والاستثمار والتمويل	0.025	0.312	0.125	1.100	0.313
	الشرق الاوسط العراقي للاستثمار	0.500	0.350	0.675	0.700	0.556
	بابل	0.500	0.500	0.300	0.100	0.350
	سعر التجاري	0.400	0.250	0.050	0.050	0.186
	البصرة الدولي للاستثمار	0.900	0.350	0.225	0.125	0.400
	متوسط السنة	0.368	0.255	0.220	0.239	0.270

جدول (٢)

عائد الاسهم لبعض شركات الاستثمار المالي (شركات مساهمة)

ت	السنة / الشركة	2002	2003	2004	2005	متوسط المدة
	القمة للاستثمار المالي	0.25	0.100	0.400	0.500	0.313
	البنك للاستثمارات المالية	0.193	0.300	0.375	0.100	0.242
	الزوراء للاستثمار المالي	0.050	0.075	0.175	0.250	0.138
	بين النهرين للاستثمارات المالية	0.075	0.187	0.650	0.025	0.234
	الخير للاستثمار المالي	0.025	0.010	0.175	0.01	0.055
	القمة للاستثمارات المالية	0.083	0.010	0.125	0.200	0.105
	الامين للاستثمار المالي	0.005	0.125	0.425	0.325	0.220
	الوئام للاستثمار المالي	0.025	0.075	1.700	0.300	0.525
	متوسط السنة	0.088	0.110	0.503	0.214	0.229

جدول (٣)
عائد السهم لبعض شركات التأمين (شركات مساهمة)

السنة / الشركة	2002	2003	2004	2005	متوسط المدة
دار السلام للتأمين	0.150	0.200	0.025	0.100	0.119
الامين التأمين	0.125	0.150	0.300	0.175	0.188
الاهلية للتأمين	0.025	0.100	0.025	0.100	0.063
متوسط السنة	0.10	0.15	0.117	0.125	0.123

ب. تحليل القيمة السوقية للاسهم

توضح الجداول (٤)و(٥)و(٦) القيمة السوقية لاسهم المجموعات الاستثمارية (المصارف وشركات الاستثمار المالي وشركات التأمين) وكان اعلى متوسط للقيمة على مستوى المصارف لمصرف الائتمان العراقي اذ بلغ (١٠,٠٢٥)دينار وقد تأثر هذا المتوسط بانخفاض القيمة السوقية لعامي ٢٠٠٢و٢٠٠٣ اذ بلغت (٢,٥٠٠) و (٢,٨٥٠) دينار على التوالي بينما بلغ خلال السنتين ٢٠٠٤و٢٠٠٥ (١٦,٠٠٠) و(١٨,١٥٠) دينار وادنى متوسط بلغ (٢,٤٣٨) دينار لمصرف سومر التجاري وكان متوسط المتوسطات لهذه المجموعة (٤,٥٠١) دينار، اما مجموعة شركات الاستثمار المالي فقد بلغ اعلى متوسط للقيمة السوقية (٤,٢٩٧) دينار لشركة الوئام للاستثمار المالي وقد تأثر بانخفاض القيمة السوقية لسنة ٢٠٠٣ اذ بلغت القيمة (١,٥٠٠) دينار واعلى مستوى كان سنة ٢٠٠٥ اذ بلغ (٦,٧٥٠) دينار وادنى مستوى لمتوسط المدة هو(١,٥٢٥) دينار لشركة الامين للاستثمار المالي ويرجع انخفاض هذا المتوسط الى سنتي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ اذ كانت القيمة السوقية (٠,٩٠٠) دينار و(٠,٧٠٠) دينار ويقل متوسط المدة لهذه الشركة عن متوسط المتوسطات للمجموعة اذ بلغ هذا المتوسط (٢,٣١٢)دينار وكانت شركة دار السلام للتأمين ذات متوسط اعلى بين مجموعة شركات التأمين اذ بلغ المتوسط (٢,٣٠٠)دينار وادنى مستوى كان للشركة الاهلية للتأمين والذي بلغ (١,٨٠٠)دينار اما متوسط المتوسطات فقد بلغ (١,٩٩٦)دينار ويمكن ارجاع ارتفاع او انخفاض القيم السوقية لاسهم الشركات والمصارف الى عدة اسباب من بينها الاستقرار الامني والاقتصادي كارتفاع الاسعار او معدلات التضخم وارتفاع التكاليف كل ذلك يحدث تغيرات ملموسة في سياسات الشركات والمصارف الاستثمارية مجتمعة وبالتالي فان سياسة الشركة لها انعكاس على قراراتها.

جدول (٤)

القيمة السوقية للسهم لبعض المصارف (دينار)

السنة / المصرف	2002	2003	2004	2005	متوسط المدة
الموصل للتنمية والاستثمار	1.950	2.050	2.167	6500	3.167
بغداد للاعمال المصرفية	1.800	2.000	2.500	4.100	2.600
الائتمان العراقي	2.500	2.850	16.000	18.750	10.025
الخليج التجاري	2.800	2.750	6.500	6.850	4.725
المصرف العراقي الاسلامي	1.800	2.000	2.500	4.100	2.600
الاهلي العراقي	2.000	2.250	15.750	3.950	6.138
الشرق الاوسط العراقي	1.800	2.500	7.000	5.800	4.257
بابل	3.200	4.500	13.500	2.450	5.913
سعر التجاري	2.000	1.950	2.400	3.400	2.438
البصرة الدولي للاستثمار	3.100	3.600	3.150	2.700	3.138
	2.295	2.705	7.147	5.860	4.501

جدول (٥)

القيمة السوقية للسهم لبعض شركات الاستثمار المالي (دينار)

السنة / الشركة	2002	2003	2004	2005	متوسط المدة
بين النهرين للاستثمار	1200	1.200	2.900	1.900	1.800
الخير للاستثمار المالي	.800	.550	3.000	4.900	2.313
الامين للاستثمار المالي	.900	.700	2.250	2.250	1.525
الوئام للاستثمار المالي	3.438	1.500	5.500	6.750	4.297
متوسط سعر الاغلاق على مستوى السنة	1.585	0.988	3.413	3.950	2.312

جدول (٦)

القيمة السوقية للسهم لبعض شركات التامين (دينار)

السنة / الشركة	2002	2003	2004	2005	متوسط المدة
الامين التأمين	0.700	0.850	2.500	3.500	1.888
دار السلام للتأمين	0.950	1.000	3.750	3.500	2.300
الاهلية للتأمين	0.750	0.600	1.850	4.000	1.800
متوسط السعر على مستوى السنة	.800	0.817	2.700	3.667	1.996

ج. تحليل المخاطرة:ـ

يبين الجول (٧) المخاطرة الكلية للمجموعات الاستثمارية بجزئيها النظامية واللانظامية وكانت اعلى مخاطرة بلغت (٢,١٤٦٠٤) وكان جزئها النظامي (٠,٠٤٠٥٥٧) منخفض ممايعني ان الجزء اللانظامي هذا الاكبر وبالتالي فان اسباب المخاطرة تعود للشركات ذاتها أي ان ادارة المجموعة الاستثمارية المصرفية لم تكن كفاءة ادارتها بالكفاءة الادارية المطلوبة ويسري ذلك على مجموعة شركات الاستثمار المالي وشركات التأمين حيث كان الجزء اللانظامي هو الاكبر في مخاطرتها الكلية، اما الانحراف المعياري فكانت المجموعة المصرفية هي الاكبر تليها مجموعة شركات الاستثمار المالي ثم شركات التأمين وكان معامل التمديد (R^2) ضعيف لكل المجموعات واقوى معامل التحديد كان لشركة مجموعة شركات التأمين اذ بلغ (٠,٢٢٩٢٩٦) ويعني ان مستوى التأثير رغم كونه الاعلى لكنه ليس بالمستوى المطلوب وبالتالي فان معامل التحديد كان ضعيفا وبنسبة (٠,٠١٨٨٩٩) و (٠,٠١٧٦٢٥٤) لمجموعة المصارف ومجموعة شركات الاستثمار المالي، اما معامل الارتباط بين عائد الاسهم والقيمة السوقية فقد كانت العلاقة ايجابية ولكن ليست قوية اذ بلغت للمجموعة المصرفية (٠,١٣٧٤٧٢) ولمجموعة شركات الاستثمار المالي (٠,٤١٩٨٢٦) و (٠,٤٧٨٨٤٩) أي ان اقوى علاقة كانت لشركات التأمين ان التفسير الذي يمكن ان يشير اليه التحليلات الاحصائية هو ان المخاطرة النظامية التي مرجعها منظمات الاعمال ذاتها هي الاكبر وبالتالي يعود ذلك الى سياسات المجموعات الاستثمارية المبحوثة وجميعها ذات انحراف لكن ليس كبيرا وان درجة التأثير للعوائد على القيمة السوقية هي ليست كبيرة.

جدول (٧)

التحليل الاحصائي للمجموعة الاستثمارية

المجموعة الاستثمارية	النظامية	اللانظامية	الكلية	الانحراف	معامل التحديد	معامل الارتباط
مجموعة المصارف	٠,٠٤٠٥٥٧	٢,١٠٥٤٥٧	2.146014	٠,٢٣٨٥٤٦	٠,٠١٨٨٩٩	0.137472
مجموعة شركات الاستثمار المالي	٠,٠٨٢٣٨٢	٠,٣٨٥٠٢٢	٠,٤٦٧٤٠٤	٠,١٧٢٠٩٦	٠,٠١٧٦٢٥٤	٠,٤١٩٨٢٦
مجموعة شركات التأمين	٠,٠١٦٣٣٧	٠,٠٥٤٩١٣	٠,٠٧١٢٥	٠,٠٨٢٨٥	٠,٢٢٩٢٩٦	٠,٤٧٨٨٤٩

الاستنتاجات والتوصيات:ـ

أ/ الاستنتاجات:ـ

من خلال ماتم بحثه يمكن استنتاج مايأتي :-

١- تفتقر البيئة الاستثمارية في العراق الى الامن والاستقرار السياسي والاقتصادي حيث لم تتضح العملية السياسية والاقتصادية للحكومة.

٢- وجود فرص استثمارية في الاقتصاد العراقي وفي قطاعات مختلفة، كالقطاع الزراعي او السياحي او قطاع النقل والمواصلات وقطاع الخدمات.

٣- كان للظروف الاقتصادية غير المستقرة أثر واضح في عوائد الاسهم والقيمة السوقية للسهم اذ جاءت غير مستقرة هي الاخرى بل ومتأرجحة بين الارتفاع والانخفاض.

٤- كان أفضل انواع الاستثمار في مصارف القطاع الخاص اذا كانت القيمة السوقية هي الاكبر بين القيم السوقية لبقية اسهم شركات القطاعات الاخرى وينسجم ذلك مع ارتفاع المخاطرة الكلية لهذه المجموعة الاستثمارية.

٥- كان الجزء الاكبر من المخاطرة الكلية هو المخاطرة اللانظامية والتي تعود الى ادارة المصارف والشركات الاستثمارية المختلفة ذاتها.

التوصيات:ـ

يوصي الباحث :-

١- تشجيع الاستثمار بما يضمن حقوق البلد وسيادته وتوفير عوامل الجذب القانونية كالتشريغات الضريبية المستحقة ولاسيما في المحافظات التي تعد آمنة.

٢- تهيئة الظروف والمناخ الاستثماري المناسب بكل مكوناته للاستثمار في القطاع الزراعي وقطاعات النقل والخدمات والسياحة الدينية والاثارية.

٣- ان افضل الفرص الاستثمارية التي يمكن الاستثمار فيها هو المجموعة المصرفية ومن خلال انتشارها في محافظات العراق المختلفة.

٤- اجراء دراسات الجدوى الاقتصادية والمالية للفرص الاستثمارية المتاحة.

مراجع البحث:

١- محمد، حاكم محسن محمد، دور الاستثمار السياحي العربي والاجنبي في دعم لاقتصاد العراقي، مجلة جامعة اهل البيت، عدد ٤ – كربلاء.

٢- قانون الاستثمار رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٦.

٣- الشماع، خليل محسن، الادارة المالية، ط٢، بغداد، ١٩٩٢.

4- Modigliani , franco & merton. millar , the cost of capital , corporation finance , and the theory of investment , the American , economic review vo.l ,48,no.3,june 1958.

5- Brealy ,A,Richard, &myers , C, stewort & marcus ,JAlan,Fundaueutals of corporate finance,3ed,McGrow- –Hill,New yiurk 2001.

6- Besley , sco H, and Brigham , f Eugene essentials of managerial finance ,12 ed, Newyork 2000.

7- Brealy , A, Richard & myers , C ,mstewart, principles of corporate finance , 6ed , rwin , McGraw – Hill , Newyork 2000.
8- Watson , Denzil &Heal, Antony , corporate finan Ce , 2ed , London , 2001.
9- Fabozzi , j , frank & modigliani , franco , capital markets , Institutions and Instruments and Iustruments , 2ed , prentice Hall , New Jersey , 1996.
10- Ross , A, Stephen , & wester field , w , randolphed & jaffe , f , jefftry , corporate finance , Mc , Grow , Hill , Irwin , Newyork 2001.
١١- محمد، حاكم محسن، المجلة العراقية للعلوم الادارية – استخدام دالة logit للتنبؤ وبفشل او نجاح منظمات الاعمال، العدد ٧- ٨ مجلد ٣، اذار، ٢٠٠٥.

قياس كفاءة الشركات الزراعية في استخدام مواردها المتاحة

دراسة تطبيقية
في عينة من شركات القطاع الزراعي
المدرجة في سوق العراق للاوراق المالي

الأستاذ المساعد الدكتور
خضير مهدي صالح
كلية الادارة والاقتصاد
جامعة كربلاء

المدرس المساعد
محمود فهد عبد علي
كلية الادارة والاقتصاد
جامعة كربلاء

قياس كفاءة الشركات الزراعية في استخدام مواردها المتاحة

دراســة تطبيقية في عينة من شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للاوراق المالية

أ.م.د. خضير مهدي صالح
م.م. محمود فهد عبد علي

ملخص البحث

تتناول الدراسة الحالية مدى كفاءة الشركات الزراعية في استخدام مواردها المتاحة وذلك ضمن إطارين، تضّمن الإطار الأول بناء الجانب النظري لتحديد مفهوم الكفاءة وماهية الاستثمار في عناصر الموجودات فضلاً عن تناول نسب النشاط. أما الإطار الثاني فتضّمن الجانب التطبيقي متناولاً تحليل النتائج لنسب النشاط لخمسة شركات من شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية.

ركزت الدراسة على مشكلة متمثلة بالسؤال التالي: (هل أن الشركات الزراعية تستثمر في موجوداتها أكثر أو أقل من اللازم ؟) ساعية لتحقيق هدف أساسي هو (التعرف على مدى كفاءة الشركات الزراعية في استخدام الموارد المتاحة في عملياتها). منطلقة من فرضية أساسية مفادها: (أن شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية تستخدم مواردها المتاحة بكفاءة عالية).

توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات أهمها: تباين كفاءة الشركات المبحوثة في استخدام مواردها المتاحة، واعتماداً على الاستنتاجات التي تم التوصل اليها قدمت مجموعة من التوصيات.

المقدمة

أن من المسلمات الأساسية للادارة الناجحة أن ينصب اهتمامها على خلق حالة حقيقية من التوازن بين خططها الإستراتيجية وبين الإمكانيات والموارد المتاحة للشركة. (القطامين، ٢٠٠٢، ص٦٩)

وبالنظر لتوجه الادارة في مختلف الشركات نحو الحصول على أكبر العوائد وبأقل المخاطر من استخدام الموارد المتاحة، فأن الاهتمام يوجه نحو زيادة الكفاءة التي تعني الوصول الى أفضل علاقة بين المدخلات Input والمخرجات output. خاصة وأن واقع البيئة المعاصرة يتسم بمحدودية الموارد المتاحة، الامر الذي يجعل الشركات تعاني باستمرار من صعوبة الحصول على تلك الموارد بالكميات والنوعيات اللازمة لاداء أنشطتها وعملياتها. لذلك يتحتم على الشركات اعتماد أسلوب الرشد والعقلانية في استخدام مواردها المتاحة وكذلك الموائمة بين أهدافها وما يتوافر لديها من موارد بشرية ومادية ومالية ومعلوماتية، فالشركة التي تبالغ بإمكانية تحقيق أهدافها مع عدم كفاءة استخدام مواردها المتاحة سوف تعاني من اخفاقات كبيرة في مجال أنشطتها وعملياتها.

ونتيجة لهذه الأهمية يأتي هذا البحث لتناول مدى كفاءة الشركات الزراعية في استخدام مواردها المتاحة. يتكون البحث من أربعة مباحث خصص الأول منها للجانب النظري متضمناً ثلاث فقرات، انفردت الأولى في تناول الكفاءة ومفهومها وقياسها، وتناولت الثانية موضوع الاستثمار في عناصر الموجودات أما الفقرة الثالثة فقد تناولت نسب النشاط أو إدارة الموجودات.

أما المبحث الثاني فتناول المنهجية العلمية للبحث من خلال عرض مشكلة البحث وأهميته وهدفه وفرضية وأساليبه.

في حين خصص المبحث الثالث لتحليل النتائج وتفسيرها واختبار الفرضية. أما المبحث الرابع والأخير فقد تناول أهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل اليها الباحثان.

المبحث الأول: الإطار النظري

أولاً: الكفاءة Efficiency

أ- مفهوم الكفاءة: Concept of Efficiency

تعني الكفاءة حُسن استخدام الموارد، أي الاقتصاد في استغلالها من قبل الشركة من اجل تحقيق أهدافها (محمد، ٢٠٠٦، ص١٢٣).

كما يشار الى الكفاءة بانها إنجاز الكثير بأقل ما يمكن، أي العمل على تقليل الموارد المستخدمة سواء كانت بشرية أم مادية أم مالية (الحسيني والدوري، ٢٠٠٠، ص ٢٢٧).

وقد اكد كل من (Carzo & Yanouzas) ان كفاءة الشركة تكون عالية عندما تستثمر مواردها المتاحة في المجالات التي تعطي اكبر العوائد، وعليه فان مفهوم كفاءة الشركة يمثل مصادر الرشد في استعمال الموارد المتاحة لها كالبشرية والمادية والمالية والمعلوماتية، ويمكن تحديد درجة كفاءة الشركة من خلال العمليات والأنشطة التي تتم داخل الشركة لتحقيق أهدافها بأقل كلفة واقصر وقت ممكن (الموسوي، ٢٠٠٢، ص ١٧- ١٨).

وبناءً على ما تقدم يمكن الاستنتاج بأن مفهوم الكفاءة يتحدد باتجاهين:

الأول هو قدرة الشركة على تحقيق أقصى المخرجات من مدخلات محددة. والثاني هو قدرة الشركة على تحقيق نفس القدر من المخرجات بأقل قدر من المدخلات.

ب- قياس الكفاءة Efficiency Measurment

هناك العديد من المؤشرات المستخدمة في قياس الكفاءة منها ما يلي: (الشماع، ١٩٨٩، ص ٣٤٦- ٣٤٨)

١. **المؤشرات المباشرة:** وتتضمن هذه المؤشرات قياس عمليات الشركة من خلال مقارنة المخرجات Output (السلع والخدمات) بالمدخلات Input (الموارد المستخدمة) خلال مدة زمنية معينة.
٢. **المؤشرات غير المباشرة:** وتتضمن هذه المؤشرات قياس الكفاءة عن طريق قياس رغبة الافراد في العمل والتعرف على درجات الرضا والروح المعنوية لديهم، هذا بالإضافة الى دراسة وتحليل إمكانية الاستثمار الأمثل للموارد البشرية والمادية والمالية والمعلوماتية المتاحة.

ثانياً: الاستثمار في عناصر الموجودات:

الاستثمار في عناصر الموجودات هو تخصيص او توزيع أموال الشركة في هيكل استثماراتها، وكيفية توزيع هذه الاستثمارات بين الموجودات المتداولة (استثمارات قصيرة الاجل) والموجودات الثابتة (استثمارات طويلة الاجل) فأذا شكلت الموجودات المتداولة النسبة الاكبر من الهيكل الاستثماري للشركة فأن سيولة الشركة ستكون عالية وفي نفس الوقت ستكون ربحيتها محدودة، أما اذا شكلت الموجودات الثابتة النسبة الاكبر من الهيكل الاستثماري للشركة فأن ربحيتها ستكون مرتفعة ولكن سيولتها ستكون محدودة. ويمكن تقسيم عناصر الموجودات في الشركة الى ما يلي:

أ- الموجودات الثابتة Fixed Assets

هي الموجودات ذات الاجل الطويل التي يزيد عمر استخدامها عن السنة وتظهر في الجانب الايمن من الميزانية العمومية للشركة، وتقسم الى نوعين:

النوع الاول: الموجودات الملموسة ويطلق عليها احياناً اصطلاح (عقارات ومصانع وآلات) وتشمل هذه الموجودات عموماً على الاراضي والمباني (المصانع والمكاتب والمستودعات) والآلات والمعدات (المكائن واللاثات والمعدات).

النوع الثاني: الموجودات الغير ملموسة ويطلق عليها بالملكية الفكرية وتشمل على براءات الاختراع والعلامات التجارية والتصاميم وحقوق التأليف وحقوق الاصناف النباتية والاسرار التجارية. (سيبان وإيلمونن، ٢٠٠٧، ص٢٧)

ب- الموجودات المتداولة Current Assets

الموجودات المتداولة هي جزء من الموجودات الكلية للشركة، وتظهر في الجانب الايمن من الميزانية العمومية، وتتصف بقابلية التحول الى نقد خلال سنة واحدة، وتشمل النقد، الاستثمارات القابلة للتداول، الحسابات المدينة، والمخزون. وسنركز في هذه الفقرة على الحسابات المدينة والمخزون باعتبارهما المقام في المعادلات المعتمدة لحساب بعض نسب النشاط او ادارة الموجودات.

١- الحسابات المدينة Account Receivable

أولاً – المفهوم Concept

تنشأ الحسابات المدينة عن المبيعات الآجلة، اذ تقوم الشركات عادةً بتقديم التسهيلات الائتمانية للزبائن عند الشراء لترويج بضاعتها وزيادة مبيعاتها وبالتالي زيادة أرباحها. والحسابات المدينة ما هي إلا ائتمان تجاري ممنوح من قبل الشركة البائعة، ويمثل هذا الائتمان استثمار للموارد المالية للشركة في حساباتها المدينة. ويعتمد مستوى الحسابات المدينة على حجم المبيعات الآجلة التي تتوقف على حجم المبيعات أساساً ومتوسط فترة التحصيل. (العامري، ٢٠٠١، ص ٣٤٥)

ولولا اعتبارات المنافسة وضرورة زيادة حجم المبيعات فأن الإدارة المالية تفضل البيع النقدي، وهناك عدة مؤشرات لرقابة كفاءة إدارة الحسابات المدينة أهمها ما يلي: (الشماع، ١٩٩٢، ص ٢٣٥- ٢٣٧)

- المقارنة بين مدة التحصيل وشروط البيع الآجل.
- مراقبة جدول اعمار *(آجال) الحسابات المدينة.
- مراقبة تقلبات مدة التحصيل وجدول اعمار الحسابات المدينة خلال التقلبات الموسمية في السنة الواحدة.
- تحقيق الإيراد في حالتي البيع النقدي والبيع الآجل مع فارق المخاطرة الأعلى للبيع الآجل.

ثانياً. السياسة الائتمانية Credit Policy

ان باستطاعة الشركة أن تقتصر مبيعاتها الآجلة على أفضل عملائها مالياً وبذلك فهي تستطيع ان تتجنب خسائر الديون المعدومة، ولكن بالمقابل من المحتمل أن تفقد جزءاً مهماً من مبيعاتها وتكون الأرباح الضائعة من تلك المبيعات اكبر بكثير من الخسائر التي تتجنبها. (العامري، ٢٠٠١، ص٣٤٦)

واذا ما قررت الشركة ان تقدم لزبائنها تسهيلات ائتمانية فأمامها طريقتين: (برنوطي، ٢٠٠١، ص ٢١٣- ٢١٤)

الطريقة الاولى: منح التسهيلات الخاصة إما عن طريق البيع بالأقساط وهو أسلوب شائع بين الشركات التي تبيع منتوجات ذات اقيام عالية كشركات بيع السيارات والأثاث او التجهيزات المنزلية. أو عن طريق تحديد ما يشبه الحساب الجاري مع سقف زمني عام، أي السماح للزبون الشراء بالآجل لحد مبلغ معين (مليون دينار مثلاً) ثم تتوقف عن البيع اليه اذا تجاوزت ديونه هذا المبلغ ثم تستأنف البيع بعد ان يسدد مبلغاً ما يُستحق عليه.

الطريقة الثانية: منح الائتمان عن طريق البطاقة الائتمانية (Credit Card) وفي هذه الحالة على الشركة ان تحدد هذه البطاقة وتتصل بالشركة المصدره للبطاقة وتتفق معها على شروط هذا الاشتراك، وهناك العديد من الشركات العالمية التي تتخصص بإصدار بطاقات ائتمانية مثل Master

*. يتضمن هذا الجدول تفصيل الحسابات المدينة بحسب بقائها غير مسدده منذ وقت البيع.

charge و diner's club وغيرها. وفي هذه الحالة ستستخدم بطاقة كل زبون يرغب التسديد بالبطاقة وكأنه يسدد نقداً.

وهناك خمسة جوانب مهمة للزبون ينبغي على مدير ادارة الحسابات المدنية في الشركة من دراستها لتقييم مخاطرة منح الائتمان، ويطلق عليها (Five Cs of Credit) وهي: (Weston , etal , 1996 , P 400-401)

- **الشخصية (Character):**

إن شخصية الزبون مهمة جداً لان كل معاملة ائتمانية تتضمن الوعد بالدفع Promise Pay، ومن خلال شخصية الزبون يمكن التعرف فيما اذا كان صادقاً بوعده لدفع الدين او سيحاول التهرب من الدفع.

- **المقدرة (Capacity):**

وتشير الى مقدرة الزبون على الدفع، وهي مقياس لقدرة المدين على توليد النقود الكافية لايفاء الدين.

- **راس المال (Capital):**

ويقاس بالحالة المالية العامة للمقترض، ويشار اليه من خلال الكشوفات المالية.

- **الضمان (Collateral):**

ويتمثل بالموجودات المقدمة من قبل المقترض كأمان لضمان الائتمان.

- **الظروف (Conditions) :**

وتشير الى كافة الاتجاهات الاقتصادية العامة والتطورات الخاصة المتحققة من مناطق جغرافية او قطاعات اقتصادية والتي تؤثر على مقدرة المقترض على الدفع.

٢- المخزون (Inventory)

تعد إدارة المخزون من الإدارات المهمة التي تشغل أفكار المدراء بكافة الأعمال، ويحدث المخزون عند استلام المواد الأولية او الأجزاء نصف المصنعة او السلع تامة الصنع وإيداعها في المخازن ويستنفذ عند استلامه من المخازن (Krajewsk & Ritzman , 1999, P544)

والمخزون هو الموجود الأقل سيولة من بين الموجودات المتداولة ويتطلب وقتاً ليس بالقصير حتى يمكن تحويله الى نقد مرة أخرى. والاستثمار في المخزون يتطلب أموالاً كبيرة قياساً بالموجودات الأخرى. ولا يمكن للشركة أن تحقق المبيعات بدون المخزون كما لا يمكنها ان تحقق الربح بدون المبيعات " فالمنتج ليس منتجاً مالم يباع وخلاف ذلك سيكون مجرد قطعة في متحف ". (كوتلر، ٢٠٠٤، ص ١١١)

فإذا استطاعت الشركة ان تحقق نفس المبيعات بحجم مخزون أقل (أي زيادة دورانه) فانها قد أسهمت في زيادة الربحية وبالتالي ارتفاع قيمتها في السوق.

ويصنف المخزون الى ثلاثة انواع رئيسية وهي:

- مخزون المواد الاولية Materials inventory raw
- مخزون البضاعة نصف المصنعة Work-in rocess inventory
- مخزون البضاعة تامة الصنع Inventory Finshed good

ولضرورات الانتاج والبيع تحتفظ الشركات وخاصةً الصناعية بهذه الانواع الثلاثة من المخزون

ثالثاً: نسب النشاط أو إدارة الموجودات Activity or Assets Management Ratios

تقيس نسب النشاط كفاءة الشركة باستخدام موجوداتها او مواردها المتاحة وذلك من خلال المقارنة بين مستوى المبيعات ومستوى الاستثمار في عناصر الموجودات المختلفة للشركة (وستون وبرجام، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٨). وهناك عدد من المؤشرات المستخدمة في قياس النشاط هي:

أ. دوران الحسابات المدينة (Account Recivable Turnover):

يقيس هذا المؤشر عدد مرات تحصيل الحسابات المدينة خلال السنة، وهو يشير الى عدد المرات التي يقوم بها المدينون بتسديد ديونهم خلال السنة. (البديري، ٢٠٠٣ ، ص٢٩٥) ويتم حساب هذا المؤشر من خلال قسمة المبيعات الصافية على الحسابات المدينة وكما يلي: (العامري، ٢٠٠١ ، ص١٢٨)

$$\text{معدل دوران الحسابات المدينة} = \frac{\text{صافي المبيعات}}{\text{الحسابات المدينة}}$$

إن ارتفاع هذا المعدل يشير الى كفاءة الشركة في تحويل حساباتها المدينة الى نقد.

ب. معدل فترة التحصيل (Average collection period)

يشير معدل فترة التحصيل الى عدد الايام اللازمة لتحويل الحسابات المدينة الى نقد، إذ تقيس هذه الفترة دوران المدينين أي تحدد الوقت الذي تستغرقه دورة واحدة للمدينين [*]. ويستخدم هذا المعدل لتقييم سياسة الائتمان والتحصيل للشركة. إن طول مدة التحصيل تدلل على عدم كفاءة الشركة في تحصيل حساباتها المدينة وبالتالي انخفاض السيولة الذي يؤثر على قدرة الشركة في مواجهة التزاماتها المالية قصيرة الاجل، ويحسب هذا المعدل من خلال تقسيم ٣٦٠ يوم[*] على دوران الحسابات المدينة. (العامري، ٢٠٠١ ، ص ١٢٨- ١٢٩)

$$\text{معدل فترة التحصيل} = \frac{٣٦٠}{\text{دوران الحسابات المدينة}}$$

ج. معدل دوران المخزون (Inventory Turnover Ratio):

يقيس معدل دوران المخزون عدد مرات تصريف ومن ثم إحلال المخزون خلال سنة واحدة وبالتالي فهو يقيس كفاءة الشركة في إدارة وبيع المخزون. ويحسب بقسمة صافي المبيعات على المخزون وكما يلي: (وستون وبرجام، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٨)

---

[*] دورة المدينين هي الدورة التي تبدأ من تسجيل الديون وتحصيلها ثم تسجيل ديون أخرى جديدة. (وستون وبرجام، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٩)

[*] عدد ايام السنة.

صافي المبيعات

معدل دوران المخزون = ———————

المخزون

إن ارتفاع هذا المعدل هو مؤشر على ممارسات بيعية ممتازة للشركة الأمر الذي يحسن السيولة والربحية لان الأموال المستثمرة في المخزون قليلة، أما انخفاض هذا المعدل فهو دليل على احتفاظ الشركة بمخزون فائض أو متقادم.

د. دوران الموجودات الثابتة (Fixed Assets Turnover):

تقيس هذه النسبة كفاءة الشركة في إدارة موجوداتها الثابتة، فأذا كانت هذه النسبة مرتفعة فهو مؤشر على الاستخدام الامثل للطاقة الانتاجية المتاحة، أما انخفاضها فهو مؤشر على عدم وجود توازن ما بين المبيعات وحجم الاستثمار في الموجودات الثابتة وبالتالي معاناة الشركة من طاقة انتاجية فائضة أو تكدس الانتاج في المخازن بدلا من تصريفه في السوق. وتحسب هذه النسبة وفق المعادلة التالية: (العامري، ٢٠٠١، ص ١٣٠- ١٣٠)

صافي المبيعات

دوران الموجودات الثابتة = ———————

صافي الموجودات الثابتة

ه. دوران الموجودات الكلية (Total Assets Turnover):

تقيس هذه النسبة كفاءة الشركة في استخدام موجوداتها الكلية (الموجودات الثابتة زائداً الموجودات المتداولة) لتوليد المبيعات وتحسب هذه النسبة كما يلي (Mc-Menamin ,1999, P311)

المبيعات

دوران الموجودات الكلية = ———————————

الموجودات الكلية (الثابتة + المتداولة)

رابعاً / نسب الربحية Profitability Ratios

إن ربحية الشركة هي المحصلة النهائية لعدد كبير من القرارات والسياسات الإدارية، إذ تعكس هذهِ النسب الأداء الكلي للشركة وتفحص قدرتها في توليد الأرباح من المبيعات والموجودات وحقوق الملكية وتعطي الأجوبة الأخيرة عن مدى فعالية إدارة الشركة.

وهناك العديد من النسب المالية المستخدمة لقياس الربحية مثل نسبة هامش الربح الإجمالي، نسبة هامش الربح التشغيلي، نسبة هامش صافي الدخل، معدل العائد على الاستثمار، ومعدل العائد على حق الملكية.

وسنتاول بالتحليل كلاً من معدل العائد على الاستثمار (ROI) ومعدل العائد على حق الملكية (ROE). فالأول يقيس كفاءة الشركة والثاني يقيس منافع حملة الأسهم (المالكين).

أ- معدل العائد على الاستثمار Return on Investment (ROI)

ويسمى كذلك بمعدل العائد على الموجودات Return on Assets (ROA)

ويقيس الكفاءة الكلية للشركة في تحقيق الأرباح من مجمل استثماراتها في الموجودات، وتسعى الشركات دائماً لزيادة هذا المعدل لأنه المقياس لربحية كافة استثمارات الشركة القصيرة والطويلة الأجل، وأن ارتفاعه يدل على كفاءة السياسات الاستثمارية والتشغيلية لإدارة الشركة.

ويحسب هذا المعدل من تقسيم صافي الدخل على مجموع الموجودات وكما يلي: (العامري، ٢٠٠١، ص١٤١)

$$\text{معدل العائد على الاستثمار} = \frac{\text{صافي الدخل}}{\text{مجموع الموجودات}}$$

ب- معدل العائد على حق الملكية Return on Equity (ROE)

يعد هذا المعدل مقياساً للعائد المتحقق عن استثمار أموال المالكين وبالتالي فهو يقيس منافع المالكين، وان ارتفاع هذا المعدل هو دليل على كفاءة الادارة في استثمار أموال المالكين. ويقاس هذا المعدل بقسمة صافي الدخل على حقوق الملكية وكما يلي: (وستون وبرجام، ١٩٩٣، ص٢١٤)

$$\text{معدل العائد على حق الملكية} = \frac{\text{صافي الدخل}}{\text{حقوق الملكية}}$$

المبحث الثاني: المنهجية العلمية للبحث

أ- مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث بطرح السؤال التالي: هل أن استثمار الشركات الزراعية في موجوداتها أكثر أو اقل من اللازم ؟ فالمغالاة في استثمار المخزون مثلاً تعني تجميد جزءاً من أموال الشركة في المخازن ولا تدر ربحاً بينما الاستثمار الأقل من اللازم في المخزون قد يؤدي الى ضياع فرص كثيرة على الشركة.

ب- أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته من الدور الذي تلعبه الموارد المتاحة للشركات في تحقيق أهدافها، سيما وان هذه الموارد تتسم بالمحدودية، لذا يتحتم على الشركات من استخدام تلك الموارد بكفاءة عالية في سبيل تحقيق أهدافها.

جـ- هدف البحث:

يهدف البحث الى التعرف على مدى كفاءة الشركات الزراعية في استخدام الموارد المتاحة في عملياتها وبالتالي وضع الاستنتاجات والتوصيات التي تساعد على الاستخدام الأمثل لعناصر الإنتاج بما تتضمنه من طاقات وموارد مادية ومالية وبشرية متاحة لها بما يكفل تحقيق أهدافها.

د- فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها " إن شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية تستخدم مواردها المتاحة بكفاءةٍ عالية".

هـ- عينة البحث:

شملت عينة البحث (٥) خمسة شركات من الشركات العراقية في القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية، وان عدد شركات هذا القطاع (١٠)عشرة شركات، وعليه فأن العينة تمثل (٥٠٪) من مجتمع البحث، وبهذا يمكن تمثيل المجتمع تمثيلاً صحيحاً وبالتالي أمكانية تعميم نتائج هذه العينة على مجتمع البحث، اعتمدت بيانات المؤشرات المالية للشركات عينة البحث للمدة ٢٠٠٢- ٢٠٠٤.

و- أساليب البحث:

استخدمت مجموعة من الأساليب الإحصائية والمالية في التحليل وهي:

١. **الوسط الحسابي (X)**

ويستخرج وفق الصيغة الآتية: (محمد، ٢٠٠١، ص ٩٠)

$$\bar{X} = \frac{\Sigma X}{n}$$

إذ ان:

$\bar{X}$ = الوسط الحسابي

x = المتغير المستقل.

n = عدد المشاهدات

٢. **النسبة المئوية**

وتستخرج بقسمة الجزء على الكل × ١٠٠.

٣. **معدل دوران الحسابات المدينة**

ويستخرج هذا المعدل وفق الصيغة الآتية: (العامري، ٢٠٠١، ص١٢٨)

$$\text{معدل دوران الحسابات المدينة} = \frac{\text{صافي المبيعات}}{\text{الحسابات المدينة}}$$

٤. **معدل فترة التحصيل**

ويستخرج وفق الصيغة الآتية: (العامري، ٢٠٠١، ص١٢٩)

$$\text{معدل فترة التحصيل} = \frac{٣٦٠}{\text{دوران الحسابات المدينة}}$$

٥. **معدل دوران المخزون**

ويستخرج وفق الصيغة الآتية: (وستون وبرجام، ١٩٩٣، ص٢٠٨)

$$\text{معدل دوران المخزون} = \frac{\text{صافي المبيعات}}{\text{المخزون}}$$

٦. **دوران الموجودات الثابتة**

ويستخرج وفق الصيغة الآتية: (العامري، ٢٠٠١، ص١٣١)

$$\text{دوران الموجودات الثابتة} = \frac{\text{صافي المبيعات}}{\text{صافي الموجودات الثابتة}}$$

٧. **دوران الموجودات الكلية**:

ويستخرج وفق الصيغة الآتية: (Mc-Menamin , 1999, p311)

$$\text{دوران الموجودات الكلية} = \frac{\text{المبيعات}}{\text{الموجودات الكلية (الثابتة+المتداولة)}}$$

٨. **معدل العائد على الاستثمار**(ROI)

ويستخرج فق الصيغة الاتية (العامري، ٢٠٠١، ص١٤١)

$$\text{معدل العائد على الاستثمار} = \frac{\text{صافي الدخل}}{\text{مجموع الموجودات}}$$

٩. **معدل العائد على حق الملكية** (ROE)

ويستخرج وفق الصيغة الاتية (وستون وبرجام، ١٩٩٣، ص٢١٤)

$$\text{معدل العائد على حق الملكية} = \frac{\text{صافي الدخل}}{\text{حقوق الملكية}}$$

المبحث الثالث: تحليل النتائج

يتناول هذا المبحث تحليل النتائج لنسب النشاط وبعض نسب الربحية للشركات عينة البحث، وهي خمسة من شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية بدءاً بشركة الثرثار

للانتاج الزراعي، الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي، الأهلية للإنتاج الزراعي، الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك وأخيراً شركة الأثمار الزراعية.

وقد تم اعتماد متوسط ثلاث سنوات وهي ٢٠٠٤، ٢٠٠٣، ٢٠٠٢ لحساب نسب النشاط وذلك للوصول الى تقييم أفضل للنتائج ولضمان عدالة المقارنات فقد أنشأنا متوسط قطاع الزراعة من خلال جمع معدلات جميع الشركات المبحوثة والقسمة على عددها ويظهر هذا المتوسط في الجدول تحت مسمى القطاع.

اولاً: تحليل نسب النشاط

أ- معدل دوران المخزون:

يبين الجدول رقم(١) مدعوماً بالشكل (١) معدل دوران المخزون للشركات المبحوثة، إذ سجلت الشركة الحديثة أعلى معدل والبالغ (٤٢)مرة وهو أعلى من المعدل الوسطي للقطاع والبالغ (١٤) مرة بـ(٢٨) مرة. وهذا دليل على ان الشركة لا تحتفظ بمخزون زائد عما هو ضروري لتلبية طلبات الزبائن من خلال الممارسات البيعية الممتازة للشركة الأمر الذي يخفض الأموال المستثمرة في المخزون وبالتالي تحسين السيولة والربحية في آن واحد.

في حين سجلت شركة الأثمار ثانياً أعلى معدل إذ بلغ (١٣) مرة وهو اقل بـ(١) مرة من المعدل الوسطي للقطاع.

كما سجلت شركة الثرثار معدلاً قدره (٩) مرة وهو أقل من المعدل الوسطي للقطاع بـ (٥) مرات، وهذا يشير الى الاستثمار العالي للشركة في المخزون قياساً بالشركات المماثلة في نفس القطاع، وهذا الارتفاع في مستوى المخزون يحمل الشركة كلف تمويل إضافية.

أما بالنسبة لشركتي الأهلية والشرق الأوسط فأن هذا المعدل كان منخفضاً إذ بلغ (٢) مرة، (٣) مرة على التوالي وهذا يشير الى ان الشركتين أقل جودة في إدارة المخزون من معدل القطاع وبقية الشركات المنافسة وبالتالي احتفاظ الشركتين بمخزون فائض أكثر مما هو ضروري لتلبية الطلب، وان هذه الزيادة الغير ضرورية من المخزون تمثل استثماراً غير منتج ويجب على الشركتين أن تتفاديا هذه الزيادة بالمخزون. كما بلغ معدل فترة بقاء البضاعة* في المخازن للشركتين (١٨٠) يوم، (١٢٠) يوم على التوالي وهذه الفترة أكبر من معدل القطاع البالغ(٢٥,٧) يوم بـ(٧)، (٤) مرات على التوالي، وهذا ناتج عن انخفاض كفاءة البيع والتسويق وبالتالي بقاء المنتجات فترة أطول في المخازن مع الأخذ بالحسبان نوعيتها الغذائية وقصر فترة صلاحيتها. كما وان ارتفاع حجم المخزون مقارنة بمعدلات القطاع والمنافسين يعد قصوراً في ادارة رأس المال العامل لان زيادة المخزون تعني زيادة في أموال كان يمكن استغلالها في توليد إيراداً للشركة في استثمارات أخرى.

* تستخرج فترة بقاء البضاعة بالمخازن من خلال قسمة ٣٦٠ على معدل دوران المخزون. (البديري، ٢٠٠٣، ص٢٩٢)

جدول (١)

معدل دوران المخزون للشركات المبحوثة للمدة ٢٠٠٢- ٢٠٠٤

ت	اسم الشركة	دوران المخزون (مرة)				فترة بقاء البضاعة بالمخازن(يوم)
		٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	المعدل	
١	الثرثار للإنتاج الزراعي	٣,٨	٩,٣	١٤,٤	٩	٤٠
٢	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	٠,٩٣	٦٩	٥٥,٩	٤٢	٨,٦
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	٣,١	١,٨	١,١	٢	١٨٠
٤	الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	٥,٣	٢,٥	١,٣	٣	١٢٠
٥	الأثمار الزراعية	٢,٩	٣٢,٦	٣,٨	١٣	٢٧,٧
	القـطاع				١٤	٢٥,٧

شكل (١)

معدل دوران المخزون للشركات المبحوثة

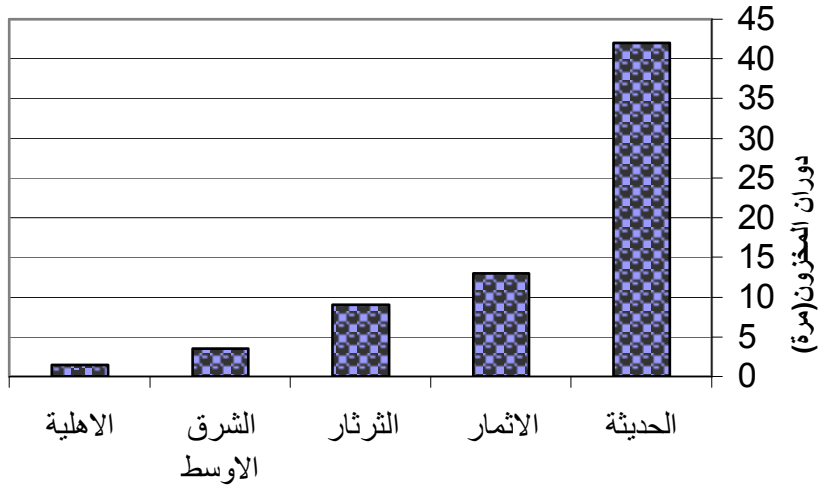

ب – معدل دوران الحسابات المدينة

يوضح الجدول رقم (٢) مدعوماً بالشكل (٢) معدل دوران الحسابات المدينة للشركات المبحوثة. إذ يلاحظ بأن شركة الشرق الأوسط قد سجلت أعلى معدل وبلغ (٢٥) مرة وهو اكبر من المعدل الوسطي للقطاع البالغ (٨,٢) مرة بـ (١٦,٨) مرة، وان هذا المعدل العالي لدوران الحسابات المدينة يدل على كفاءة الشركة في تحويل حساباتها المدينة الى نقد، كما يدل أيضاً على السياسة الائتمانية المتشددة للشركة.

في حين سجلت الشركة الأهلية ثاني أعلى معدل والبالغ (٨,٩) مرة وهو اكبر من المعدل الوسطي للقطاع بـ (٠,٧) مرة.

أما بالنسبة لشركات الثرثار والأثمار والحديثة فقد سجلت أقل المعدلات إذ بلغت معدلاتها (١,٥ ، ٢,٦ ، ٣,٢) مرة على التوالي وهي أقل من المعدل الوسطي للقطاع بـ (٦,٧ ، ٥,٦ ، ٥) مرة على التوالي، ويدل هذا الانخفاض على انخفاض المبيعات أو ارتفاع الحسابات المدينة لهذه الشركات كما يدل على سياساتها الائتمانية المتساهلة.

جدول (٢)

معدل دوران الحسابات المدينة وفترة التحصيل للشركات المبحوثة للمدة٢٠٠٢- ٢٠٠٤

ت	اسم الشركة	دوران الحسابات المدينة (مرة)				فترة التحصيل (يوم)
		٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	المعدل	
١	الثرثار للإنتاج الزراعي	١,٦	١,٩	٠,٨٦	١,٥	٢٤٠
٢	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	٩,٧	٠,٠٢	٠,٠٢	٣,٢	١١٣
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	١٢,٦	٦,٧	٧,٦	٨,٩	٤٠
٤	الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	٤٢	٢٣,٦	٩,٦	٢٥	١٤
٥	الأثمار للإنتاج الزراعي	٠,٩	٦,٨	٠,١٤	٢,٦	١٣٨
	القـطاع				٨,٢	١٠٩

شكل (٢)
معدل دوران الحسابات المدينة للشركات المبحوثة

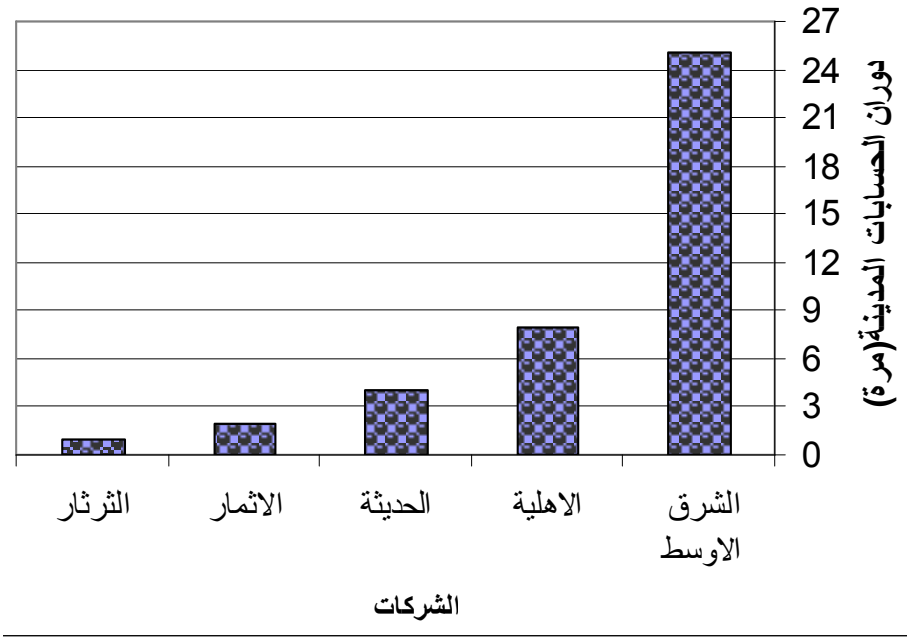

ج - معدل فترة التحصيل

كما يبين الجدول رقم (٢) معدل فترة التحصيل للشركات المبحوثة، وقد سجلت شركات الثرثار والأثمار والحديثة أطول فترة تحصيل إذ بلغت (٢٤٠، ١٣٨، ١١٣) يوم على التوالي إن طول فترة التحصيل لهذه الشركات يشير الى عدم كفاءتهما في تحصيل حساباتها المدينة وكذلك الى التساهل في سياساتها الائتمانية لزبائن غير قادرين على السداد، وفي كلا الحالتين فأن ذلك يخفض من سيولتها ويؤثر على قدراتها في مواجهة التزاماتها المالية قصيرة الأجل المستحقة.

في حين سجلت شركتي الشرق الأوسط والأهلية أقل فترة تحصيل إذ بلغت (١٤، ٤٠) يوم على التوالي، إن قصر هذه المدة قياساً بالشركات الاخرى في نفس القطاع هو مؤشر ايجابي ويشير الى سياسة الائتمان والتحصيل المتشددة لهاتين الشركتين، إلا أن التشدد القوي في سياسة التحصيل قد يفقد الشركة زبائن حاليين ومرتقبين ومراكز توزيع وبالتالي يؤثر سلباً على المبيعات، لذا فأن على الشركتين مراجعة هذه السياسة وأثرها على المبيعات وذلك ضمن خططها التسويقية.

د - دوران الموجودات الثابتة:

كما بينا سابقاً أن هذا المؤشر يقيس كفاءة الإدارة في إدارة الموجودات الثابتة. والجدول رقم (٣) مدعوماً بالشكل (٣) يوضح معدل دوران الموجودات الثابتة للشركات المبحوثة، إذ سجلت شركة

الشرق الأوسط أعلى معدل وبلغ (٢,١٢) مرة اكبر من متوسط القطاع البالغ (١,١٢) مرة بـ (١) مرة، وهذا دليل على إن الشركة تستخدم الطاقة الإنتاجية لموجوداتها الثابتة بكفاءةٍ عالية.

أما بالنسبة لشركتي الاثمار والاهلية فقد بلغ هذا المعدل (١,٢٣ ، ١,٢٠) مرة على التوالي هو أكبر من متوسط القطاع بـ (٠,١١ ، ٠,٠٨) مرة على التوالي ويشير ذلك الى أن الشركتين تستخدم قدرة وطاقة موجوداتها الثابتة اكثر بقليل من المعدل الذي تستخدمه الشركات الاخرى في نفس القطاع.

في حين سجلت شركتي الحديثة والثرثار اقل معدلين إذ بلغا (٠,٦٥ ، ٠,٣٩) مرة على التوالي وهما أقل من متوسط القطاع بـ (٠,٤٧ ، ٠,٧٣) مرة على التوالي، وهذا الانخفاض دليل على عدم وجود توازن ما بين المبيعات وحجم الاستثمارات في الموجودات الثابتة لكلا الشركتين، بمعنى آخر أن الشركتين لا تستخدم قدرة وطاقة موجوداتها الثابتة بنفس المعدل الذي تستخدمه الشركات الأخرى في القطاع وبالتالي فأن نسبة كبيرة من طاقة منشآت ومعدات الشركتين تذهب هدراً وبدون انتاج مستمر.

جدول (٣)

معدل دوران الموجودات الثابتة للشركات المبحوثة للمدة ٢٠٠٢- ٢٠٠٤

ت	اسم الشركة	دوران الموجودات الثابتة (مرة)			
		٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	المعدل
١	الثرثار للإنتاج الزراعي	٠,٧٠	١,٠١	٠,٢٤	٠,٦٥
٢	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	٠,٥٢	٠,٤٠	٠,٢٤	٠,٣٩
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	١,٤٢	١,٠٦	١,٠٣	١,٢٠
٤	الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	٢,٧٠	٢,٥٣	١,١٢	٢,١٢
٥	الأثمار الزراعية	٠,٢٤	٣,١٠	٠,٣٥	١,٢٣
القطاع					١,١٢

شكل (٣)

معدل دوران الموجودات الثابتة للشركات المبحوثة

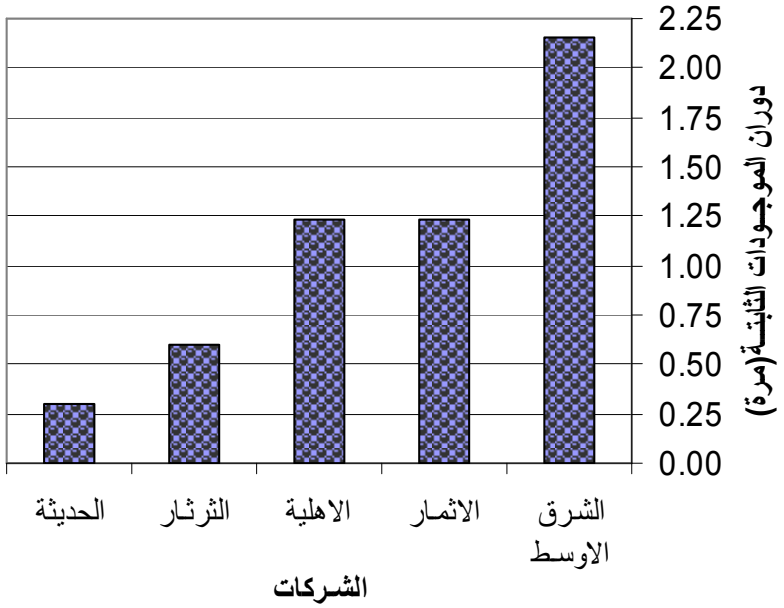

هـ – معدل دوران الموجودات الكلية

يقيس هذا المعدل كفاءة الادارة في إدارة موجوداتها الكلية لتوليد المبيعات، ويشير الى عدد الدنانير الناتجة من المبيعات لكل دينار مستثمر في الموجودات. والجدول رقم (٤) مدعوماً بالشكل (٤) يبين هذا المعدل للشركات المبحوثة. وقد سجلت شركتي الشرق الأوسط والأثمار أعلى معدلين إذ بلغا (٠,٧٧ ، ٠,٧٣) مرة على التوالي وهما أكبر من متوسط القطاع البالغ (٠,٥٢) مرة بـ (٠,٢٥ ، ٠,٢١) مرة على التوالي. وهذا مؤشر على أن الشركتين تستخدما موجوداتهما الكلية بكفاءة لتوليد المبيعات. في حين بلغ هذا المعدل (٠,٥٧) مرة للشركة الاهلية وهو أكبر من متوسط القطاع بـ(٠,٠٥) مرة.

بينما سجلت شركتي الثرثار والحديثة أقل معدلين إذ بلغا (٠,٤٠ . ٠,١١) مرة على التوالي وهما أقل من متوسط القطاع بـ (٠,١٢ ، ٠,٤١) مرة على التوالي. وهذا دليل على أن الشركتين لا تستخدما استثماراتهما بشكلٍ فعّال، أي لم تولدا المبيعات الكافية التي تتناسب مع حجم موجوداتهما الاستثمارية، لذلك يجب على الشركتين وخاصة (الحديثة) إما أن تزيد من مبيعاتها أو العمل على تخفيض حجم استثماراتها من خلال التخلص من بعض الموجودات أو أن تقوم بالاثنين معاً.

جدول (٤)

معدل دوران الموجودات الكلية للشركات المبحوثة للمدة ٢٠٠٢- ٢٠٠٤

ت	اسم الشركة	دوران الموجودات الكلية (مرة)			
		٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	المعدل
١	الثرثار للإنتاج الزراعي	٠,٤٠	٠,٦٠	٠,٢٠	٠,٤٠
٢	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	٠,٣٠	٠,٠٢	٠,٠٢	٠,١١
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	٠,٧٥	٠,٥٨	٠,٣٨	٠,٥٧
٤	الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	١,٢٠	٠,٧٥	٠,٣٥	٠,٧٧
٥	الأثمار الزراعية	٠,٢٠	١,٩٠	٠,٠٩	٠,٧٣
	القـطاع				٠,٥٢

شكل (٤)

معدل دوران الموجودات الكلية للشركات المبحوثة

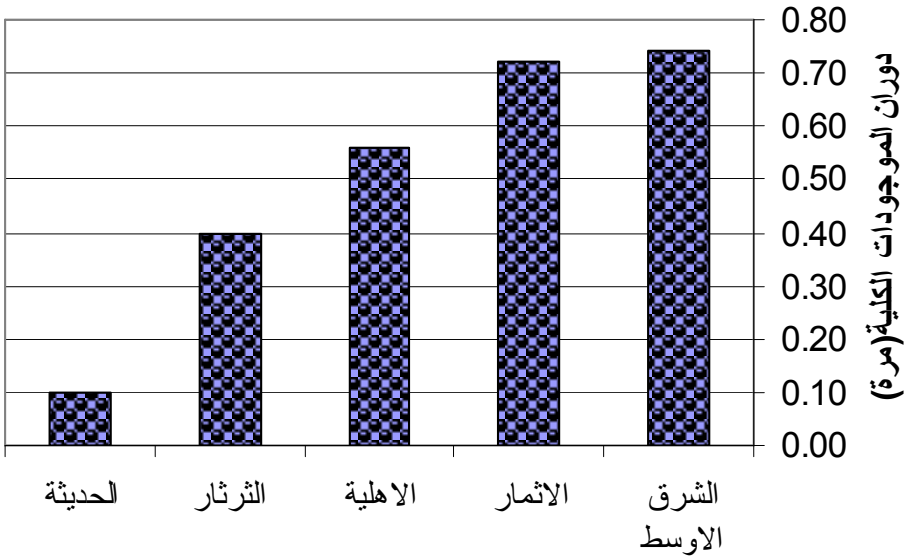

ثانياً: نسب الربحية

أ- معدل العائد على الاستثمار(ROI)

يبين الجدول رقم (٥) مدعوماً بالشكل (٥) معدل العائد على الاستثمار للشركات المبحوثة، إذ سجلت شركة الاهلية أعلى معدل والبالغ (٢٠,٧٪) وهو أعلى من المعدل الوسطي للقطاع والبالغ (١٠,٣٪) بـ(١٠,٤٪). في حين سجلت شركتي الشرق الاوسط والأثمار الزراعية ثاني أعلى معدلين إذ بلغا (٥,٧S١٪) و (١٢,٢٪) على التوالي وهما اعلى من معدل القطاع بـ (٥,٤٤٪) و (١,٩٪) على التوالي.

وقد نتج هذا العائد المرتفع للشركات اعلاه من نسبة الربح المرتفع على المبيعات ومن معدل دوران الموجودات الكلية المرتفع، وهذا دليل على كفاءة السياسات الاستثمارية والتشغيلية للإدارة في الشركات اعلاه.

أما بالنسبة لشركتي الثرثار والحديثة فأن هذا المعدل كان منخفضاً مقارنةً بمعدل القطاع وبقية الشركات المنافسة، إذ بلغ هذا المعدل (١,٢٪) و(١,٦٪) على التوالي، ان انخفاض هذا المعدل يدل على انخفاض كفاءة السياسات الاستثمارية والتشغيلية لإدارة الشركتين، لذا يتطلب من هاتين الادارتين العمل على زيادة نسبة هامش الدخل من خلال زيادة المبيعات نسبة الى التكاليف أو تخفيض التكاليف نسبة الى المبيعات.

جدول (٥)

معدل العائد على الاستثمار (ROI) للشركات المبحوثة للمدة ٢٠٠٢- ٢٠٠٤

ت	اسم الشركة	معدل العائد على الاستثمار(ROI) (٪)			
		٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	المعدل
١	الثرثار للإنتاج الزراعي	١,٧	١,٩	-	١,٢
٢	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	٤,١	٠,٢	٠,٤	١,٦
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	٣٣,٦	٢٠,٨	٧,٧	٢٠,٧
٤	الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	١٦	١٨,٧	١٢,٤	١٥,٧
٥	الأثمار الزراعية	١٤,٢	١٨,٣	٤,٢	١٢,٢
	القـطاع				١٠,٣

شكل (٥)

معدل العائد على الاستثمار للشركات المبحوثة

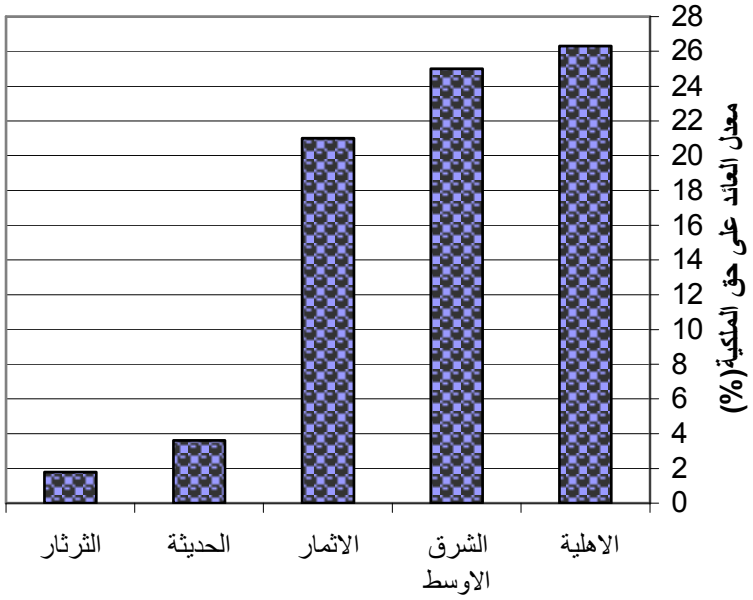

ب- معدل العائد على حق الملكية (ROE)

يبين الجدول رقم (٦) مدعوماً بالشكل (٦) معدل العائد على حق الملكية للشركات المبحوثة.إذ سجلت شركة الاهلية اعلى معدل والبالغ (٢٦,٢٪) وهو اعلى من متوسط القطاع والبالغ (١٥,١٪) بـ (١١,١٪). في حين سجلت شركتي الشرق الاوسط والاثمار الزراعية ثاني اعلى معدلين إذ بلغا (٢٤,٩٪) و (١٩,٢٪) على التوالي، وهما اعلى من معدل القطاع بـ (٩,٨٪) و (٤,١٪) على التوالي. إن ارتفاع هذا المعدل للشركات اعلاه مقارنة بمعدل القطاع والشركات المنافسة هو دليل على كفاءة أداء الادارة وبالتالي فهو يشير الى ارتفاع منافع المالكين للشركات اعلاه.

أما بالنسبة لشركتي الثرثار والحديثة فأن هذا المعدل كان منخفضاً قياساً بمعدل القطاع والشركات المنافسة، إذ بلغ (١,٦٪) و (٣,٨٪) على التوالي. إن انخفاض هذا المعدل يدل على انخفاض كفاءة الادارة وبالتالي فهو مؤشر على انخفاض منافع المالكين للشركتين اعلاه.

جدول (٦)

معدل العائد على حق الملكية (ROE) للشركات المبحوثة للمدة ٢٠٠٢- ٢٠٠٤

ت	اسم الشركة	معدل العائد على الاستثمار(ROI) (٪)			
		٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	المعدل
١	الثرثار للإنتاج الزراعي	2.1	2.6	-	1.6
٢	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	4.9	2.2	4.3	3.8
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	45.2	25	8.3	26.2
٤	الشرق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	24.7	31.5	18.5	24.9
٥	الأثمار الزراعية	24.8	28.1	4.7	19.2
	القـطاع				15.1

شكل (٦)

معدل العائد على حق الملكية للشركات المبحوثة

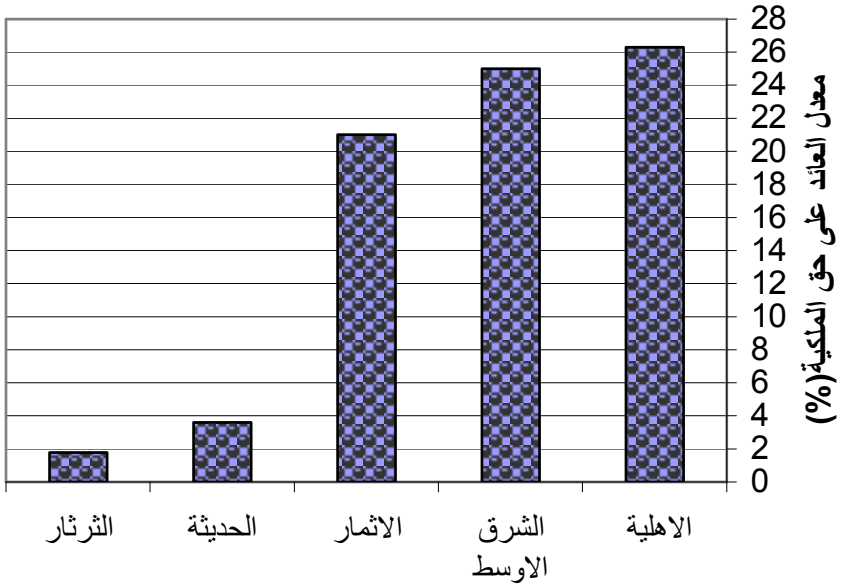

ثالثاً: اختبار فرضية البحث

سبق وان افترضنا فرضية أساسية مفادها: " أن شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للاوراق المالية تستخدم مواردها المتاحة بكفاءةٍ عالية ".

ومن خلال نتائج التحليل التي حصلنا عليها أنفاً و الاستعانة بالجدول رقم (٧) يمكننا ترتيب الشركات المبحوثة إبتداءاً بالشركة التي سجلت أفضل معدل وانتهاءاً بالشركة التي سجلت أسوأ معدل ولكل مؤشر كما في الجدول رقم (٨).

جدول (٧) مؤشرات نسب النشاط للشركات المبحوثة

ت	الشركة / المؤشر	الثرثار	الحديثة	الاهلية	الشرق الأوسط	الأثمار الزراعية
١	دوران المخزون (مرة)	٩	٤٢	٢	٣	١٣
٢	دوران الحسابات المدينة (مرة)	١,٥	٣,٢	٨,٩	٢٥	٢,٦
٣	فترة التحصيل (مرة)	٢٤٠	١١٣	٤٠	١٤	١٣٨
٤	دوران الموجودات الثابتة (مرة)	٠,٦٥	٠,٣٩	١,٢٠	٢,١٢	١,٢٣
٥	دوران الموجودات الكلية (مرة)	٠,٤٠	٠,١١	٠,٥٧	٠,٧٧	٠,٧٣

جدول (٨) الشركات المبحوثة مرتبة حسب حصولها على أفضل معدل ولكل المؤشرات

ت	المرتبة / المؤشر	الاول	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة
١	دوران المخزون	الحديثة	الأثمار	الثرثار	الشرق الاوسط	الأهلية
٢	دوران الحسابات المدينة	الشرق الأوسط	الأهلية	الحديثة	الأثمار	الثرثار
٣	فترة التحصيل	الشرق الأوسط	الأهلية	الحديثة	الأثمار	الثرثار
٤	دوران الموجودات الثابتة	الشرق الأوسط	الأثمار	الأهلية	الثرثار	الحديثة
٥	دوران الموجودات الكلية	الشرق الأوسط	الأثمار	الأهلية	الثرثار	الحديثة

والآن يمكننا أن نضع درجات حسابية ذات حد أقصى كما يبين الجدول رقم (٩)، وذلك بأن يحدد لكل مؤشر عدد من النقاط تمثل الحد الأعلى نزولاً الى الحد الأدنى، على سبيل المثال، الشركة التي تحصل على أفضل معدل لمؤشر دوران المخزون تسجل لها (٢٠) درجة والشركة التي تحصل على أسوأ معدل لنفس المؤشر تسجل لها (٤) درجات. وهكذا لبقية المؤشرات. وبعدها يتم تقدير مستوى كفاءة الشركة باستخدام مواردها في ضوء ما حصلت عليه من درجات ولجميع المؤشرات.(هاشم، ١٩٨٩، ص٢١٠)

جدول (٩) مستويات التقييم حسب المؤشرات والمراتب

ت	المؤشر / المرتبة	الاولى (درجة)	الثانية (درجة)	الثالثة (درجة)	الرابعة (درجة)	الخامسة (درجة)
١	دوران المخزون	٢٠	١٦	١٢	٨	٤
٢	دوران الحسابات المدينة	٢٠	١٦	١٢	٨	٤
٣	فترة التحصيل	٢٠	١٦	١٢	٨	٤
٤	دوران الموجودات الثابتة	٢٠	١٦	١٢	٨	٤
٥	دوران الموجودات الكلية	٢٠	١٦	١٢	٨	٤
	درجة التقييم	١٠٠	٨٠	٦٠	٤٠	٢٠

والجدول رقم (١٠) يبين ترتيب الشركات المبحوثة حسب الدرجات التي حصلت عليها، ومن نفس الجدول نستنتج بأن شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية تتباين كفاءآتها في استخدام مواردها المتاحة وهذا ما يثبت عدم صحة الفرضية القائلة " أن شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية تستخدم مواردها المتاحة بكفاءةٍ عالية.

جدول (١٠) ترتيب الشركات المبحوثة حسب الدرجات

ت	اسم الشركة	الدرجة(٪)
١	الش٢٠٠٨/٠٤/٢٦رق الأوسط لإنتاج وتسويق الأسماك	٨٨
٢	الأثمار الزراعية	٦٤
٣	الأهلية للإنتاج الزراعي	٦٠
٤	الحديثة للإنتاج الحيواني والزراعي	٥٢
٥	الثرثار للإنتاج الزراعي	٣٢

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات Conclusion

أ- إن اخطر نقاط الضعف في الشركة هي تلك التي ترتبط بالموارد، إذ يتعذر انجاز الاهداف إذا تعذر تمويلها وادارتها بالطريقة المناسبة.

ب- إن واقع البيئة المعاصرة يتسم بمحدودية الموارد المتاحة الامر الذي يجعل الشركات وبمختلف أنواعها تعاني من صعوبة الحصول على تلك الموارد بالكميات والنوعيات اللازمة لانجاز أهدافها.

جـ- ترتفع كفاءة الشركة إذا استطاعت ان تستثمر مواردها المتاحة في المجالات التي تدر عليها اكبر العوائد مع الاخذ بالحسبان المخاطرة الناجمة عن تلك الاستثمارات.

د - إذا شكلت الموجودات الثابتة (كالعقارات، المصانع، الآلات، المعدات... الخ) النسبة الاكبر من الهيكل الاستثماري للشركة فأن ربحيتها ستكون مرتفعة ولكن سيولتها ستكون محدودة.

هـ- إذا شكلت الموجودات المتداولة (كالنقد، الحسابات المدينة، المخزون، ....ألخ) النسبة الاكبر من الهيكل الاستثماري للشركة فأن سيولة الشركة ستكون مرتفعة إلا أن ربحيتها ستكون محدودة.

و- تستطيع الشركة أن تتجنب خسائر الديون المعدومة إذا أقصرت مبيعاتها على أفضل زبائنها مالياً، ولكن بالمقابل من المحتمل أن تفقد جزءاً مهماً من مبيعاتها.

ز- أظهرت نتائج التحليل عدم تناسب مبيعات شركتي الثرثار للانتاج الزراعي والحديثة للانتاج الحيواني والزراعي مع حجم موجوداتها الاستثمارية.

ح- أظهرت نتائج التحليل طول مدة التحصيل لاغلب الشركات المبحوثة وهذا دليل إما على عدم كفاءتها في تحصيل حساباتها المدينة أو على التساهل في سياساتها الائتمانية، وفي كلا الحالتين فأن ذلك يخفض من سيولتها ويؤثر سلباً على قدراتها في مواجهة التزاماتها المالية قصيرة الاجل.

ط- أظهرت نتائج التحليل أن الشركات المبحوثة تتباين كفاءآتها في أستخدام مواردها المتاحة وهذا ما يثبت عدم صحة الفرضية التي قام عليها البحث والقائلة " إن شركات القطاع الزراعي المدرجة في سوق العراق للاوراق المالية تستخدم مواردها المتاحة بكفاءة عالية ".

ثانياً: التوصيات Recommendations

أ- ينبغي على الشركات الموائمة بين أهدافها وما يتوافر لديها من موارد بشرية ومادية ومالية ومعلوماتية لانجاز تلك الاهداف.

ب- يتحتم على الشركات اعتماد اسلوب الرشد والعقلانية في استخدام مواردها المتاحة.

ج- ينبغي على الشركات أن تستثمر مواردها المتاحة في المجالات التي تدر عليها اكبر العوائد مع الموازنة بين عوائد تلك الاستثمارات والمخاطر المترتبة عليها.

د- إذا ما أرادت الشركة أن ترفع من سيولتها عليها ان تستثمر اكبر قدر ممكن من اموالها في الموجودات المتداولة.

هـ- إذا ما أرادت الشركة أن ترفع من ربحيتها عليها ان تستثمر اكبر قدر ممكن من أموالها في الموجودات الثابتة.

و- أذا ما أرادت الشركة أن تتجنب خسائر الديون المعدومة عليها ان تقصر مبيعاتها على أفضل زبائنها مالياً مع الاخذ بالحسبان بأنها قد تفقد جزءاً مهماً من مبيعاتها.

ز- ينبغي على شركتي الثرثار للانتاج الزراعي والحديثة للانتاج الحيواني والزراعي زيادة مبيعاتها أو تخفيض حجم استثماراتها عن طريق التخلص من بعض الموجودات.

إدارة وتصميم محفظة القروض المصرفية باعتماد تحليل مؤشر جودة القرض وفق نموذج (Sherrod)

المدرس المساعد ميثاق هاتف الفتلاوي
جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد / قسم إدارة الأعمال

إدارة وتصميم محفظة القروض المصرفية باعتماد تحليل مؤشر جودة القرض وفق نموذج (Sherrod)

م.م. ميثاق هاتف الفتلاوي

الملخص:

شكلت ولاتزال القروض اهمية كبيرة للمقرضين والمقترضين على حد سواء بوصفها مرتكز مهم لتمويل الشركات والمشاريع الجديدة منها والقائمة من جهة وما تشكله عوائدها من ايراد مهم للجهة مانحة القرض من جهة اخرى.

لقد شهد الاقتصاد العراقي تناميا ملحوظا في اعداد الشركات والمشاريع الكبيرة والصغيرة وما افرزه هذا التنامي من زيادة الطلب على التمويل بالقروض وضرورة سد احتياجات المستثمر العراقي ،لكن بسبب طبيعة الظروف والتحديات والمخاطر التي تحيط بعملية الاقراض شكلت عبئا كبيرا على المصارف التي تمنح القرض مما ادى الى احجام بعض المصارف عن تقديم القروض ورفع سعر الفائدة من قبل مصارف أخرى.

وتتلخص فكرة البحث الاساسية في محاولة ايجاد حلول للمشكلات التي تعترض عملية الاقراض واهمها معرفة المركز المالي لطالب القرض من خلال الاعتماد على مؤشر جودة القرض في فحص وتحليل البيانات التاريخية للمركز المالي لطالب القرض وبالتالي تحديد فيما اذا كان القرض المطلوب منسجما مع اهداف الجهه مانحة القرض ام لا ،وتحقيقا لأهدافه سعى البحث الى تقديم معالجات نظرية وتطبيقية خلصت الى مجموعة من الاستنتاجات اهمها ان استخدام نموذج Sherrod في تحليل المركز المالي لطالب القرض يمَكن المصرف من تقليل مخاطرة القروض من خلال الوقوف على مؤشرات قوة المركز المالي للشركات وبالتالي تمكن المصرف من بناء محفظته الاقراضية وفق اسس علمية سليمة تضمن له الاستثمار المناسب وتوصل البحث الى جملة من الاستنتاجات والتوصيات

ابرزها: ضرورة قيام المصرف بمنح قروض متنوعة تخدم شركات من قطاعات متنوعة وبناء محفظة اقراضية قائمة على التحليل العلمي سواء باعتماد نموذج Sherrod او تنويع ماركوتز وغيرها من الاساليب والطرق العلمية التي يمكن ان تحوط المصرف ضد المخاطر المحيطة بعملية الاقراض.

المقدمة:

بالرغم من اهمية الاستراتيجيات التي تستهدف تنمية الموارد المالية للمصرف الا ان القروض تحتل حيزا كبيرا من الاهمية لدى المصارف وخاصة المصارف التجارية، اذ ان كيفية ادارة القروض اصبحت الشغل الشاغل للمصارف لانها تعتبر الاستثمار الاساسي الذي يعتمد عليه المصرف في تحقيق العائد كما وتوصف المحفظة الاقراضية بانها اداة استثمار مركبة اي انها تتكون من قروض متعددة تختلف من حيث النوع، والمقدار، والقطاع الذي تخدمه، وجودة القروض المكونة للمحفظة، وهي بذلك تشبه محفظة الاوراق المالية التي شكلت حيزا كبيرا في ادبيات الاستثمار، ولدورها المهم في ايجاد الاسس العلمية السليمة للاستثمار بشكل عام.

ونظرا للتطورات التي شهدها ويشهدها العراق، وخاصة بعد ان تتزايد نسبة استقرار الوضع الامني في العراق، وتنامي فاعلية دور الشركات والمؤسسات بانواعها المختلفة، وتزايد اقبال المستثمرين على انشاء المشاريع الامر الذي ينعكس على تزايد الطلب على القروض المصرفية وما يفرضه ذلك من ضرورة قيام المصرف بالتاكد من سلامة المركز المالي للمقترض ليكون منح القروض على اسس سليمة تحقق الامان والضمان للمصرف.

وطبقا لطبيعة المشكلة ومعالمها جاءت اهمية هذا البحث في ابعاد المشكلة المعرفية والتطبيقية في تكوين المحفظة الاقراضية هادفا من خلاله توجيه المصارف نحو تبني اسلوب علمي كفوء في ادارة وتصميم محفظة القروض للوصول الى افضل تشكيلة قروض من حيث قوة المركز المالي للشركات طالبة القرض.

وقد قسم البحث على اربع محاور رئيسة، تناول المحور الاول منهجية البحث، والمحور الثاني استهدف التاطير النظري للبحث، في حين تطرق المحور الثالث الى الجانب التطبيقي للبحث، اما المحور الرابع فتضمن اهم الاستنتاجات والتوصيات.

المحور الأول:ـ منهجية البحث

أ ـ مشكلة البحث :ـ تكمن مشكلة البحث في المخاطرة التي تتعرض لها المصارف الناتجة عن منح القروض للمستثمرين ورجال الاعمال في وقت تزداد فيه التحديات والمخاطر والتي منها مخاطر عدم سداد القرض من قبل المقترض مع الفوائد المترتبه عليه في المواعيد المتفق عليها فكلما زادت درجة عدم التأكد بقوة المركز المالي للمقترض زادت مخاطرة نكوله عن السداد ولهذا جاء البحث ليسلط الضوء على كيفية تجنب هكذا مخاطر بالاعتماد على الاسس العلميه.

ب ـ أهمية البحث :ـ تعد القروض اكثر مجالات الاستثمار جاذبيه للمصارف نظراً لارتفاع الفوائد التي تتحقق منها مقارنة بالاستثمارات الاخرى، كما تعد الاستثمار الاكثر فاعليه في تحقيق هدف الربحيه الا ان هذا الاستثمار يواجه مخاطرة عدم التسديد ولهذا يجب على المصارف تنويع

الاستثمارات من حيث منح القروض من جهة وتنويع استثمارها في مجالات اخرى من جهة اخرى، لانهما يؤديان الى تقليل نسبة المخاطرة التي يتحملها المصرف وهناك اساليب كثيرة يمكن ان تقلل المخاطرة ومن هذه الاساليب تكوين محفظة اقراضيه قائمه على التنويع وهنا تكمن اهمية البحث في ايجاد اسس علميه تستند اليها المصارف في تحليل المركز المالي لطالب القرض واختيار الافضل لتكوين محفظه اقراضيه رصينه قائمه على التحليل السليم للمقترضين وبما يقلل من المخاطر التي تتعرض لها المصارف.

ج ـ هدف البحث :ـ يهدف البحث الى تحقيق ما يأتي :ـ

١ـ توضيح مفهوم القروض واهميتها وانواعها وما هي محفظة القروض.

٢ـ تسليط الضوء على نموذج Sherrod وكيفية استخدامه من قبل المصرف.

٣ـ قياس مدى استفادة المصرف من النموذج اذا ما تم استخدامه في تحديد اي القروض هي جيدة ويمكن ادخالها في محفظة القروض من خلال تحليل المركز المالي للمقترض باستخدام معادلات النموذج.

د ـ فرضية البحث :ـ يقوم البحث على فرضية رئيسه مفادها " يؤدي استخدام نموذج Sherrod في تحليل المركز المالي للشركه طالبه القرض الى تقليل المخاطرة الاقراضيه للمصرف ويعزز بناء المحفظه الاقراضيه للمصرف وفق اسس علميه "

هـ ـ العينه والمدة الزمنيه التي خضعت للتحليل :ـ

تم اعتماد (١٢) شركه في التحليل وهي تشكل جزءآ من القطاع الصناعي العراقي وكانت الفترة الزمنية لاربع سنوات بدءا من عام 2002 ولغاية عام 2005 وان سبب اختيار هذه الشركات والسنوات توفرها للباحث وعدم امكانيه الحصول على بيانات لشركات في قطاعات اخرى.

و ـ اساليب جمع البيانات وتحليلها :ـ تم استخدام المصادر والمراجع ذات العلاقه بالموضوع بهدف تكوين اطار نظري للبحث، اما الجانب التطبيقي فقد اعتمد الباحث على الكشوفات الماليه (الميزانيه العموميه وكشف الدخل) للشركات موضع البحث لغرض تحليل مركزها المالي وبالتالي افادة المصرف بامكانيه قيامه بمنح قروض للشركات المبحوثه من خلال استخدام نموذجSherrod والذي يقوم على جملة معادلات:

١ :ـ **تقييم مخاطر القرض**

النسبه	معامل النسبه	نوعها
صافي رأس المال العامل / اجمالي الاصول	17	مؤشر الربحيه
الاصول السائله / اجمالي الاصول	9	مؤشر السيوله

صافي حقوق المساهمين ——————— اجمالي الالتزامات	3,5	مؤشر رفع
صافي الربح قبل الضريبه ——————— اجمالي الاصول	20	مؤشر ربحيه
أجمالي الاصول ——————— أجمالي الالتزمات	1,2	مؤشر رفع
صافي حقوق المساهمين ——————— أجمالي الاصول الثابته	.,1	مؤشر رفع

٢ :ـ تصنيف القروض حسب درجة المخاطر على النحو التالي :ـ

فئة القرض	مؤشر الجوده (z)
فئه أولى ـ قروض ممتازه عديمه المخاطر	$25 \leq Z$
فئه ثانيه ـ قروض قليله المخاطر	$20 \leq Z \leq 25$
فئه ثالثه ـ قروض متوسطه المخاطر	$5 \leq Z \leq 20$
فئه رابعه ـ قروض مرتفعه المخاطر	$5 - \leq Z \leq 5$
فئه خامسه ـ قروض ذات مخاطر مرتفعه جداً	$Z \leq 5 -$

المحور الثاني: الاطار النظري للبحث

اولا:ـ القرض: المفهوم،الاهمية، الانواع

أ.المفهوم:

تعد وظيفة الاقراض ذات اهميه كبيرة على صعيد النشاط الاقتصادي وانشطة الاجهزة المصرفية، للدورالذي تؤديه في توفير الاموال وتعبئتها في كافة المجالات الاستثماريه والاقتصاديه (الدوري والسامرائي: ٢٠٠٦: ٧٣) وان كلمة الائتمان مأخوذه من الاصل اللاتيني (Credere) ومعناها وثق به وهي ترمز الى عنصرين متلازمين هما: عنصر الثقة وعنصرالوقت (الناشف وهندي: ١٩٩٨: ٨٣) وان الهدف الرئيسي لسياسة الاقراض التي ينتهجها المصرف هو تحقيق الربح الذي يمثل في واقعه الفرق بين الفوائد التي يدفعها عن الودائع الزمنية وودائع الادخار والفوائد التي يحصل عليها من المستفيدين من التسهيلات الائتمانية (طالبي القروض المصرفيه) وهناك هدف آخر لا يقل اهميه عن هدف الربحية وهو تقليل المخاطرة، حيث تسعى المصارف الى العمل بالاتجاهات التي تجعلها محصنه ضد المخاطرة التي تتضمنها (ادارة الاصول) والقرض بأبسط معانيه هو عبارة عن معاملة تجري بين فريقين يقوم أحدهما (المقرض) بموجبها بتأجير أموال الى الفريق الثاني (المقترض)

وقد تؤجر الاموال مقابل رسم او دون مقابل (يسمى الرسم فائدة او حسما) ولا تقوم المصارف التجاريه بمنح التسهيلات الائتمانية الا بعد التأكد من سلا مة المركز المالي والاعتباري للمقترض وكفاءته وقدرته على الوفاء بدينه (استرداد القرض زائد الفائدة المتفق عليها) تجاه المصرف خلال المواعيد المتفق عليها(العلاق: ٢٠٠١: ٨١)

ب. الاهميه:

تمتلك القروض اهميه خاصه من حيث كونها تعتبر اهم مكون في اصول البنك واكثر خصوبه لانها تولد للمصرف عوائد مجزيه اذا ما أديرت بشكل كفوء وفاعل فهي تشمل تشكليه متنوعه مثل قروض راس المال العام والسحوبات على المكشوف والاقراض الاستثماري، والقروض العقاريه المدعومه بأصول، وحسابات البطاقات الائتمانيه.....الخ (حماده، ٢٠٠٥: ٤٦٠) كما ان التطورات التكنلوجيه والاقتصاديه اعطت القروض اهميه كبيره يمكن تلخيصها بالآتي (الدوري و السامرائي: ٢٠٠٦: ٧٦) (ابو حمد وقدروي: ٢٠٠٥: ٢٦٣)

١ ـ زيادة الانتاج: تحتاج المشروعات الصناعيه والزراعيه الكبيرة الجديدة منها والقائمه الى موارد ماليه مستمره ضخمه تفوق الموارد الذاتيه للمشروعات فضلا عن ذلك عمليات التطور الفني والتقني وما يتطلبه من استبدال المكائن والمعدات لذلك تلجأ تلك المشروعات الى الاقتراض من المصارف او الى اصدار سندات وطرحها على الجمهور وتلعب المصارف المتخصصه دورآ اكبر في توفير مثل هذه الموارد الماليه.

٢ ـ توزيع الموارد الماليه والائتمانيه على مختلف الانشطه الاقتصاديه: يلعب الاقراض دورا مهما في توزيع الموارد الماليه المتاحه للجهاز المصرفي بين مختلف القطاعات والانشطه الاقتصاديه بما تضمن الاستخدام الكفوء لهذه الموارد من خلال توزيعها على جميع المشاريع وفقا لاحتياجاتها.

٣ ـ زيادة الاستهلاك: يساهم الاقتراض للمستهلكين من اصحاب الدخول المتدنيه الحصول على بعض السلع الاستهلاكيه المعمره وغيرها من السلع، مما يترتب عليهم التزامات دفع قيم تلك الائتمان عندما ترتفع دخولهم المستقبليه ويساعد ايضا في تنشيط جانب الطلب على السلع والخدمات الاستهلاكيه مما يؤدي الى زيادة حصة السوق وزيادة حجم الانتاج ودعم الاقتصاد الوطني

٤ ـ تشغيل الموارد العاطله: يمكن الاستفاده من الاموال العاطله من تشغيلها بصوره مؤقته من خلال التحويلات القصيرة الاجل وبهذا فالمقترض ينتفع من استخدام هذه الموارد في نشاطات مؤقته تحقق له دخلا مربحا وبالمقابل فأن المقرض سيحصل مقابل استعماله لتلك الموارد على دخل مناسب.

٥ ـ اداة للتبادل: يعد الاقراض المصرفي وسيله ملائمه لنقل استعمال الاموال من شخص لاخر اي انه واسطه للتبادل فبواسطة الاقراض يمكن تحويل مدخرات الافراد والمنشأت والحكومة الى من يحتاجها او يستطيع استثمارها في الانتاج والتوزيع.

ج. أنواع القروض: يمكن تقسيم القروض الى أنواع هي:

١- القروض من حيث الغرض: وتقسم الى قروض استهلاكيه وهي القروض التي تمنح لتمكن الاشخاص من شراء سلع معمره مثل السيارات وغيرها للاستعمال الشخصي (العلاق: ٨٨: ٢٠٠١) وتشكل هذه القروض خمس القروض الكليه الممنوحه من قبل المصارف

التجاريه في الولايات المتحدة الامركيه (Rose:1999:p.518) وقروض لاغراض المضاربه اذ يمنح المصرف هذه القروض لغرض تحويل انشطه المضاربه (الدوري والسامرائي: ٢٠٠٦: ٨١)

٢ ـ القروض من حيث القطاعات الاقتصاديه :ـ

يتكون هذا النوع من (قروض صناعيه، تجاريه، زراعيه، عقاريه أوسكنيه) وتتسم هذه الانواع كونها طويله الامد وتأتي في المقدمه القروض العقاريه وبعدها القروض الصناعيه فهكذا (Rose:1999:518)

٣ :ـ القروض من حيث الضمان :ـ وتقسم الى نوعين الاول هو القروض بدون ضمان اذ يمنح المصرف قرضاً لأحد زبائنه بدون ضمان، وذلك اعتماداً على سمعته الماليه وعلى قوة مركزه المالي، ويفضل عدم التوسع في منح هكذا قروض (ابو حمد وقدوري: ٢٦٦: ٢٠٠٥) والنوع الثاني القروض بضمان وهي بدورها تتكون من فرعين الاول قروض مضمونه بضمانات عينيه كأن يقدم المقترض الى المصرف رهن عقار يمتلكه او بضاعه في حوزته والثاني هي قروض مضمونه بضمانات شخصيه وهي التي تتم بوجود طرف ثالث (شخص طبيعي أو معنوي) يضمن السداد في حالة عدم قدرة المقترض او امتناعه عن السداد (الدوري والسامرائي: ٨١: ٢٠٠٦)

٤ :ـ القروض من حيث عدد المقرضين :ـ وتنقسم الى قروض يقدمها مصرف واحد فالاصل في القرض ان يقدمه مصرف واحد وذلك بهدف الاستفادة الكامله من الفوائد المتفق عليها. والنوع الاخر هو القروض المجمعه وتعني اشتراك اكثر من مصرف واحد بتقديم قرض معين غالبا ما يكون كبيرا نسبيا بحيث لايستطيع مصرف بمفرده تقديمه.

٥ :ـ القروض من حيث الامد :ـ فهي قروض قصيرة الاجل وتعد ثاني اكبر مصدر من بين مصادر التمويل في المنشأة يمتد أجلها لاقل من سنه وغالبا ما تكون لعدة شهور (٣ـ٦) وتستعمل في تمويل التوسع الموسمي وتجدد اذا كان المركز الائتماني للمنشأة رصينا ومن انواعها الرصيدالمدين، خصم الاوراق التجاريه، السلف، الارصدة المعوضه (الشماع: ١٩٩٢: ٢٩٢) اما القروض متوسطة الامد يكون اجلها خمس سنوات لغرض تمويل بعض العمليات الراسماليه مثل استكمال الات المصنع بوحدات جديدة (الدوري والسامرئي، ٢٠٠٦: ٨٠) واخيرا القروض طويلة الاجل التي يصل مداها عشرسنوات وتستخدم لتمويل نفقات رأسماليه مثل تطوير المصنع او شراء تجهيزات ومعدات (العلاق: ٩٣: ٢٠٠١)

ثانيا:ـ السياسه الاقراضيه:

ـوهي السياسه التي يتبعها المصرف وتتسم بالمرونه، فهي ليست سياسه واحده او نمطيه وانما تصاغ كل سياسه في ضوء اهداف المصرف وهي اهداف تتباين من مصرف لاخر ورغم ذلك فأن سياسه الاقراض بشكل عام تحكمهااصول وتقاليد واجراءات تكاد تكون موحدة (العلاق: ٢٠٠١: ٨١) وتهدف السياسه الاقراضيه الى تحقيق اغراض في مقدمتها سلامة القروض التي يمنحها المصرف، تنميه انشطه المصرف وتحقيق عائد مرضي. تأمين الرقابه المستمره على عمليه الاقراض في كافة مراحلها.

وللسياسه الاقرضيه مكونات هي الالتزام بالقيود القانونيه، تحديد حجم الاموال الممكن اقراضها، تحديد الضمانات المقبوله من جانب المصرف، مستويات اتخاذ القرارتحديد تشكيلة القروض، الحد الاقصى لكل من القرض وتاريخ استحقاقه، مجالات الاقراض غير المسموح بتمويلها، الاهليه الاقراضيه، الرصيد المعوض، اجراءات متابعه القرض،

كما وتتأثر السياسه الاقراضيه بجمله من الامور هي راس المال، الربحية، استقرارالودائع، سياسه البنك المركزي، الاوضاع الاقتصاديه السائدة، شدة المنافسه بين المصارف، حاجات اقتصاد المنطقه (ابو حمد وقدوري: ٢٩٦: ٢٧٥: ٢٠٠٥).

ثالثا:ـ اركان تقدير المركز الائتماني للمقترض:ـ

يمكن تبويب اركان تقدير المركز الائتماني للمقترض بخمسة نواحي مهمه هي:ـ

أ:ـ الشخصيه:ـ اذ ينبغي ان يقتنع موظف القروض بان الزبون لديه هدف محدد لطلب القرض من المصرف ونيه حسنه للتسديد حتى يمكن للموظف ان يقرر فيمااذا كان القرض منسجما مع السياسه الاقراضيه للمصرف (Rose:1999:528)اذ يعتبر الموظفون المسؤولون عن تقييم شخصية المقترض ان اهم مسأله في تقييم القرض هي العامل الاخلاقي اوما يسمى بالشخصيه (السلطان واخرون: ١٩٩٣: ٤٢٠)

ب:ـ القدرة:ـ ينبغي ان يتأكد موظف القرض من ان الزبون الذي يطلب القرض لديه القدرة والموقف القانوني السليم لتوقيع أتفاقية القرض فبعض الدول لا تمنح القرض لمن هم دون سن (١٨) سنة اما اذا كان الشخص طالب القرض يمثل شركه فيجب ان يكون لديه السلطه التامه التي تخوله الاقتراض نيابة عن الشركه (Rose:1999:530)

ج:ـ النقد ورأس المال:ـ يحدد راس المال بالرجوع الى الوضع المالي العام للشركه الذي يوضح عن طريق دراسة وتحليل النسب الماليه (وخاصه نسب المخاطره) وتحليل حقوق الملكيه للشركه (السلطان واخرون: ١٩٩٣: ٤٢٠)

د:ـ الضمانه:ـ وهي الموجودات التي يتعهد الزبون باتاحتها للمنشأة او للمصرف المقرض كضمان تستند اليه في حالة نكوله عن السداد مثل (المخزون، المكائن.....الخ) ويمكن ان تكون الضمانه على شخص ضامن او كفيل للزبون.

هـ:ـ الظروف:ـ ويقصد بها الظروف الاقتصاديه العامه في القطر وكذلك الظروف الخاصه بالقطاع الذي تعمل به المنشأة او المنطقه التي توجد فيها مما ينعكس بشكل او بآخر على قدرتها على تسديد التزاماتها للغير (الشماع: ١٩٩٢: ٢٣٩).

رابعا:ـ محفظه القروض:

لا تختلف سياسة تشكيل محفظه القروض عن سياسة تشكيل محفظه الاوراق الماليه اذ ينبغي على المصرف أن لايقتصر القروض التي يقدمها على عدد محدد من العملاء كما ينبغي مراعاة طبيعة ومدى الارتباط بين انشطة العملاء الذين يحصلون على القروض وتتدخل التشريعات في بعض الدول في تشكيله محفظه القروض بطريقه تحقق اسلوب التنويع الساذج ففي الولايات المتحدة

الامريكيه تنص التشريعات المصرفيه على ان لا تزيد قيمة القرض عن ١٠٪ من قيمة راس المال والاحتياطيات للمقترض وهو ما يعني تعدد القروض التي يقدمها البنك وبما يسهم في تجنب او تخفيض المخاطر ذات الصبغه الخاصة، كما تتبع المصارف سياسات استثماريه اخرى تمثل استجابه لمتطلبات اسلوب ماركوتز في التنويع ويقصد بذلك تنويع القروض وفق مجالات النشاط كما وتنص السياسه المصرفيه الاستثماريه على توجيه اكبر قدر ممكن من المخصصات الى محفظه القروض وما يتبقى بعد ذلك يوجه الى محفظه الاوراق الماليه (هندي: ١٩٩٣: ٢٢٣: ٢٢٤)

خامس:ـ نموذج Sherrod:

يستخدم هذا النموذج كاداة لتقييم مخاطرة محفظه القروض المصرفيه في البنوك، اذ يعتمد النموذج على ست نسب اساسيه تعبر نوعيتها عن مؤشر الربحيه، ومؤشر السيوله، وثلاث معادلات لمؤشر الرفع المالي ويقيم هذا النموذج بصفه خاصه الائتمان في البنوك التجاريه من عدة زوايا هي:

أ:ـ تقييم المركز الائتماني للمنشأت التي تتقدم بطلب الحصول على قروض او تسهيلات مصرفيه. اي كأداة يسترشد بها مدير الائتمان في اتخاذ قرار منح التسهيلات او القروض.

ب:ـ تقييم المخاطر المحيطه بمحفظه القروض ومن ثم يستخدم في تقدير مخصصات القروض المتعثرة الواجب تكوينها بخصوص تلك القروض

ج:ـ كما يفيد ايضا في تحديد معدل الفائدة الخاص بالقروض، وكذلك تصميم جداول متابعه وفحص للقروض.

د:ـ وتطبيقا لهذا النموذج يمكن تصنيف القروض الى خمسه فئات رئيسه حسب درجة المخاطر على النحو التالي.

فئة القرض	مؤشرالجودة (z)
فئة أولى ـ قروض ممتازة عديمة المخاطرة	$25 \leq Z$
فئه ثانيه ـ قروض قليلة المخاطرة	$20 \leq Z \leq 25$
فئه ثالثه ـ قروض متوسطه المخاطرة	$5 \leq Z \leq 20$
فئه رابعه ـ قروض مرتفعه المخاطرة	$5 - \leq Z \leq 5$
فئه خامسه ـ قروض ذات مخاطرة مرتفعه جداً	$Z \leq 5-$

ويتضح ما يلي:ـ ان الوزن الاكبر للنسب الماليه المكونه له هو عن نصيب تلك النسب التي تختبر قدرة العميل على السداد لان الغرض من النموذج هو استخدامه اساسا في تحليل الائتمان (ويتم ذلك عن طريق نسب السيوله والملاءمه والرفع المالي)

- ان مؤشر الجودة المستخدم في تصنيف المنشأت طالبه القرض يسير في اتجاه عكسي لاتجاه المخاطرة، حيث ان ارتفاع قيمة المؤشر يدل على جودة القرض او على قوة المركز المالي للمنشأة ومن ثم انخفاض درجة المخاطرة والعكس صحيح (لطفي: ٢٠٠٥: ٧١٤ـ٧١٥).

المحور الثالث:الجانب التحليلي للبحث

يتناول هذا المحور تحليل الكشوفات الماليه للشركات موضع البحث لغرض بناء محفظه القروض المصرفيه على افتراض ان كل شركه تقدمت بطلب قرض من مصرف ما وان المصرف لغرض اتخاذ القرارات حول منح القروض للشركات او عدمه سيعتمد على جملة امور منها ما يقدمه هذا البحث من تحليل واقع عمل الشركات ومدى قوة مركزها المالي وبالتالي هل هي مؤهلة لاخذ القرض ولديها القدرة على ارجاعه ام ان مركزها المالي ضعيف وبالتالي يرفض طلب الشركه.

جدول (١)

مؤشر جودة القرض

الشركه /السنه	2002	2003	2004	2005
الكندي لانتاج اللقاحات والادويه البيطريه	21.923	16.936	18.224	20.528
التعبئه والتعليب العراقيه /مشن	18.607	18.167	17.779	14.325
العراقيه للسجاد والمفروشات	20.541	20.66	18.347	18.873
بغداد لصناعه مواد التغليف	24.525	16.152	8.287	17.173
الخياطه الحديثه	20.739	20.359	21.56	18.261
نينوى للصناعات الغذائيه	16.298	19.279	10.79	12.261
العراقيه لتصنيع وتسويق التمور	19.976	19.468	14.054	-
صناعة المواد الانشائيه الحديثه	16.228	16.6	15.971	14.458
الصناعات الخفيفه	23.256	18.853	17.549	16.182
الوطنيه لصناعه الاثاث المنزلي	23.753	15.29	14.514	12.518
المنصور للصناعات الدوائيه والمستلزمات الطبيه ومواد التجميل	17.702	12.77	13.934	19.164
كركوك لانتاج المواد الانشائيه	18.523	15.456	15.478	13.351

يوضح الجدوال رقم (١) مؤشر جودة القرض والذي يعني قوة المركز المالي للشركه طالبه القرض وفق نموذج Sherrod ولمدة أربع سنوات من 2002 ولغاية 2005 ويظهر من التحليل ان

شركة الكندي امتازت بقوة مركزها المالي رغم الظروف الاقتصاديه والسياسية التي مربها البلد اذ كان مؤشر جودة القرض لسنه (2002) (21.923) وهو يعني وقوعه ضمن الفئه الثانيه اي قرض قليل المخاطرة الا انه في سنة (2003) تراجع ليصبح (16.936) وبهذا يكون تراجع ليكون ضمن الفئة الثالثة وهي قروض متوسط المخاطرة وقد يعزى هذا التراجع الى خضوع البلد للاحتلال وعدم الاستقرار خلال هذه السنه الا انه في سنة (2004) بدأ بالانتعاش ليصبح (18,224) لكنه لازال ضمن الفئة الثالثه لمؤشر جودة القرض وبلغ ارتفاعه (1,288) نقطه واستمر في الارتفاع في سنة (2005) ليبلغ (20.528) اي بفارق صعود بلغ (2.304) نقطة وهو مؤشر جيد لان صعوده كان بفارق متزايد ليصبح ضمن الفئة الثانيه قليلة المخاطرة اما الشركة الثانية (التعئبه والتعليب العراقيه) بلغ فيها مؤشر الجودة (18.607) لسنة (2002) اي وقوعها ضمن الفئة الثالثه قروض متوسطة المخاطرة وقد انخفض هذا المؤشرلسنه (2003) ليبلغ (18.167) اي بفارق سالب (44.) نقطة وهذا الفارق ليس كبيرا مما يدل على قوة المركز المالي للشركه خلال هاتين السنتين الا انه لم يحافظ على مستواة بل استمر بالانخفاض ليصل الى (17.779) سنة (2004)اي بفارق سلبي متناقص بلغ (39.) عن السنه السابقه وهذا يعني انه بالرغم من الانخفاض الحاصل في قوة مركزها المالي عن سنة (2003) الا انه افضل من الانخفاض في سنة (2003) عن سنة (2002) ويعد هذا مؤشر جيد على ان الشركه تمكنت من الحد من هذا التناقص ولو بنسبه بسيطه لكنها لم تستمر اذ انخفض مؤشر الجودة في سنة 2005 ليصل الى (14.325) نقطه اي بفارق سلبي متزايد بلغ (3,454) نقطة عن سنة (2004) وبالرغم من السنوات الاربع تضع الشركه ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة الا انها وبشكل عام تعد مؤشر غير جيد بسبب التراجع المستمر لمؤشر قوة مركزها المالي.

اما الشركه العراقيه للسجاد والمفروشات بلغ مؤشر قوة مركزها المالي (20.541) نقطة لسنه (2002) وهو مؤشر يضعها ضمن الفئه الثانيه قليلة المخاطرة وهو يعني موقف جيد للشركه وقد حسنت الشركه من قوة مركزها المالي في سنة (2003) ليبلغ جودة القرض فيها (20.66) وبفارق موجب بلغ (119.) نقطه لتبقى بذلك محافظة على موقعها ضمن الفئه الثانيه الا ان مركزها تراجع في سنة (2004) ليبلغ (18.347) وبفارق سالب بلغ (2.313) نقطة مما جعلها ضمن الفئة الثالثه قروض متوسطة المخاطر الا ان هذا الانخفاض لم يستمر بل تحسن ليصبح (18.873) سنة) 2005) اي بفارق موجب بلغ (526.) نقطه الا انها بقيت ضمن الفئه الثالثه ـ قروض متوسطه المخاطرة ويؤشر هذا التحليل توازن في مركز الشركه الماليه خلال السنتين الاوليتين والسنتين الاخريتين مما يعني وجود ادارة جيد للشركه تتمكن من المحافظه على مركز مالي جيد للشركه رغم الانخفاض الحاصل مابين سنة (2003) و(2004) ويبدو هذا واضحا بالفارق ما بين سنة (2003,2002) و (2005,2004).

اما شركة بغداد لصناعة مواد التغليف فقد بلغ فيها مؤشر الجودة (24.525) لسنة 2002 وهو مؤشر جيد يضعها ضمن الفئة الثانيه قليلة المخاطرة وهي قريبه جدآمن القروض الممتازة بفارق سالب بلغ (475.) نقطه وانخفض هذا المؤشر سنة (2003) ليبلغ (16.152) نقطه وبفارق سالب (8.373) ويكون بهذا ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة واستمر الانخفاض في المؤشر ليبلغ

(8.287) نقطه وبفارق سالب متناقص بلغ (7.865) عن السنه السابقه وهي ما زالت ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة الا انها اقرب من الفئة الرابعة قروض مرتفعه المخاطرة وبفارق (3.287) وهو مؤشر غير جيد الا ان المؤشر عاود الارتفاع ليصل الى (17.173) نقطه وبفارق موجب بلغ (8.886) وهو فارق جيد يفوق الفارق السالب للا نخفاضين في سنة (2004,2003) الا انه بشكل عام وضع الشركه غير مستقر ما بين ارتفاع وانخفاض كبير.

اما شركة الخياطة الحديثة فقد بلغ فيها مؤشر الجودة لسنة(2002) (20.739) نقطة وبهذا هي ضمن الفئة الثانية قليلة المخاطرة وهي قريبة من الفئة الثالثة متوسطة المخاطر وبفارق موجب (739.) وانخفض المؤشر سنه (2003) ليبلغ (20.359) نقطه وبفارق انخفاض (38.) نقطه او هو فارق صغير لكنه ما زال ضمن الفئه الثانيه وعاد وارتفع المؤشر مجدداً ليبلغ (21.56) نقطه عام (2004) وبفارق موجب بلغ (1.201) نقطه وهو اكبر من الانخفاض السابق ضمن الفئه الثالثة الا ان المؤشر انخفض مجدداً ليبلغ عام 2005(18.261) نقطه وبفارق سالب (3.299) نقطه عن السنه السابقه وهو فارق يفوق الفارق في السنوات السابقه مما جعلها تكون ضمن المستوى الثالث متوسط المخاطرة وبشكل عام فان موقف الشركة جيد خلال مجمل السنوات.

وبلغ المؤشر في شركه نينوى للصناعات الغذائيه (16.298) نقطه في سنة (2002) مما يضعها ضمن الفئة الثالثه متوسطة المخاطرة وارتفع المؤشر ليصل الى (19.279) نقطة في (2003) وبفارق موجب (2.981) بالرغم من ان هذه السنه هي سنة عدم وجود دولة في العراق الا انها انخفضت سنه (2004) لتصل الى (10.79) وبفارق سالب بلغ) 8.489) وهو فارق كبير ثم عاد وارتفع سنة (2005) ليصل الى (12.261) وبفارق موجب (1.471) نقطه الا ان هذا الفارق قليل قياساً بألانخفاض في سنه (2004) وبشكل عام فأن موقف الشركه غير جيد وفقا لهذا المقياس وذلك للتفاوت غير المستقر للارتفاع والانخفاض في مؤشرها رغم كونه في حدود الفئة الثالثه متوسطه المخاطرة اما الشركه العراقيه لتصنيع وتسويق التمور فقد بلغ فيها المؤشر عام (2002) (19.976) نقطه وهو ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة وانخفض المؤشر ليبلغ (19.468) عام (2003) وبفارق موجب بلغ (508.) واستمر انخفاضه في عام (2004) ليصل الا (14.054) نقطه وبفارق سالب بلغ (5.414) نقطه وهو فارق كبير اما سنة (2005) فلم تتوفر عنها بيانات للباحث وبشكل عام فأن السنوات الثلاثه كانت فيها الشركه ضمن الفئه الثالثه متوسطه المخاطرة ولكن الانخفاض فيها كان مستمرآ مما يعطي مؤشرآ غير جيد عن موقف الشركه المالي، وبلغ المؤشر في شركه صناعة المواد الانشائيه الحديثه (16.228) لسنة (2002) ثم ارتفع ليصل الى (16.6) عام (2003) وبفارق موجب (372.) نقطه وفي سنة (2004) انخفض المؤشر ليبلغ (15.971) نقطه وبفارق سالب بلغ (629.) نقطه وهو اكثر من الارتفاع في سنة (2003) واستمر الانخفاض ليصل الى (14.458) نقطه عام (2005) وبفارق انخفاض بلغ (1.513) وهو اكثر نسبة في الانخفاض في سنة (2004) وبشكل عام فأن الشركه تقع ضمن الفئه الثالثه متوسطه المخاطرة الا ان انخفاضه كان مستمرآ خلال الاربع سنوات مما يضع الشركه في دائرة عدم الاستقرار وبالتالي انعكاس غير جيد عن مركزها المالي اما شركة الصناعات الخفيفه فبلغ فيها مؤشر الجودة (23.256) نقطه عام (2002) وهي بذلك ضمن

الفئة الثانيه قليلة المخاطرة الا ان مؤشرها انخفض عام (2003) ليبلغ (18.853) نقطه وبفارق انخفاض بلغ (4.403) نقطه لتصبح بذلك ضمن الفئة الثالثه متوسطه المخاطر واستمر الانخفاض خلال السنتين (2004) و (2005) اذ بلغ المؤشر فيها على التوالي (17.549) و(16.182) وبفارق انخفاض (1.304) لسنه (2004) عن سنة (2003) و(1.367) لسنة (2005) عن سنة (2004) وان الشركه هي ضمن الفئه الثالثه متوسطه المخاطرة للسنتين ويشير التحليل الى انخفاض مستمر في مؤشر قوة مركز الشركه المالي خلال السنوات الاربع مما يعني ان وضع الشركه غير جيد الا ان الانخفاض لم يكن بشكل

حاد عدى سنة (2003) وانما كان تدريجي والمؤشر متقارب نوعآ ما في السنوات الثلاث الاخيرة مما قد يحسن من صورة الشركه الماليه اما الشركه الوطنيه لصناعه الاثاث بلغ مؤشر جودتها (23.753) نقطه عام (2002) مما يضعها ضمن الفئه الثانيه قليلة المخاطرة الا أن مؤشرها انخفض عام (2003) فبلغ (15.24) نقطه وبفارق انخفاض بلغ (8.463) وهو فارق كبير وأستمر الانخفاض في عام (2004) (14.514) نقطه وبفارق أنخفاض (776.) وهو اقل بكثير من انخفاض (2003) واستمر الانخفاض ليبلغ عام (2005) (12.518) وبفارق انخفاض بلغ (1.996) وعليه فان الشركه ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة للسنوات الثلاث الاخيرة والانخفاض كان مستمرآ من سنة (2003) وحتى (2005)، اما شركة المنصور للصناعات الدوائيه فقد بلغ مؤشرها سنة (2002) (17.702) نقطه اي ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة وانخفض المؤشر عام (٢٠٠٣) اذ بلغ (١٢.٧٧) وبفارق انخفاض (4.932) وعاد وارتفع المؤشر عام (2004) ليبلغ (13.934) وبفارق أرتفاع (1.164) نقطه واستمر الارتفاع اذ بلغ عام (2005) (19.164) نقطه وبفارق ارتفاع موجب بلغ (5.23) نقطه وهو اكثر من الانخفاض الحاصل في سنة (2003) وبشكل عام تصنف الشركه ضمن الفئه الثالثه بسنواتها الاربعه فهي متوسطه المخاطرة ويشير التحليل الى اداء جيد للشركه ويظهر ذلك من خلال تحسن مؤشر جودة مركزها المالي خلال السنوات المبحوثه، اما الشركه الاخيره كركوك لانتاج المواد الانشائيه فبلغ مؤشرها (18.523) نقطه في عام (2002) وانخفض في عام (2003) ليبلغ (15.456) نقطه وبفارق (3.067) نقطه وارتفع بشكل طفيف في عام (2004) ليبلغ (15.478) نقطه وبفارق ارتفاع (022.) نقطه الا انه تراجع وانخفض عام (2005) ليبلغ (13.351) نقطه وبفارق انخفاض بلغ (2.127) نقطه وبشكل عام فان الشركه تصنف ضمن الفئه الثالثه متوسطه المخاطرة.

كما يظهر من التحليل ان الشركات تصنف في عام (2002) ضمن الثانيه والثالثه فكانت ست شركات ضمن الفئه الثانيه قليلة المخاطرة وكان مؤشرها ما بين (20.541و24.525) وهن (الكندي، العراقيه للسجاد، بغداد، الخياطه الحديثه، الصناعات الخفيفه الوطنيه) اما البقيه فهن ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة وكان مؤشرهن ما بين (16.228و19.976) وهن (التعئبه والتعليب، نينوى، العراقيه لتصنيع وتسويق التمور، صناعة المواد الانشائيه، المنصور، كركوك) وهذا يدل على اداء جيد للشركات خلال سنة (2002) اما عام (2003) فقد انخفض مؤشرات الشركات اذ اصبحت شركتين فقط تصنف ضمن الفئه الثانيه وهما (العراقيه للسجاد، والخياطه

الحديثه) وتراوح مؤشرها ما بين (20.359و20.66) وهما اقرب للتحول من الفئه الثانيه الى الفئه الثالثه متوسطه المخاطرة اما بقية الشركات فهي تصنف ضمن الفئه الثالثه ويتراوح مؤشرها ما بين (12.77 -19.468) نقطه ويشير ذلك الى انخفاض مؤشر جودة المركز المالي للشركات خلال عام (2003) بشكل عام قياساً بعام (2002) اما عام (2004) كانت شركة الخياطه الحديثه الوحيدة التي تصنف الفئه الثانيه اذ كان مؤشرها (21.56) اما البقيه فتصنف ضمن الفئه الثالثه متوسطة المخاطرة وتراوح مؤشرها بين (8.28و18.347) اما عام (2005) فكانت شركة الكندي فقط تصنف ضمن الفئه الثانيه اما البقيه تصنف ضمن الفئه الثالثه وتراوح مؤشرها ما بين (12.261و19.164) نقطه ويظهر التحليل اعلاه انخفاض مستمر في اغلب مؤشرات الشركات على مدى السنوات الاربع وقد يعزى ذلك الى ظروف البلد المضطربه سواء السياسيه منها والاقتصاديه الا انه بشكل عام لو استقر الوضع في العراق فأن الشركات العراقيه ستكون ذات اداء جيد ويمكنها من تقويه مركزها المالي بشكل يساعد على ارتقاءها الى درجة مخاطرة قليلة جداً وهذا ما يوضحه التحليل أعلاه، ويعد التحليل السابق مهما جداً لمحلل الائتمان لكي يستطيع في ضوءه من اتخاذ القرار النهائي بمنح الائتمان او رفض الطلب وعليه فأن محلل الائتمان سيرفع تقريره للمسؤولين يوضح فيه نتائج دراسة المركز المالي للشركات كما في اعلاه وقد يطرأ بعض التعديل على مؤشرات الشركات المبحوثه سواء صعوداً او نزولاً بعد أخذ العديد من العوامل غير الكميه في الحسبان مثل نوعية ادارة الشركه وما تتمتع به من خبرة، العلاقات السابقه مع الشركه، مدى استمرارية ربحية الشركه والاتجاهات المتوقعه لاستمراريتها في النشاط ومركزها التنافسي والى امور آخرى قد تشكل ايضاً ضرورة مكمله للتحليل العملي ليتم من خلالها اتخاذ القرار الصائب في منح القرض او عدم منحه وبشكل عام فان اختيار الشركات المكونه للمحفظة تخضع بشكل كبير لاستراتيجية المصرف الاستثمارية ومن الممكن تصميم المحفظة الاقراضية للمصرف وفق التحليل السابق وباعتماد متوسط مؤشر الجودة وحسب قوة المركز المالي للشركات طالبة القرض والجدول (٢) يبين ذلك:

جدول(٢)

تصميم المحفظة الاقراضية للمصرف باعتماد متوسط مؤشر جودة القرض

ت	الشركات	متوسط مؤشر جودة القرض
١	الخياطة الحديثة	**20.23**
٢	العراقية للسجاد والمفروشات	**19.605**
٣	الكندي لانتاج اللقاحات والادوية البيطرية	**19.403**
٤	الصناعات الخفيفة	**18.96**
٥	التعبئة والتعليب العراقية/ مشن	**17.219**
٦	بغداد لصناعة مواد التغليف	**16.534**
٧	الوطنية لصناعة الاثاث المنزلي	**16.52**
٨	المنصور للصناعات الدوائية	**15.89**
٩	صناعة المواد الانشائية الحديثة	**15.814**

١٠	كركوك لانتاج المواد الانشائية	**15.702**
١١	نينوى للصناعات الغذائية	**14.657**
١٢	العراقية لتصنيع وتسويق التمور	**13.3745**

المحور الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أ :ـ الاستنتاجات:-

١ :ـ يظهر في التحليل ان 50٪ من الشركات تصنف ضمن الفئه الثانيه - القروض ذات المخاطرة القليلة و50٪ تصنف ضمن الفئة الثالثة ـ القروض متوسطة المخاطرة وذلك لعام 2002.

٢ :ـ يظهر التحليل ان مؤشر جودة القرض انخفض عام 2003 اذ صنفت شركتين فقط ضمن الفئة الثانيه وهما العراقية للسجاد والمفروشات والخياطه الحديثه وهما يشكلان نسبة 17٪ من الشركات اما البقيه فقط كانت ضمن الفئة الثالثه ونسبتها 83٪.

٣ :ـ يظهر التحليل انخفاض جديد في مؤشر جودة القرض لعام 2004 اذ صنفت شركه واحدة فقط ضمن الفئه الثانيه وهي شركه الخياطه الحديثه اما البقيه فصنفت ضمن الفئه الثالثه.

٤ :ـ يظهر التحليل تحسن بسيط في مؤشر جودة القرض للشركات الا ان شركة واحدة فقط تصنف ضمن الفئه الثانيه وباقي الشركات تصنف ضمن الفئه الثالثه وذلك لعام 2005.

٥ :ـ كما يظهر التحليل بشكل دقيق كيفية تغير اداء الشركات وقوة مركزها المالي بحيث يستطيع القارىء معرفة التغيرات التي تطرأ على مؤشر كل شركه سواء ارتفاعآ او انخفاضآ ونسبة هذا الارتفاع او الانخفاض

٦ :ـ بناءآ على النقاط السابقه فأن استخدام نموذج Sherrod يمَكن المصرف من تقليل مخاطرة القروض من خلال الوقوف على مؤشرات قوة المركز المالي للشركات طالبة القرض وبالتالي يمكن المصرف من بناء محفظته الاقراضيه وفق اسس علميه سلميه تضمن له الاستثمار المناسب وعليه تقبل فرضيه البحث القائله " يؤدي استخدام نموذج Sherrod في تحليل المركز المالي للشركات طالبه القرض. الى تقليل المخاطرة الاقراضيه للمصرف ويمَكن من بناء المحفظه الاقراضيه للمصرف على اسس علميه ".

ب :ـ <u>التوصيات</u>:- يوصي الباحث بجمله من الامور هي :ـ

١ :ـ ينبغي ان لا يقتصر المصرف في منح القروض على عدد محدد من العملاء وان يراعي طبيعة الارتباط بين انشطة العملاء الذين يحصلون على قروض ففي تحليلنا اعلاه اقتصر البحث على القطاع الصناعي لعدم توفر بيانات عن القطاعات الاخرى ولو توفرت البيانات لاتيحت للمصرف خيارات متعددة لمنح القروض.

٢ :ـ ضرورة اعتماد المصرف على سياسية اقراضيه واضحه ومتناسبه مع طلبات الشركات للقروض سواء من ناحية النشاط الذي تخدمه الشركه او سعر الفائدة حسب درجة المخاطرة او تواريخ الاستحقاق.

٣ :ـ ضرورة ان يقوم المصرف بتشكيل محفظه اقراضيه قائمه على اختيار الشركات التي سيتم منحها القرض وفق اسس علميه تمكن من معرفة المركز المالي للشركات ومنها نموذج Sherrod.

٤ :ـ ضرورة اعداد دراسه جدوى للاهداف التي تسعى الشركات لتحقيقها من خلال الاقتراض ومدى علاقتها ببناء الاقتصاد الوطني وبما يعود بالخير على المجتمع ليتم بعدها منح القروض اولا للشركات التي لها دور مهم في تنمية الاقتصاد وخدمة المجتمع وبهذا يضمن المصرف دوره في تنشيط الحركه الاقتصاديه للبلد.

ثبت المراجع

اولا: المراجع العربية:

١. ابو حمد وقدوري: رضا صاحب، فائق مشعل (ادارة المصارف) جامعة الموصل ٢٠٠٥
٢. العلاق: بشير عباس.(ادارة المصارف: مدخل وظيفي) الاردن، ٢٠٠١
٣. الناشف وهندي: انطوان، خليل (العمليات المصرفية والسوق المالية) الجزء الاول المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ١٩٩٨
٤. الدوري والسامرائي: زكريا. يسري (البنوك المركزية والسياسات النقدية) عمان، الاردن. ٢٠٠٦
٥. حماده: طارق عبد العال (حوكمة الشركات – المفاهيم – المبادئ- التجارب) الدار الجامعية، ٢٠٠٥
٦. السلطان واخرون: سلطان المحمد، عدنان داغستاني، احمد نبيل (التمويل الاداري) الطبعة العربية، الجزء الاول، دار المريخ للنشر. السعودية ١٩٩٣
٧. الشماع: خليل محمد حسن (الادارة المالية) بغداد، ط٤، ١٩٩٢
٨. هندي: منير ابراهيم (ادوات الاستثمار في اسواق راس المال) المؤسسة العربية المصرفية عمان الاردن ١٩٩٣
٩. لطفي: امين السيد محمد (التحليل المالي لاغراض تقييم ومراجعة الاداء والاستثمار في البورصة) الدار الجامعية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥

ثانيا: النشرات الرسمية:

١٠. سوق العراق للاوراق المالية: (النشرات السنوية للميزانيات العمومية وكشوفات الدخل للشركات المبحوثة للمدة من ٢٠٠٢ الى ٢٠٠٥)

ثالثا: المراجع الاجنبية:

11. Rose: peter(commercial bank management) 4th ed Irwine/Mc Graw-Hill 1999.

النقود الالكترونية ودورها في الوفاء بالالتزامات التعاقدية

الدكتور باسم علوان العقابي - كلية القانون – جامعة كربلاء
الدكتور علاء عزيز الجبوري - كلية القانون – جامعة كربلاء
الدكتور نعيم كاظم جبر - كلية التربية – جامعة ميسان

النقود الالكترونية

ودورها في الوفاء بالالتزامات التعاقدية

د. باسم علوان العقابي
د. علاء عزيز الجبوري
د. نعيم كاظم جبر

المقدمة

أن تطوير التجارة عبر الانترنت (internet) لا يمكن أن يحدث دون أيجاد وسائل الدفع الملائمة لهذا التطور. وتقوم وسائل الدفع على تقنيات متطورة أسهمت بشكل مباشر في تغيير الكثير من النشاطات المصرفية، لذلك عمدت المصارف في العالم على تطوير قنوات جديدة في عملها. وتعد الخدمات الالكترونية من هذه القنوات. ونظراً لحداثة هذه الخدمات التي لم يسبق لها مثيل في الأعمال المصرفية، فأن هنالك أسئلة كثيرة تطرح بشأن مفهوم هذه الخدمات وأنواعها، ولعل أهم هذه الأنواع ما يعرف بالنقود الالكترونية، فما المقصود بالنقود الالكترونية وما هي المزايا التي تتمتع بها ؟ وهل لها صورة ونوع واحد أو أنها متعددة الأنواع ؟ وما مدى الكفاءة والسرية والثقة التي يمكن أن تتمع بها هذه المنتجات الجديدة ؟ وهل لها تأثير على مصالح الجمهور ؟ ومن يتولى إصدارها ؟ وما هي طبيعة العلاقات التي تحكم أطرافها؟ وما هو الفرق بين النقود الحقيقية والالكترونية ؟ هذه الأسئلة وغيرها نجيب عليها خلال البحث وضمن خطة منهجية قسمناها إلى خمس مباحث، يتناول الأول مفهوم النقود الالكترونية ويتناول الثاني انواع النقود الالكترونية وطبيعتها ويتعلق المبحث الثالث باصدار النقود الالكترونية ويرتبط الرابع بالطبيعة القانونية للاصدار بينما يختص الخامس بالتزامات الأطراف، ومن ثم خلصنا بخاتمة متضمنة لأهم ما توصلنا اليه من خلال البحث.

المبحث الأول: مفهوم النقود الالكترونية

للنقود الالكترونية بوصفها ظاهرة قانونية حديثة النشأة مفهوماً قانونياً خاصاً يختلف عن غيره من الظواهر القانونية الأخرى، من حيث التعريف او الخصائص التي يتسم بها. وتأسيساً على ذلك نتناول في هذا المبحث تعريف النقود الالكترونية وخصائصها ضمن المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف النقود الالكترونية

لم يتفق الرأي حول تعريف النقود الالكترونية او الإحاطة بمضمونه وذاتياته، وذلك بسبب الغموض الذي يحيط بالمصطلحات والمفاهيم الجديدة المرتبطة به. ولقد أقرت لجنة (Basel) للتسويات الدولية هذه الصعوبة. فالتعريف يمزج بين المفاهيم التقنية الحديثة والخصائص الاقتصادية والقانونية في ذات الوقت. كما ان تنظيم وترتيب مخططات النقود الالكترونية يختلف بحسب المؤسسة التي تتولى إصدارها. لذا نرى اختلاف المصطلح المستخدم في هذا المجال، ففي بعض الدراسات يطلق على النقود الالكترونية مصطلح (virtual cash) أي النقد الافتراضي، وبعضها يسميها (electronic cash) وبعضها (electronic money) وبعضها (digital cash) وبعضها(electronic cash) [1]. وقد ارتأينا استخدام مصطلح النقود الالكترونية (electronic money) لما لهذا الاصطلاح من استخدام شائع في التعاملات الالكترونية واستخدامه في أكثر الدول التي تضمنت قوانينها هذه النقود.

واستناداً الى ذلك فقد وردت تعريفات عديدة للنقود الالكترونية يمكن ان نبين أهمها بما يأتي [2]:

يعرف البعض النقود الالكترونية بأنها عبارة عن القيمة المخزونة او وسيلة الدفع المدفوعة مسبقاً تكون فيها الأموال مسجلة او القيمة متوفرة ومخزونة على جهاز الكتروني في حيازة المستهلك [3]. والملاحظ ان النقود قد تكون مستندة على برامج وليس جهاز الكتروني فقط. ويعرفها بعض الفقهاء بأنها عبارة عن رسالة دفع الكترونية تعمل كوسيلة مبادلة [4]. وهذا التعريف كسابقه يقصر النقود الالكترونية على نوع واحد ولا يشمل الأنواع الأخرى. كما عرف بعض الباحثين النقود الالكترونية بأنه النقد المخزون على دعامة الكترونية ولا يتطلب معالجة منفصلة [5]. والملاحظة السابقة واردة هنا أيضا بالإضافة الى عدم وضوح معنى المعالجة المنفصلة الواردة في التعريف. وعرفت أيضا بأنها البديل الرقمي للأوراق النقدية والعملات المعدنية [6]. ويركز هذا التعريف على الوظيفة التي تؤديها النقود الالكترونية دون بيان ذاتيات المعرَف. هذا وقد حاولت التجمعات الاقتصادية الدولية وضع تعريف محدد للنقود الالكترونية وأصدرت توصيات تتضمن مثل هذا التعريف. وبهذا الصدد فقد عرف المصرف المركزي الأوربي النقود الالكترونية بأنها القيمة النقدية المخزونة الكترونياً على أداة تقنية كثيرة الاستعمال في وسائل الدفع وتحظى بقبول واسع من غير من أصدرها من دون ربطها بحسابات مصرفية [7]. كما ورد تعريف في مؤتمر (Basel) لسنة ١٩٩٨ ينص على ان النقود الالكترونية عبارة عن القيمة المخزونة او آليات الدفع المدفوعة مسبقاً لتنفيذ الدفعات عن طريق أجهزة بيع خاصة وإنشاء النقل بين أداتين او شبكات الحاسوب المفتوحة كالانترنيت [8]. ولم يتضمن التعريف الصفة الالكترونية لعملية الخزن وان النقل قد يتم عن طريق أجهزة الحاسوب وليس أجهزة الكترونية خاصة فقط [9].

ومن مجمل هذه التعريفات يمكن تعريف النقود الالكترونية بأنها قيمة نقدية مخزونة في صورة أرقام على جهاز الكتروني او في برامج الحاسوب الشخصي. تستخدم للوفاء بالالتزامات النقدية المختلفة.

المطلب الثاني: خصائص النقود الالكترونية

تمتاز النقود الالكترونية بوصفها منتجات حديثة بمجموعة من الخصائص جعلت منها وسيلة للدفع متميزة ومقبولة، ويمكن إجمال هذه الخصائص بما يأتي:

١. **الأمان والسرية:** secure and privacy

من أهم ما تمتاز به النقود الالكترونية ميزة الأمان والسرية. والمقصود بالأمان ان عملية تحويل النقود الالكترونية تتم بطريق بحيث لا يمكن لأحد ان يعدل او يلغي شيئاً منها. أما السرية فتعني ان الصفقة الالكترونية تتم بصورة مجهولة (anonymous) ولا يمكن لاي شخص الولوج الى أنظمة الدفع الالكترونية. ويرجع السبب في ذلك الى التقنية المتطورة للكروت والبرامج الحديثة التي تهيئ حواراً الكترونياً سرياً وأمناً بين مستعملي النقود الالكترونية[١٠]. بيد ان المسالة ليست بهذه السهولة، فالتعامل الالكتروني عموماً يكون محفوفاً بمخاطر الأمن (risk of secure) والاختراق الذي يمكن ان يحدث في صفقات المستهلك او التاجر من خلال تتبع (traceability) مالك النقود الالكترونية أثناء إجراء الصفقة [١١]. والأمثلة على ذلك كثيرة لعل من أهمها سرقة المعلومات المالية او النقود او تعطيل المواقع الشبكية من قبل قراصنة الانترنيت (hackers) [١٢]. والواقع ان مشكلة الخرق الأمني للصفقات الالكترونية تكون أوضح واشد في النقود التي تستند على برامج الحاسوب والمتصلة بشبكة الاتصالات الدولية. لان الصفقة لا تتم الا من خلال شبكة الانترنيت ووجوب تدخل طرف ثالث فيها كما سوف يجيء. ونتيجة لهذه المشكلة فقد تعددت التقنيات لمنع مثل هذه الخروقات، منها استخدام الكتابة المشفرة والمستندة على برامج. ففي البطاقة الالكترونية الفرنسية نرى مثلاً أنها تحتوي على مفتاح خاص يسمح للمستهلك الذي يملكه فقط للدخول الى النظام الالكتروني لها ومن ثم إجراء الصفقة[١٣]. فالمستهلك يستطيع إدخال بطاقته في قارئ البطاقات الالكترونية ويدخل الرمز الخاص به (pin)[١٤]، وبدون إدخال هذا الرمز يصبح من المستحيل الولوج الى نظام البطاقة، ومن ثم إجراء الصفقة. وعلى أية حال ان الحاجة الضرورية للحد او لمنع الأنفاق المتكرر للوحدات النقدية الالكترونية تدفع بحسب ما يرى البعض لابتكار وسائل تقنية للكشف المبكر عن الخرق او التزييف، وذلك من خلال أنشاء بيانات تتكون من أرقام متسلسلة للوحدات الالكترونية عن طريق نظام بسيط يعرف من خلاله مصدر الوحدات الالكترونية أرقام الوحدات التي قام بإصدارها ومن ثم يتحقق بسهولة من أنها مستهلكة سابقا أم لا [١٥]. ومع كل ما تقدم فانه ليس هناك امن مطلق لا في العالم الالكتروني ولا في العالم الطبيعي للأعمال المصرفية، لذا يجب ان تحتوي التقنية الأمنية للوحدات الالكترونية على ما يأتي:

١. ان الدخول إلى النظام لا يتم ألا للمستهلك المخول.
٢. ضرورة ان تحتوي البرامج المتضمنة في النقود الالكترونية على أمكانية التحقق من هوية وصلاحيات الأطراف بإجراء الصفقات الالكترونية.

٣. توفير الضمان التقني بان البيانات لم تعدل لا عرضاً ولا بسوء نية أثناء المرور على شبكة الانترنيت.
٤. منع الدخول الى نظام الحاسوب المركزي وقاعدة البيانات الخاصة بالمصدر.
٥. الإبقاء على سرية المعلومات أثناء مرورها على شبكة الانترنيت[١٦].

ويجب الإشارة في هذا الخصوص الى ان السرية وان كانت مفيدة لحماية مستهلكي النقود الالكترونية بيد ان السرية الكاملة ليست مرغوبة مطلقاً لأنها تساعد على تنشيط السلوك الإجرامي وإجراء الصفقات المشبوهة. فمستعملو الطرق الاحتيالية لا يستخدمون نظاماً يعتقدون انه مراقب وهناك من يرصد كل حركة او نقل للأموال بصورة مخالفة للقانون[١٧]. ويتم ذلك عن طريق قاعدة البيانات المركزية للمصدر، اذ تحقق بعض أنظمة النقود الالكترونية تسجيل الصفقات المنفذة فعلاً عبر الوحدات التي أصدرها، وهذا يهيئ وسائل المراقبة النشيطة للصفقات وعلى درجة عالية جداً بحيث ان أية صفقة فيها من وسائل الاحتيال او تعديل الأرصدة على البطاقة الالكترونية ستكتشف بسهولة[١٨].

٢. وحدات مخزونة على وسيلة الكترونية unites store on electronic device

النقود الالكترونية عبارة عن وحدات او أرقام مخزونة على وسيلة الكترونية، بيد ان طريقة التخزين تختلف باختلاف التطبيق التقني[١٩]، فمنها منتجات الكترونية تؤسس على بطاقة تتضمن جهاز حاسوب صغير ومحمول، ومنها منتجات الكترونية تؤسس على برامج ضمن جهاز الحاسوب الشخصي. وتتسم هذه الوحدات بكونها تتألف من أرقام او رموز يمثل كل رقم او رمز قيمة نقدية معينة سلفاً من قبل المصدر[٢٠]. والملاحظ بهذا الخصوص ان التطورات التقنية الالكترونية سوف تتواصل وتنمو يوما بعد يوم، وهذا ما يؤثر وبفاعلية على تصميم أنظمة النقد الالكتروني في المستقبل. وهذا الامر يحتاج بطبيعة الحال الى تطورات في الفكر القانوني تتواءم مع التقدم الهائل في وسائل التقنية الحديثة باستمرار[٢١].

٣. قيمة نقدية money value

تعد الوحدات الالكترونية ذات قيمة نقدية رغم أنها ليست نقوداً بالمعنى المعروف للنقود. والدليل على ذلك ان حامل هذه الوحدات يستطيع سداد أثمان السلع والخدمات التي يشتريها من أي تاجر يقبل التعامل بها[٢٢]. وانطلاقاً من هذه السمة فان النقود الالكترونية تختلف عن بطاقات الهاتف المدفوعة مسبقاً التي تخصص لأداء قيمة خدمة الاتصال الهاتفي فقط. وكما تختلف عن بطاقات الوجبات الغذائية التي تصدرها المطاعم الجامعية. ومن هنا نستنتج ان النقود الالكترونية تؤدي نفس وظيفة النقود الورقية والمعدنية من حيث سداد أقيام السلع والخدمات، بيد أنها تتجسد في صورة الكترونية وليست ورقية او معدنية[٢٣].

٤. الكلفة المنخفضة reducing cost

تتسم النقود الالكترونية بانخفاض كلفة أنتاجها واستعمالها. وهذه السمة ستجعل المنتجات الالكترونية الجديدة جذابة الى عموم المستهلكين والتجار على حدٍ سواء بالمقارنة مع الأنظمة المالية ووسائل الدفع الأخرى[٢٤]. ولا يحتاج الامر الا الى الالتفات الى انخفاض كلفة البطاقات المدفوعة

مسبقاً التي لن تتطلب كما في بعض الانظمة الالكترونية لأجراء النقل للوحدات الالكترونية حوالي ٠,٠١ دولار وربما تصل الكلفة الى صفر تقريباً كما يذهب البعض، مع احتفاظها بذات المنافع الخاصة بالنقد التقليدي[٢٥]. وهذه الميزة ستعمل بلا شك على تغيير العديد من مفاهيم وأنظمة الصناعة المصرفية نتيجة التأثير المباشر على مداخيل المؤسسات المصرفية التقليدية على اثر توجه المستهلكين نحو الأنظمة الجديدة لانخفاض كلفتها قياساً بوسائل الدفع المعروفة كبطاقات الائتمان والصكوك. هذا بالإضافة الى الكثير من الوقت والجهد الذي توفره المنتجات الالكترونية[٢٦]. وعلى اية حال. ان اقتناء النقود الالكترونية من السهولة بمكان بحيث يستطيع كل شخص استخدامها حتى بالنسبة لأصحاب الدخول الواطئة لانخفاض كلفة الحصول عليها من جانب، وانخفاض كلفة استخدامها من جانب أخر[٢٧]. والملاحظ ان انخفاض الكلفة لا يكون بالنسبة للمستهلك فقط، وإنما يتعداه ليشمل المصرف أيضا، إذ تعد كلف إنتاج ومعالجة المنتجات الالكترونية ارخص بالنسبة للمصرف من إنتاج ومعالجات بطاقة الائتمان[٢٨].

٥. قابلية التحويل transferability

تمتاز النقود الالكترونية بقابليتها السهلة للتحويل وبطرق مختلفة. اذ تسمح بعض مخططات المنتجات الالكترونية بتحويل النقود خلال شبكة الاتصالات الدولية من حاسوب شخصي الى حاسوب شخصي أخر. كما يمكن ان تنتقل الأرصدة الالكترونية مباشرة من مستهلك الى أي شخص دون أي تدخل من طرف ثالث مثل مصدر النقود الالكترونية[٢٩]. ويجب ان يلاحظ هنا أن البعض يرى بأن سهولة التحويل للأرصدة الالكترونية تساعد على الانتهاكات والنشاطات المحظورة قانوناً، كالأنفاق المتكرر للوحدات الالكترونية المستهلكة سابقاً. لذلك من الأفضل بحسب هذا الرأي تنظيم عمل المنتجات الالكترونية بحيث تكون غير قابلة للتحويل الا وفق إجراءات معقدة بعض الشيء[٣٠]. بيد أننا نرى ان هذا التحليل لا يستقيم عملياً. فمن جانب انه يجعل قابلية تحويل الأرصدة اقل مرونة وذات كلفة مرتفعة، وهذا امر يتعارض مع ما تمتاز به هذه المنتجات من انخفاض في الكلفة، ويؤدي الى عزوف الجمهور عن استخدامها. ومن جانب أخر، يمكن الحد من النشاطات غير المشروعة من خلال فرض بعض الحدود والمراقبة على تحويل ونقل الأرصدة الالكترونية او إعداد برامج تقنية خاصة تجعل من الوحدات الالكترونية قابلة للتحويل الى ان يتم صرفها فإذا تم صرفها تعطلت قابليتها للتحويل منعاً للإنفاق المضاعف او المتكرر[٣١]. وهذا ما يتم العمل به في انظمة (mondex) و(net cash)، اذ تكون هذه المنتجات مراقبة من قبل المصدر[٣٢]. من كل ما تقدم نستخلص بان النقود الالكترونية وكما هو الحال في النقود الورقية تكون قابلة للتداول (negotiability) اذ يمكن للمدين ان يحول النقود الالكترونية من خلال أنظمة هذه المنتجات[٣٣].

٦. قابلية القسمة divisibility

تتمتع النقود الالكترونية بقابليتها على تقسيم الوحدات الى أجزاء صغيرة يمكن ان تستخدم لسداد أثمان السلع والخدمات في الصفقات الصغيرة الحجم[٣٤]. فلو كانت قيمة الوحدة الالكترونية دولار واحد مثلاً، فانه بإمكان المستهلك تجزئته الى الأجزاء الصغيرة (السنت) لشراء وجبة طعام سريعة بقيمة (٥٠ سنت) وهكذا[٣٥]. وهذه الخصيصة تكون جذابة بالنسبة لذوي الدخل المحدود الذين

يتمكنون من شحن البطاقات الالكترونية بعدد من الوحدات وبالمقدار المتيسر لهم واستخدامها في صفقاتهم اليومية.

٧. المقبولية acceptable

تشير هذه السمة الى ان النقود الالكترونية تتمتع بمقبولية واسعة من حيث الأفراد والمؤسسات على حدٍ سواء. اذ يستطيع مستعمل هذه المنتجات ان يتعامل بها مع عدة أطراف او بنوك مختلفة[٣٦]. ويذهب البعض في هذا الخصوص – وبحق كما نرى – بأنه لا يوجد في الوقت الحالي نقد الكتروني مقبول عالمياً[٣٧]. اذ تعمل أنظمة النقود الالكترونية في دولة الإصدار او بعض الدول كما في الاتحاد الأوربي، فإذا أريد لهذه المنتجات ان تكون ذات أنظمة خارجية تمتد خارج حدود دولة الإصدار فيجب ان يكون هناك دعم وتأييد عالمي من قبل المؤسسات المصرفية المحلية والدولية. وعلى اية حال، ان سمة المقبولية تدل على اتفاق جمهورٍ المستهلكين لهذه الوحدات على الاشتراك في التعامل بالنقود الالكترونية، وان التعاطي بها يزداد يوماً بعد يوم لثقة الجمهور بها ووفقاً لما يتمتع به المصدر من كفائه وثقة في الميدان التجاري[٣٨]. ولعل المصداق الواضح للمقبولية الواسعة للنقود الالكترونية يتمثل في أمكان إصدار الوحدات الالكترونية بأكثر من عملة. اذ ان الأعمال المصرفية الالكترونية مستندة في الواقع على تقنية تصمم بطبيعتها لتمتد خارج الحدود الجغرافية لدولة المصدر او المستهلك. ومن هنا تبرز بعض المشاكل القانونية والعملية، كتلك المتعلقة بالقواعد القانونية التي تنظم إصدار ونقل النقود الالكترونية والآثار المترتبة عليها فيما لو أصدرت في بلد وتم تداولها واستهلاكها في بلد أخر يختلف عن الأول في تنظيم عملية إصدار وتداول مثل هذه المنتجات. بالإضافة الى الاختلاف في التفسيرات القضائية والفقهية للدول طبقاً للمفاهيم القانونية السائدة في كل بلد[٣٩]. وهذا ما أدى بالنتيجة الى إضفاء الطابع الدولي للنقود الالكترونية من جانب، وضرورة التعاون بين الدول لحل المشاكل التنظيمية والقانونية من جانب ثاني. وهذا ما تجلى فعلاً في بعض المؤتمرات واللجان الدولية لغرض وضع آلية عامة لعمل هذه المنتجات ومنها لجنة (Basel) للصيرفة الالكترونية الخاصة بالاتحاد الأوروبي. اذ تعتقد هذه اللجنة بضرورة ان يكون هناك جهاز أشرافي دولي يختص بعمل وتنظيم النقود الالكترونية مهمته التوجيه وتقديم المشورة فيما يتعلق بالأعمال المصرفية الالكترونية[٤٠].

المبحث الثاني: أنواع النقود الالكترونية وطبيعتها

لا تتخذ النقود الالكترونية نوعاً واحداً فقط او صورة واحدة[٤١]، بل أنها تكون على صورتين او نوعين، كما ان الفقه اختلف بصدد إعطاءها الوصف القانوني وهل تعد نوعاً جديداً من النقود ؟ وهذا ما نتناوله في هذا المبحث وضمن مطلبين وعلى النحو الاتي:

المطلب الأول: انواع النقود الالكترونية

ليس للنقود الالكترونية نوعاً واحداً، وانما تتخذ اكثر من نوع بحسب الوسيلة التي يتم عليها خزن الوحدات الالكترونية. وهذا ما نوضحه بالاتي:

أولاً: المحفظة الالكترونية Electronic purse

المحفظة الالكترونية عبارة عن بطاقة تحتوي على قيمة نقدية مخزنة فيها عن طريق شريط مغناطيسي او رقاقة حاسوب صغير هو في حقيقته حاسوب نقال، ولذلك يطلق على هذا النوع أحيانا بالبطاقة الذكية(smart card)[٤٢]. ويمكن لهذه البطاقة ان تحول القيمة الكترونياً الى بطاقة أخرى دون الحاجة الى ربطها بأي حاسوب مركزي وليس هناك حاجة للاتصال بالمصدر (المصرف) كما هو الحال في بطاقة الائتمان. بمعنى ان تحويل القيمة لا يتطلب تدخل وسيط او طرف ثالث لإتمام العملية، وهذا ما يجعل هذه البطاقة اقرب الى النقود الحقيقية (الورقية). والمنتجات الالكترونية المؤسسة على البطاقة صممت أساساً لتسهيل عمليات الوفاء للالتزامات ذات القيمة المنخفضة او صفقات البيع بالمفرد[٤٣]. بحيث يستطيع المستهلك شراء السلع او الخدمات. وتكون لهذه البطاقة القابلية على تسجيل عملية شراء او تخفيض في الرصيد بمقدار الوحدات النقدية المستخدمة فعلاً[٤٤]. كما أنها تحتوي على ذاكرة قادرة على تخزين معلومات كثيرة منها بيانات شخصية ومالية ومهنية وطبية خاصة بالمستهلك ويمكن استدعاء أي من هذه المعلومات بطريقة فنية منظمة[٤٥]. ومن الخصائص المتطورة للمحافظ الالكترونية أنها قابلة لإعادة التعبئة او الشحن (reloadable)[٤٦]. وقد تكون المحفظة الالكترونية صادرة من مؤسسة واحدة او من عدة مؤسسات. وتمتاز بطاقة القيمة المخزونة بأنها متعددة الاستخدام، بمعنى ان المستهلك بإمكانه ان يستخدم البطاقة في شراء السلع او الخدمات او دفع أثمان وجبات الطعام وما الى ذلك. واهم أنواع البطاقة الذكية البطاقة الالكترونية الانكليزية المسماة (mondex) والفرنسية (monéo) والأمريكية (visa cash).

ثانياً: النقود الرقمية Digi cash

ويتم في هذا النوع خزن القيمة في أقراص الحاسوب الصلبة، وتستخدم عن طريق الحاسوب الشخصي للمستهلك الذي يجب ان يتم ربطه بشبكة الاتصالات الدولية[٤٧]. ويطلق عليها أحيانا بالنقود الالكترونية المستندة على برامج. ويحصل نقل الوحدات الالكترونية من حاسوب الى أخر عن طريق شبكة الاتصالات عبر الرسائل الالكترونية، ويمكن ان يتم صرف الوحدات الالكترونية مع تاجر عبر الانترنيت او مع أي شخص يتعامل بالنقود الالكترونية عبر الحاسوب. وتمتاز هذه النقود بضرورة تدخل طرف ثالث يكون وسيطاً بين المتعاملين بها[٤٨]. اذ يرسل المستهلك رسالة الكترونية تتكون من رموز الى المصدر الذي يحيط علماً بكيفية تفكيك هذه الرموز وذلك للموافقة على التحويل ومن ثم بضع توقيعه على الرسالة. وتستعمل هذه النقود في الالتزامات النقدية ذات القيمة الكبيرة بعكس الحال في المحافظ الالكترونية[٤٩]. ويبدو حسبما نرى ان تدخل طرف ثالث في عملية التحويل والمبالغ الكبيرة التي تتضمنها هذه الوسيلة جعلت النقود الرقمية لا تحظى بذات الأهمية والمكانة التي تتمتع بها المحافظ الالكترونية. ومن أمثلة هذه النقود (cybercoin) و (net cash)[٥٠].

المطلب الثاني: الطبيعة القانونية للنقود الالكترونية

أثارت الطبيعة القانونية للنقود الالكترونية جدلاً فقهياً متميزاً. اذ يرى بعض الفقهاء أنها نوع جديد من النقود يضاف الى النقود الورقية والمعدنية. في حين يتجه رأي أخر الى تبني فكرة مقتضاها

ان النقود الالكترونية ليست نقوداً بالمعنى المتعارف. وتفصيل الاتجاهين يتضح من خلال العرض الآتي:

أولاً: النقود الالكترونية نوع جديد من النقود new legal form of money

يذهب جانب من الفقه الى اعتبار النقود الالكترونية نقوداً بالمعنى المعروف والشائع لها. ويكمن تبرير ذلك طبقاً لهذا الاتجاه في ان المنتجات الجديدة تؤدي ذات الوظائف التي تضطلع بها النقود الورقية والمعدنية[٥١]. وتتمثل هذه الوظائف في كونها وحدة حساب (Unit of account) تقاس بها السلع والخدمات، ووسيط مبادلة (Medium of exchange) ومخزن القيمة (store of value)[٥٢] وتؤدي النقود الالكترونية هذه الوظائف الثلاثة اذ أنها تعد وسيلة لتثمين السلع والخدمات (وحدة حساب) وتستخدم في التبادلات التجارية والمعاملية (وسيط مبادلة) وأنها ذات قيمة حقيقية يقبل بها التجار دون اشتراط تحويلها الى نقود حقيقية (مخزن للقيمة)، ومن ثم تبرأ ذمة المدين عن طريق الوفاء بها كما هو الحال في النقود الحقيقية، كما انها تنتقل من يد الى أخرى بسهولة، غاية ما في الامر أنها لا تنتقل بصورة مادية وإنما بصورة الكترونية، ومن ثم يرى هذا الفقه بأننا سنصل إلى الوقت الذي يتحول فيه النقد الالكتروني الى نقد رسمي مفروض قانوني (legal tender)، بحيث يتعذر تمييزه عن النقود الورقية والمعدنية من ناحية الإلزام والتعامل[٥٣]. وقد استدل البعض على ان النقود الالكترونية نوع جديد من النقود بالاتي:

١. ان التاجر الذي يقبل التعامل بالنقود الالكترونية يطلب من مصدر هذه النقود بعد ان يتلقاها من المستهلك ان يحولها الى نقود ورقية، وهذا يدل على أنها تختلف عن النقود الورقية.
٢. لا يعد التاجر الذي تلقى الوحدات الالكترونية بمجرد انتقالها إليه دائنا للمصدر بقيمة السلع والخدمات التي باعها للمستهلك، لأنه يكون قد قبض ثمنها عن طريق هذه الوحدات، فكل ما هنالك ان للتاجر حق مطالبة المصدر بتحويلها الى نقود ورقية او حسابات مصرفية[٥٤].

ثانياً: النقود الالكترونية وسيلة دفع جديدة new instrument payment

يرى جانب أخر من الفقهاء ان النقود الالكترونية وعلى العكس من الرأي الأول لا تتمتع بوظائف النقود المفروضة ومن ثم لا يمكن تكييفها على أنها نقوداً بالمعنى المتعارف لها[٥٥]. ونحن نرى – انتصارا لهذا الرأي – ان الوحدات الالكترونية لا تعد نوعاً جديداً للنقود وسندنا في ذلك ما يأتي:

١. ليس للنقود الالكترونية نظاماً قانونياً، فهي لا تمثل وحدة حسابية موحدة من حيث كيفية الإصدار او التسمية ولا تحمل فئات موحدة كالنقود الورقية ولا شكلاً ثابتاً.
٢. تفرض النقود بقانون ولا تلغى الا بقانون[٥٦]. بينما ليس هناك قانون يفرض التعامل بالنقود الالكترونية حتى بالنسبة للدول التي ظهرت فيها بصورة واسعة.
٣. لا تتمتع النقود الالكترونية بقوة الإبراء القانوني، فبإمكان الدائن رفض السداد بها والمطالبة بالسداد عن طريق النقود الحقيقية[٥٧].

ان النقود الالكترونية كما نرى ما هي الا منقولات معنوية، اذ لا يمكن ان تصنف كمنقولات مادية لافتقارها للشكل المادي، فهي في صورة أرقام على وسيلة الكترونية يتمثل فيها حق المستهلك قبل المصدر (claim on the issuer)، يستطيع الأول بمقتضى هذا الحق مطالبة الثاني بتحويلها الى

نقود ورقية او حسابات مصرفية[٥٨]. وبإمكان المستهلك نقل هذا الحق (حق المطالبة) الى شخص أخر يقبل طوعاً تلقي هذا الحق كمقابل للسلع والخدمات التي يؤديها. فقيمة النقود الالكترونية تكمن في حق مطالبة المصدر بالتحويل. بحيث لو لم يكن لهذا الحق وجود لما قبل التجار التعامل بهذه الوسيلة. وبهذا نصل الى القول بان النقود الالكترونية ليست نوعاً جديداً للنقود المعروفة، وإنما هي وسيلة دفع ابتدعتها التطورات التكنولوجية الجديدة[٥٩].

المبحث الثالث: إصدار النقود الالكترونية

تتطلب عملية إصدار النقود الالكترونية الإحاطة بأطرافها أولا ومن ثم بيان كيفية الإصدار من الناحية العملية ثانياً وعلى النحو الأتي:

المطلب الأول: أطراف العملية

في ظل غياب المعالجة التشريعية للنقود الالكترونية فلا مناص من اللجوء الى ما افرزه التطبيق العملي وما أخذت به التشريعات المقارنة التي نصت على النقود الالكترونية. ومن هنا فان العملية تكون متعددة الأطراف، اذ يشترك فيها – كما يذهب البعض[٦٠]- عدة أشخاص، هم كل من مصدّر القيمة النقدية الالكترونية ومشغل الشبكة الالكترونية وبائع الأجهزة والبرامج المتخصصة ومستهلك هذه النقود والتاجر الذي يقبل السداد بها. ومن الناحية الواقعية فان الأطراف الأكثر أهمية هم المصدر والمستهلك الذين يبرمون عقد الإصدار بالإضافة الى التاجر الذي يقبل التعامل بهذا المنتوج. أما مجهز الشبكة او البرامج فليس لهم دور الا تقديم الخدمات المتصلة بتشغيل النظام او بيع الأجهزة، فليس لهم دور في إصدار النقود الالكترونية من الناحية القانونية. أما الأطراف فيمكن بيانهم بالاتي:

١. مصدّر النقود الالكترونية Issuer of electronic money

لم يتفق الرأي حول تعريف مصدر القيمة الالكترونية لا على المستوى الوطني ولا على المستوى الدولي. فعلى المستوى الوطني للبلدان التي تضمنت تشريعاتها أحكام النقود الالكترونية نجد على سبيل المثال ان بنك انكلترا يعتبر إصدار النقود الالكترونية يتضمن معنى الوديعة المصرفية، وانطلاقاً من ذلك يقتصر نشاط قبول الودائع على المصارف ومؤسسات الائتمان بعد حصولها على إذن من بنك انكلترا[٦١]. إما في فرنسا فنجد ان قانون البنوك الصادر عام ١٩٨٤ قد عرف في المادة الأولى منه مؤسسات الائتمان بأنها أشخاص معنوية تقوم بشكل معتاد بأعمال البنوك بعد حصولها على إذن مسبق وتتمثل هذه الأعمال بتلقي الودائع وعمليات الائتمان وإدارة وسائل الدفع، ووسائل الدفع بحسب هذا القانون هي كل الوسائل التي تسمح للأشخاص بنقل الأموال أيا كانت الدعامة التي تقوم عليها هذه الوسيلة وأيا كانت الطريقة الفنية التي تعمل بها. وهذا يعني ضمناً ان القانون الفرنسي يقصر إصدار النقود الالكترونية على مؤسسات الإئتمان[٦٢]. وفي القانون الأمريكي نرى الحال مختلف تماماً. اذ يتبنى المشرع الأمريكي مفهوماً واسعاً للمؤسسة التي يمكن ان تصدر النقود الالكترونية بحيث يشمل المصارف والمؤسسات المالية من غير المصارف. وفي هذا الصدر ينص قانون (E) المسمى (Electronic fund transfers) في القسم (205/2/i) بان المؤسسة المالية تعني المصرف، جمعيات المدخرات اتحاد الائتمان او أي شخص اخر يمسك الحساب العائد للمستهلك

بصورة مباشرة او غير مباشرة او الذي يصدر أداة الوصول ويوافق على تزويد المستهلك بخدمات نقل الاموال الكترونياً[٦٣]. ويظهر من هذا التعريف ان عملية تقديم الخدمات الالكترونية ومنها النقود الالكترونية لا تقتصر على المصرف بل يمكن ان تمتد لتشمل مؤسسات الإدخار او اتحاد الائتمان وأي شخص يمسك حساباً للمستهلك.

هذا وقد حظيت فكرة تحديد صفة المصدر باهتمام التجمعات الدولية ومنها المجلس النقدي الأوروبي في تقريره بخصوص البطاقات المدفوعة مسبقاً (prepaid cards) الصادر من قبل مجموعة العمل على أنظمة الدفع الأوروبية في مايس ١٩٩٤[٦٤]. إذ ينص هذا التقرير على ان تكون مؤسسات الائتمان هي الوحيدة التي يسمح لها بإصدار النقود الالكترونية ولا يسمح لغيرها بالإصدار الا استثناءً عند توفر بعض الشروط الخاصة[٦٥]، ومؤسسات الائتمان هي المؤسسات التي تتلقى الودائع من الجمهور وتلتزم بردها فيما بعد ويخضع تعريف هذه المؤسسة وفقا لهذا التقرير الى الأفكار والمفاهيم السائدة في كل دولة من دول الاتحاد الأوروبي[٦٦]. وسرعان ما جوبهت هذه الفكرة بمعارضة من بلدان الاتحاد، وعلى اثر ذلك أصدرت المفوضية الأوروبية في أيلول ١٩٩٨ توصية الى المجلس والبرلمان الأوربيين تقضي بالسماح للمؤسسات غير الائتمانية (non credit institutions) بإصدار النقود الالكترونية[٦٧]. وقد جاء هذا التغير في موقف الاتحاد الأوروبي نتيجة القيود الثقيلة على المصارف والتي لا يمكن تطبيقها على المؤسسات غير الائتمانية، هذا بالاضافة الى ان حصر إصدار النقود الالكترونية بالمصارف من شأنه ان يعيق مبادرات وتطوير القطاع الخاص من غير المصارف بالنسبة للوسائل الحديثة، وبالنتيجة أعاقة تطوير وسائل الدفع الجديدة ذاتها. وعموماً فأن موقف الاتحاد الأوروبي لم يقف عند هذا الحد بل اتخذ عدة خطوات منها:

١. وجوب ان تخضع المؤسسات المصدرة لرقابة وأشراف البنوك المركزية.
٢. تبنى المجلس الأوروبي توجيهين خاصين بإصدار النقود الالكترونية في ٢٠٠٠/٩/١٨ يتعلق الأول بمتابعة المؤسسات التي تصدر النقود الالكترونية ويتعلق الثاني بالرقابة على مؤسسات الائتمان.
٣. ورد في التوجيهين الأخيرين مصطلح جديد هو مؤسسات النقود الالكترونية (electronic money institution) وقد عرفها التوجيه الأول بأنها شخص معنوي عدا مؤسسات الائتمان تصدر وسيلة دفع تستخدم فيها النقود الالكترونية[٦٨].

أما في العراق فلا يوجد كما مر قانون يعالج النقود الالكترونية، بيد انه ومع ذلك يمكن ان نستشف ضمناً من نصوص بعض القوانين ان عملية إصدار النقود والوسائل الالكترونية يجب ان تكون من قبل المصارف حصراً. فقانون البنك المركزي العراقي لسنة ٢٠٠٤ ينص في المادة (٣٩) في الفقرة (٥) منه على انه ((يجوز للبنك المركزي العراقي القيام بترتيبات لتسهيل...أ...ب. أيجاد طرق وتكنولوجيات جديدة للدفع بالعملة المحلية او بالنقد الأجنبي)). ومما لاشك فيه ان النقود الالكترونية تعد إحدى الطرق الجديدة للدفع، فالبنك المركزي هو المسؤول عن وضع إجراءات إصدار مثل هذه الوسائل. كما يقرر قانون المصارف لسنة ٢٠٠٤ تحت عنوان الأنشطة المصرفية وفي المادة (٢٧)الفقرة ١/ هـ بأنه يجوز للمصرف ان يمارس الأنشطة التالية رهنا بأحكام وشروط ترخيصها او إجازتها

الخاص بممارسة الأعمال المصرفية..تقديم خدمات.. وأوامر الدفع وأدوات الدفع بما في ذلك الشيكات وبطاقات الائتمان.. والمدفوعات الأخرى)) كما تنص الفقرة (ك) في نفس المادة على انه ((أي أنشطة عرضية مستقبلية))[٦٩]، ولا شك ان النقود الالكترونية تعد من وسائل الدفع الحديثة التي يجب ان يمارسها القطاع المصرفي ونحن مع قصر إصدار النقود الالكترونية على المصارف وسندنا في ذلك الحجج الآتية بالإضافة إلى ما تقدم:

١. لو قدر للنقود الالكترونية ان ترى النور في العراق، فلا يوجد في بلادنا مؤسسات تقدم الخدمات المالية الموثوقة غير المصارف.
٢. ان الاقتصار على المصارف لا يعمل على إعاقة تطوير أنظمة النقود الالكترونية بقدر ما يمكن ان يدفع المستهلك الى قبول هذه الوسائل، وذلك لان ما يهم هذا الأخير هو مدى ثقته بالمصدر وملاءة من يتعامل معه، فالمستهلك لا يستطيع تقييم أداء وكفاءة المؤسسات غير المصرفية (non bank). بسبب قلة المعلومات المتوفرة عنها، لذلك من المنطقي ان الجمهور سيتوجه الى المؤسسات التي يحيط علماً بنشاطها ويثق بها أكثر وهي المصارف.
٤. من الناحية العملية نرى ان البلدان التي ظهرت فيها النقود الالكترونية تؤدي فيها المصارف دور الريادة في إصدارها.

٢. المستهلك Consumer

الشخص الثاني في عملية إصدار النقود الالكترونية هو مستهلك هذه النقود، وقد يطلق عليه أحياناً مصطلح مسدد او دافع (payer) القيمة الالكترونية[٧٠]، او الزبون الذي اعتاد التعامل مع المصرف مصدر القيمة الالكترونية. والواقع ان الخلاف لم يثار حول صفة المستهلك كما حدث بالنسبة للمصدر. ولعل السبب يكمن - كما نرى – في ان دور المستهلك لا يرقى الى خطورة دور المصدر الذي يتولى إصدار هذه الوسيلة وعرضها على الجمهور، ومن ثم يجب ان يكون مسؤولاً عن صلابة وامن الأنظمة التي تعمل بموجبها النقود الالكترونية، وذلك لمساسها المباشر بمصالح الجمهور. وعموماً يمكن ان يكون المستهلك للنقود الالكترونية شخصاً طبيعياً وهذا هو الغالب، كما يمكن ان يكون شخصاً معنوياً، فليس هناك اعتبار لشخصية المستهلك. وفي هذا الصدد يعرف قانون (E) الأمريكي في القسم (205/2/e) المستهلك بأنه يعني الشخص الطبيعي (natural person) فقط[٧١].

ولا نرى ثمة ما يحول دون ان يكون المستهلك شخصاً معنوياً يتعامل بالنقود الالكترونية. اذ ان الخدمات التي تقدمها المصارف عموماً لا تقتصر على الأشخاص الطبيعيين فقط بل تشمل المعنويين أيضا من جانب، وليست شخصية المستهلك محلاً للاعتبار في عملية إصدار النقود الالكترونية من جانب أخر.

٣. المدفوع له payee

الشخص الثالث في النقود الالكترونية هو المدفوع له، وقد يطلق عليه أحياناً مصطلح التاجر[٧٢]. وهو الشخص الذي يقدم السلع او الخدمات لمستهلك النقود الالكترونية مقابل أثمان يتقاضها من

الأخير عن طريق تحويل عدد من الوحدات الالكترونية الى حسابه الخاص. وينبغي الالتفات بخصوص الحديث عن المدفوع له الى ما يأتي:

١. ان المدفوع له (التاجر) لا يدخل طرفاً في عملية الوفاء الالكتروني من قبل المستهلك الا في حالة قبوله بهذه الصورة من الوفاء. فهو بالخيار ان شاء قبل التعامل بها وان شاء رفض[٧٣].
٢. ليس للتاجر اية علاقة بإصدار النقود الالكترونية، بل ليس له أدنى علم بهذا الإصدار. فالإصدار عملية قانونية تنحصر بين المصدر والمستهلك.

المطلب الثاني: آلية إصدار النقود الالكترونية

تصدر النقود الالكترونية عن طريق طلب يقدمه المستهلك الى المصرف (المصدر) يروم فيه الحصول على هذه النقود وتسديد ما يقابلها من النقود السائدة. فالعلاقة التي تربط الجانبين هي عقدية دون شك[٧٤]. ومن ثم يستلزم إنشاؤها توفر الأركان الموضوعية للعقد من رضا ومحل وسبب. والذي يجري عليه العمل ان المستهلك يُعد موجباً يعرض إيجابه على المصدر من خلال الطلب الذي يقدم أليه لغرض قبوله. وعلى اية حال، فان الآلية العملية لإصدار المنتجات الحديثة تتمثل بالخطوات الآتية:

١. يقدم المستهلك طلباً إلى المصدر لغرض إصدار نقود الكترونية، والطلب يمكن ان يكون شفهياً او مكتوباً[٧٥]. وان كانت المصارف عموماً لا تتعامل الا بالكتابة، وتقرر بعض التشريعات المقارنة جواز ان يكون الطلب شفهياً. فالقانون الاتحادي الأمريكي المعروف بقانون (E) الخاص بنقل الأموال الكترونياً ينص في القسم (205.5.1) على ان ((طلب الإصدار: باستثناء ما تقرر في الفقرة (b) من هذا القسم المؤسسة المالية يمكن ان تصدر أدوات الوصول الى المستهلك في الحالات الآتية فقط:

١- رداً على طلب شفهي او مكتوب لأجل إصدار الأداة....)) كما يقرر القانون المذكور أمكان إصدار الوسائل الالكترونية في حالة تلف او عطل الأجهزة التي تحمل عليها الوحدات الالكترونية. اذ ينص البند ((٢)) من ذات القسم على انه كتجديد او استبدال أداة الوصول سواء كانت صادرة من قبل المؤسسة او من غيرها[٧٦]. وقد يكون تقديم الطلب عبر الاتصال الالكتروني. والمقصود بذلك الرسالة المرسلة الكترونياً بين المستهلك والمؤسسة المالية بالصورة التي تسمح لان يكون نص الرسالة مرئي ومعروض على جهاز او آلة مثل الحاسوب الشخصي[٧٧]. فالمستهلك الذي يرغب بالحصول على النقود الالكترونية يرسل طلباً عبر رسالة الكترونية الى المصدر. ويجب ان يكون الطلب كما يرى البعض مشفراً بمفتاح سري (PIN) خاص بالمستهلك لمنع الاطلاع على محتوياتها من قبل قراصنة الحاسوب والاختراق الذي يحصل في شبكة الانترنت[٧٨]. ويفترض في هذه الحالة ان هناك تعامل سابق بين المصرف والمستهلك بحيث يعد هذا الأخير زبوناً للأول، ومن ثم يتمكن المصرف من فتح الرسالة والاطلاع على الطلب.

٢- الخطوة التالية لطلب المستهلك تتمثل بموقف المصدر من هذا الطلب. وهذا يدل على ان الطلب قد يقبل وقد يتم رفضه بحسب قناعة المصدر بجدوى وفائدة الإصدار. بيد ان المصدر يقبل الطلب في اغلب الأحوال خصوصاً اذا كان هناك غطاء يكفي لإصدار النقود (حساب للمستهلك

لدى المصدر)[٧٩] او قام مقدم الطلب بالتسديد الفوري للقيمة المراد تحميلها على البطاقة الالكترونية او شبكة الدولية مضافاً إليها العمولة الخاصة بالمصرف. وبعد قرار الموافقة يصدر المصرف النقود الالكترونية مع اطلاع المستهلك بمقدار الوحدات الالكترونية وكيفية استخدامها. وإذا كانت النقود المصدرة رقمية قائمة على الاتصال بالإنترنيت فعند ذاك يزود المصرف المستهلك برسالة تحتوي على القيمة المحملة ورقم تسلسل النقود ومصرف الإصدار وتاريخ انتهاء اجل النقود (ان كانت تحتوي على تاريخ) وكيفية الاتصال بمصرف الإصدار (العنوان الالكتروني)[٨٠]، او يقوم المصرف بتحميل الوحدات الالكترونية على رقاقة المحفظة الالكترونية مع تعليمات خاصة بكيفية الاستخدام والمحافظة عليها، ومن ثم تصبح النقود جاهزة للاستخدام.

٣- بعد قبول المصرف إصدار الوحدات الالكترونية، لا يجوز للمستهلك إلغاء الطلب. فالإصدار يصبح باتاً من حين صدور قبول المصدر ولا يمكن نقضه[٨١]. وتحليل ذلك يكمن في ان تقديم الطلب يعد إيجاباً من قبل المستهلك يجوز الرجوع عنه ما دام لم يقترن بقبول، فإذا حصل الاقتران انعقد العقد ومن ثم لا يجوز نقضه بإرادة منفردة كما هو واضح[٨٢].

٤- يستطيع المستهلك استخدام النقود الالكترونية بعد ذلك في سداد أثمان السلع او الخدمات التي يرغب بالحصول عليها عن طريق الوحدات المخزونة على البطاقة او المتوفرة في برامج الحاسوب الشخصي. ولا يمكن للمستهلك السداد الا اذا قبل التاجر الذي يتعامل معه السداد عن طريق النقود الالكترونية[٨٣]، ويتم السداد عن طريق تحويل وحدات الكترونية من بطاقة او حاسوب المستهلك الى بطاقة او حاسوب التاجر عن طريق إدخال اسم وعنوان هذا الأخير ومن ثم تحديد كمية الوحدات بالقدر الذي يتناسب مع المبلغ المراد تحويله ويتم النقل بطريقة الكترونية خاصة.

٥- ينقص من رصيد المستهلك عدد من الوحدات الالكترونية تتناسب والمقدار المحول منها مقابل زيادة في عددها بجانب رصيد التاجر.

المبحث الرابع: الطبيعة القانونية لإصدار النقود الالكترونية

اختلف الفقه بصدد إعطاء الوصف القانوني للعلاقة الناشئة بين مصدر الوحدات الالكترونية والمستهلك. فذهب اتجاه الى تكييفها بعقد الوديعة المصرفية، بينما يذهب فريق أخر الى وصف العلاقة بأنها عقد بيع، ويتجه رأي ثالث الى ان العلاقة تمثل سند دين، وهذا ما نفصله بالاتي:

المطلب الأول: عقد وديعة مصرفية

يرى البعض ان علاقة المصدر بالمستهلك تجد أساسها في الوديعة المصرفية[٨٤]. إذ أن المصدر يتلقى مقداراً معيناً من النقود الحقيقية من المستهلك ومن ثم يحولها الى وحدات او أرقام الكترونية. وبذلك يكون المصدر مودعاً لديه يلتزم بالمحافظة على النقود وردها الى المودع عند الطلب[٨٥]. فإذا استخدم المستهلك جزءا منها فله ان يحول الباقي الى نقود حقيقية، بمعنى انه استرد الوديعة. أما الوحدات الالكترونية المحولة الى التاجر، فبإمكان هذا الأخير استرداد ما يقابل الوحدات الالكترونية المحولة إليه بوصفه صاحب الحق في استردادها بعد ان حولت أليه من المستهلك. والذي يظهر ان الفقه اتجه الى هذا الرأي لسببين، أولاهما وجود حق استرداد المبلغ النقدي وهذا من خصائص الوديعة النقدية،

وثانيهما ضرورة احتفاظ المصدر باحتياطي نقدي مساوي لقيمة الوحدات الالكترونية التي أصدرها تحسباً لتحويلها إلى نقود حقيقية بناءً على طلب المستهلك او التاجر[٨٦]، والاحتياطي لا ضرورة له الا في حالة الودائع[٨٧].

بيد أننا نرى ان هذا التكييف لا يستقيم قانوناً وذلك لما يأتي:

١. في الوديعة المصرفية على المصرف فتح حساب للمودع يقيد فيه العمليات التي تتم بينهما[٨٨]، بينما لا يوجد مثل هذا الحساب في علاقة مصدر الوحدات الالكترونية بالمستهلك.
٢. ينتهي دور المصرف بمجرد تسليم الوديعة الى المودع في عقد الوديعة، بينما تبقى الجهة ألمصدره مسؤولة عن تبادل وانتقال الوحدات الالكترونية من المستهلك الى التاجر من حيث احتفاظ الوحدات بالقيمة النقدية وسلامة الأنظمة التقنية المستخدمة فيها[٨٩].
٣. والنقطة المفصلية هنا ان اطراف النقود الالكترونية (المصدر والمستهلك) لم تتجه نيتهم حقيقة الى ابرام عقد الوديعة، والعقود مقومة بالقصود كما هو واضح[٩٠].
٤.

المطلب الثاني: عقد بيع

يرى البعض ان العلاقة التي تربط المصدر بالمستهلك هي علاقة عقدية تجد اساسها في عقد البيع. اذ أن نية الأطراف لم تتجه نحو عقد الوديعة، ويمكن تفسير هذه العلاقة على أنها عقد بيع لوحدات الالكترونية، يكون فيها المصدر بائعاً والمستهلك مشترياً[٩١]. فالمشتري (المستهلك) يسلم الثمن الى المصدر مقابل قيام الأخير بتسليم ما يقابلها من وحدات الالكترونية، ولقد تبنى هذا الرأي الاتحاد الأوربي من خلال التوجيه رقم ٢٠٠٠/٤٦ الصادر من المجلس الأوربي المتعلق بالأشراف والرقابة على مؤسسات النقود الالكترونية. اذ جاء في هذا التوجيه ان إصدار النقود الالكترونية لا يشكل ايداعاً بل هو بيع لقيمة نقدية قابلة للاسترداد بالكامل تمثل طلباً او حقاً على المصدر[٩٢].

بيد ان هذا الرأي هو الأخر محل نظر وقابل للنقاش، فمضمون عقد البيع انتقال ملكية الشيء المباع من البائع الى المشتري من وقت انعقاد البيع[٩٣]، ويترتب على ذلك ضرورة تسليم البائع للمبيع الى المشتري وقيام الأخير بتسليم الثمن الى الأول[٩٤]. ومن ثم لا يكون للبائع أية سلطة او حق على المبيع بعد ان خرج من ملكه ودخل في ملك المشتري. بينما نجد ان الوحدات الالكترونية تكون قابلة للاسترداد، اذ بإمكان المستهلك ان يردها او يرد المتبقي منها بعد صرف بعضها للمصدر طالباً منه تحويلها الى نقود حقيقية، وهذا يدل على ان الملكية لم تنتقل الى المستهلك ولم تنقطع علاقة المصدر بالوحدات الالكترونية. هذا فضلاً عن ان التاجر الذي تلقى الوحدات من المستهلك بإمكانه مطالبة المصدر بتحويلها الى نقود، رغم انه (التاجر) أجنبي عن البيع على فرض صحة القول به[٩٥].

المطلب الثالث: علاقة دائنية

يرى جانب من الفقه ان عملية إصدار النقود الالكترونية لا تمثل في الواقع الا علاقة دائنية بين المصدر والمستهلك، يكون فيها الأول مديناً والثاني دائناً[٩٦]. وتنشأ هذه العلاقة عند الإصدار من الوقت الذي يسلم فيه المستهلك مبلغاً من النقود الحقيقية الى المصدر ويسلمه الأخير محفظة النقود او يحول أليه الوحدات الالكترونية عن طريق الرسائل الالكترونية. واستناداً الى علاقة الدائنية هذه

يستطيع الدائن (المستهلك) مطالبة المدين (المصدر) باسترداد الدين[٩٧]. أو ان المستهلك يحصل على مقابل عن طريق السلع والخدمات التي يشترها بالوحدات الالكترونية. ولا يقدح في هذه العلاقة ان المستهلك يحول جزء او كل هذه الوحدات الى التاجر. اذ يتحول الحق الى هذا الأخير قبل المصدر. وتفسير ذلك يكمن في ان المصدر يكون قد تعهد ابتداءً عند إصدار النقود الالكترونية بالوفاء للمستهلك بقيمة الدين او أي حامل قانوني لهذه الوحدات يحل محله. فامتناع المصدر عن الوفاء للحامل القانوني يثقل كاهله بالمسؤولية العقدية تجاه المستهلك[٩٨]. واذا كانت العلاقة بين الطرفين تعد علاقة دائنية فأن المحفظة الالكترونية او الرسائل الالكترونية المرسلة الى المستهلك عبر برامج الحاسوب تمثل السند الذي يندمج فيه حق الدائنية. وكما هو الحال في الأوراق التجارية التي يندمج فيها الدين مع الورقة التجارية. غاية ما في الامر ان السند في الورقة التجارية ينشأ على دعامة ورقية في حين ينشأ السند هنا على دعامة الكترونية (electronic device)[٩٩]. ويشبّه بعض الفقه النقود الالكترونية بصكوك المسافرين (travel checks) من حيث ان إصدار الصك السياحي كما هو حال إصدار النقود الالكترونية لا يرتبط بوجود حساب مصرفي للمستهلك في المصرف المصدر لهما من جانب. ومن جانب أخر ان عملية الإصدار فيها موحدة، اذ يجمعهما فكرة الدفع المسبق للدين. فالمستهلك او حامل الصك يدفع مقدماً مبلغاً معيناً ويحصل مقابله على صك او وحدات الالكترونية تعادل المبلغ الذي أداه. وكل منهما يكون قابلاً للتداول والانتقال بالطرق التجارية السريعة[١٠٠]. وقد اعتبر القضاء قديماً ان الصكوك السياحية تعد سنداً للدين. وفي هذا الخصوص قضت محكمة الاستئناف الفرنسية في حكمها الصادر في ١٦/ يناير ١٩٦٣ بأن الصكوك السياحية تمثل تعهد مصرف الإصدار بدفع قيمة الصك الى المتعاقد، فهي شكل او وسيلة دين قصيرة الأمد[١٠١].

بيد ان هذا التكييف قد تعرض للنقد من جانب بعض الفقه وذلك من خلال ما يأتي:

١- ان سندات الدين والصكوك على وجه التحديد عبارة عن سندات قابلة للتداول. فنقل الحق الثابت فيها من دائن الى أخر مصحوب بانتقال السند معه طبقاً لاندماج الحق بالسند المكتوب. وهذا ما لا يمكن تطبيقه على النقود الالكترونية. فالمحفظة او البطاقة الالكترونية لا يمكن ان تتداول او تنتقل عند تحويل الوحدات الالكترونية من المستهلك الى التاجر اذ تبقى المحفظة ملكاً للمصدر[١٠٢].

٢- عند نقل الحق الثابت في السند الى دائن أخر فان الحق ينتقل بصفاته ودفوعه، اذ بإمكان المدين الدفع في مواجهة الدائن الجديد المحال إليه الحق بذات الدفوع التي يملكها تجاه الدائن الأصلي كالدفع بالبطلان او عدم التنفيذ وما الى ذلك[١٠٣]. وهذا ما لا يمكن تطبيقه على النقود الالكترونية، اذ لا يمكن للمصدر رد طلب المدفوع له بدفع كان بينه وبين المستهلك كالبطلان مثلاً. فالمصدر ملزم بتحويل الوحدات الالكترونية الى نقود حقيقية في مواجهة أي حامل لهذه الوحدات[١٠٤].

الا أننا نرى ورغم وجاهة هذه الملاحظات ان علاقة المصدر بالمستهلك لا تخرج من حيث التكييف عن علاقة الدائنية. بيد ان لهذه العلاقة بعض الخصوصية التي تكمن في مظهر او شكل السند المثبت لهذا الدين والذي يكون في صورة غير مادية او ملموسة (Dematerialized form of debit instrument)، فهي ليست سندات في صورتها الورقية المألوفة، بل أنها سندات غير ملموسة جسدت بوسيلة الكترونية تتناسب وطبيعة المعاملات الجديدة التي تتم في كثير من الأحيان

عن بعد. وهذه الخاصية تستلزم ان تكون بعض القواعد التي تحكم هذه الوسيلة ذات طبيعة تختلف عن القواعد التي تحكم السندات الورقية كانتقال السند مع انتقال الحق. فالنقود الالكترونية يجب ان تكون قابلة للتداول (negotiability)، ولكن ليس التداول بصورته المادية الملموسة، وإنما تداول الكتروني يتمثل بإمكانية تحويل الوحدات الالكترونية من شخص لأخر دونما حاجة لتسليم محفظة النقود الالكترونية او أجهزة الحاسوب الشخصي انسجاماً مع الطبيعة الخاصة للنقود الالكترونية. ومن هنا لا يمكن أيراد الاعتراض الأول. أما التكييف القانوني لانتقال الوحدات الالكترونية فلا يمكن وصفه بأنه حوالة حق مدنية. ففضلاً عن عدم إمكانية تطبيق هذه الوسيلة على عملية نقل الوحدات الالكترونية من شخص لآخر وذلك لبطئ إجراءات الحوالة المدنية، وان نفاذها يحتاج الى قبول المحال عليه او انها اعلنت له[١٠٥]. وهذه الإجراءات لا تتسق مع العمليات المصرفية الالكترونية التي تتسم بالسرعة والسهولة. من جانب ثاني ان الحق في الحوالة ينتقل الى المحال له بصفته ودفوعه وضماناته وهذا ما لا يمكن تطبيقه على نقل الوحدات الالكترونية. من هنا يظهر ان انتقال هذه الوحدات لا يستند على حوالة الحق كيما يمكن إيراد الاعتراضات السابقة. بل أننا نرى وفاقاً مع بعض الفقه ان انتقال الوحدات الالكترونية من المستهلك الى التاجر يجد أساسه في فكرة تجديد الالتزام[١٠٦]. فعن طريق هذه الفكرة لا يمكن إيراد الملاحظات السابقة. ويكون تجديد الالتزام بتغيير الدائن وبالاتفاق مع المصدر (المدين) الذي يتعهد مسبقاً عند إصدار النقود الالكترونية بالتزامه بسداد قيمة الوحدات للمستهلك او لأي حامل قانوني لها، بمعنى انه على علم مسبق بإمكان تغيير الدائن وهذا يدل على موافقته على هذا التغيير والتزامه قبل كل دائن، فالنقود الالكترونية كما يصفها البعض بأنها سندات الكترونية غير اسمية تصدر للحامل[١٠٧]. وفي هذا الخصوص تنص المادة ٤٠٢ من القانون المدني العراقي بأنه ((يجوز تجديد الالتزام أيضاً بتغيير الدائن إذا اتفق الدائن والمدين وأجنبي على ان يكون هذا الأجنبي هو الدائن الجديد..)).

إذن فعملية تحويل الوحدات الالكترونية الى التاجر تعد بمثابة تجديد لالتزام المصدر قبل المستهلك بتغيير الدائن. والذي يتحصل من ذلك ان الدفوع التي كان بإمكان المصدر التمسك بها قبل المستهلك لا تسري في مواجهة التاجر، وذلك لان التزام المصدر قبل المستهلك يكون قد انقضى بمقدار الوحدات المنتقلة الى التاجر فإذا انقضى الأصل سقط الفرع بالضرورة فلا يبقى محل للتمسك بدفوع التزام منقضي أصلاً. وهذا ما تقرره صراحة القواعد العامة في انقضاء الالتزام. فالمادة (٤٠٣) من القانون المدني تنص على انه ((إذا جدد الالتزام سقط الالتزام الأصلي وحل محله التزام جديد)) وتنص المادة (٤٠٤) انه ((إذا كان الدين الأصلي مكفولاً بتأمينات شخصية او عينية وصار تجديده سقطت التأمينات إلا إذا جددت هي أيضا)).

المبحث الخامس: التزامات أطراف النقود الالكترونية

يترشح عن عملية اصدار النقود الالكترونية جملة من الالتزامات على عاتق كل من المصدر والمستهلك نفصلها تباعاً فيما يأتي:

المطلب الأول: التزامات المصدر

يلتزم مصدر النقود الالكترونية بعدة التزامات يمكن بيانها بالاتي:

أولاً: تسليم النقود الالكترونية

يلتزم المصدر بادئ ذي بدء بتسليم الوحدات الالكترونية الى المستهلك. بحيث تكون هذه الوحدات بحيازته او تحت تصرفه وبما يمكنه من استخدامها في تسديد أثمان السلع والخدمات[١٠٨]. وتختلف طريقة التسليم تبعاً لاختلاف نوع النقود الالكترونية، فقد يكون التسليم مادياً كما في المحفظة الالكترونية. اذ يسلم المصدر المحفظة الى المستهلك تسليماً مادياً بأن يتخلى عن حيازتها لصالح الأخير وبما يمكنه من استخدامها في شؤونه الخاصة. ويحكم الاتفاق بين الطرفين زمان ومكان التسليم طبقاً للقواعد العامة. وقد يكون التسليم معنوياً الكترونياً كما هو الحال في النقود الرقمية اذ يرسل المصدر رسائل الكترونية الى الحاسوب الشخصي للمستهلك متضمنة الوحدات الالكترونية المتفق على إصدارها للمستهلك[١٠٩]. ولا يخضع هذا التسليم – حسبما نرى – لأحكام مكان التسليم مادام ان إرسال الوحدات يتم الكترونياً الى المستهلك وفي أي مكان يكون، وارتباطاً بهذا الالتزام يجب على الجهة المصدرة تسليم النقود الالكترونية وهي بحالة صالحة للاستخدام الذي أعدت من اجله من حيث صلاحية الوحدات الالكترونية بأن لا تكون مستهلكه سابقاً وإمكان تحويلها الى الغير، وهذه المسائل تستلزم قيام المصدر بتسليم المستهلك كل الأدوات الفنية اللازمة لعمل الوحدات الالكترونية تجنبا لإدخال البيانات بصورة خاطئة او إصدار أوامر الكترونية غير دقيقة ترتب استهلاك كل الوحدات او تلف لوحة المفاتيح المثبتة على المحفظة وما الى ذلك[١١٠].

والمسألة المهمة في هذا السياق، ضرورة قيام المصدر بتسليم رقم سري او كلمة المرور (password) مع الوحدات الالكترونية اذ يتصف التسديد عن طريق النقود الالكترونية بالصفة السرية. فيجب على المصدر ان يزود المحفظة الالكترونية او الرسائل الالكترونية ببرامج تحفظ الرقم السري. وعلى المصدر ان يتأكد من تسليم الرقم السري الى المالك القانوني تجنباً لوقوعه في يد شخص أخر. ويجب أيضاً على المصدر ان يمكن المستهلك من تغيير الرقم السري بين فترة وأخرى[١١١].

ثانياً: الالتزام بتبصير المستهلك بكيفية الاستخدام ومحاذيره

يلتزم المصدر بان يحيط المستهلك علماً بكل المعلومات والبيانات المرتبطة باستعمال النقود الالكترونية بصورة واضحة ومفهومة. اذ يجب ان ترتبط هذه البيانات بمعلومات عن الجهة المصدرة كالتعريف بها وعنوانها وعناوين فروعها وكيفية الاتصال به وتبادل المعلومات[١١٢]. من جانب ثاني يتضمن هذا الالتزام معلومات عن الوحدات الالكترونية وإماكن الشحن وكلف الشحن والحد الأعلى له. وأسماء التجار الذين يتعامل معهم المصدر. وفي هذا الصدد ينص قانون (E) الاميركي الاتحادي على التزام المصدر بتقديم كشوفات وبيانات للمستهلك. اذ ينص القسم(205. 7/A)على ان المؤسسة المالية يجب ان تقدم الكشف بموجب هذا القسم في وقت تعاقد المستهلك معها او قبل أول نقل الكتروني للأموال في حساب المستهلك. كما ينص البند (B) من ذات القسم على مضمون الكشف من حيث انه يتضمن مسؤولية المستهلك عن النقل غير المخول ورقم هاتف وعنوان المكتب لغرض الإشعار عندما يعتقد المستهلك ان هناك نقل غير مخول حصل او ممكن ان يحصل وأنواع نقل

الوحدات الالكترونية وحدودها من حيث كمية المبالغ وأجور المصدر وما الى ذلك[١١٣]. وتطبيقاً لهذا الالتزام ينص البند الأول من عقد إصدار المحفظة الالكترونية الفرنسية المسماة (Monéo) تحت عنوان شحن المحفظة على ان يتم الشحن في الأجهزة المرسوم عليها شعار (Monéo) في الأماكن العامة وفي فروع المصرف ولدى التجار وذلك في الحدود الاتية، الحد الأقصى للمحفظة (١٠٠) يورو، ويتم الشحن كل ثلاثة أيام متتالية في كل مرة لا يتجاوز المبلغ (٣٠) يورو، وينص البند ثانياً على ان الشحن يتطلب كتابة الرقم السري للتأكد من صحة العملية[١١٤]، وعدم اطلاع المستهلك بمثل هذه البيانات يؤدي الى قيام مسؤولية المصدر العقدية تجاه المستهلك[١١٥].

ثالثاً: الالتزام بتحويل الوحدات الالكترونية الى نقود حقيقية

يلتزم المصدر بتحويل الوحدات الالكترونية المتبقية التي لم يتم صرفها الى نقود حقيقية متى طلب منه المستهلك ذلك[١١٦]. ويسمى هذا التحويل بالاسترداد (Redemption) لكون المستهلك يسترد ما يعادل قيمة هذه الوحدات من النقود الالكترونية التي كان قد دفعها مسبقاً عند إصدار النقود. ولا يجوز للمصدر رفض تحويل الوحدات الى نقود الا في حالة سرقة او ضياع المحفظة على ان يكون المستهلك قد أخطره بذلك. والأصل ان هذا الالتزام لا يتحدد بوقت معين، لذا يجب ان يلتزم المصدر بالاسترداد متى طلب منه المستهلك ذلك اللهم الا اذا حدد المصدر مدة زمنية يجب خلالها ان يحصل التحويل ويسقط بعدها حق طلب الاسترداد كأن تكون ستة أشهر من تاريخ انتهاء صلاحية النقود الالكترونية كما ينص على ذلك عقد إصدار محفظة النقود الفرنسية (Monéo)[١١٧]. ونطاق هذا الالتزام لا يشمل المستهلك فقط بل يمتد ليشمل أي تاجر تم تحويل الوحدات الالكترونية إليه من المستهلك أيضاً. فالمصدر ملزم بتحويل الوحدات الى نقود في مواجهة المستهلك وأي شخص أخر تنقل إليه هذه الوحدات[١١٨].

المطلب الثاني: التزامات المستهلك

يلتزم المستهلك بجملة من الالتزامات نبينها بالاتي:

أولاً: تسديد قيمة الوحدات الالكترونية

يلتزم المستهلك بأداء مقابل الوحدات الالكترونية للمصدر عن طريق تسديد نقود حقيقية تعادل قيمة الوحدات المصدرة. والواقع ان هذا الالتزام لا يترشح عن عملية إصدار النقود بل هو سابق عليها، فالإصدار لا يتم الا بعد التسديد مقدماً وهذا ما يصطلح عليه بالدفع المسبق (prepayment)[١١٩]. فالمستهلك يطلب من المصدر شحن الوحدات الالكترونية على المحفظة او على برامج الحاسوب الشخصي ويدفع مقابل هذه الوحدات نقوداً حقيقية. فهو والحال هذه يكون قد دفع مسبقاً قيمة الوحدات التي سوف يستخدمها.

ثانياً: الالتزام بالمحافظة على الوحدات الالكترونية والرقم السري

يجب على المستهلك الحفاظ على الوحدات الالكترونية بعد ان تسلمها من المصدر وذلك بان يحتفظ بها في مكان آمن لا يمكن معه ان تقع في يد الغير ومن ثم استخدامها بصورة غير مشروعة.

ومن هنا يلتزم المستهلك بإتباع تعليمات المصدر بالنسبة لتأمين استخدام الرقم السري بصورة سليمة. وفي هذا الصدد تقرر بعض التوصيات الأوروبية على ضرورة الا يحتفظ المستهلك بالرقم السري والمحفظة الالكترونية في مكان واحد. كما تنص على ضرورة ان يزود المصدر المحفظة الالكترونية بأدوات فنية تسمح بتغيير كتابة الرقم السري في حال اكتشافه من الغير. والإخلال بالالتزام بالمحافظة من جانب المستهلك يؤدي الى قيام مسؤوليته العقدية تجاه المصدر ولا يستطيع درءها إلا إذا اثبت حالة ضياع الرقم السري او سرقته دون إهمال منه[١٢٠].

ثالثاً: الاستخدام السليم للوحدات الالكترونية

يلتزم المستهلك باستخدام الوحدات الالكترونية استخداماً سليماً ووفقاً للغرض الذي أعدت له وعلى وفق التعليمات التي يتلقاها من المصدر. فالاستعمال يجب ان يكون بالطريقة المنصوص عليها في العقد سواء ما يتعلق بأماكن الشحن او أسماء التجار الذين يتعاملون بها والحدود العليا لعمليات الشحن، وكل استخدام للنقود الالكترونية بصورة غير سليمة يحمل المستهلك المسؤولية عن تلف او تعطيل برامج الحاسوب الخاصة بالوحدات الالكترونية. وفي هذا الصدد يقرر قانون (E) الأمريكي بان المستهلك يتحمل المسؤولية عن تجاوز الحدود المرسومة لنقل الأموال[١٢١]. كما يتحمل المستهلك الخسارة اذا لم يمتثل لتعليمات الأمن الصادرة من المصدر، كما اذا ترك المستهلك المحفظة الالكترونية مفتوحة وفقدت على هذه الحالة مما أدى الى وقوعها بيد شخص ثالث[١٢٢].

رابعاً: الالتزام بإخطار المصدر في حالة ضياع او سرقة النقود الالكترونية

يلتزم المستهلك أخيراً بإخطار المصدر بسرقة او ضياع المحفظة الالكترونية او بكشف الرقم السري من قبل الغير. ومعنى الإخطار هنا تنبيه المستهلك للمصدر بالواقعة المخطر عنها ليتخذ المصدر ما يراه مناسباً لمنع استخدام الوحدات الالكترونية استخداماً غير سليم او غير مشروع[١٢٣]. فالمستهلك هو من يتحمل كل الخسارات المالية الناجمة عن الاستخدام غير المشروع للوحدات الالكترونية الى ان يقوم بالإخطار، عندها تنتقل المسؤولية الى المصدر الذي يقع على عاتقه منع مثل هذا الاستخدام. والواقع ان الرأي لم يتفق على مدة الإخطار، فقد استخدمت بعض عقود النقود الالكترونية عبارة (في مدة وجيزة) او (دون تأخير) وما الى ذلك[١٢٤]. ولم تتضمن التوصيات الأوروبية تحديداً للمدة التي يجب فيها الإخطار سوى ما تقرره من وجوب حصوله في مدة قصيرة[١٢٥]، خلافاً للمشرع الأمريكي الذي يقرر في قانون (E) بان الإخطار يجب ان يكون ضمن يومي عمل بعد العلم بالفقدان او السرقة[١٢٦].

أما عن شكل الإخطار فلم تحدد التوصيات الأوروبية او نصوص عقود إصدار النقود الالكترونية شكلاً معيناً للإخطار[١٢٧]، ومن ثم يجوز ان يتم بصورة شخصية وشفهية او عن طريق الهاتف او الفاكس على ان يؤكد المستهلك إخطاره بضرورة إرسال إخطار كتابي الى المصدر، وفي هذا الصدد يقرر قانون (E) الأمريكي في القسم (205/6/5/ii) بان المستهلك ممكن ان يخطر المؤسسة المالية شخصياً عن طريق الهاتف او الكتابة. ويجب بحسب هذا القانون على المستهلك تأكيد إخطاره الشفهي بإخطار مكتوب ضمن عشرة أيام عمل بعد الإخطار الشفهي. وعدم إرسال هذا الإخطار

يحمل المستهلك المسؤولية[١٢٨]. وينص عقد إصدار محفظة النقود (Monéo) على انه يجب ان يتم تأكيد الإخطار بالكتابة الى فرع المصرف المصدر للنقود[١٢٩].

والأثر المترتب على الإخطار ان المستهلك لا يتحمل بعده المسؤولية المالية بل تنتقل هذه المسؤولية الى المصدر الذي يقع عليه عبء التزام إغلاق المحفظة الالكترونية او غلق برامج او وسائل الاتصال بالرصيد وعدم السماح بإجراء أي عملية تحويل وإخطار التجار الذين يتعامل معهم المصدر بعدم قبول التسديد من الوحدات المسروقة او المفقودة[١٣٠].

الخاتمة

حاولنا في هذه الدراسة أن نقف على النظام القانوني الذي يمكن أن تخضع له المنتجات المبتكرة مستعينين في ذلك بقرارات المؤتمرات الدولية وقوانين الدول التي تضمنت أحكام هذه المنتجات. والذي يظهر من كل ذلك انه يجب أن يوضع أطار قانوني خاص وملائم للنقود الالكترونية خصوصاً وان البلد يشهد انفتاحاً قانونياً جديداً وبحاجة ماسة إلى تطوير النظام القانوني والاقتصادي في البلد. ويجب أن يحتوي هذا النظام على موازنة في المصالح والمفاهيم، كالعمل على استقرار وامن النظام الجديد من حيث وضع القواعد القانونية المحكمة والواضحة والحفاظ على أموال ومصالح الجمهور من التلاعب أو السرقة. كما يجب أن يتضمن قيوداً وضوابط للمؤسسات التي تتولى إصدار النقود الالكترونية وضرورة أن تكون بأشراف مباشر من قبل البنك المركزي، مع فسح المجال للمؤسسات الائتمانية لإدخال التطورات الحديثة في مجال الاتصالات والانترنت وضرورة تشجيعها على أقامة علاقات اقتصادية وتعاملات مصرفية مع المؤسسات حول العالم للاطلاع على احدث التطورات في هذا المجال. من هنا نهيب بالمشرع العراقي تشريع قانون يتعلق بأنظمة الدفع الجديدة بصورة عامة والنقود الالكترونية بصورة خاصة على نحو يعالج فيه الأخطار القانونية والاقتصادية ويوائم بين مصالح الجمهور والمؤسسات المالية.

الهوامش:

١. ينظر في هذا الخصوص

- Alan Tyree – virtual cash – In http://www.austlii.edu.au/alan/index

-Electronic money: New Day or False Dawn? In http://www.polsci.uscb. edu/facutly/cohen/in press/emoney.html.

2. Mechelle Baddeley Gonville – using E–cash in the new money: An economic analysis of micropayment systems. Journal of Electronic commerce Research. Vol. 5, No.4, 2004: In www.csulb.edujournalsjecrissues 2004 paper3.pdf.p. 240.

- charles Goldfinger and Philippe Herbin - How to regulate issuers of E – money? In http://www.gefma.com/Articles/How %20 to%20 regulate %20 issuers %20 of %20 electronic %20 money %20 January 99.html.

3. Electronic money and Relevant legal and Regulatory Issuers. In http://www.Lawer.20m.com/English/articles/e-money.htm.
4. J. orlin Grabbe–concepts in Digital cash. In http://www.aci.net/kalliste/digiprin.htm.
5. Charles Goldfinger – secure electronic payment on the internet. In http://www.gefma.com/Articles/electronic%.
6. Electronic cash and monetary policy. In http://www.firstmonday.dk/issues/issuel/ecash/MARK BERNKOPF.
7. Nathalie Janson – the development of electronic money: Toward the Emergence of free Banking. In http://www.mises.org/asc/2003/asc9Jonson.pdf , p.4
8. Basel committee Risk management for electronic Banking and electronic money activities. March 1998. In http://www.bis.org/publ/bcbs35.htm.para , 1,2,2

٩. لمزيد من التفصيلات حول التعريف ينظر:

Simon L.Lelieveldt – How to regulate electronic cash: an over view of regulatory issues and strategies April 1997. In http://www.wcl.american.edu/journal/lawerv/46/leli.cfm.

10. - Jon W. Matonis – Digital cash and monetary freedom – April 1995.In http://www.eff.org/privacy/digital_money/?f=matonis_on_dig_cash.paper.txt, para.3,1,1,2

- Report the council of the European monetory institution prepaid cards by the working Group on EU payment system –May 1994. In http://www.iang.org/money/EU prepaid cards.html. para,20

11. Charles Goldfinger. Op.cit

١٢. ينظر تفصيل قائمة الاخطار والخروقات الالكترونية في:

Charles Goldfinger and Philippe Herbin. Op.cit

13. Goldfinger. Op. cit

١٤. هذه الحروف مختصر لعبارة (personal identification number).

15. Alan Tyree. Op. cit.
16. electronic money and Relevant legal and regulatory. op. cit.
17. Ibid; Michelle Baddeley. Op. cit. p. 242

18. Goldfinger and Herbin. Op. cit.

19. Electronic money Relevant legal Regulatory Issues. Op. cit.

20. Alan Tyree – op. cit.

21. Simon L.Lelievldt. op. cit.

22. - Basel committee. Op. cit. para, 1,2,1.

- Alan Gahtan and feff Graham – financial services in an electronic aga: some emerging legal issues. 1997. in http://www.gahtan.com/cyberlaw.

23. electronic money, consumer protection law enforcement, supervisory and crossborder issues, group of ten. April. 1997. in http://www.bis.org/publ,gtenolpdf. p.1

24. Thomas p. vartanian. The future of electronic payment: Roadblocks and emerging practices In http://www.ffhsj.com/bancmail/bmarts/roadblock.htm.

25. Ibid, Gonville. Op. cit. p. 241

jon Neuleib – Legal tender: Towards Government Banking of electronic currency.In http://www.kentlaw.edu/honorsscholars/2002students/jhsp.htm.

consumers union policy statement on electronic money and banking. In http://www.consumersunion.org/finance/elect$.htm supplement 1999.

26. Nathalie Janson. Op. cit. p. 5

27. - Jon W. matonis. Op. cit. para, 3,3

- electronic money and Relevant legal and Regulatory issues. Op. cit.

28. Gonville. Op. cit. p.242

29. - electronic money and Relevant legal and Regulatory issues. Op. cit.

30. - Simon L.Lelieveldt. op. cit.

31. Neumann, B. C. and Medrinsky, G((internet payment services)) In L.W.Mcknight and j.P.Bailey (editors), internet economics, MIT press Cambridge mass 1998.

32. serge lanskoy-the legal nature of electronic money. Banque de France bulletindigest-no.73-janurey2000-In

33. http://www.cemla.org/pdf/al-v-grenouiollaoux.pdf.p.36

٣٤. للتفصيل في هذه الخصيصة ينظر:

-K.Kelly, out of control: the rise of neo-Biological civilization Addison Wesley publishing co.1994.p.203-239

-Gonville.op.cit.p.240

35. Grabbe.op.cit

36. Ibid.

37. Gonville.op.cit. 242.

38. Matonis.op.cit.para,3,8

39. How to regulate issuers of E-money.op.cit

40. Electronic money and Relevant legal and regulatory issues. op. cit

٤١. قد تكون النقود الالكترونية أما وحيدة الغرض أو متعددة الأغراض، وقد تعمل في انظمة مغلقة او مفتوحة وقد تستعمل في حدود جغرافية معينة (صغيرة او كبيرة) وقد تصدر بعملة واحدة او بعملات متعددة من قبل مصدر واحد او اكثر. ينظر في هذا المعنى:

Benjamin Geva and Muharem Kianieff-Reimagining E-money: its conceptual unity with other retail payment systems-2002.In http://www.imf.org/external/np/leg/sem/2002/cdmfl/eng/bg_mk.pdf

42. Goldfinger and Herbin.op.cit.

43. consumers union policy statement of electronic money and banking. op. cit.

44. William F.Kroener- stored value card and other electronic payment systems–In http://www.ffiec.govffiecinfobaseresourceselect_bankfdi_fil_5996_store_value_card_other_e_pay_sys.p, p.40490.

٤٥. د. شريف محمد غنام – محفظة النقود الالكترونية – رؤية مستقبلية – دار النهضة – ص ٢١.

46. -electronic money: New Day or false Down. Op. cit.

William F.kroener. op. cit. p.40490.

47. electronic money: New day or false down. Op. cit.

48. Electronic money and Relevant legal and Regulatory issues. Op. cit.

49. Ibid.

50. electronic money: New Day or false Dawn. Op. cit.

51. Geva and Kianieff. Op. cit.

٥٢. ينظر تفصيل هذه الوظائف في:

David cox –success in elements of banking – third edition – Richard clay (the Chaucer press) ltd, Bungay, Suffolk- 1986. p. 10.

53. electronic money: New Day or false Dawn. Op. cit.

٥٤. د. شريف غنام – مرجع سابق – ص ٣٩.

55. Charles Goldfinger. Op. cit.

٥٦. تنص المادة (٣٢) من قانون البنك المركزي العراقي لعام ٢٠٠٤ على انه ((١. يكون للبنك المركزي العراقي وحده دون غيره الحق في اصدار العملة النقدية الورقية والمعدنية لغرض تداولها في العراق. ٢. تقتصر العملة الرسمية في العراق على العملات النقدية الورقية والمعدنية التي يصدرها البنك المركزي العراقي والتي لم يتم سحبها من التداول)). ينظر جريدة الوقائع العراقية. العدد ٣٩٨٢ حزيران ٢٠٠٤.

57. Neuleib. Op. cit.

58. Lanskoy. Op. cit. p. 34.

٥٩. اتخذت بعض الدول مثل سنغافورة قراراً يقضي باصدار النقود الالكترونية بصورة رسمية وبموجب القانون باسم النقد الالكتروني الرسمي، ومن ثم تصبح نقوداً مفروضة تتمتع بقوة الابراء القانوني، ولا يمكن رفض التعامل بها. ينظر تفصيل ذلك في:

http://www.newsbytes.com.

60. Electronic money and Relevand legal and Regulatory issuer. Op. cit.

٦١. نقلا عن د. شريف غنام – مرجع سابق – ص ٧٨.

٦٢. د. شريف غنام – مرجع سابق – ص ٧٩ – ٨٠.

٦٣. والنص الاصلي للتعريف كما ياتي:

((Financial institution mean a bank, saving association, credit union or other person that directly or indirectly holds an account belonging to a consumer or that issuer an access device and agrees with a consumer to provide electronic fund transfer services))

والنص الكامل للقانون (E) الفيدرالي متوفر في:

http://www.frwebgate3.access.gpo.gov/cgi-bin/waisgate.cgi?WAISdoID=69290728431+26+0+08waisction=retrieve

64. Report to the council of the European monetary institute on prepaid cards. Op. cit. para.12

٦٥. يسمح للمؤسسات غير المصرفية باصدار النقود الالكترونية بشروط هي ١. ان تكون وسائل الدفع محلية وليست دولية. ٢. يجب ان تخضع للتنظيمات الخاصة بالسيولة.٣. يجب ان تكون

هذه المؤسسات خاضعة لاشراف ذات الجهات التي تشرف على مؤسسات الائتمان. ينظر تفصيل ذلك في: Ibid. para.32.

66. electronic money and relevant legal and regulatory issues. Op. cit.

67. - Goldfinger and Herbin. Op. cit

-Bazel committe. Op. cit. para, 1,2,2.

٦٨. ينظر نصوص التوجيهين في
http://www.europa.eu.int/eur-lex/en/cif/dat/2000en_300100 28.htm

٦٩. ينظر قانون المصارف العراقي في جريدة الوقائع العراقية العدد ٣٩٨٦ ايلول ٢٠٠٤.

70. Geva and Kianieff. Op. cit. p. 29

71. Regulation E. op. cit.

72. Serge Lanskoy. Op. cit. p. 31.

73. Geva and Kianieff. Op. cit. p 30.

74. Serge Lanskoy. Op. cit. p. 35.

75. Geva and Kianieff. Op. cit. p 30.

76. Regulation E. op. cit.

77. Ibid.

78. Alan Tyree. Virtual cash–payment on the internet.
In.http:// www.austlii.edu.au/alan/index.

79. Geva and Kianieff. Op. cit. p 30.

80. Alan Tyree– virtual cash- part II.In
http:// www.austlii.edu.au/alan/index.

81. Geva and Kianieff. Op. cit. p 31.

٨٢. وليس هذا في الواقع الا تطبيقاً لحكم القواعد العامة التي تقرر ان العقد ينعقد بتطابق الايجاب والقبول. وفي هذا المعنى تنص المادة (٨٥) من القانون المدني العراقي على انه ((اذا اوجب احد العاقدين يلزم لانعقاد العقد قبول العاقد الاخر على الوجه المطابق للايجاب)).وانظر في هذا المعنى د. عبد الرزبق احمد السنهوري – الوسيط في شرح القانون المدني الجديد – الجزء الاول- دار النشر للجامعات المصرية – القاهرة – ١٩٥٢ –ص٢١٣ وما بعدها

83. Serge Lanskoy. Op. cit. p. 31.

84. Alan Gahtan and Jeff Graham. op. cit

Report to the councit of the European monetory institute on prepaid cards. Op. cit. para, 31.

٨٥. تنص المادة (٢٣٩) من قانون التجارة العراقي رقم ٣٠ لسنة ١٩٨٤ على ان ((وديعة النقود عقد يخول بمقتضاه المصرف تملك النقود المودعة فيه والتصرف فيها بما يتفق ونشاطه المهني مع التزامه برد مثلها للمودع)).

86. Geva and Kianieff. Op. cit. p, 19.

٨٧. ينظر المادة (٢٩) من قانون البنك المركزي العراقي والمادة (٢٩) من قانون المصارف العراقي.

٨٨. وهذا ما تقرره المادة ٢٤٠/اولاً من قانون التجارة العراقي.

٨٩. د. شريف غنام – مرجع سابق ص ١١٥.

90. William F. Kroener. Op. cit. p,40492.

91. -Ibid. P. 40492

electronic money and relevant legal and regulatory issues. Op. cit.

electronic money, cusumer protection, law enforcement, supervisory and cross border issues, group of ten. April 1997. op. cit. p. 8.

92. Geva and Kianieff. Op. cit. p, 15.

٩٣. في هذا الخصوص تنص المادة (٥٣١) من القانون المدني على أنه ((اذا كان المبيع عيناً معينة بالذات او كان قد بيع جزافاً نقل البيع من تلقاء نفسه ملكية المبيع.....)).

٩٤. تنظر المادة (٥٣٦) مدني.

٩٥. د. شريف غنام – مرجع سابق ص ١١٦.

96. Goldfinger and Herbin. Op. cit.

- Geva and Kianieff. Op. cit. p, 22.

97. Serge Lanskoy. Op. cit. p, 38.

98. William F. Kroener. Op. cit. p,40494

٩٩. شريف غنام – مرجع سابق – ص ١٠٨.

100.Lanskoy. Op. cit. p. 37

- Goldfinger and Herbin. Op. cit.

101.Lanskoy. P. 37.

١٠٢. د. شريف غنام – مرجع سابق - ص ١١٧ وانظر:

William F. Kroener. Op. cit. p,40494

١٠٣. تنص المادة (٣٦٥) من القانون المدني على انه ((ينتقل الحق الى المحال له بصفته وضماناته كالكفالة والامتياز والرهن وتعتبر الحوالة شاملة لما حل من فوائد واقساط)).

104.Geva and Kianieff. Op. cit. p. 23

Alan Tyree – virtual cash. Part II. op. cit

١٠٥. انظر المادة (٣٦٣) من القانون المدني.

106.Geva and Kianieff. Op. cit. p, 23.

١٠٧. د. شريف غنام – مرجع سابق – ص ١٠٩.

108. electronic legal issues platform. 1st project 1999, on 12278 information society technologies. P. 77.

109. Grabbe. Op. cit.

110. Geva and Kianieff. Op. cit. p, 41.

111. Grabbe. Op. cit.

-Consumer Rights in electronic fund transfers. 2003. In http://www.dca.ca.gov/legal/cr - 6htm.

112. Bazel committee. Op. cit. para 3,2,5.

- Consumers union policy statement on electronic money and Banking. Op. cit.

113. Regulation E, op. cit.

١١٤. ينظر بنود عقد اصدار هذه المحفظة في:

http://www.moneyline.fr/fr/achives/2002/moneypad.htm.

115. Basel committee. Op. cit. para,2,1,3

116. Consumers union policy statement on electronic money and banking. Op. cit.

- Mations. Op. cit.

١١٧. ينظر عقد اصدار المحفظة الالكترونية (Monéo) – سبقت الاشارة اليه.

118. Alan. L. Tyree- the legal nature of electronic money. 21jan-2000 – in http://www.2.austlii.edu.au/alan/index. para, 8,2,3.

١١٩. فكرة الدفع المسبق ليست جديدة فقد عُرفت منذ سنوات طويلة، ففي مجال السياحة توجد صكوك المسافرين التي لا يحصل عليها الشخص الا بعد ان يودع لدى المصرف أموالاً تغطي قيمة الصك. ونفس الأمر في كوبونات المطاعم (tickets) التي تصدر بقيمة تعادل قيمة الوجبة التي تقدم للشخص. ينظر هذا المعنى:

- Renaudin (p.), Le porte Monnaie életronique, thèse, Paris 1, 1999. p. 15.

120. Smart card – in http://www.n-topos.gr/en/smartcards.htm. p.79.

121. Regulation E, op. cit. sec. 205.6.

122. Geva and Kianieff. Op. cit. p. 14

123. Consumer rights in electronic fund transfers. Op. cit.

١٢٤. ينظر تفصيل مدة الاخطار في:

Andries (M) – Développement récents en matière de monnaie électronique: Bulletin de la banque de la france. N 72 décembre. 1999. p. 37.

125. Bouteiller (p.) – Lesrelations jridiques entre banques et porteurs de carte, Bunque stratégie, Novembre, 1999. p. 30.

126. Regulation E. sec. 205/6/b/7.

127. Consumer rights in electronic fund transfers. Op. cit.

128. Regulation E. sec. 205-11-b-2.

١٢٩. ينظر عقد اصدار محفظة النقود الالكترونية (monéo) سبقت الاشارة اليه.

130. Andries (M.). op. cit. p. 39.

المراجع

اولاً: باللغة العربية

أ – الكتب

١. د. عبد الرزاق احمد السنهوري – الوسيط في شرح القانون المدني الجديد – الجزء الاول- دار النشر للجامعات المصرية – القاهرة – ١٩٥٢.

٢. د. شريف محمد غنام – محفظة النقود الالكترونية – رؤية مستقبلية – دار النهضة

ب – القوانين

١. القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١

٢. قانون التجارة العراقي رقم ٣٠ لسنة ١٩٨٤

٣. قانون البنك المركزي العراقي لسنة ٢٠٠٤

٤. قانون المصارف العراقي لسنة ٢٠٠٤

ثانياً: باللغة الانكليزية

أ – الكتب والبحوث والمقالات

1- Alan Gahtan and feff Graham – financial services in an electronic aga: some emerging legal issues. 1997.In http://www.gahtan.com/cyberlaw.

2- Alan Tyree – virtual cash- part II.In http:// www.austlii.edu.au/alan/index

3- Alan Tyree. Virtual cash–payment on the internet.In http:// www.austlii.edu.au/alan/index.

4- Alan Tyree. Virtual cash. In http://wwww.austlii.edu.au/alan/index.

5- Alan. L. Tyree- the legal nature of electronic money. 21jan-2000 –In http://www.2.austlii.edu.au/alan/index.

6- Benjamin Geva and Muharem Kianieff-Reimagining E-money: its conceptual unity with other retail payment systems-2002.In

http://www.imf.org/external/np/leg/sem/2002/cdmfl/eng/bg_mk.pdf

7- Charles Goldfinger – secure electronic payment on the internet. In http://www.gefma.com/Articles/electronic%.

8- charles Goldfinger and Philippe Herbin - How to regulate issuers of E – money? In http://www.gefma.com/Articles/How %20 to%20 regulate %20 issuers %20 of %20 electronic %20 money %20 January 99.html

9- Consumer Rights in electronic fund transfers. 2003. In http://www.dca.ca.gov/legal/cr - 6htm.

10- Electronic cash and monetary policy. In http://www.firstmonday.dk/issues/issuel/ecash/MARK BERNKOPF.

11-Electronic legal issues platform. 1st project 1999, on 12278 information society technologies.

12- Electronic money and Relevant legal and Regulatory Issuers In http://www.Lawer.20m.com/English/articles/e-money.htm

13-Electronic money, consumer protection, law enforcement, supervisory and cross border issues, group of ten. April 1997.

14-Electronic money: New Day or False Dawn? In http://www.polsci.uscb. edu/facutly/cohen/in press/emoney.html.

15-http://www.europa.eu.int/eur-lex/en/cif/dat/2000en_300100 28.htm

16-http://www.moneyline.fr/fr/achives/2002/moneypad.htm

17-http://www.newsbytes.com.

18-J. orlin Grabbe–concepts in Digital cash. In http://www.aci.net/kalliste/digiprin.htm.

19-jon Neuleib – Legal tender: Towards Government Banking of electronic currency.In http://www.kentlaw.edu/honorsscholars/2002students/jhsp.htm.

20-Jon W. Matonis – Digital cash and monetary freedom – April 1995.In http://www.eff.org/privacy/digital_money/?f=matonis_on_dig_cash.paper.txt ,

21-K.Kelly, out of control: the rise of neo-Biological civilization Addison Wesley publishing co.1994.

22-Mechelle Baddeley Gonville – using E–cash in the new money: An economic analysis of micropayment systems. Journal of Electronic commerce Research. Vol. 5, No.4, 2004:In www.csulb.edujournalsjecrissues 2004 paper3.pdf.

23- Nathalie Janson – the development of electronic money: Toward the Emergence of free Banking. In

http://www.mises.org/asc/2003/asc9Jonson.pdf

24-Neumann, B. C. and Medrinsky, G((internet payment services)) In L.W.Mcknight and j.P.Bailey (editors), internet economics, MIT press Cambridge mass 1998.

25-Serge lanskoy-the legal nature of electronic money. Banque de France bulletindigest-no.73-janurey2000-In

http://www.cemla.org/pdf/al-v-grenouiollaoux.pdf.

26-Simon L.Lelieveldt – How to regulate electronic cash: an over view of regulatory issues and strategies April 1997. In

http://www.wcl.american.edu/journal/lawerv/46/leli.cfm

27-Smart card – in http://www.n-topos.gr/en/smartcards.htm.

28-William F.Kroener-stored value card and other electronic payment systems In http://www.ffiec.govffiecinfobaseresourceselect_bankfdi_fil_5996_store _value_card_other_e_pay_sys.p,

29-David cox –success in elements of banking – third edition – Richard clay (the Chaucer press) ltd, Bungay, Suffolk- 1986.

ب- القوانين والاتفاقيات الدولية

1- Basel committee Risk management for electronic Banking and electronic money activities. March 1998. In http://www.bis.org/publ/bcbs35.htm.

2- Consumers union policy statement on electronic money and banking. In http://www.consumersunion.org/finance/elect$.htm supplement 1999.

3- Electronic money, consumer protection law enforcement, supervisory and crossborder issues, group of ten. April. 1997.In http://www.bis.org/publ,gtenolpdf.

4- Federal Regulation (E) Electronic fund transfers.In http://www.frwebgate3.access.gpo.gov/cgi-bin/waisgate.cgi?WAISdoID=69290728431+26+0+08waisction=retrieve

5- Report the council of the European monetory institution prepaid cards by the working Group on EU payment system –May 1994. In http://www.iang.org/money/EU prepaid cards.html.

ثالثاً: باللغة الفرنسية

1- Andries (M) – Développement récents en matière de monnaie électronique: Bulletin de la banque de la france. N 72 décembre. 1999.

2- Bouteiller (p.) – Lesrelations jridiques entre banques et porteurs de carte, Bunque stratégie, Novembre, 1999.
3- Renaudin (p.), Le porte Monnaie életronique, thèse, Paris 1, 1999.

القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي

الدكتور أكرم محسن مهدي الياسري
كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء

القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي

د. أكرم محسن مهدي الياسري

المستخلص:

تمثل القوة عاملا رئيسا ومؤثرا في عمليات المنظمة، وقد توالت الدراسات النظرية والتطبيقية في بيان معالمها الفكرية ونتائجها المنطقية، فبرزت مفاهيم قوة الفرد القائد، وقوة القسم أو الوحدة التنظيمية، وقوة الموقع، والقوة الشخصية.....وغيرها.

ولقد وجد الباحث، الفجوة واضحة بين هذه الدراسات وبين تطبيقاتها العقائدية والأخلاقية في منظماتنا، لذلك فقد تم تسليط الضوء على بيان معالم القوة في الفكر التنظيمي الحديث وفي الفقه الإسلامي بالاستفادة من الآيات القرآنية التي تحاور القوة بمفرداتها المتنوعة بما ينسجم مع سلوكيات الأفراد والمنظمات في مجتمعنا.

توصل البحث إلى عدد من الاستنتاجات منها:

١. يؤدي اعتماد القوة وفق المفهوم الإسلامي إلى:
   - إيجاد حالة الأيمان والاطمئنان النفسي ويعزز تطابق تطلعات الأفراد مع أهداف المنظمات العاملين فيها.
   - التخفيف على المديرين من استخدام القوة القسرية أو القوة المرجعية.
٢. إمكانية إيجاد مقياس للقوة وفق الفقه الإسلامي.

وختم البحث بعدد من التوصيات منها:

- دعوة الأفراد والمنظمات إلى:
- الاستعداد لتحقيق الأهداف المشروعة باستخدام مصادر القوة وفق الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي.

- تجنب كل مصادر القوة التي تخالف الحق وان لا يستخدموا القوة في غير ما أمر الله سبحانه.
- إقرار المدخل الإسلامي في دراسة نظرية المنظمة في الكليات والمعاهد المتخصصة.

توطئـــة:

تمثل القوة عاملا رئيسا ومؤثرا في عمليات المنظمة، وقد توالت الدراسات النظرية والتطبيقية (French & Ravan, 1959; Hickson, et al, 1971; Pfeffer, 1982; Hardy, 1985; Robbins, 1990; Hodge & Anthony, 1991; Hach, 1997; Certo, 1997) في بيان معالمها الفكرية ونتائجها المنطقية، فبرزت مفاهيم قوة الفرد القائد، وقوة القسم أو الوحدة التنظيمية، وقوة الموقع، والقوة الشخصية.....وغيرها.

ولقد وجد الباحث، الفجوة واضحة بين هذه الدراسات وبين تطبيقاتها العقائدية والأخلاقية في منظماتنا، لذلك فقد تم تسليط الضوء على بيان معالم القوة في الفكر التنظيمي الحديث وكذا في الفقه الإسلامي بالاستفادة من الآيات القرآنية التي تحاور القوة بمفرداتها المتنوعة بما ينسجم مع سلوكيات الأفراد والمنظمات العاملة في مجتمعنا، وبذلك يكون البحث قد أسهم اسهامة متواضعة في وضع الحجر الأساس لبناء " المدخل الإسلامي في دراسة نظرية المنظمة" الذي ندعو إليه.

وما يعزز تلك الأهمية، الحاجة إلى دراسة مفردات كثيرة في الفكر الإداري والتنظيمي على وفق الفقه الإسلامي والمفهوم القرآني، مثل القيادة، وفلسفة الإدارة، والإبداع، والحكمة، والبيئة، والثقافة، والقيم الأخلاقية، والتمكين...وغيرها بما يلبي أهداف وطموحات الأفراد والمنظمات في بيئتنا.

وبذلك فان البحث يهدف إلى:

- تقديم عرضا نظريا للقوة على وفق الفكر التنظيمي الحديث والفقه الإسلامي.
- استشراق مضامين الآيات القرآنية الكريمة التي تسلط الضوء على مفردات القوة بمعانيها المتنوعة لتقديم فهما متميزا للقوة عن الثقافات الغربية التي تناولت الموضوع.
- الاستفادة من البعد العقائدي لمفهوم القوة بما يسهم في تحقيق أهداف أفرادنا ومنظماتنا.

أما خطة البحث، فقد تم بنائها في ضوء القيام بمراجعة أولية تبين الإسهامات العلمية في ميدان القوة وفقا لما جاء في الفكر التنظيمي الحديث، ووفقا لما جاء في الفقه الإسلامي، وقد أطرت هذه المعالم الفكرية والنتائج المنطقية ضمن ثلاثة مباحث رئيسة، اهتم الأول بمفهوم القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي، وخصص الثاني لمصادر القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي، وحددت في المبحث الثالث استنتاجات البحث وتوصياته.

المبحث الأول – مفهوم القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي

أولا- مفهوم القوة في الفكر التنظيمي:

تعد القوة سمة مميزة للمنظمات المعاصرة، وقد توالت الدراسات النظرية والتطبيقية في تقديم مفاهيم متنوعة للقوة بوصفها عامل مؤثر في تفسير كيفية أداء المنظمات لأعمالها، فقد وصفها

(Pfeffer, 1982: 61) ضمن المدخل السياسي للمنظمة بأنها قدرة مؤثر اجتماعي معين للقضاء على المعارضة، وعرفها (Astley & Socher, 1984: 104) ضمن المدخل ذاته، بأنها قدرة مؤثرين للقضاء على المقاومة من اجل تحقيق أهداف مطلوبة، ورأى (Hardy, 1985: 4) أنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين بطريقة ذكية، وعرفها (Robbins, 1990: 252) بأنها قدرة الأفراد على التأثير في القرارات، وقصد بها (Hodge & Anthony, 1991: 483) بأنها القدرة التي يمتلكها احد الأشخاص للتأثير في سلوك شخص آخر، ووصفها (Hach, 1997: 282) بأنها سلطة A على B إلى الحد الذي يمكن A على إرغام B بفعل شيء قد لا يقوم بفعله في حالة أخرى، ويمكن تعريف A وB كأي نوع من العوامل الاجتماعية (الأفراد، المجموعات، المنظمات). ويتفق كل من (Certo, 1997; Schermerhorn, et al., 2000: 172) مع المفاهيم السابقة على وصف القوة بأنها إمكانية امتلاك الأفراد تأثيرا على سلوك أفراد آخرين، أما (Daft, 2001: 447) فقد فسر القوة بأنها القابلية التي يمتلكها احد الأشخاص أو الأقسام للتأثير في الأفراد من اجل تحقيق نتائج مرغوبة، وكان (Moorhead & Griffin, 1995: 329) قد عدَّها الموضوع الأكثر أهمية في حياة المنظمات لتأثيرها في فاعلية المنظمة.

ثانيا: مفهوم القوة في الفقه الإسلامي:

يمكن تحسس القوة من خلال قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤) وتجسد الآية الكريمة القوة في صورتها الشخصية، وهي مثال لسائر ما في الخلق من قوة يمنحها الله سبحانه لعباده بعد ضعف مثل نعمة العلم والهدى، نعمة المال والبنون، نعمة العافية والأمن، نعمة التعاون والتشاور، إنها جميعا من النعم الإلهية التي ينبغي حسن التصرف بها والمحافظة عليها.

ويمكن تجسيد ذلك من خلال الشكل (١) الآتي:

شكل (١) بعض تجليات القوة الشخصية من وجهة نظر إسلامية.

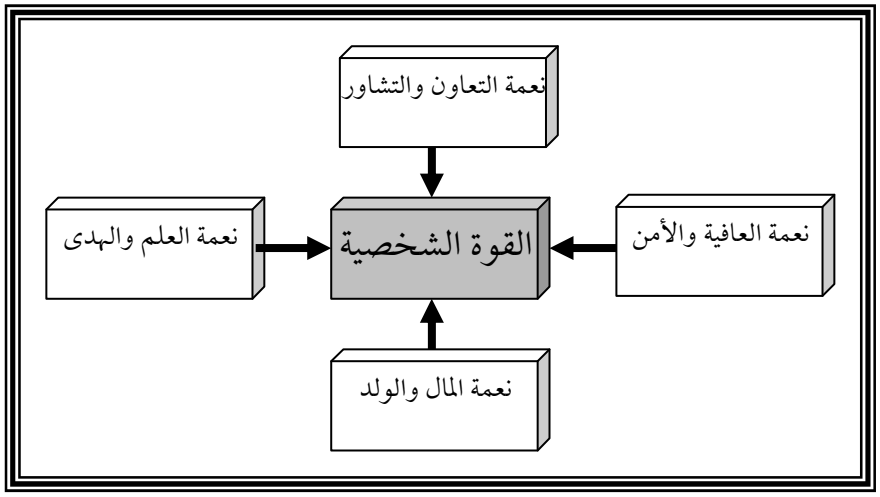

المصدر: إعداد الباحث.

وينسحب المفهوم القرآني للقوة إلى أهميتها في إدارة شؤون الأمم والحضارات، ولو درس الإنسان تجربة الأمم السابقة بعمق ووعى حقائق قوة الله لتراجعت أنانيته وكبح جماح نفسه وعرف حدود صلاحيته، كما عرف من أين يكتسب القوة الحقيقية، أي من الله الذي خلقه من ضعف ووهب له القوة، وهو يرزقه ويوفر له فرص العلم والهداية والكمال، كما وعظ النبي هود عليه السلام قومه بالاستغفار ليرزقهم الله الرخاء والقوة قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢)، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ (فصلت: ١٥)، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (محمد: ١٣) ويستمر القران الكريم ببيان إن الله سبحانه هو القوي العزيز قال سبحانه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٧٤) ومن حقائق قوة الله سبحانه، رزقه الذي ينزله على خلقه، حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)، وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٩). ومن حقائق قوته سبحانه: العلم والهدى الذي يرزقهما عباده عبر رسله، حيث قال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: ٥). ومن حقائق قوته، انه سبحانه قائم بالقسط، وقد أرسل رسله وانزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥) وهكذا تشير الآيات القرآنية الواضحة في الجدول (١) إلى قوة الله سبحانه وتعالى.

جدول(١) بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى قوة الله سبحانه وتعالى.

السورة: الآية	نص الآية المباركة
المجادلة: ٢١	كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
الأحزاب: ٢٥	وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا
الحج: ٤٠	الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ
غافر: ٢٢	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
هود: ٦٦	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

	الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
هود: ٨٠	قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
الأنفال: ٥٢	كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
الذاريات: ٥٨	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
الكهف: ٣٩	وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا

المبحث الثاني- مصادر القوة بين الفكر التنظيمي والفقه الإسلامي

أولا- مصادر القوة في الفكر التنظيمي:

لم يتفق كتاب وباحثو الفكر التنظيمي على مصادر محددة للقوة، ويأتي هذا الاختلاف لوجود وجهات نظر متعددة في دراسة مصادر القوة، حيث وصف (Hickson, et al., 1971: 217) القوة بأنها قوة الأقسام والوحدات التنظيمية، واعتمدت هذا التصنيف دراسات عديدة منها (Williams et al., 1985; Hodge & Anthony, 1991; Buchaman & Huczynsk, 1997; Hach, 1997; Daft, 2001) ووضح (Daft, 2001: 453) هذا التصنيف بمفهوم المواقف الاستراتيجية Strategic Contingencies التي تعرف على إنها أحداث أو نشاطات تجري داخل المنظمة أو خارجها لتحقيق الأهداف التنظيمية، ويبين الشكل (٢) مصادر قوة الوحدات التنظيمية وفقا لهذا المفهوم.

شكل (٢) المواقف الاستراتيجية التي تؤثر على " القوة الأفقية" بين الأقسام

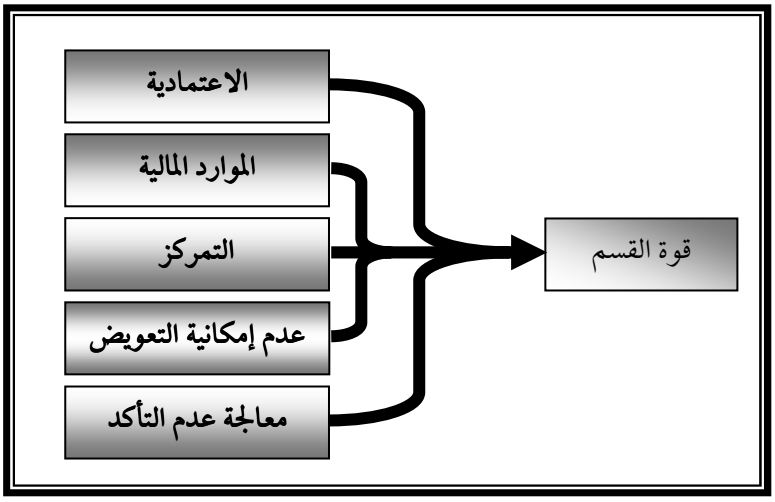

Source: Daft, 2001:455

ويمكن توضيح هذه المصادر كما يأتي:

١. **الاعتمادية:** ترى نظرية اعتمادية القوة أن التنظيمات تكون ذات قوة اكبر إذا استطاعت السيطرة على الموارد التي يحتاجها الآخرون (Provan, et al, 1980: 200) وان القسم يكون مهما إذا اعتمدت الوحدات أو الأقسام الأخرى على منتجاته أو خدماته، إذ سيكون القسم المستلم في موقع أدنى من القوة (Buchanan & Hucznsk, 1997: 683) وذهب (Daft, 2001: 454) إلى ذات المعنى.

٢. **الموارد المالية:** يذكر (Daft, 2001: 455) إن السيطرة على أنواع مختلفة من الموارد وخاصة الموارد المالية يعد مصدرا مهما للقوة استنادا إلى القاعدة التي تقول أن من يملك الذهب هو الذي يضع القواعد.

٣. **التمركز:** يشير التمركز إلى الأهمية النسبية لمساهمة قسم محدد بالمقارنة مع بقية الأقسام وذلك تبعا لأهداف المنظمة وطبيعة عملها، إذ لا يوجد تمركز مطلق لوحدة محددة، فقسم البحث والتطوير يمثل وظيفة محورية في شركات إنتاج الحاسبات مثلا وهو ليس كذلك في منظمة صناعية أخرى.

٤. **عدم إمكانية التعويض:** ترتبط قوة القسم بعلاقة عكسية بالقدرة على التعويض أو الاستبدال أي كلما زادت القدرة على التعويض تقل قوة القسم، وعندما تقل هذه القدرة تزداد قوة القسم (Daft & Noe, 2001: 424).

٥. **معالجة عدم التأكد:** ترتبط قوة القسم بعلاقة طردية مع القدرة على التعامل والتكييف مع عدم التأكد البيئي، أي كلما زادت القدرة على معالجة عدم التأكد البيئي، تزداد قوة القسم، وعندما تقل هذه القدرة فان ذلك يعني نقصان قوة القسم.

يُذكَر أن (Daft, 2001: 458) قد قسم مصادر القوة إلى نوعين هما: مصادر القوة الأفقية Horizantal Sources of Power المتمثلة بالمواقف الاستراتيجية الواردة في الشكل (٢) ومصادر القوة العمودية Vertical Sources of Power المتمثلة بالموقع الرسمي، الموارد، الرقابة على القرارات والمعلومات، والشبكة المركزية للمعلومات والأفراد، والتي يمكن تصويرها من خلال الشكل (٣).

شكل (٣) مصادر القوة العمودية كما يراها Daft, 2001

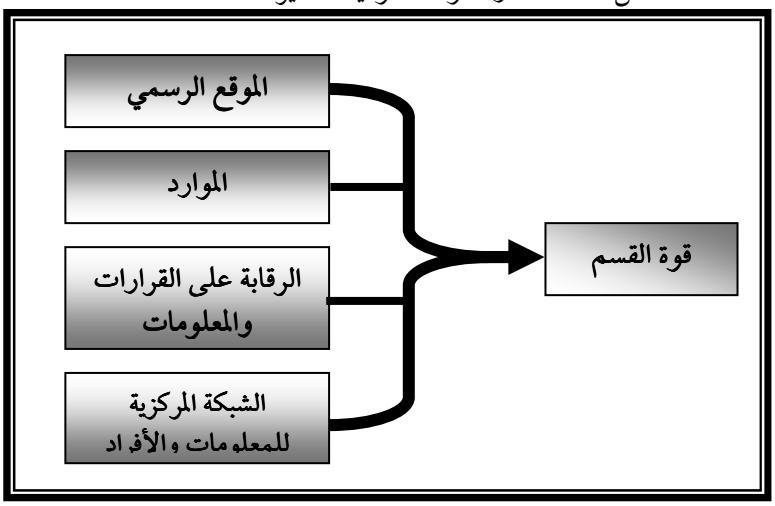

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على أفكار Daft, 2001: 458

بينما ركز آخرون على قوة الفرد (القائد) Leader power، وقد عد تصنيف (French & Raven, 1959) رائدا في هذا المجال حيث حدد مصادر القوة بـ (الشرعية، المكافأة، الإكراه، المرجعية، الكارزماتية، والخبرة) ويوضح الشكل (٤) هذا التصنيف

شكل (٤) تصنيف (French & Raven) للقوة

النوع	المعنى	مثال
العقلانية/الشرعية Rational/Legal	القوة المكتسبة من شرعية (قانونية) الموقع الوظيفي	إطاعة الأوامر التي تمثل سياسة المنظمة
المكافأة Reward	تحصيل الفوائد للآخرين	العمل للحصول على الترقية او التزكية
الإكراه Coercive	إجبار أو إلزام الآخرين لتنفيذ العمل ومنها إمكانية اللجوء إلى العقوبات	عقوبة قطع راتب لمدة ثلاثة ايام
المرجعية Referent	مطابقة الشخص مع قوة الموقع	شخصية بارزة في مقام رفيع
الكارزماتية Charismatic	الحركية الشخصية	القادة الدينيين
الخبرة Expert	معرفة واسعة أو مهارة بمستوى عال	مبرمج الحاسبة

Source: Hodge & Anthony, 1991: 485

ويمكن توضيح هذه المصادر وفقا لما جاء في (Luthans, 1985: 449-455; Hodge & Anthony, 1991: 484) كما يأتي:

١. **القوة الشرعية Legitimate Power**: وتستمد هذه القوة من موقع الفرد في المنظمة الذي يعطيه الحق في إصدار الأوامر للمرؤوسين لتنفيذ الأعمال الموكلة إليهم (Hellriegel, et al., 2001: 326) ويستجيب الأفراد لهذا النوع من القوة ليس بسبب خوفهم من العقوبة أو طمعا في المكافأة ولكن بسبب اعتقادهم ان الفرد (القائد) يمتلك الصلاحية الكاملة لإصدار هذه الأوامر، وتقبل هذه القوة من قبل المرؤوسين على إنها جزء من حياة المنظمة ولذلك فهم يتوافقون معها.

٢. **قوة المكافأة Reward Power**: تأتي قوة المكافأة من قدرة القائد على منح المرؤسين شيء ايجابي يرغبون به مثل (الترقيات، العلاوات، والفرص التطويرية) مقابل السلوكيات الجيدة التي يتوقعها القائد ويرغب فيها (Hellriegcl et al., 2001: 326) ويذكر (Robbins, 2001: 354) إن المكافأة لا يشترط أن تكون نقودا وإنما أي شيء ذو قيمة معنوية أو حذف شيء ذو قيمة سلبية، وتعد قوة المكافأة الجانب المعاكس للقوة القسرية أو قوة الإكراه.

٣. **قوة الإكراه: Coercive Power** وتمثل القدرة على إكراه الأفراد على تنفيذ العمل باللجوء إلى العقوبات، وعادة ما يتجنب القادة الجيدون استخدام هذه القوة إلا عندما تكون ضرورية جدا بسبب إنها تقضي على قوتهم المرجعية Referent Power كما ان استخدام هذه القوة يولد روح المقاومة ومخالفة التعليمات وبالتالي فان المديرين الذين يعتمدون على هذه القوة فقط سوف تقل قوتهم عن المديرين الذين يعتمدون القوة الشخصية (Daft & Noe, 2001: 421).

٤. **القوة المرجعية Referent Power**: تكمن هذه القوة في امتلاك المدير أو الفرد مؤهلات وسمات شخصية تدفع الآخرين إلى التعامل الايجابي معه وترتبط القوة المرجعية ارتباطا طرديا مع اهتمام القائد بحاجات الأفراد ومشاعرهم والدفاع عن مصالحهم. ويذكر (Robbins, 2001: 355) ان القائد عندما يتمتع بقوة مرجعية عالية فانه يصبح قائدا كارزميا charisma.

٥. **قوة الخبرة: Expert Power** وتتمثل في القدرة على التحكم في سلوك الآخرين أو التأثير فيهم عن طريق امتلاك المعرفة أو الخبرة الوظيفية بغض النظر عن الموقع الوظيفي للفرد المؤثر. وقد زادت أهمية هذا النوع من القوة بعد الانتباه إلى أهمية راس المال الفكري Intellectual Capital في المنظمات المعاصر ودوره المؤثر في زيادة فاعليتها (Drummond, 2000: 130).

وصنف (Schermerhorn, et al., 2000:311) القوة إلى نوعين: الأول، قوة الموقع (Position Power) وتشمل قوة المكافأة، والقوة القسرية، والقوة الشرعية. والثاني، القوة الشخصية(Personal Power) وتشمل قوة الخبرة، قوة الإقناع العقلاني، والقوة المرجعية، ويمكن تصوير هذا التصنيف من خلال الشكل (٥).

شكل (٥) مصادر القوة كما يراها (Schermerhorn, et al,

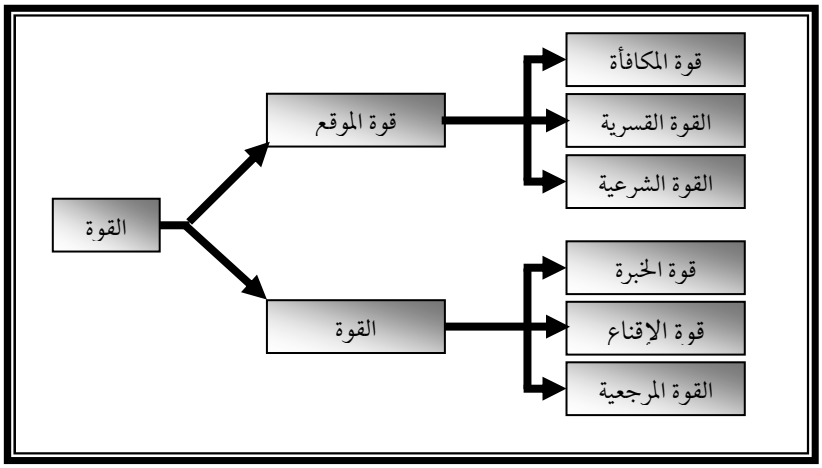

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على أفكار (Schermerhorn, et al, 2000,

وصور (Ibid: 313) اتجاه سلوك القوة (Power-Oriented Behavior) بثلاث اتجاهات: نحو الأعلى up-ward، نحو الأسفلDown-word، والجانبيLateral، كما في الشكل (٦) الذي يبين أيضا نوع القوة التي يتم اعتمادها في كل اتجاه، وان المدير المؤثر هو الذي ينجح في بناء وإدامة مستويات عالية من قوة الموقع والقوة الشخصية وبشكل مستمر.

شكل (٦) الاتجاهات الثلاثة للقوة وتأثيرها حسب المستويات الإدارية.

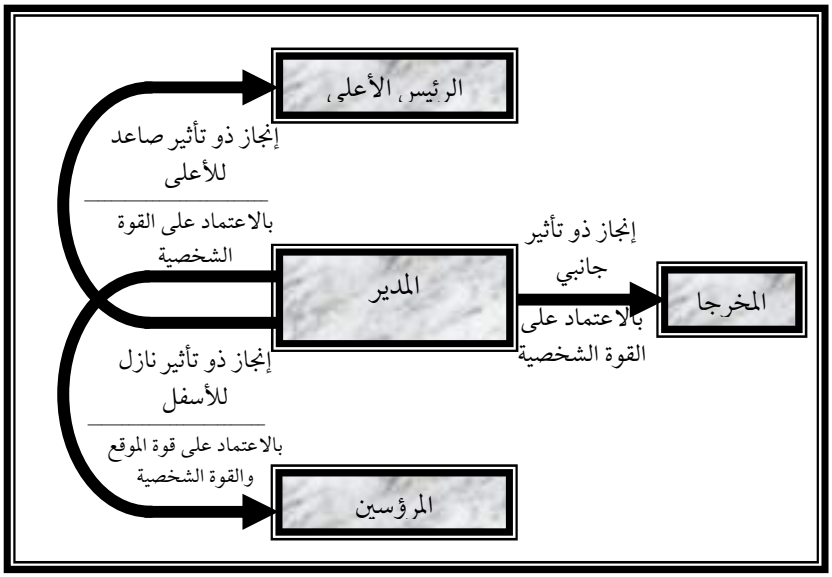

Source: Schermerhorn, et al., 2000: 313

وذكر (Morgan, 1986: 145) أن المنظمات تستخدم أنواع متعددة من القوة كما في الجدول(٢)

جدول (٢) أنواع وأوصاف القوة في المنظمات

مصادر القوة التنظيمية	الوصف
الديمقراطية المباشرة	نظام يتحقق عندما يكون لجميع الأفراد في المنظمة حقوق متساوية في السيطرة وعندما يشتركون في عملية صنع القرار، ويغلب هذا النمط في المنظمات غير الربحية.
الديمقراطية التمثيلية	حكم يمارس بواسطة انتخاب مدراء يخولون بتمثيل المساهمين ويبقون في مناصبهم لفترة زمنية معينة.
السيطرة المباشرة	يتحقق هذا الشكل حينما تشترك أطراف مختلفة في إدارة مشتركة لمصالح مشتركة، وكما هو الأمر في حالة الائتلافات، وبحيث أن كل طرف من الأطراف يعتمد على أساس معين من أسس القوة.
سيطرة الفنيين	سيطرة تمارس بواسطة استخدام المعرفة، وقوة الخبير، والقدرة على حل المشكلات ذات العلاقة.
البيروقراطية	سيطرة تمارس عن طريق استخدام الكلمة المكتوبة التي توفر الأساس لنوع عقلاني من السلطة.
الاستبدادية	تتحقق السيطرة حينما يمسك بالقوة فرد، أو فئة صغيرة من الأفراد تدعمه سيطرة على موارد حرجة أو حقوق ملكية أو تقاليد أو مزاعم أخرى بشان امتياز شخصي.

Source: Morgan, 1986: 145

ثانيا مصادر القوة في الفقه الإسلامي:

سيتم الحديث عن مصادر القوة في الفقه الإسلامي من خلال فقرتين هما: ركائز القوة، وحقائق القوة وكما يأتي:

١- **ركائز القوة:** يتحدث القران الكريم عن ركائز القوة من خلال الحقائق الآتية: -

- **الأموال والأولاد (الثروة والجند)** من ركائز القوة ولكنها لن يقاوما الحق، قال الله سبحانه وتعالى: " كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ " (التوبة: ٦٩).
- **التعاون،** قال الله تعالى (على لسان ذي القرنين): ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ (الكهف: ٩٥) حيث طالب الملك الصالح قومه بان يعينوه بقوة.

- **التمسك بالميثاق قوة ونقضه ضعف**، قال الله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: ٩١) ونستفيد من الآية الكريمة، إن حب التعالي في أطراف المجتمع يهدم أساس الوحدة القائمة على العهد والميثاق بينهم.
- **الوحدة قوة، والتفرق ضعف**، قال الله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).
- **الحق قوة والباطل ضعف**، قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف: ٧٨).
- **الحكمة قوة**، وهي ضالة المؤمن وفيها خير كثير، قال الله سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢). ويمكن تصوير ركائز القوة التي تحدث عنها القران الكريم بالشكل (٧) الآتي:

شكل (٧) بعض ركائز القوة على وفق المفهوم القرآني

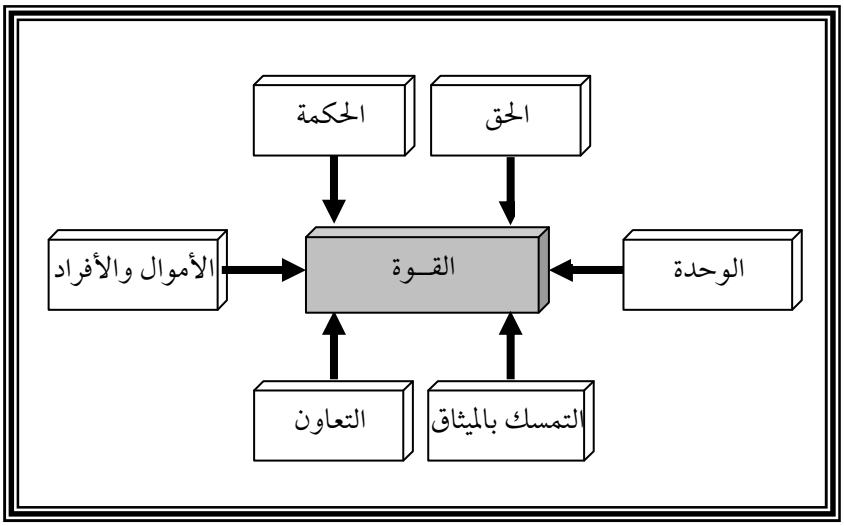

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على الآيات القرآنية (التوبة: ٦٩; الكهف: ٩٥; النحل: ٩١; آل عمران: ١٠٣; الأنبياء: ١٨; الزخرف: ٧٨; البقرة: ٢٦٩; الجمعة: ٢).

٢- حقائق القوة: تتجلى حقائق القوة وفق المفهوم القرآني في: القوة في التمسك بالدين، وفي إقامة القسط في المجتمع، وفي مقاومة الأعداء، وفي تنفيذ الأوامر، ويصور الشكل (٨) هذه الحقائق والتي يمكن توضيحها كما يأتي:

شكل (٨) بعض حقائق القوة على وفق المفهوم القرآني

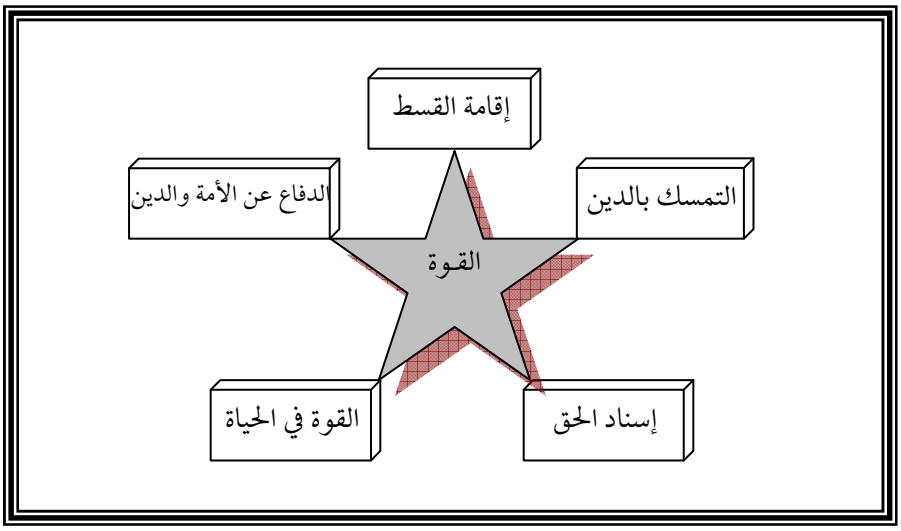

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على الآيات القرآنية (البقرة: ١٦، ٦٣، ٩٣; الحديد: ٢٦; الأنفال: ٦٩; القصص: ٢٦، ٧٦، ١٧٨; الكهف: ٣٩; النحل: ٣٣).

- **القوة في التمسك بالدين:**

أ. واهم حقائق القوة استخدمها في تنفيذ الدين، الأخذ بتعاليمه، والتمسك بوصاياه، ولعل ركيزة هذه القوة، أن يكون حب الإنسان لربه اشد من حبه لغيره، قال الله سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة: ١٦٥)

ب. وقد أمد الله سبحانه النبي يحيى(ع) وهو في المهد أن يأخذ الدين بقوة، فقال سبحانه: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ١٢).

ت. كما أمر الله سبحانه نبيه موسى(ع) أن يأخذ التوراة بقوة، فقال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾(الأعراف: ١٤٥).

ث. ولقد اخذ ميثاق بني إسرائيل أن يأخذوا ما آتاهم الله من الدين بقوة، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٦٣).

ج. ونستفيد من سياق آية كريمة، إن من معاني القوة في اخذ الدين، الإخلاص فيه وعدم حب العجل، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣).

- **القوة في إقامة القسط:**

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥). نستوحي من الآية القرآنية إن القوة نعم العون على إجراء العدالة، بوصف الحديد من مظاهر القوة، وقد انزله الله سبحانه ليستخدمه الصالحون في نشر العدل وإقامة القسط في المجتمع.

- **القوة للدفاع عن الأمة والدين:**

الأمة السامية المقتدرة هي التي تتسلح بكل ألوان القوة للدفاع عن مصالحها وقيمها، وقد أمر الله الأمة الإسلامية بان يعدوا ما استطاعوا من قوة لمواجهة المعتدين، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠).

- **القوة في الحياة:**

ومن حقائق القوة، المتانة الجسدية لتنفيذ الأوامر والمهام الموكلة، قال الله سبحانه: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦) ونستوحي من الآية إن القوة بذاتها قيمة حياتية بالإضافة إلى الأمانة.

- **إسناد الحق:**

الحق قوة لا تقاوم، انه سنة الله الجارية، وإرادة الله القاهرة، وانه المصير والعقبى، والقوة تتضاعف حين تتماشى مع الحق فتصبح القوة قوتين، بينما القوة التي تخالفه تنهار عاجلا أم آجلا. وقد حذر القران الكريم من الاعتزاز بأية قوة تخالف الحق، أو الفرح بها، أو حتى الاعتماد عليها، ومن الدلائل التي تؤيد ذلك ما يأتي:

أ. ففي قصة الرجلين الذين جعل الله لاحدهما جنتين، فاعتز بهما واستكبر على صاحبه بها، قال له صاحبه وهو يحاوره، ما قصه علينا ربنا سبحانه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف: ٣٩)، وأرسل الله على جنتيه حسبانا فأصبحتا صعيدا زلقا، وهكذا الاعتماد على الله وحوله وقوته، وليس على بعض الثروة.

ب. وقد كان قوم ملكة سبا على حق، إذ لم يغتروا بقوتهم وإنما أوكلوا أمر الحرب أو السلم إلى حكمة ملكتهم، فقال الله سبحانه: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣).

ت. أما قارون فقد اعتد بقوته وبماله وفرح بها، وحذره الله سبحانه من مخالفة سنة الحق فلم يتعظ، فخسف به وبداره الأرض. قال سبحانه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٦- ٧٨).

ث. وعلى الإنسان أن يسير في الأرض، ويسبر أثار الأمم الغابرة ليعتبر بمصيرهم، وكيف ان قوتهم لم تنفعهم حين خالفوا سنن الله، قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: ٩). والقران الكريم حافل بعبر الأمم والحضارات التي أهلكها الله، ولم تغن عنهم قوتهم من الله شيئا.

المبحث الثالث – الاستنتاجات والتوصيات

أولا- الاستنتاجات:

١ - انصرف مفهوم القوة في الفكر التنظيمي إلى قوة الأفراد، والمجموعات، والمنظمات. وانصرف مفهوم القوة في الفقه الإسلامي إلى القوة الشخصية (الأفراد)، وقوة الأمم والحضارات (والمنظمات جزء من هذه الحضارات)، وبذلك التقى المفهومان بهذا التصنيف، وقد أضاف الفقه الإسلامي بعدا أخر للقوة هو قوة الله سبحانه وتعالى وإمكانية اعتمادها كعامل مؤثر وفاعل في المنظمة.

٢ - إن مفهوم القوة وفق المفهوم القرآني هي من النعم الإلهية التي ينبغي حسن التصرف بها والمحافظة عليها، والقوة تتضاعف حين تتماشى مع الحق فتصبح القوة قوتين، بينما القوة التي تخالف الحق سوف تنهار عاجلا أم أجلا.

٣ - يؤدي اعتماد القوة وفق المفهوم الإسلامي إلى إيجاد حالة الأيمان والاستقرار والاطمئنان النفسي وتعميق درجة الولاء والانتماء والالتزام التنظيمي، ويعزز تطابق تطلعات الأفراد مع أهداف المنظمات العاملين فيها.

٤ - يؤدي اعتماد القوة وفق المفهوم الإسلامي إلى التخفيف على المديرين من استخدام القوة القسرية أو القوة المرجعية عن طريق الرجوع إلى مصدر القوة الأساس وهو الله سبحانه وتعالى الذي يساعد في ضبط نفس وسلوك الأفراد والمنظمات في مجتمعنا.

٥ - إن الفرد العامل الذي لا ينصاع إلى قوة القائد أو قوة القسم لأسباب عديدة، فانه قد يخاف قوة الله سبحانه بوصفها قوة ذات بعد عقائدي تؤثر ايجابيا على سلوكه داخل المنظمة أو خارجها.

٦ - إمكانية إيجاد مقياس للقوة وفق الفقه الإسلامي بالاعتماد على أبعاد: الامكانات المالية، الامكانات البشرية، التعاون، التمسك بالميثاق (القوانين)، الوحدة، الحق، والعدالة.

ثانيا: التوصيات:

١ - دعوة الأفراد والمنظمات إلى الاستعداد لتحقيق الأهداف المشروعة باستخدام مصادر القوة الأفقية والعمودية حسب تصنيف (Hickson et al., 1971; Daft, 2001)، ومصادر قوة الفرد القائد حسب تصنيف(French & Ravan, 1959)، وقوة الموقع والقوة الشخصية حسب تصنيف(Schermerhorn, et al., 2001).

٢ - دعوة الأفراد والمنظمات إلى الاستعداد لتحقيق الأهداف المشروعة باستخدام مصادر القوة الشخصية (الجسد، الروح، والنفس)، والأموال، والعلاقات، والعلم، والتقنية، والحكمة، وحسن الخلق، والآداب وذلك وفق المدخل الإسلامي.

٣ - دعوة الأفراد والمنظمات إلى تجنب كل مصادر القوة التي تخالف الحق وان لا يستخدموا القوة في غير ما أمر الله سبحانه.

٤ - الدعوة إلى تبني المدخل الإسلامي في دراسة الفكر الإداري والتنظيمي بتناول موضوعات عديدة: كالثقافة والقيم الأخلاقية، والقيادة، وفلسفة الإدارة، والحكمة، والبيئة، والتمكين..وغيرها سيضفي طابعا جديدا من شانه أن يطلع الثقافات الأخرى على ثقافتنا لا أن نبقى فقط معتمدين على ما يصدر في الأدبيات الإدارية والتنظيمية الأجنبية، وعندها سيطلعون على الشيء الجديد والأصيل.

٥ - اعتماد مقياس القوة وفق الفقه الإسلامي في الدراسات والبحوث التطبيقية التي تجري في المنظمات العاملة في بيئتنا.

٦ - إقرار المدخل الإسلامي في دراسة نظرية المنظمة بوصفها مفردات أكاديمية في الكليات والمعاهد المتخصصة في هذا المجال.

٧ - إقامة جسور الحوار الفكري بين الكليات والمعاهد ومراكز البحوث والمجلات المتخصصة في الأدب الإداري والتنظيمي مع مراكز البحوث في المراكز العلمية الدينية لتسليط الضوء على المفهوم القرآني في دراسة الفكر الإداري والتنظيمي، والقيام بسلسة دراسات وتطبيقات عملية وعقد حلقات علمية، وخلق حالة من التفاعل البناء بين ذوي الاختصاص من الباحثين والأساتذة في هذه الجهات.

ثبت المراجع:

- القران الكريم

A- **Books:**

1. Buchanan, D.; Huczynski, A., "**Organizational Behavior**", 3rd ed., London, Prentice-Hall, 1997.
2. Certo, S.," **Modern Management: Diversity, Quality, Ethics and the Global Environment**", Prentice-Hall International, Inc, 1997.
3. Daft, R.," **Organization Theory and Design**", 7th ed., USA, DPS Associates, Inc., 2001.
4. Daft, R.; Noe, R., "**Organizational Behavior**", Harcourt College publishers, Inc., 2001.
5. Drummond, H.; " **Introduction to Organizational Behavior**", New York, Oxford University Press, 2000.
6. Hach, M., " **Organization** Theory- Modern Symbolic and Post-modern Perspectives", Great Britain, 1997.
7. Hellriegel, D.; Slocum, J.; Woodsman, R., "**Organizational Behavior**", USA, Southwestern College Publishing, 2001.
8. Hodge, B.; Anthony, W., "**Organization Theory A strategic Approach**", 4th ed., Allyn and Bacon, 1991.
9. Luthans, F.," **Organizational Behavior**", 4th ed., McGraw-Hill Book Company, Singapore, 1985.
10. Moorhead, G.; Griffin, R.," **Organizational Behavior**", Boston, Houghton Mifflin Company, 1995.
11. Pfeffer, J.," **Organization and Organization Theory**", Boston: Pitman Publishing, Inc, 1982.
12. Robbins, S.," **Organization Theory: Structure, Designs and Applications**", 3rd ed., New Jersey, Prentice-Hall, 1990.
13. Robbins, S.," **Organizational behavior**", 9th ed., N. J., Prentice Hall, Inc, 2001.
14. Schermerhorn, J.; Hunt, J.; Osborn, R.," **Organizational Behavior**", John Wiley and sons, Inc, 2000.
15. Williams, J.; Dubrin, A; Sisk, H., "**Management and Organization**", 5th ed., Cincinnati, South-Western Publishing Co., 1985.

B- **Periodicals:**

1. Astly, W.; Sochder, P., "Structural Sources of Intraorganizational Power", Academy of Management Review, Vol. 9, 1984.
2. Hardy, G.," The Nature of Unobtrusive Power", Journal of Management Studies, Vol. 22, No. 1, 1985.

3. Hickson, D.; Hinings, C.; Lee, C., C.; Schneck, R.; Penning, J.," Strategic Contingencies Theory of Intraorganizational Power", Administrative Science Quarterly, Vol. 16, No. 2, 1971.

Provan, K., " Board power & organizational effectiveness among human service agencies", Academy of Management Jornal, Vol. 23, No. 2, 1980.

إنشاء [سد لي- صو] على مجرى نهر دجلة والمبادئ القانونية لمجاري المياه الدولية

الدكتور صدام الفتلاوي

مدرس المعهد التقني- بابل

إنشاء سد« لي ـ صو» على مجرى نهر دجلة
والمبادئ القانونية لمجاري المياه الدولية

د. صدام الفتلاوي

المقدمة

تلعب المياه دورا أساسيا في حياة الإنسان بل هي الحياة ذاتها، مصداقا للآية الكريمة (وجعلنا من الماء كل شيء حي). وتعتبر الأنهار أهم موارد المياه التي تستخدم في مجالات الزراعة وتوليد الطاقة وسد احتياجات السكان وغيرها. وقد أثارت الحاجة إلى مياه الأنهار العديد من المنازعات بين الدول المشتركة فيها، والتي تم تسويتها سواء من خلال المفاوضات أو من خلال القضاء الدولي، وفي بعض المنازعات قطعت الدول علاقاتها الدبلوماسية مع الدول التي تشترك معها في نفس المجرى، ودول أخرى أوشكت على استخدام القوة المسلحة ضد بعضها البعض. واغلب هذه المنازعات كانت بين الدول التي تشترك في مجاري المياه الدولية المستخدمة لأغراض غير ملاحية، ولذلك فقد اهتم القانون الدولي بوضع القواعد والمبادئ التي تنظم عملية استخدام مياه تلك المجاري، كما أبرمت الدول المعنية لهذا الغرض العديد من الاتفاقيات الثنائية والجماعية. وقد أدت هذه الممارسات الدولية إلى نشوء مجموعة من المبادئ العرفية التي تحكم استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية، ومنها مجرى نهر دجلة الذي تمتع بهذه الصفة مند نهاية الحرب العالمية الأولى.

إن العراق نظرا لموقعة الجغرافي يعتبر دولة مصب بالنسبة للمجرى المذكور، وهذه الحقيقة الجغرافية تضعه في موقف ضعيف لأنه يتأثر بشكل كبير بالمشاريع والسدود التي تقيمها دول أعلى المجرى وهي تركيا وسوريا، ولاسيما أن هذه الأخيرة أنشأت فعلا وتخطط لإنشاء العديد من السدود على المجرى الرئيس لنهر دجلة ومن هذه السدود سد لي- صو (موضوع بحثنا) الذي ستكون له آثار سلبية خطيرة على العراق.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مدى أحقية دول المجرى المائي الدولي في إنشاء السدود والمشاريع على المجرى دون الاتفاق أو التشاور مع دول المجرى الأخرى، وذلك من خلال إلقاء الضوء على سد لي- صو وبيان آثاره السلبية على العراق، على أن يكون ذلك في ضوء مبادئ القانون الدولي التي تحكم استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية. على أن البحث العلمي والقانون يقتضي منا أولا أن نحدد المقصود بمجاري المياه الدولية وكيف تطور نظامها القانوني وتطبيق ذلك على مجرى دجلة.

بناءا على ماتقدم، سوف تقسم هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، يتضمن المبحث الأول بيان المقصود بمجاري المياه الدولية وتطور نظامها القانوني، ويتضمن المبحث الثاني وصفا عاما لسد لي- صو وآثاره السلبية على العراق، أما المبحث الثالث فسيخصص لبحث المبادئ القانونية التي تحكم استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية، وفي الخاتمة سنضع أهم الاستنتاجات مع التوصيات والله ولي التوفيق

المبحث الأول: المقصود بمجاري المياه الدولية وتطور نظامها القانوني

ذكرنا في مقدمة بحثنا انه سيقتصر على دراسة مجاري المياه الدولية المستخدمة لأغراض غير ملاحية، فمالمقصود بمجاري المياه الدولية؟ وكيف تطور نظامها القانوني؟ هذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في هذا المبحث على أمل التوصل إلى تحديد فيما إذا كان نهر دجلة هو مجرى مائي دولي أم مياه عابرة للحدود، كما تدعي بذلك تركيا وبالتالي فهو يخضع لسيادتها المطلقة، على إن يكون ذلك في مطلبين، الأول يخصص لتحديد المقصود بمجاري المياه الدولية، والثاني سنتناول فيه تطور نظامها القانوني.

المطلب الأول: المقصود بمجاري المياه الدولية

لقد ذكرت تعريفات متعددة لتحديد المقصود بمجاري المياه الدولية (الأنهار الدولية)[1]. تختلف باختلاف طبيعة الاستغلال القائم في حينها لتلك المجاري، ففي السابق وعندما كانت الدول تهتم بمجاري المياه الدولية فقط لإغراض الملاحة، كان الفقهاء يؤكدون في تعريفاتهم على المعيار الوظيفي (الغائي). وطبقا لهذا المعيار يكون المجرى المائي دوليا إذا كان مستخدما للملاحة الدولية وان كان واقعا في إقليم دولة واحدة، ولا يعتبر دوليا إذا كان غير صالح للملاحة الدولية وان كان واقعا في إقليم أكثر من دولة. لكن الأخذ بهذا المعيار يؤدي إلى تجريد عدد كبير من مجاري المياه من الصفة الدولية بحجة عدم الصلاحية للملاحة.

ولكن بسبب التطورات العلمية الحديثة التي أظهرت استعمالات أخرى لمجاري المياه الدولية كالاستعمالات الزراعية والصناعية وتوليد الطاقة وغيرها، وبسبب القصور في المعيار السابق. اخذ الفقهاء يركزون وبشكل اكبر على المعيار الجغرافي، والذي يقضي بأن يكون المجرى المائي دوليا إذا كان فاصلا بين إقليم دولتين، أو مارا تباعا في أقاليم دول متعددة سواء أكان صالحا للملاحة أم لا. وهذا يعني إن المجرى المائي الدولي يكون على نوعين[2]: الأول هو الذي يفصل بين إقليم دولتين هو

ما يسمى بالنهر الحدودي أو النهر المتاخم، ومن أمثلة هذا النوع نهر أورجواي بين أورجواي والأرجنتين ونهر السنغال بين السنغال، مالي، غينيا وموريتانيا[٣]. وبطبيعة الحال تعيين الحدود بين الدولتين المعنيتين حسب القواعد المتبعة في تعيين الحدود الطبيعية بين الدول[٤]. إما النوع الثاني فهو الذي ينبع من دولة ويجري بشكل متتابع في أقاليم دول أخرى، أمثلة هذا النوع كثيرة منها نهر الدانوب، النيل، الميكونغ وغيرها. ويجب إن لايخفى عن البال، إن كل دولة مشتركة في مجرى مائي دولي تمارس سيادتها على جزء المجرى الذي يعود لها، ومن حقها استغلال مياهه للأغراض المشروعة المختلفة. بشرط مراعاة حقوق الدول الأخرى المشتركة معها في نفس المجرى، وعدم القيام بأية إعمال من شأنها الأضرار بتلك الحقوق.

ولم يغفل واضعو إحكام هلسنكي(Helsinki rules) لعام ١٩٦٦ المتعلقة باستعمال مياه الأنهار الدولية، أهمية المعيار الجغرافي في تعريف المجرى المائي الدولي. فتلك الأحكام وان كانت قد استخدمت مصطلح حوض المجرى الدولي(international drainage basin) إلا أنها أشارت بوضوح إلى المعيار الجغرافي واستبعدت المعيار الوظيفي عند تعريفها لحوض المجرى الدولي بقولها " حوض المجرى الدولي، مساحة جغرافية تمتد فوق إقليم دولتين أو أكثر تشكل شبكة للمياه تتضمن المياه السطحية والجوفية تتدفق نحو نقطة وصول مشتركة"[٥]. ونفس الشيء بالنسبة لاتفاقية استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧ إذ عرفت المجرى المائي بأنه " شبكة المياه السطحية والجوفية والتي تشكل بحكم علاقاتها الطبيعية ببعضها البعض كلا واحدا تتدفق عادة نحو نقطة وصول مشتركة" ثم عرفت المجرى المائي الدولي بأنه " أي مجرى مائي تقع أجزاءه في دول مختلفة"[٦]. وبطبيعة الحال فأن هذا التعريف يشمل المجرى المائي بنوعيه، أي سواء أكان فاصلا بين اقلي دولتين، أو مارا تباعا في أقاليم دول متعددة وسواء أكان صالحا للملاحة أم لا.

مما تقدم، يتبين إن القانون الدولي المعاصر يأخذ بعين الاعتبار أهمية المعيار الجغرافي في تعريف المجرى المائي الدولي حتى أصبح هو المعيار الغالب، فهو يمتاز بكونه معيارا واسعا ينطبق على كل مجرى مائي يفصل بين إقليم دولتين، أو ينساب تباعا في إقليم أكثر من دولة واحدة بغض النظر عن صلاحيته للملاحة الدولية. كما انه يمتاز بسهولة تطبيقه بالإضافة إلى سد جوانب النقص في المعيار الوظيفي وهو إن يكون المجرى المائي صالحا للملاحة الدولية لكي يكون دوليا، والذي ساد فترة من الزمن.

المطلب الثاني: نهر دجلة مجرى مائي دولي أم مياه عابرة للحدود

يتكون المجرى الرئيس لنهر دجلة من التقاء نهري بوتان صو وبتمان صو اللذان ينبعان من مرتفعات تركيا الجنوبية الشرقية، ويستمر النهر في جريانه مكونا الحدود بين سوريا وتركيا لمسافة ٤٤كم. ثم يدخل الحدود العراقية عند قرية فيشخابور، وترفده في العراق انهارا عدة أهمها الزاب الكبير، الزاب الصغير، ديالى، الخابور والعظيم. يبلغ طول النهر من منبعه إلى مصبه ١٩٠٠كم منها ٥٢٣كم داخل الأراضي التركية، و٣٢كم في الأراضي السورية، و١٣٤٥كم داخل الأراضي العراقية. وتبلغ مساحة حوض نهر دجلة حوالي ٤٧١ إلف كم٢، منها ١٢٪ في تركيا، و٠,٢٪ في

سوريا، و ٥٤٪ في العراق و٣٤٪ في إيران حيث تصب في نهر دجلة روافد تنبع من جبال زاجروس في إيران أهمها ديالى والزاب الصغير. وتساهم تركيا بحوالي ٥٢٪ من إمدادات مياه النهر سنويا، والعراق بحوالي ٤٨٪ إما سوريا فلا تساهم في شيء[٧].

ولو أخذنا بنظر الاعتبار المعيار الجغرافي في تعريف المجرى المائي الدولي، والتعريف الذي أخذت به إحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦، وكذلك التعريف الذي نصت عليه الاتفاقية العامة والمتعلقة باستخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧، لتبين بشكل قاطع إن نهر دجلة هو مجرى مائي دولي. فمن ناحية ينطبق عليه كلا النوعيين للمجرى المائي الدولي، فهو أولا يفصل بين إقليم دولتين وهما سوريا وتركيا، وثانيا يجري تباعا في إقليم أكثر من دولة، فهو ينبع من تركيا ثم سوريا وأخيرا يجري لمسافة طويلة داخل الأراضي العراقية. ومن ناحية أخرى ينطبق عليه تعريف المجرى المائي الدولي الذي نصت عليه أحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦ باعتباره مجرى مائي يمتد عبر إقليم أكثر من دولة. وكذلك التعريف الذي نصت عليه الاتفاقية العامة والمتعلقة باستخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧ باعتباره مجرى مائي تقع أجزاءه في دول مختلفة.

بناءا على ما تقدم، يتبين إن نهر دجلة هو مجرى مائي دولي طبقا لقواعد القانون الدولي، لكن الدولة الواقعة في أعلى المجرى وهي تركيا لها وجهة نظر مغايرة، فهي تعتبر إن مياه نهر دجلة وكذلك الفرات هي مياه عابرة للحدود تخضع للسيادة المطلقة لتركيا وليست مجاري مياه دولية[٨]. وبالتالي فأن الاتفاقيات الدولية المتعلقة بهذا الشأن لاتنطبق على هذين المجريين. ويؤكد ذلك مسلك تركيا على الصعيد الدولي، فهي كانت من بين الدول الثلاث التي صوتت ضد اتفاقية عام ١٩٩٧ على اعتبار أنها تتعارض مع قواعد القانون الدولي، ولاتحقق المساواة بين دول المجرى المائي، كما أنها لاتتضمن أية إشارة لمسألة سيادة الدولة النهرية أو الشاطئية (Riparian state) على جزء المجرى المائي المار في إقليمها[٩]. كما إن التصريحات الرسمية للمسئولين الأتراك تبين هذا المسلك بشكل واضح، فقد أعلن سليمان ديميريل رئيس وزراء تركيا عام ١٩٩٠ بقوله " إن لتركيا السيادة على مواردها المائية ولا يجب إن تخلق السدود التي تبنيها على نهري الفرات ودجلة أي مشكلة دولية ويجب إن يدرك الجميع انه لا نهر الفرات ولا نهر دجلة من الأنهار الدولية، فهما من الأنهار الوطنية حتى النقطة التي يغادران فيها الإقليم التركي"[١٠]. ثم أكد مرة أخرى وبمناسبة افتتاح سد أتاتورك على نهر الفرات " إن ما يعود لتركيا من مجاري مياه الفرات ودجلة وروافدهما هو تركي، وأن بإمكان تركيا إن تتصرف بهما كما تشاء داخل حدودها، لأن مصادر المياه تركية، كما إن آبار النفط تعود ملكيتها إلى العراق وسوريا، أنها مسألة سيادة"[١١]. كما صرح مسعود يلماظ رئيس الوزراء التركي الأسبق بقوله " إن المياه نفطنا، وان كان هناك من يرضى باقتسام نفطه مع الآخرين فتركيا على استعداد لاقتسام مياهها"[١٢]. وفي شأن ذلك أعلن وزير الدولة التركي والمسئول الأول عن مشروع جنوب شرق الأناضول (GAP) كمران ايتان إن " نهر الفرات ليس نهرا دوليا، فهو نهر مياهه ما وراء الحدود ولذلك وضعه غير مرتبط بالمعاهدات الدولية التي تسري على الأنهار الدولية"[١٣].

إن هذه المواقف الرسمية للمسؤلين الأتراك تشير بصورة واضحة إلى إن تركيا تعتبر مياه نهري دجلة والفرات مياها عابرة للحدود وليست مجاري مياه دولية، وأنهما ثروة طبيعية وطنية تخضع للسيادة المطلقة لتركيا. لكن القانون الدولي لايؤيد وبشكل قاطع هذا الموقف التركي، وحتى لو سلمنا جدلا بوجهة النظر التركية هذه فلا يوجد فارق بين المجرى المائي الدولي والمياه العابرة للحدود، والفارق الوحيد الذي يمكن إن يظهر هو في التسمية فقط. ويؤيدنا في ذلك نص الفقرة (١) من المادة(١) من اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة باستخدام وحماية مجاري المياه العابرة للحدود والبحيرات الدولية لعام ١٩٩٢ إذ عرفت المياه العابرة للحدود (Transboundary waters) بقولها " المياه العابرة للحدود تعني أي مياه سطحية أو جوفية فاصلة، عابرة أو واقعة بين إقليم دولتين أو أكثر تتدفق مباشرة نحو البحر، وهذه المياه العابرة للحدود تعيين نهايتها عند مصبها بخط مستقيم يصل بين نقطتين على ضفتيها عند أدنى مستوى للمياه". فهذا التعريف مشابه لتعريف المجرى المائي الدولي الذي نصت عليه أحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦ والذي نصت عليه أيضا اتفاقية عام ١٩٩٧. وهذا يؤكد انه لايوجد فارق جوهري بين المجرى المائي الدولي والمياه العابرة للحدود، لأن المجرى المائي الواقع في دولة معينة بمجرد عبوره للحدود السياسية الفاصلة بين هذه الدولة ودولة أخرى، ستزول عنه الصفة الوطنية وتنطبق عليها الصفة الدولية، أي سيصبح مجرى مائي دولي وستكون مياهه بحكم طبيعتها مياها عابرة للحدود، تنطبق عليها مبادئ وقواعد القانون الدولي المتعلقة بمجاري المياه الدولية.

المطلب الثالث: تطور النظام القانوني لمجاري المياه الدولية

لقد نظم القانون الدولي عملية استغلال مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية منذ فترة طويلة، حيث كانت الدول المشتركة في المجرى المائي الدولي تعقد فيما بينها الاتفاقيات الثنائية والجماعية التي تنظم عملية استغلال مياه المجرى، ويبلغ عدد هذه الاتفاقيات في الوقت الحاضر أكثر من ٣٠٠ اتفاقية. وعلى أية حال، فقد بقي النظام القانوني لمجاري المياه الدولية في المراحل الأولى لنشوئه يدور بين فكرة السيادة الإقليمية المطلقة وفكرة الوحدة الإقليمية المطلقة، ثم ظهرت بعد ذلك فكرة السيادة الإقليمية المقيدة أو المحدودة وفكرة الملكية المشتركة. وفي هذا المطلب سنستعرض أهم النظريات التي مثلت مراحل تطور النظام القانوني لمجاري المياه الدولية.

أولا:- نظرية السيادة الإقليمية المطلقة (Absolute territorial sovereignty)

تذهب هذه النظرية إلى القول بالسيادة التامة للدولة على جزء المجرى المائي المار في إقليمها، وحقها في استغلال مياهه دون أي قيد أو اعتبار للآثار أو الأضرار التي يمكن إن يسببها هذا الاستغلال للدول المشتركة معها في نفس المجرى[١٤]. وأول من قال بهذه النظرية هو النائب العام الأمريكي جدسون هارمون (Judson Harmon)، وذلك بمناسبة النزاع بين بلاده والمكسيك بشأن اقتسام مياه نهر ريو جراند (Rio Grand) عام ١٨٩٥ ولذلك يطلق على هذه النظرية أيضا مبدأ هارمون[١٥]. فقد أشار السيد هارمون في محض دفاعه عن حقوق بلاده بقوله "الواقع، إن افتقار نهر ريو جراند إلى مياه تكفي لسد حاجات السكان في كلا البلدين، لا يخول المكسيك إن تفرض قيودا

على الولايات المتحدة من شأنها إن تعوق التنمية في إقليمها، أو تحرم سكانها من فائدة وهبتها لهم الطبيعة، وإعطاء المكسيك هذا الحق يتعارض تماما مع مبدأ إن الولايات المتحدة تمارس سيادتها التامة على إقليمها الطبيعي"[١٦].

ومهما يكن، فأن هذه النظرية أو المبدأ يحقق مصلحة دول أعلى المجرى المائي الدولي بشكل كبير، إذ انه لايفرض عليها أية مسئولية نتيجة الآثار الضارة التي يحدثها استغلالها لمياه المجرى المائي للدول الواقعة أسفل المجرى المائي[١٧]. لذلك فأن هذه الأخيرة وتؤيدها في ذلك الممارسة الدولية المتمثلة بالمعاهدات المعقودة بهذا الشأن، ترفض بشدة الأخذ بهذه النظرية لأنها لاتشكل أساسا كافيا لتسوية نزاعاتها حول مجاري المياه المشتركة، كما إن فيها إهدار لحقوقها التي تقرها المبادئ والقواعد القانونية الدولية التي تنظم استغلال مجاري المياه الدولية كمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول، مبدأ عدم إحداث الضرر ومبدأ التعاون[١٨]. بينما تحظى هذه النظرية بدعم الدول الواقعة أعلى المجرى المائي الدولي، كما هو الحال بالنسبة لتركيا في نزاعها مع سوريا والعراق حول نهري دجلة والفرات باعتبارها دولة منبع بالنسبة لهذين النهرين وتتمسك بشدة بهذه النظرية[١٩]. وكذلك الهند في نزاعها مع الباكستان حول نهر الأندوس، وأثيوبيا في نزاعها مع مصر والسودان حول مياه نهر النيل[٢٠].

ثانيا: - نظرية الوحدة الإقليمية المطلقة (Absolute territorial integrity)

على خلاف النظرية السابقة، فأن هذه النظرية تؤكد إن سيادة الدولة على جزء المجرى المائي المار في إقليمها ليست مطلقة، وإنما هي مقيدة بمبدأ الوحدة الإقليمية أو الطبيعية المطلقة للمجرى المائي الدولي باعتباره وحدة واحدة متكاملة من منبعه إلى مصبه، فلا يجوز لأية دولة مشتركة في المجرى استغلال مياهه على النحو الذي يسبب إضرارا لدول المجرى الأخرى[٢١]. يطلق بعض الفقهاء على هذه النظرية حق المشاطئة(Riparian right). لأنها تضمن لدول أسفل المجرى المائي الدولي حقها في استغلال موارد مياه المجرى الطبيعية التي تنبع من دول أعلى المجرى[٢٢]. هذه النظرية فيها فائدة واضحة لدول أسفل المجرى ولذلك فهي تنال دعم هذه الدول، ومنها مصر بالنسبة لمجرى نهر النيل، والباكستان بالنسبة لنهر الأندوس[٢٣]. كما أنها تحقق مصلحة دول أسفل مجرى نهري دجلة والفرات وخصوصا العراق حيث إن له حقوقا تاريخية وثابتة في مياه النهرين المذكورين[٢٤]. وعلى أية حال، فان الممارسات الدولية لا تأخذ بهذه النظرية على اعتبار إنها لاتحقق الأنصاف بين جميع الدول المشتركة في المجرى المائي، كما إنها لاتمثل مبدأ للقانون الدولي[٢٥].

ثالثا: - نظرية السيادة الإقليمية المقيدة أو المحدودة (Limited territorial sovereignty)

تميل هذه النظرية إلى الجمع أو التوفيق بين النظريتين السابقتين، وتذهب إلى القول إن الحقوق السيادية لدول المجرى المائي الدولي مقيدة بالتزامات وحقوق متبادلة فيما بينها. فكل دولة من دول المجرى المائي تعترف بحق دول المجرى الأخرى في استعمال كميات معينة من مياه المجرى، وتلتزم بأن يكون هذا الاستعمال منتظما حتى لا يكون هناك تعارض، كما تلتزم بأن لايؤدي هذا الاستعمال إلى إحداث ضرر جوهري لبعضها البعض على أساس المساواة في الحقوق. هذا الاعتراف المتبادل بالحقوق والالتزامات يعكس رغبة دول المجرى في تفادي النزاعات فيما بينها، كما يحقق لها موارد للمياه مستديمة ومضمونة[٢٦]. إن هذه النظرية أصبحت الاتجاه السائد بين الدول المشتركة في مجاري

المياه الدولية، وبالتالي فهي بمثابة قاعدة عرفية للقانون الدولي، وقد أخذت بها المحاكم الدولية في قراراتها ومنها حكم محكمة التحكيم الدولية الصادر عام ١٩٥٧ في النزاع بشأن بحيرة لانو (Lake Lanoux) بين فرنسا واسبانيا والذي جاء فيه " أن السيادة الإقليمية..... يجب إن تخضع احتراما إمام كل الالتزامات الدولية"[٢٧]. وفي الحقيقة كانت هذه النظرية باعثا على الأخذ بمبادئ الاستخدام المنصف والمعقول، عدم إحداث الضرر ومبدأ التعاون، والتي نص عليها في المعاهدات الدولية ذات الصلة ومن أبرزها اتفاقية حماية واستخدام مجاري المياه العابرة للحدود والبحيرات الدولية لعام ١٩٩٢، واتفاقية استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧. وبناءا عليه، يتبين أن هذه النظرية تحقق مصالح كل دول المجرى المائي الدولي، ومنها الدول المشتركة في مجرى نهري دجلة والفرات، إلا إن تركيا وهي دولة أعلى المجريين المذكورين ترفضها بشدة وتعتبرها متعارضة مع القانون الدولي، وهذا نابع بطبيعة الحال من وجهة النظر التركية الرسمية التي تعتبر إن لها السيادة المطلقة على مياه المجريين باعتباره مياه عابرة للحدود وقد سبق وان اشرنا إلى ذلك. بينما سوريا وهي دولة وسط المجريين تميل إلى تبني هذه النظرية، أما دولة أسفل المجريين وهي العراق فتوافق على إن هذا المفهوم هو أفضل وسيلة لتحقيق مصالحه[٢٨]. ومهما يكن، فأن الممارسات الدولية تميل إلى الأخذ بنظرية تقضي بتحديد أكثر للسيادة الإقليمية ألا وهي نظرية الملكية المشتركة.

رابعا: - نظرية الملكية المشتركة للمياه (Community of interests in waters)

تقضي هذه النظرية باستغلال مياه المجرى المائي الدولي عن طريق المشاركة فيما بين دول المجرى باعتباره وحدة جغرافية واقتصادية واحدة، بغض النظر عن الحدود السياسية الفاصلة بينها[٢٩]. أو بعبارة أخرى كما لو لم تكن هناك حدود دولية بينها[٣٠]. حيث تتفق دول المجرى على تقاسم موارد المياه وعلى تنميتها وحمايتها بالتساوي، وعلى القيام بالأعمال المناسبة وعدم التصرف بمياه المجرى أو التأثير بنوعيتها دون الاتفاق أو التعاون مع الدول التي تشاركها نفس المجرى[٣١]. وقد عكس مضمون هذه النظرية الحديثة في العديد من الاتفاقيات التي عقدت بين دول المجرى، وتجسد ذلك بشكل نصوص اتفاقية تفرض على الإطراف الالتزام بالمشاركة في أدارة المجرى المائي عن طريق إنشاء لجان مشتركة فيما بينها، كاتفاقية إنشاء لجنة تنمية نهر السنغال لعام ١٩٧٢ واتفاقية إنشاء لجنة إدارة وتنمية نهر كاجيرا لعام ١٩٧٧ [٣٢]. حتى إن اتفاقية عام ١٩٩٧ أشارت إلى انه بإمكان الدول الأطراف فيها أن تدرس إمكانية إنشاء اللجان المشتركة فيما بينها[٣٣]. والتي بينت الممارسة الدولية بشأنها إلى إنها يمكن إن تشجع بشكل كبير التعاون بين دول المجرى، كما أنها تساهم في تطوير قانون مجاري المياه الدولية[٣٤]. وبالإضافة إلى ذلك هناك متطلبات إجرائية معينة الغرض منها التعاون بين دول المجرى المائي كالتشاور، الأشعار المسبق وتبادل البيانات والمعلومات. بالرغم من الفائدة الكبيرة التي يمكن إن تقدمها هذه النظرية في الواقع الدولي المعاصر ألا إنها تنادي بأفكار يتعذر تطبيقها في ضوء مشكلة ندرة المياه العذبة التي تسيطر على كوكب الأرض[٣٥].

المبحث الثاني: سد لي – صو وآثاره السلبية على العراق

بدأت تركيا منذ أوائل سبعينيات القرن المنصرم بمشاريعها لاستغلال مياه نهري دجلة والفرات دون التشاور مع الدول المشتركة معها في هذين المجريين وهما سوريا والعراق. وتطلق تركيا على المشاريع التي قامت بإنشائها والتي تخطط لأقامتها في المستقبل اسم مشروع جنوب شرق الأناضول(Guneydo u Anadolu Projesi)، والذي يعرف في المصادر العربية اسم مشروع الغاب (Gap)[٣٦]. ويتكون هذا المشروع من ٢٢ سدا و ١٩ محطة للطاقة الكهرومائية وعدد من الأنفاق والقنوات الأروائية، ومن جملة ما يتضمنه المشروع إقامة أربعة سدود على المجرى الرئيسي لنهر دجلة وروافده، ومن أهم هذه السدود سد لي – صو، وهو موضوع بحثنا والذي أعلنت في العام الماضي عن المباشرة بإنشائه على المجرى الرئيسي لنهر دجلة. لقد أثار هذا السد احتجاجات واسعة من قبل دول أسفل المجرى، ومن قبل جهات عديدة أخرى سواء في داخل تركيا نفسها أو في خارجها بسبب آثاره السلبية المتنوعة على دول المجرى المائي الثلاث.

بناءا على ما تقدم، سوف نتناول هذا المبحث في مطلبين الأول يخصص لبيان الوصف العام لسد لي – صو، والثاني سنتناول فيه الآثار السلبية للسد على العراق.

المطلب الأول: الوصف العام لسد لي – صو

بدأ التخطيط لإنشاء مشروع السد منذ عام ١٩٩٩ وفي ١٥ آب ٢٠٠٦ وضع حجر الأساس له على المجرى الرئيسي لنهر دجلة عند قرية لي – صو، التي اخذ منها السد تسميته والواقعة جنوب تركيا قرب منطقة دراغتيجيت. والسد من نوع السدود الإملائية يبنى بطريقة الردم بالأحجار (Rock fill)مثل سد أتاتورك على نهر الفرات، ويتوقع إن يكتمل بناؤه عام ٢٠١٣[٣٧]. يقع السد على بعد ٤٥كم من الحدود السورية العراقية، ويبلغ طوله حوالي ١٨٢٠م وارتفاعه حوالي ١٣٥م، ويبلغ منسوب قمته ٥٣٠م، أما منسوب الخزن الاعتيادي للسد فيبلغ ٥٢٥م في حين يبلغ الخزن الفيضاني الأعلى ٥٢٨م، ويصل حجم الخزن الاعتيادي للسد إلى ١٠،٤١ مليار م٣، فيما يصل حجم الخزن الكلي إلى ١١،٤٠ مليار م٣، وتبلغ المساحة التي تغطيها مياه خزان السد ٣٠٠كم٢[٣٨]. وسيولد طاقة كهربائية تصل إلى (١٢٠٠) ميغا واط وبطاقة سنوية تصل إلى ٣٨٣٠ جيجا واط، وتبلغ الكلفة التخمينية للسد حوالي ١،٥٢ بليون دولار[٣٩]. وبتمويل من شركات سويسرية وبريطانية وأمريكية وألمانية وسويدية وايطالية[٤٠].

المطلب الثاني: الآثار السلبية للسد على العراق

إن سد بهذا الحجم الكبير كسد لي – صو تقيمه دولة في أعلى المجرى المائي الدولي (دجلة)، ستكون له انعكاساته الخطيرة على دول أسفل المجرى المذكور وخصوصا العراق لأن المجرى يمر فيه من شماله إلى جنوبه، كما انه سبق دول المجرى الأخرى في استغلال مياهه للأغراض الزراعية والصناعية وتوليد الطاقة وسد حاجات السكان وغيرها. في حين لم تبدأ دولة أعلى المجرى (تركيا) في

استغلال مياهه إلا في وقت قريب جدا، ولاتوجد استخدامات تذكر لمياه المجرى من قبل دولة وسط المجرى (سوريا). فإذا بني السد وتم فعلا حبس مياه مجرى نهر دجلة، فأن كميات المياه الواردة إلى العراق ستنخفض إلى اقل من النصف. فمعدل الوارد المائي الطبيعي للمجرى عند الحدود العراقية السورية التركية يبلغ ٩، ٢٠ مليار م٣ في السنة، وفي حال اكتمال بناء السد سينخفض إلى ٧، ٩ مليار م٣ في السنة، وهذا النقص في الوارد المائي ستكون له آثاره السلبية على القطاعات المختلفة في العراق والتي يمكن إجمالها بما يأتي: -

١. الآثار على قطاع الزراعة: - إن النقص في كميات المياه الواردة إلى العراق سيؤدي إلى تقليص مساحات الأراضي الزراعية فيه، فالعراق يقوم حاليا بإرواء ما يقدر ب١٧٨، ٢ مليون هكتار من الأراضي الزراعية ضمن حوض نهر دجلة، وتظهر الحسابات الفنية انه في حالة حدوث نقص مقداره ١ مليار م٣ من مياه نهر دجلة، فأن ذلك سيؤدي إلى تجميد مساحات زراعية تقدر ب٦٢٥٠٠ هكتار. وعند اكتمال بناء سد لي – صو تقدر مساحة الأراضي الزراعية التي ستعاني من نقص إمدادات المياه ب٦٩٦٠٠٠ هكتار ممتدة على طول مجرى نهر دجلة، الأمر الذي سيتسبب في تقليص مساهمة القطاع الزراعي في الإنتاج المحلي. حيث إن تقلص مساحات الأراضي الزراعية نتيجة النقص في إمدادات المياه، سيدفع بالفلاحين والمزارعين إلى ترك مهنة الزراعة والهجرة إلى المدن بحثا عن مصادر أخرى للعيش. كما سيؤدي النقص في كميات المياه الواردة للعراق إلى ارتفاع نسبة الملوحة في مياه نهر دجلة، وهذا سينعكس بدوره سلبا على الأراضي الزراعية، حيث سترتفع نسبة الملوحة فيها وهذه مشكلة لايمكن معالجتها إلا بكميات إضافية من المياه العذبة من اجل إزالة الملوحة من التربة[٤١].

٢. الآثار على قطاع البيئة: - حيث سيؤدي النقص في كميات المياه الواردة إلى العراق من نهر دجلة إلى استفحال ظاهرة التصحر، وانتشار الكثبان وتكرار العواصف الرملية. كما سيؤدي النقص في امدادت المياه إلى تدهور المراعي الطبيعية وانخفاض إنتاجياتها وتدمير المساحات الخضراء، والتأثير سلبا على الأهوار وبيئتها الطبيعية في جنوب العراق، وسيجعل عملية إنعاشها أمرا مستحيلا بعد إن كانت قد جففت في السابق. وستكون مياه نهر دجلة ذات نوعية رديئة بسبب ارتفاع نسبة التلوث والملوحة فيها جراء انخفاض مناسيبها في المجرى المذكور[٤٢].

٣. الآثار على قطاع الطاقة: - إن إنشاء سد لي – صو وما يسببه من نقص في كميات المياه الواردة إلى العراق من نهر دجلة ستكون له آثاره السلبية على توليد الطاقة الكهربائية في العراق التي تعاني من التدهور أصلا من محطاتها المقامة على المجرى المذكور، وخصوصا عند سد الموصل وسد سامراء. وسيؤدي النقص الحاصل في إمدادات الطاقة الكهربائية إلى التأثير على عمل القطاعات الأخرى المختلفة (النفط، الصناعة، الصحة واحتياجات السكان)، التي تعتمد على الطاقة الكهربائية للقيام بأعمالها المختلفة[٤٣].

٤. الآثار على قطاع السكان: - سيكون لسد لي – صو أيضا آثاره على سد احتياجات السكان، حيث سيتسبب في حرمان الكثير من السكان القاطنين على مجرى نهر دجلة من إمدادات مياه الشرب والاحتياجات المنزلية الأخرى. كما إن السد المذكور لايقلل من ذروة الفيضانات العالية وهذا سيؤثر

على سلامة وامن السكان المدنيين القاطنين أسفل مجرى نهر دجلة. وسيؤثر أيضا في عملية خزن المياه في الخزانات الطبيعية كبحيرة الثرثار وبحيرة الحبانية، والتي يمكن أن يعتمد عليها العراق في سد احتياجات السكان وغيرها في مواسم الجفاف[٤٤].

ونظرا لهذه الآثار السلبية لسد لي- صو على العراق فقد واجه المشروع معارضة شديدة من جانب العراق، وكذلك سوريا وهي دولة متضررة من المشروع أيضا. كما احتجت جامعة الدول العربية، ولذلك فقد امتنعت دول عديدة عن تمويل المشروع بالإضافة إلى صندوق النقد الدولي[٤٥]. بالإضافة إلى ما تقدم، فقد أثار الإعلان عن بناء سد لي- صو احتجاج الأوساط المعنية بالقضايا البيئية والإنسانية والثقافية في تركيا نفسها، بسبب تأثيراته السلبية على المناطق الواقعة جنوب شرق تركيا. فالسد عند اكتمال بناءه سيغرق مساحة تزيد على ٣٠٠كم٢، وهذا سيؤدي بدوره إلى هجرة (٧٨٠٠٠) مواطن تركي غالبيتهم من الأكراد، وتركهم لقراهم البالغ عددها ١٨٣ قرية من ضمنها قرية (حسان كيف) أي حصن الكهف التي يعود تاريخ بنائها إلى العصور الوسطى. يضاف إلى ذلك الآثار البيئية للسد، والمشاكل والتوترات السياسية التي ستنشأ بين دول المجرى المائي[٤٦]. بسبب انفراد دولة أعلى المجرى بإقامة المشاريع والسدود دون الاتفاق أو التشاور مع الدول المشتركة معها في نفس المجرى، منتهكة بذلك القواعد والمبادئ القانونية الدولية التي تنظم استغلال مجاري المياه الدولية.

المبحث الثالث: المبادئ القانونية التي تنظم استعمال مجاري المياه الدولية

هناك مجموعة من المبادئ القانونية التي تنظم استعمال مجاري المياه الدولية وهي مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول، مبدأ عدم إحداث الضرر الهام ومبدأ التعاون المشترك. وتعد هذه المبادئ جزءا من العرف الدولي كما اثبت ذلك الممارسات الدولية، وبالتالي فأنها تكون ملزمة لجميع الدول المشتركة في مجاري المياه الدولية. وقد جرت محاولات عديدة لتقنينها في إطار معاهدة دولية شارعه، وكانت المحاولة الأولى ضمن ما عرف بأحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦ بشان استعمال مياه الأنهار الدولية لأغراض غير ملاحية. لكن أحكام هلسنكي لم تكن ملزمة للجماعة الدولية لأنها دونت بطريق غير رسمي من قبل جمعية القانون الدولي، ومع ذلك فقد بقيت ولفترة طويلة مؤثرة على الصعيدين الإقليمي والدولي. ثم جرت بعد ذلك المحاولة الثانية من قبل لجنة القانون الدولي، بناءا على توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧١ لوضع اتفاقية عامة تنظم استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية وتكون ملزمة للجماعة الدولية. وفي ٢١ أيار ١٩٩٧ اعتمدت الجمعية العامة معاهدة بهذا الخصوص وضعتها اللجنة المذكورة، وقد تضمنت المبادئ القانونية التي اشرنا إليها سلفا.

بناءا على ما تقدم، سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على هذه المبادئ، على إن يكون ذلك في ثلاثة مطالب، الأول سنتناول فيه مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول، والثاني سيخصص لمبدأ عدم إحداث الضرر الهام، أما المطلب الثالث فسنبحث فيه مبدأ التعاون بين الدول المشتركة في المجرى المائي الدولي.

المطلب الأول: مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول
(principle of equitable and reasonable utilization)

أولا:- تعريف المبدأ

يمثل هذا المبدأ حجر الزاوية في قانون استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية، ويعني استخدام مياه المجرى المائي الدولي من قبل جميع الدول المشتركة فيه بطريقة منصفة معقولة، وهذا يقتضي موازنة جميع العوامل ذات الصلة، ومقارنة الفوائد التي تنتج من الاستعمال مع الأضرار التي قد تصيب مصالح إحدى دول المجرى[٤٧]. وتوزيع المياه بين دول المجرى سيكون على أساس المساواة في الحقوق وليس الحصص، أي أن دول المجرى لها الحق المتساوي في استغلال مياهه من اجل تحقيق اكبر فائدة ممكنة لكل دول المجرى، بهدف تحقيق إشباع اكبر قدر ممكن من حاجاتها[٤٨]. وان كانت عملية الاستخدام المنصف والمعقول لمياه المجرى الدولي أمر معقد وهي عملية متقدمة باستمرار وتتغير بتغير الظروف والاستعمالات[٤٩]. وهناك من يرى إنها ما زالت بحاجة إلى تحديد في القانون الدولي العام[٥٠].

يقوم هذا المبدأ على أساس المساواة في السيادة بين الدول، فإذا كانت الدولة تملك الحق في استخدام مياه المجرى المار في إقليمها بأسلوب انفرادي وغير مقيد، فأن هذا الاستخدام يمكن أن يعوق استخدامات الدول الأخرى المشتركة معها في نفس المجرى، وبالتالي فأن استخدام تلك الدولة سيتمتع من الناحية الواقعية بأعلوية أو أسبقية على استخدامات الدول الأخرى، في حين أن حقوق جميع الدول المشتركة في المجرى متساوية أو متكافئة[٥١]. لذلك يقتضي القانون الدولي أن تكون طريقة الاستخدام المنصف والمعقول قائمة على أساس السماح لكل الدول التي لها موارد مياه مشتركة، باستخدام تلك الموارد بشكل محدد أو مقيد بالحقوق المشروعة لبعضها البعض. ولذلك فان هذا المبدأ مشتق من مبدأ أو نظرية السيادة الإقليمية المحدودة[٥٢].

إن هذا المبدأ أثبتته الممارسة الدولية ولذلك فهو مبدأ عرفي وقد نصت عليه أحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦ في المادة (IV) بقولها " أن جميع دول حوض المجرى المائي لها الحق ضمن حدود إقليمها، في الحصول على حصة منصفة ومعقولة لإغراض الانتفاع بمياه حوض المجرى المائي الدولي". كما نصت عليه اتفاقية عام ١٩٩٧ في المادة (٥) الفقرة (١) بقولها "إن على دول المجرى المائي كل في داخل حدود إقليمها استخدام المجرى المائي الدولي بأسلوب منصف ومعقول.....". كما أكدته المؤتمرات الدولية المتعلقة بمجاري المياه الدولية منها مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في (مار ديل بلاتا) في الأرجنتين عام ١٩٧٧[٥٣]. وأكده القضاء الدولي بمناسبة حكم محكمة العدل الدولية عام ١٩٩٧ في النزاع المعروف باسم (مشروع غابيتشكوفو_ ناغيماروس (Gabcikovo_ Nagymaros project) بين هنغاريا وسلوفاكيا بقولها " إن على دول المجرى المائي أن تشارك في استخدام، تنمية وحماية المجرى المائي الدولي بأسلوب منصف ومعقول"[٥٤]. وفي فقرة أخرى من حكمها أكدت المحكمة على المبدأ بقولها " إن لهنغاريا حق أساسي في المشاركة بأسلوب منصف ومعقول في موارد المجرى المائي الدولي"[٥٥]. كما إن القضاء الداخلي أكد المبدأ كما في الأحكام التي أصدرتها المحكمة العليا في الولايات المتحدة الأمريكية بشأن النزاعات حول مياه الأنهار المشتركة بين الولايات الاتحادية، كالنزاع بين ولايتي كنساس وكولورادو والنزاع بين ولايتي نيو جرسي ونيويورك[٥٦].

ثالثا: – العوامل ذات الصلة بالمبدأ

ذكرنا سابقا إن مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول يعني المساواة في الحقوق وليس الحصص بين الدول المشتركة في المجرى المائي الدولي. ولكن كيف يمكن للدولة الواقعة أسفل المجرى المائي الدولي كالعراق مثلا، إن تعرف إن استخدام الدولة الواقعة أعلى المجرى المائي كتركيا مثلا هو استخدام منصف ومعقول؟

قد تكون الإجابة في غاية الصعوبة، خصوصا عند غياب آليات التعاون بين دول المجرى، لكن المعاهدات الدولية ذات الصلة تبين إن هناك مجموعة من العوامل التي يجب على دول المجرى أخذها معا بنظر الاعتبار عند تحديد الاستخدام المنصف والمعقول باعتبارها وحدة كاملة[٥٧]. وهذه العوامل دونتها أحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦ في المادة (V) الفقرة (II)، كما نصت عليها الاتفاقية العامة لعام ١٩٩٧ في المادة (٦) الفقرة (١). وهي ليست شاملة أو محددة، كما ان القيمة المعطاة لكل عامل تحدد حسب أهميته بالمقارنة مع العوامل الأخرى ذات الصلة ويمكن أجمالها بما يأتي: –

١. العوامل الجغرافية، الهيدروجرافية، الهيدرولوجية، المناخية وعوامل أخرى ذات خصائص طبيعية. وتتضمن هذه العوامل مثلا طول المجرى المائي الدولي ومساحة حوضه في كل دولة، وإسهام دول المجرى في إمدادات مياه المجرى، وتأثير المجرى المائي على المناخ في كل دولة من دوله. وبالنسبة لمجرى نهر دجلة فهو ينبع من مرتفعات تركيا الجنوبية الشرقية، لكم القسم الأكبر من طول المجرى ومساحة حوض المجرى تقع داخل العراق، كما أن الأخير يساهم بما يقارب من نصف إمدادات مياه المجرى وقد اشرنا إلى ذلك سابقا. ولذلك فأن للمجرى المذكور تأثير على المناخ والطقس في العراق.

٢. الاستخدام السابق والحالي والمحتمل لمياه المجرى من قبل دول المجرى، أي احترام الحقوق التاريخية والاستخدامات القائمة في مياه المجرى، ذلك أن هذه الحقوق تمس مصالح مجتمعات موجودة لقرون عديدة، وعلى أساسها نظمت ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية[٥٨]. فالعراق كان سباقا من بين دول مجرى نهر دجلة في استخدام مياهه، أي منذ ما يقارب من ٦٠٠٠ سنة، على خلاف تركيا التي لم تبدأ باستخدام مياه المجرى المذكور ألا في نهاية تسعينيات القرن المنصرم، ولا توجد استخدامات تذكر لسوريا، وبالتالي فأن حقوق العراق هي حقوق ثابتة وتاريخية لها الأولوية على استخدامات دول المجرى الأخرى. وهو يقوم حاليا بإرواء ما يقارب ٢,١٧٨ مليون هكتار ضمن حوض نهر دجلة مقابل ٦,٥ ألف هكتار لتركيا[٥٩].

٣. الحاجات الاقتصادية والاجتماعية لدول المجرى المائي، كالحاجة للمياه لغرض إرواء الأراضي الصالحة للزراعة بهدف تحقيق الأمن الغذائي، والحاجة للمياه الصالحة للشرب لغرض سد احتياجات السكان، مع الأخذ بنظر الاعتبار التغيرات السكانية لأن النمو السكاني المتزايد يرافقه زيادة في الطلب على الغذاء والمياه العذبة[٦٠]. ففي العراق تقدر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة ب(٥، ١١) مليون هكتار، ومعظم هذه المساحات والتي تقدر ب(٨) مليون هكتار بحاجة لمياه الري[٦١]. كما أن معدل النمو السكاني فيه اكبر بكثير من دول مجرى نهر دجلة الأخرى إذ بلغ عام ٢٠٠٣ نسبة ٢,٧٨٪ مقابل ١,١٦٪ في تركيا و٢,٤٥٪ في سوريا[٦٢].

٤. اعتماد السكان على مياه المجرى المائي الدولي في كل دولة من دول المجرى، فإذا كان سكان دولة أسفل المجرى يعتمدون بشكل كبير على مياهه لأغراض الزراعة، فأن قيام دولة أعلى المجرى

بأي عمل من شأنه أن ينقص من كمية المياه الواردة إلى دولة أسفل المجرى، فأنه سيضع الأخيرة أمام خطر كبير لأنها ستكون عاجزة عن تلبية احتياجات السكان، خصوصا إذا كان معدل النمو السكاني فيها يفوق دول المجرى الأخرى. والحال ليست كذلك مع تركيا لأنها دولة واقعة أعلى مجرى نهر دجلة، ولا تتأثر بالأعمال التي تقوم بها دول أسفل المجرى، بالإضافة إلى بطئ النمو السكاني لديها مع نسبة عالية من الأراضي المزروعة والتنوع في اقتصادها[٦٣]. على خلاف العراق الذي يعاني من النقص في إمدادات المياه بسبب المشاريع التركية في أعلى المجرى، وانخفاض في نسبة الأراضي المزروعة، مع ارتفاع معدل النمو السكاني، بالإضافة إلى أن القطاع الزراعي قد تأثر بشكل كبير بسبب الحصار الاقتصادي الذي فرض عليه من عام ١٩٩٠ وحتى عام ٢٠٠٣.

٥. آثار استخدام مياه المجرى المائي من قبل إحدى دوله على دول المجرى الأخرى، فقيام إحدى دول المجرى باستخدام مياهه يجب أن لاتكون له نتائج عكسية على القطاعات الزراعية، الصناعية، البيئية، الطاقة، حاجات السكان وغيرها في دول المجرى الأخرى. لكن هذا لايمنع دولة أعلى المجرى مثلا من استخدام مياهه للأغراض المختلفة، ولكن بشرط الاتفاق مع دول المجرى الأخرى، أو التشاور معها بحيث يمكن تلافي الآثار الضارة التي يحدثها هذا الاستخدام. وقد سبق وان بينا الآثار السلبية التي يسببها إنشاء سد لي – صو التركي على نواحي الحياة المختلفة في العراق، دون الاتفاق أو التشاور مع العراق.

٦. الاستخدام الاقتصادي لمياه المجرى المائي الدولي وحمايتها وتنميتها، ويكون ذلك عن طريق تحسين طرق الري والزراعة وتنظيم جريان المياه، بهدف تحقيق الاستخدام الاقتصادي وترشيد استهلاكها وتنمية مواردها والحفاظ على نوعيتها. لذلك فقد أنشأ العراق العديد من السدود والخزانات على مجرى نهر دجلة وروافده، بهدف ضمان استغلال موارد المجرى أفضل استغلال، وتم استخدام طرق الري الحديثة واعتماد التخطيط العلمي وبرمجة تنفيذ المشاريع الزراعية لغرض استخدام المياه استخداما اقتصاديا وترشيد استهلاكها[٦٤].

٧. البدائل المتاحة والمخطط لها والمستخدمة حاليا، أن تحديد البدائل المتاحة يتطلب دراسة موارد المياه البديلة في كل دولة من دول المجرى وتكاليفها النسبية، ويتضمن مثلا وجود مجاري مياه وطنية تنبع وتصب في داخل الدولة، تحليه أو إزالة الملاح من المياه الجوفية أو مياه البحر قليلة التملح بالإضافة إلى استيراد المياه[٦٥]. وهذه البدائل متوفرة كلها لدى تركيا، حيث توجد لديها انهارا وطنية كنهري سيهان ومانافجات[٦٦]. بالإضافة إلى مجاري المياه الدولية دجلة والفرات، كما أنها تملك التكنولوجيا لتحليه مياه البحار التي تطل عليها وكذلك المياه الجوفية الموجودة داخل إقليمها. أما فيما يتعلق باستيراد المياه، فالمعروف أن تركيا تخطط لتصدير المياه بدلا من استيرادها وذلك من خلال ما يسمى بمشروع أنبوب السلام الذي تحاول من خلاله تصدير المياه إلى اسرائيل ودول أخرى في المنطقة. كل ذلك يعني أن تركيا غنية بموارد المياه، وقد قدرة منظمة الفاو نسبة الموارد المائية في تركيا ب(٢٢٥) مليارم٣ تمثل المياه السطحية منها حوالي (١٨٦)مليارم٣ والمتاح منها فعلا لغرض الاستخدام يقدر ب(١١٠) مليارم٣ وهي تستخدم الآن فقط ٤٠ مليارم٣[٦٧]. أما العراق فهو يعاني من نقص في كمية المياه الواردة إليه من دجلة والفرات، ورداءة في نوعيتها وارتفاع نسبة الملوحة

فيها، بسبب المشاريع التركية على المجريين المذكورين، ولا تتوفر لديه البدائل المتاحة كما هو الحال بالنسبة لتركيا.

رابعا:- تركيا ومبدأ الاستخدام المنصف والمعقول

مما سبق، يتبين أن القانون الدولي يفرض على الدول المشتركة في المجرى المائي الدولي التزاما معينا، ألا وهو استخدام المجرى المائي بأسلوب منصف ومعقول بعد الأخذ بنظر الاعتبار العوامل ذات الصلة كلها. من أجل فائدة ومصلحة جميع دول المجرى، بحيث لايجوز لأي منها استخدام المجرى استخداما لايتصف بالأنصاف والمعقولية، وإلا اعتبر ذلك انتهاكا لمبدأ أساسي من مبادئ القانون الدولي العرفي التي تحكم استخدام مجاري المياه الدولية. وعليه فأن قيام تركيا بإنشاء السدود والمشاريع على مجرى نهر دجلة ومنها سد لي- صو دون الاتفاق مع دول أسفل المجرى وعلى النحو الذي يتعارض مع مصالحها يشكل خرقا واضحا لمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول. فتركيا تدعي أن لها السيادة المطلقة على مياه مجرى نهر دجلة وكذلك الفرات، باعتبارهما مياه عابرة للحدود وليسا نهرين دوليين وأنهما يشكلان حوضا واحد بالتقائهما لتكوين شط العرب[٦٨]. وبالتالي فمن حقها تنفيذ المشاريع والسدود على المجريين المذكورين استنادا إلى حقها السيادي، وان أدى ذلك إلى إحداث أضرار خطيرة لدول أسفل المجريين.

أن موقف تركيا يتعارض مع الاتجاه السائد في القانون الدولي الذي يأخذ بمبدأ السيادة الإقليمية المقيدة لدول المجرى المائي الدولي التي أقرتها اتفاقية عام ١٩٩٧، والتي اشتق منها مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول، كما أن دجلة والفرات من مجاري المياه الدولية ينطبق عليهما تعريف المجرى المائي الدولي، وهما حوضيين منفصلين من خلال حدود جغرافية وطبوغرافية واضحة. ولذلك فأن تركيا ترفض الالتزام بمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول وتطالب بتطبيق مبدأ مغاير وهو مبدأ الاستخدام الأمثل، والذي يتضمن خطتها المسماة (المراحل الثلاثThree- Stage Plan) لتحديد حصص الدول المشتركة معها في مجريي دجلة والفرات. وتقضي هذه الخطة في المرحلة الأولى القيام بدراسات للموارد المائية، وفي الثانية دراسة الموارد الأرضية، أما الثالثة فهي تقييم للموارد المائية والأرضية[٦٩]. أن خطة المراحل الثلاث لاتصلح بالنسبة لمجريي دجلة والفرات لأنهما مجاري مياه دولية، كما أن الدراسات التي تتصل بالموارد المائية والأرضية ومن ثم تقيمها تحتاج إلى وقت طويل وهي كثيرة ومتنوعة، ومن الطبيعي أن تختار كل دولة المعيار الذي يلائم ظروفها وبالتالي لايمكن اعتماد معيار موحد. كما أن هذه الخطة قد تحرم دول أسفل المجرى من زراعة محاصيل معينة هي بحاجة إليها، بحجة استهلاكها كميات كبيرة من المياه. وقد تستثني مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية بحجة عدم خصوبتها، بالإضافة إلى إن خطة المراحل الثلاث تتعارض مع التطورات العلمية الحديثة التي تتيح إمكانية زيادة خصوبة الأراضي، ومعالجة مشاكل الملوحة فيها عن طريق غسلها أو زرعها بأنواع معينة من المحاصيل، وإضافة الأسمدة إليها لزيادة إنتاجيتها وتحسين خصوبتها[٧٠].

المطلب الثاني: مبدأ عدم إحداث الضرر الهام (principle not to cause significant harm)

أولا: - تعريف المبدأ

يعرف المبدأ عموما، بأنه لايجوز للدولة التي تستخدم حقها أن تسبب ضررا خطيرا أو هاما للدول الأخرى[٧١]. ويجد هذا المبدأ أصله في المبدأ اللاتيني (استعمل ملكك دون الأضرار بالغير non laedas sic utere tuo ut alienum) وينسجم مع مبادئ القانون العامة كمبدأ عدم إساءة استعمال الحق، ومبدأ حسن الجوار[٧٢]. وهو من مبادئ القانون الدولي العرفي أثبتته الممارسة الدولية من خلال النص عليه في العديد من المعاهدات والوثائق الدولية، منها الإعلان الصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة بشأن التنمية البشرية (إعلان ستوكهولم) لعام ١٩٧٢ في المبدأ (٢١)، الإعلان المتعلق بحقوق الدول وواجباتها الاقتصادية لعام ١٩٧٤ في المادة (٣)، الإعلان الصادر عن مؤتمر الأمم المتحدة بشأن البيئة والتنمية (إعلان ريو) لعام ١٩٩٢ في المبدأ (٢)، اتفاقية حماية واستخدام مجاري المياه العابرة للحدود والبحيرات الدولية لعام ١٩٩٢ في المادة(٢). كما أكده القضاء الدولي في مناسبات عديدة منها، حكم محكمة التحكيم الدولية في قضية مصهر تريل(Trail smelter) بين الولايات المتحدة والمكسيك، حكم محكمة التحكيم الدولية في قضية بحيرة لانو (Lake Lanoux) بين فرنسا واسبانيا وحكم محكمة العدل الدولية في قضية مضيق كورفو (Curfo Cannel) بين بريطانيا وألبانيا[٧٣].

وفي نطاق قانون مجاري المياه الدولية، يمكن تعريف المبدأ بأنه قيام دول المجرى المائي الدولي ببذل العناية اللازمة للحيلولة دون التسبب بإحداث آثار ضارة هامة لبعضها البعض عند استخدامها لمياه ذلك المجرى[٧٤]. وقد نصت على هذا المبدأ المعاهدات المطبقة بهذا الشأن منها، المعاهدة المتعلقة بحماية نهر الراين من التلوث لعام ١٩٧٦ والمعقودة بين دول المجرى المذكور، المعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة والمكسيك عام ١٩٤٤ والمتعلقة باستخدام مياه انهار كولورادو، تيجوانو وريوجراند[٧٥]. كما أن الدول النهرية أو الشاطئية أنشأت اللجان المشتركة فيما بينها كآلية لضمان التنفيذ الكامل لهذا المبدأ، كاللجنة الدولية المشتركة المنشئة بموجب معاهدة المياه الحدودية لعام ١٩٠٩ بين الولايات المتحدة وكندا، واللجنة الدولية المشتركة المنشئة بموجب معاهدة ١٩٧١ المعقودة بين فنلندا والسويد والمتعلقة بالأنهار الحدودية الواقعة بينهما[٧٦]. أما اتفاقية استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧ فقد نصت على المبدأ المذكور في المادة (٧) الفقرة (١) منها بقولها " على دول المجرى المائي عند استخدامها لمياه المجرى المائي الدولي الواقع داخل حدود إقليم كل منها، أن تتخذ كل التدابير المناسبة للحيلولة دون إحداث ضرر هام لدول المجرى المائي الأخرى". إن هذا النص يتضمن جانبين: الأول هو إن التزام دول المجرى المائي الدولي هو التزام يتعلق بالسلوك أولا ومن ثم بالنتيجة، والثاني هو أن الضرر الحاصل يجب إن يكون هاما، أي ليس مجرد ضرر ثانوي أو تافه، ولكن اقل من الضرر الجوهري أو الضرر الخطير[٧٧]. وبطبيعة الحال فأن الضرر هنا يتعدى حدود إقليم الدولة المسببة له والتي يقع جزء المجرى المائي الدولي في إقليمها ويصيب دول أخرى من دول المجرى، أي ضررا عابرا للحدود (transboundary impact). وبمناسبة قرارها بشأن قضية

(غابتشكوفو- ناغيماروس) عام ١٩٩٧ اعتبرت محكمة العدل الدولية هذا المبدأ جزءا أساسيا للقانون الدولي البيئي[٧٨].

ثانيا: - العلاقة بين مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول ومبدأ عدم إحداث الضرر الهام

إن الالتزام بمبدأ عدم إحداث الضرر الهام، هو ضمان إن دول المجرى المائي الدولي إنما تستخدم المجرى طبقا لمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول. ولكن ما هي طبيعة العلاقة بين المبدأين، وبمعنى آخر أيهما يغلب على الآخر عند التعارض؟. لتوضيح هذه المسألة نأخذ المثال الآتي: لنفترض أن دولة أعلى المجرى المائي الدولي لم تستخدم المجرى منذ فترة طويلة بسبب طبيعة أرضها كونها جبلية. بينما دولة أسفل المجرى تستخدم المجرى لأغراض الري وعلى نطاق واسع منذ آلاف السنين، والآن تريد دولة أعلى المجرى المائي استغلال مياهه لأغراض الزراعة وتوليد الطاقة دون الاتفاق مع دولة أسفل المجرى هذا سيؤدي بطبيعة الحال إلى إحداث ضرر خطير بالاستخدامات الثابتة والتاريخية لدولة أسفل المجرى. فكيف يمكن التوفيق بين هاتين الحالتين؟. لقد مثلت هذه المسألة لب الخلاف بشأن العلاقة بين المادتين (٥) و (٧) من اتفاقية عام ١٩٩٧، فقد ذهب البعض إلى القول بالأسبقية لمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول على مبدأ عدم إحداث الضرر الهام، والبعض الآخر قال بعكس ذلك[٧٩]. وهناك من قال بأن الاتفاقية اتخذت موقف الحياد بين المبدأين فهي تربط بينهما في علاقة دائرية دون أن تحسم مسألة الأسبقية[٨٠]. وعلى أية حال، فأن استقراء نصوص اتفاقية عام ١٩٩٧ يبين أنها تعطي الغلبة لمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول وهذا يمكن استنتاجه من نص الفقرة (٢) المادة (٧) منها، والتي تشير إلى انه إذا تسببت إحدى دول المجرى نتيجة استعمالها لمياه المجرى في إحداث ضرر هام لدول المجرى الأخرى، مع عدم وجود اتفاق بينها على هذا الاستعمال، فعلى الدولة المسببة للضرر اتخاذ كل التدابير المناسبة آخذة بنظر الاعتبار نص المادتين (٥، ٦) من الاتفاقية والتشاور مع الدول المتضررة للتخفيف من وطأة هذا الضرر ودراسة مسألة التعويض. ومعلوم أن المادتين (٥، ٦) من الاتفاقية المشار إليهما في الفقرة أعلاه تتعلقان بمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول والعوامل ذات الصلة به. وهذا يعني إن مبدأ عدم إحداث الضرر الهام مقيد بعدم تعارضه مع مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول، فموازنة المصالح بين دول المجرى طبقا للمبدأ الأخير، سيسوي مسألة فيما إذا كان نوع معين من الضرر في حالة معينة قد يسبب ضررا هاما أو لا[٨١].

بالإضافة إلى ما تقدم فأن المادة (١٠) من الاتفاقية بعد أن أشارت في الفقرة (١) منها إلى إن استعمال معين لايتمتع بأسبقية على الاستعمالات الأخرى، أشارت في الفقرة (٢) إلى انه في حالة حصول خلاف بين استعمالات المجرى المائي الدولي، فأن هذا الخلاف يجب أن يسوى بدلالة المادتين(٥، ٧) من الاتفاقية مع إعطاء عناية خاصة لمتطلبات الحاجات الإنسانية الأساسية. وهذا يعني انه إذا كانت إحدى دول المجرى تستخدم المجرى لأغراض توليد الطاقة، ودولة أخرى تستخدمه لأغراض الزراعة فأن الخلاف يجب إن يسوى بتطبيق كلا المبدأين، مع الاهتمام بشكل خاص بالحاجات الإنسانية الأساسية، أي توفير المياه الكافية لإدامة الحياة البشرية والتي تتضمن مياه الشرب وإنتاج الغذاء لغرض منع المجاعة[٨٢].

بناءا على ما تقدم، يتضح أن هناك التزاما أساسيا يفرضه القانون الدولي يقع على عاتق الدول التي تستخدم المجرى المائي الدولي، ألا وهو بذل العناية اللازمة عند استخدامها للمجرى حتى

لاتتسبب بأحداث ضرر هام إلى الدول الأخرى المشتركة معها في نفس المجرى. فالالتزام ببذل العناية هو سلوك، وهذا السلوك هو قرينة على إن دول المجرى تستخدم المجرى بطريقة منصفة ومعقولة. والقول بخلاف ذلك يعني انتهاك لمبدأ أساسي من مبادئ القانون الدولي العرفي التي تحكم استغلال مجاري المياه الدولية وهو مبدأ عدم إحداث الضرر، وهذا ينطبق على موقف تركيا وهي دولة أعلى مجرى نهر دجلة التي تصر على إنشاء سد لي – صو رغم الآثار السلبية الهامة والخطيرة التي يسببها السد في حالة اكتمال بناءه لدول أسفل المجرى المذكور وخصوصا العراق وقد سبق وان اشرنا إلى ذلك.

المطلب الثالث: مبدأ التعاون (principle of cooperation)

أولا: – تعريف المبدأ

يقصد به قيام الدول المشتركة في المجرى المائي الدولي بمجموعة من الواجبات الإجرائية من اجل تحقيق الاستخدام الأمثل لمياه المجرى المائي، وهذه الواجبات تشمل تبادل البيانات والمعلومات، الأشعار المسبق، التشاور التعاون بشأن التدابير المخطط لها. وهذا المبدأ تمليه مبادئ معينة مثل المساواة في السيادة بين الدول، مبدأ الوحدة الإقليمية للمجرى المائي الدولي، مبدأ المصالح المشتركة للدول النهرية ومبدأ حسن النية. وهو مبدأ عرفي أثبتته الممارسة الدولية حيث يمكن أن نجده في العديد من الوثائق الدولية منها، إعلان ستوكهولم لعام ١٩٧٢ في المبدأ (٢٤)، إعلان حقوق الدول واجباتها الاقتصادية لعام ١٩٧٤ في المادة (٣)، وإحكام مونتريال بشأن تلوث مياه حوض النهر الدولي لعام ١٩٩٨ في المادة (٤). كما نصت عليه أحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦ في المادة (XXIV) الفقرة (I) واتفاقية حماية واستخدام مجاري المياه العابرة للحدود والبحيرات الدولية لعام ١٩٩٢ في المواد (٥، ٦، ٩، ١٠، ١١)، والاتفاقية العامة لعام ١٩٩٧ في المادة (٨) الفقرة (١) منها بقولها " على دول المجرى المائي التعاون على أساس المساواة في السيادة، الوحدة الإقليمية، المصالح المشتركة وحسن النية لغرض تحقيق الاستخدام الأمثل والحماية الملائمة للمجرى المائي الدولي".

ثانيا: – مضمون المبدأ

يتضمن مبدأ التعاون العناصر الآتية: –

١- تبادل البيانات والمعلومات

فعلى الدول المشتركة في المجرى المائي الالتزام بتبادل البيانات والمعلومات على أساس منتظم المتعلقة بحالة المجرى، كتلك المتعلقة بالمياه والأرصاد الجوية والبيانات الهيدرولوجية والايكولوجية والمتعلقة بنوعية المياه وغيرها من البيانات[٨٣]. إن هذا الالتزام ضروري حتى تستطيع دول المجرى أن تعرف فيما إذا كان استخدام مياه المجرى يتم على أساس منصف ومعقول. لأنه يكون من الصعب على دول أسفل المجرى أن ترشد استخداماتها لمياه المجرى المائي بدون البيانات المتعلقة مثلا، بمعدل سقوط الأمطار وكمية المياه ومواردها في دولة أعلى المجرى. وهذه البيانات لايمكن جمعها إلا عن طريق التعاون المشترك بين دول المجرى، وسيكون عاملا مساعدا على بناء الثقة بينها[٨٤].

٢- الأعلام، الأشعار والتشاور

هذا الالتزام يتعلق بالتدابير أو الإجراءات المخطط القيام بها أو التي تعتزم إحدى دول المجرى القيام بها، والتي من المحتمل أن تكون لها آثار سلبية خطيرة أو هامة على دول المجرى الأخرى[٨٥].

وهذه التدابير قد تتضمن أقامة مشاريع أو برامج جديدة صغيرة أو كبيرة، بالإضافة إلى تغير الاستخدامات الموجودة للمجرى المائي. أن هذا الالتزام ضروري وذلك حتى تستطيع دول المجرى أن تفهم طبيعة المشاريع المقترحة وآثارها المحتملة عليها، وبذلك يمكن تجنب النزاع في مرحلة مبكرة[٨٦]. وقد اعتاد صندوق النقد الدولي ألا يقدم التمويل إلى إحدى دول المجرى التي تعتزم إنشاء السدود أو المشاريع على المجرى المائي ألا بعد قيامها بإشعار دول المجرى الأخرى واخذ موافقتها على ذلك[٨٧]. لقد أثير هذا الالتزام في العديد من المنازعات المتعلقة بمجاري المياه الدولية، ففي النزاع بين الأرجنتين والبرازيل وباراغواي والذي ثار بشأن التدابير المخطط القيام بها على نهر بارانا (Parana)، والتي تم الاتفاق عليها بموجب معاهدة عقدت عام ١٩٧٩ بين الدول الثلاث. فقد أشارت الأرجنتين إلى أن المعاهدة المذكورة تلزم البرازيل بتقديم الأشعار المسبق لها والتفاصيل التقنية فيما يخص مشروع (Ltaipu) المشترك بين والبرازيل وباراغواي، وكذلك التشاور معها لأن المشروع المذكور والسد الذي تعتزم أنشاؤه بالاتفاق مع باراغواي ستكون له آثار سلبية خطيرة على دول أسفل مجرى نهر بارانا (Parana)[٨٨].

بناءا على ما تقدم، يتبين أهمية الالتزام بتبادل البيانات والمعلومات وكذلك تقديم الأشعار المسبق والتشاور بين الدول المشتركة في المجرى المائي الدولي، من أجل استخدام مياه المجرى بطريقة منصفة ومعقولة بين دول المجرى، والحيلولة دن التسبب بأحداث ضرر هام لأحدها. وبالتالي فأن مبدأ التعاون يرتبط بمبدأ الاستخدام المنصف والمعقول ومبدأ عدم إحداث الضرر الهام التي تحكم استخدام مجاري المياه الدولية. لكننا نجد أن موقف دولة أعلى مجرى نهر دجلة (تركيا)، يتعارض مع هذا المبدأ العرفي وهي ماضية في إقامة المشاريع والسدود على هذا المجرى دون أدنى التزام منها بالتعاون مع دول أسفل المجرى وعلى وجه الخصوص العراق. فهي ترفض تبادل البيانات والمعلومات، كما لم تلتزم بتقديم أشعارا مسبقا الى العراق بشأن مشاريعها المقترحة ومنها سد لي- صو، بل أن العراق سمع بعزم تركيا إنشاء هذا السد من خلال وسائل الأعلام. كما لم تلتزم تركيا بالتشاور مع العراق من أجل تجنب الآثار الهامة والخطيرة التي سيسببها السد المذكور للعراق، وهذ انتهاك واضح لمبادئ القانون الدولي المتعلقة بمجاري المياه الدولية، وهي مبدأ الاستخدام المنصف والمعقول، مبدأ عدم إحداث الضرر الهام ومبدأ التعاون بين دول المجرى المائي الدولي. كما هو انتهاك للمادة (٥) من البروتوكول الأول الملحق بمعاهدة الصداقة وحسن الجوار المعقودة بين العراق وتركيا عام١٩٦٤ والتي تنص على أن تقوم تركيا باطلاع العراق على أية مشاريع خاصة قد تقرر إنشائها على احد مجريي دجلة والفرات أو روافده لغرض جعل تلك المشاريع تخدم مصلحة العراق كما تخدم مصلحة تركيا.

الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة إنشاء سد لي- صو على المجرى الرئيسي لنهر دجلة وآثاره السلبية على العراق، وموقف قواعد القانون الدولي المتعلقة بمجاري الأنهار الدولية. وقد تبين أن نهر دجلة هو مجرى مائي دولي مستخدم لأغراض غير ملاحية، لكن العائق الأساس بشأن استخدامه من قبل دول المجرى، هوعدم وجود اتفاقية شاملة بينها. وبالتالي فان استخدم المجرى سيكون محكوما بالمبادئ

القانونية العرفية المتعلقة باستخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية، وهذه المبادئ لها صفة النفاذ بمواجهة الكافة باعتبارها قواعد آمرة للقانون الدولي يرتب مخالفتها المسؤولية الدولية. لكن تركيا تتعمد إهمال هذه المبادئ فيما يتعلق باستخدام مجرى نهر دجلة وتفسرها بالكيفية التي تتلاءم مع مصالحها دون مراعاة مصالح دول المجرى الأخرى. هذه المبادئ تم تدوينها في نطاق اتفاقية عامة شارعه وهي اتفاقية استخدام مجاري المياه الدولية لإغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧. صحيح أن تركيا كانت من بين الدول التي رفضت الاتفاقية، ألا إن هذا لايعني أنها غير ملزمة بهذه المبادئ ومصدر الإلزام بطبيعة الحال هو العرف الدولي. وبالتالي فان إصرار تركيا على إنشاء سد لي- صو هو انتهاك صريح للقانون الدولي، وبسبب ذلك فإنها ستكون مسئولة عن جميع الإضرار التي يسببها إنشاء هذا السد للعراق.

بسبب الظروف الراهنة التي يمر بها العراق والضعف السياسي الذي يعاني منه باعتباره دولة محتلة، قان احتجاجاته واعتراضاته على إنشاء السد المذكور قد لاتلقى صداً لدى تركيا لذلك نوصي بما يأتي: -

١. إن القانون الدولي يوفر مجموعة من المبادئ والقواعد القانونية التي تدعم وتؤيد حقوق العراق الثابتة والتاريخية في مجرى نهر دجلة، لذلك ينبغي الركون إلى هذه المبادئ والقواعد والتحصن بها من أجل إثبات الحقوق السيادية للعراق.

٢. ينبغي التشاور وتبادل المعلومات مع الدولة الأخرى التي ستتضرر أيضا في حال اكتمال بناء سد لي- صو وهي سوريا، من اجل اتخاذ موقف موحد، والتشاور والتنسيق مع جامعة الدول العربية والمنظمات الدولية الأخرى من اجل الضغط على تركيا ودعم حقوق العراق ومطالبه بمياه مجرى نهر دجلة.

٣. تشجيع الجانب التركي بجميع الوسائل على الدخول في مفاوضات جدية وبحسن نية من اجل التوصل إلى اتفاق شامل يضمن مصالح كل دول مجرى نهر دجلة، ويحدد حقوق كل منها في مياهه طبقا لمبادئ وقواعد القانون الدولي ذات الصلة.

٤. إجراء تقييم شامل وموضوعي من قبل الجهات المختصة للأضرار التي يسببها سد لي- صو على نواحي الحياة المختلفة في العراق، وعرض هذا التقييم على الجانب التركي، وعلى الجهات الممولة للمشروع من اجل دفعها إلى الامتناع عن تمويل مشروع السد.

٥. الاستفادة من ممارسات الدول فيما يتعلق بإنشاء آليات أو لجان مشتركة بين دول المجرى المائي الدولي، تتولى هذه اللجان إدارة حوض مجرى نهر دجلة بكامله على أن يكون ذلك في إطار معاهدة شاملة، سيما وان هذه الممارسات قد أثبتت نجاحها وفعاليتها.

الهوامش

(١) د. عصام العطية، القانون الدولي العام، ط٦، بغداد، ٢٠٠٦، ص٣١٧.

(٢) Transboundary rivers and crisis prevention, p.1.
www.transboundarywaters.orst.edu

(٣) د. مصطفى سيد عبد الرحمن، الجوانب القانونية لتسوية منازعات الحدود الدولية، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٢- ٢٣.

(٤) د. فيصل عبد الرحمن علي طه، القانون الدولي ومنازعات الحدود، ط٢، دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص٢٦- ٢٧.

(٥) المادة (II) من أحكام هلسنكي لعام ١٩٦٦.

(٦) الفقرتين (أ، ب) المادة (٢) من اتفاقية استخدام مجاري المياه الدولية لأغراض غير ملاحية لعام ١٩٩٧.

(٧)Mete Erdem, the Tigris and Euphrates rivers controversy and the role of international law, 2003, pp. 2- 3. www.sam.gov.tr

(٨)Patrick MaQuarrie, water security in the middle east, 2004, p. 65. www.transboundarywaters.orst.edu

(٩) Ibid, p,65.

(١٠) عبد الحميد مهدي الكليدار، حوض دجلة والفرات والعلاقة السياسية(العراقية- السورية- التركية)، جريدة المؤتمر، ع (٩٢١)، ٢٠٠٥، ص٤.

(١١) سليمان الشيخ، تركيا تعمق الخلاف مع سوريا والعراق على مياه دجلة والفرات، ٢٠٠٦، ص٢. www.almyah.com

(١٢) مرتضى جمعة حسن، الآثار السلبية لإنشاء سد اليسو على نهر دجلة وموقف القانون الدولي، ٢٠٠٥، ص٣. www.almyah.com

(١٣) عبد الحميد مهدي الكليدار، المصدر السابق، ص٤.

(١٤)Bantita Pichyakorn, sustainable development and international water courses agreements: the Mekong and the Rhine, 2002, p. 5. www.iucn.org

(١٥)Mete Erdem, op, cit, p. 1.

(١٦)Elizabeth Burleson, equitable and reasonable use of water within the Euphrates- Tigris river basin, environmental law institution, Washington, 2005, p. 2. note(7).

(١٧)Bantita Pichyakorn, op, cit, p. 5.

(١٨)Patrick MaQuarrie, op, cit, p. 66.

(١٩)Raed Mounir Fathallah, water disputes in the middle east: an international law analysis of the Israel- Jordan peace accord, journal land use and environmental law, vol(12), 1999, p. 138. note (152).

(٢٠)Ibid, p. 138.

(٢١)Bantita Pichyakorn, op, cit, p. 5.

(٢٢)Ibid, p.5.

(٢٣)Richard Paisly, adversaries into partners: international water law and the equitable sharing of downstream benefits, Melbourne journal of international law, vol(3), 2002, p. 282. note(6).

(٢٤)Patrick MaQuarrie, op, cit, p. 66.

(٢٥)Bantita Pichyakorn, op, cit, p. 5.

(٢٦)Raed Mounir Fathallah, op, cit, p. 138.

(٢٧)Aaron T. Wolf, criteria for equitable allocations: the heart of international water conflict, natural resources forum, vol (23), 1999, p. 5.

(٢٨)Patrick MaQuarrie, op, cit, p. 67.

(٢٩)Raed Mounir Fathallah, op, cit, p. 139.

(٣٠) Mete Erdem, op, cit, p. 7.

(٣١)Raed Mounir Fathallah, op, cit, p. 139.

(٣٢) د. فاديه دعيبس، الإبعاد القانونية لمشروع قناة البحر الأحمر- البحر الميت، ٢٠٠٧، ص٤. www.alwatanvoice.com

(٣٣) الفقرة (١) المادة (٢٤) من اتفاقية ١٩٩٧.

(٣٤) Bantita Pichyakorn, op, cit, p. 6.

(٣٥) Raed Mounir Fathallah, op, cit, p. 140.

(٣٦) عبد الرحيم حمد العرقان، أزمة المياه في الشرق الوسط والسلام العربي الإسرائيلي، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، ١٩٩٨، ص٨.

(٣٧) موسوعة النهرين، ص٢. www.nahrain.com

(٣٨)Llisu engineering group, Llisu dam and HEPP, 2001, pp.13- 14. www.ecgd.gov.uk

(٣٩)Vironika Bolz and Majka Rohrmeier, Euphrates and Tigris, Swiss federal institute for environmental science and technology, 2002, p.6.

(٤٠)Maggie Ronayne, the Llisu dam, 2006, p. 67. www.nuigalway.ie

(٤١) موسوعة النهرين، مصدر سابق، ص١- ٢.

(٤٢) مرتضى جمعة حسن، مصدر سابق، ص١- ٢.

(٤٣) موسوعة النهرين، المصدر السابق، ص٢.

(٤٤) مرتضى جمعة حسن، مصدر سابق، ص٢.

(٤٥)Berne declaration, Llisu dam in breach of international law, 2007,p.1. www.evd.ch

(٤٦)Llisu dam downstream water impacts and Iraq, report of fact finding mission to Iraq, 2 March 2007, p. 4. www.khrp.org

(٤٧)Richard Paisly, op, cit, p. 283.

(٤٨)Bantita Pichyakorn, op, cit, p. 6.

(٤٩)Kerstin Mechlem, water as a vehicle for international state cooperation, FAO legal paper online, 2003, p. 10.

(٥٠)Mete Erdem, op, cit, p. 8.

(٥١)Kerstin Mechlem, op, cit, p.9.

(٥٢)Meredth A. Giordano, international river basin management, dissertation of doctorate, Oregon state University, 2002, pp. 19- 23.

(٥٣)Patrick MaQuarrie, op, cit, p. 65.

(٥٤)I. C. J. reports, 1997, p. 201.

(٥٥)Ibid, p. 190.

(٥٦)Bantita Pichyakorn, op, cit, p. 7.

(٥٧)Juna Divds, is it reasonable to use the Nubian Sandston aquifer system unsustainably under international law, p. 6. www.dundee.ac.uk

(٥٨) د. مصطفى سيد عبد الرحمن، قواعد التعامل في مياه الأنهار الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢.

(٥٩) مفكرة الإسلام، دجلة والفرات بين العراق وسوريا وتركيا، ٢٠٠١، ص٣- ٤. www.islammemo.cc

(٦٠)Raed Mounir Fathallah, op, cit, pp. 146- 147.

(٦١)Patrick MaQuarrie, op, cit, p. 46.

(٦٢)Elizabeth Burleson, op, cit, p. 5.

(٦٣)Ibid, pp. 5- 6.

(٦٤) مفكرة الإسلام، مصدر سابق، ص٣.

(٦٥)Raed Mounir Fathallah, op, cit, p. 147.

(٦٦) يوكسيل انان، قانون مجاري المياه الدولية والشرق الأوسط، ترجمة مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٢.

(٦٧)Patrick MaQuarrie, op, cit, p. 9.

(٦٨)Arnon Medzini and Aaron T. Wolf, the Euphrates river watershed: integration, coordination, or separation, pp. 136- 137. www.medzini_@_wolf_05

(٦٩) يوكسيل انان، مصدر سابق، ص٦.

(٧٠) مفكرة الإسلام، مصدر سابق، ص٧- ٨.

(٧١)Stephen McCaffrey, international water law for the 21st century, the contribution of the U. N. convention, 1999, p. 13. www.ucowr.siu.edu

(٧٢)Mete Erdem, op, cit, pp. 9- 10.

(٧٣)Ibid, p. 10.

(٧٤)Patricia Wouters, the legal response to international water scarcity and water conflict, pp. 4- 5. www.africanwater.org

(٧٥)Kerstin Mechlem, op, cit, p. 14. note (46- 47).

(٧٦)Ibid, p. 14.

(٧٧)Ibid, p. 12.

(٧٨)I. C. J. reports, 1997, p. 241.

(٧٩)Aaron T. Wolf, op, cit, pp, 6- 7.

(٨٠)Kerstin Mechlem, op, cit, p. 12. note (43).

(٨١)Ibid, p. 13.

(٨٢)Stephen McCaffrey, op, cit, pp. 13- 14.

(٨٣) المادة (٩) من اتفاقية عام ١٩٩٧.

(٨٤)Krestin Mechlem, op, cit, pp. 15- 16.

(٨٥) المادتين (١١ ، ١٢) من اتفاقية عام ١٩٩٧.

(٨٦)Krestin Mechlem, op, cit, p. 17.

(٨٧) مغاوري شلبي، تدويل المياه وخلط الماء بالسياسة، ص٢. www.islamonline.net

(٨٨) Krestin Mechlem, op, cit, p. 17.

صلاحية الولايات أو الأقاليم في أبرام المعاهدات الدولية

د. صلاح جبير البصيصي
جامعة كربلاء – كلية التربية

صلاحية الولايات أو الأقاليم في أبرام المعاهدات الدولية

د. صلاح جبير البصيصي

المقدمة

يعتبر الموضوع الذي تم اختياره في هذا البحث موضوعا من موضوعات الساعة اذ ان الوحدات المكونة في الدولة الفيدرالية القديمة والحديثة وفي ظل نظام العولمة اخذت وبشكل متزايد تضطلع بمهمة العلاقات الخارجية مع الدول الاخرى وعلى مختلف المستويات.

ان السياسة الخارجية في الدول الفيدرالية تقليديا كانت مسؤولية الحكومة المركزية بحكم الدستور لان هذه المهمة كانت لا تخضع لمبدأ تقاسم السلطات بسبب الحاجة لتقديم جبهة موحدة في مقابل الدول الاخرى.

الا ان هذا التوجه قد تغير في الاونة الاخيرة اذ انخرطت الوحدات المكونة للدولة الفيدرالية في ممارسة نشاطات دولية كانت الى وقت قريب من اختصاص الدولة الاتحادية بحيث أصبح هناك تشارك في مستويات الحكم بين الحكومة الفيدرالية وحكومات الوحدات المكونة للدولة الفيدرالية (الولايات، الاقاليم. الكانتونات، الجمهوريات).

تشكل السلطات المتعلقة بابرام المعاهدات الدولية وتطبيقها اهمية خاصة من حيث مدى الصلاحية الممنوحة لهذه الوحدات والتي غالبا ما يقوم الدستور الاتحادي بتحديد مداها لكي تاخذ هذه الوحدات باعتبارها مصالح الدولة الاتحادية فيما تبرمه من معاهدات وطالما ان تطبيق هذه المعاهدات قد يصبح صعبا اذا لم تتعاون هذه الوحدات مع الحكومة الفيدرالية وما يمكن ان ينتج من مسؤولية دولية في حالة مخالفة التعهدات مع الدول الاخرى.

ان اهمية ابرام المعاهدات في الدولة الفيدرالية تتجلى تمام التجلي في عصرنا هذا اذ اخذت هذه المعاهدات تتناول مسائل داخلية حساسة قد تكون موضع خلاف سياسي كبير خاصة في ظل توزيع الدستور الاتحادي للاختصاصات بين المركز والولايات ويزداد الامر تعقيدا عندما تكون هذه المسائل داخله في اختصاص الولايات المطلق ومن هنا اصبحت الكثير من المسائل الواقعة ضمن اختصاص الولايات محل معاهدات دولية وغالبا ما تشمل هذه المسائل العديد من الشؤون الاقتصادية والاجتماعية.

وفي ظل هذه الاشكالات التي يطرحها موضوع البحث فأننا ارتأينا ان نقسمه الى مبحثين نتناول في الاول ابرام المعاهدة الدولية في الدولة الفيدرالية في حين نتناول في المبحث الثاني الاثار المترتبة على هذا الإبرام مع خاتمة نوضح فيها ابرز النتائج والتوصيات

المبحث الاول: ابرام المعاهدات الدولية في الدولة الفيدرالية

ان ابرام المعاهدات الدولية يمثل مظهرا هاما من مظاهر ممارسة السيادة في الدولة ولذا تكون للدولة كاملة السيادة صلاحية مطلقة في ابرام المعاهدات الدولية في حين ان الدول ناقصة السيادة كالدولة المحمية او التابعة او المحتلة تتوقف صلاحيتها في إبرام المعاهدات على الاختصاصات الممنوحة لها بموجب اتفاقية الحماية او التبعية او أي قرار دولي تخضع له[1].

ان القاعدة المقررة في القانون الدولي العام فيما يتعلق بتنظيم المعاهدات لا تحدد الجهة المختصة بابرام المعاهدة في الدول وانما تترك ذلك للقواعد الدستورية في كل دولة سواء أكانت دولة بسيطة ام اتحادية ولذلك فان الدساتير تلعب دورا حيويا في بيان طبيعة الاختصاصات الدولية والجهات المختصة بممارستها متأثرة في ذلك بعوامل داخلية ودولية.

المطلب الاول: الاتجاهات الدستورية في ابرام المعاهدات الدولية في الدولة الفيدرالية

تمر المعاهدة الدولية قبل ابرامها بصورة نهائية باربع مراحل شكلية هي المفاوضة والتحرير والتوقيع والتصديق والتسجيل وبالتالي فان الابرام يتضمن الصورة النهائية التي تتشكل فيها ارادة الدولة للالتزام النهائي بالمعاهدة بمقتضى احكامها الدستورية[2] ونظرا لاهمية هذا الإجراء وطبيعته فقد تركت قواعد القانون الدولي لدساتير الدول تحديد السلطة المختصة بالتعبير عن ارادة الدولة للالتزام النهائي بالمعاهدة.

وبذلك يلعب الدستور الاتحادي في الدولة الفيدرالية دورا هاما في بيان طبيعة الشخصية الدولية للدولة الفيدرالية عندما يوزع الاختصاصات بين الحكومة المركزية وحكومات الولايات الأعضاء.

ان دساتير الدولة الاتحادية اتخذت اتجاهين مختلفين في تنظيم صلاحية ابرام المعاهدات الدولية فبعض الدساتير الاتحادية ذهبت الى وحدة السياسة الخارجية وان الحكومة المركزية تملك الحق المطلق للإشراف على هذه العلاقات الخارجية ومنها ابرام المعاهدات وبالتالي يحصر هذا الاتجاه صلاحيات التعاهد بيد الحكومة الاتحادية.

في حين ذهبت دساتير أخرى إلى إعطاء أعضاء الاتحاد الولايات, الأقاليم, الكانتونات, المقاطعات, الجمهوريات> صلاحية عقد بعض المعاهدات الدولية اذ يرينا الواقع الدستوري والدولي ان ثمة دولا اتحادية تمنح فيها الاجزاء التي تؤلفها بصلاحيات معينة في ميدان التعاهد الدولي[3].

اولا:- الاتجاه الاول

يذهب هذا الاتجاه للقول ان في الاتحاد الفيدرالي لا يوجد سوى شخصية دولية واحدة تقرر لدولة الاتحاد فقط بخلاف الولايات الاعضاء فيها والتي لا تكون لها شخصية دولية ويترتب عن وحدة الشخصية الدولية الاتحادية ما يأتي :-

١- ان يكون للدولة المركزية وحدها الدخول في علاقات دولية مع غيرها من الدول.
٢- ان يكون للدولة المركزية وحدها العضوية في المنظمات الدولية.

٣- يكون للدولة المركزية وحدها حق ابرام المعاهدات الدولية.
٤- - يكون للدولة المركزية حق تبادل التمثيل الدبلوماسي.
٥- - يكون للدولة المركزية حق تقرير الحرب والسلم[٤]

ولذلك تمنع اغلب الدساتير الاتحادية الولايات الاعضاء في الدولة الاتحادية من ابرام معاهدات دولية بصورة مباشرة حيث تعد صلاحية الدخول في التزامات دولية ملكا خاصا للحكومة الاتحادية.

ويرى بعض الكتاب ان السماح للولايات في ظل بعض الدساتير بعقد اتفاقيات دولية مع دول أجنبية هو من اثار السيادة القديمة التي كانت تتمتع بها الولايات[٥] ومن الامثلة على هذا الاتجاه دستور الولايات المتحدة الأمريكية الصادر في ايلول عام ١٧٨٧ الذي منح رئيس الجمهورية وحده تمثيل الدولة في مجال العلاقات وانه يملك صلاحية عقد المعاهدات بعد التشاور مع مجلس الشيوخ وشريطه موافقة ثلثي مجلس الشيوخ الحاضرين[٦].

وقد قضت المحكمة الاتحادية العليا الأمريكية بان لرئيس الجمهورية في النطاق الدولي سلطة تامة ومطلقة وقد اصدرت نفس المحكمة حكما قضت فيه ببطلان الاتفاق المبرم بين ولايات الجنوب بالانفصال من الاتحاد وتكوين اتحاد فيما بينها وبنت حكمها على أساس ان هذا باطل لمخالفة نص المادة الاولى من الدستور الأمريكي. ويعهد الدستور الأرجنتيني للحكومة الاتحادية مهمة ترسيم العلاقات الملاحة والتجارية كما يعهد الى رئيس الجمهورية مهمة ابرام معاهدات الصلح والتجارة والملاحة والتحالف والحدود والحياد والاتفاقيات مع البابا[٧].

واناط الدستور البرازيلي الصادر في ٢٨ ايلول ١٩٤٨ والمعدل ١٩٦٢ للحكومة الاتحادية شؤون العلاقات الدولية وصلاحية ابرام المعاهدات الدولية مع الدول الاجنبية[٨].

وقد خول دستور المملكة الليبية المتحدة الصادرة في ٧ تشرين أول عام ١٩٥١ للحكومة الاتحادية ادارة شؤون العلاقات الدولية وابرام المعاهدات الدولية وجميع المسائل المتعلقة بالشؤون الخارجية ومنح الملك سلطة ابرام المعاهدات بعد موافقة مجلس الامة[٩].

وأخيرا نجد ان الدستور العراقي الصادر عام ٢٠٠٥ قد جعل في الفقرة الاولى من المادة <١١٠> صلاحية رسم السياسة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي والتفاوض بِشان المعاهدات والاتفاقيات الدولية وسياسات الاقتراض والتوقيع عليها وابرامها ورسم السياسة الاقتصادية والتجارية من الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية وقد خولت المادة <٦١> في الفقرة الرابعة مجلس النواب الاتحادي تنظيم عملية المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية بقانون يسن بأغلبية ثلثي اعضاء مجلس النواب.

هذا وكانت الفقرة السادسة من المادة <٨٠> قد جعلت مجلس الوزراء المسؤول عن التفاوض بشأن المعاهدات والاتفاقيات الدولية والتوقيع عليها.

ثانيا/ الاتجاه الثاني

يذهب هذا الاتجاه للقول ان العولمة دفعت الوحدات الحكومية المكونة للدولة الاتحادية لان تصبح من اللاعبين على المسرح الدولي خاصة في ظل اتساع نطاق المعاهدات الدولية فلم تعد مقتصرة على تنظيم العلاقات السياسية والتجارية بل اتسعت لتشمل مسائل كثيرة من قبيل نظام وقواعد العمل والضمان الاجتماعي وحقوق الإنسان فضلا عن مختلف العلاقات الثقافية والاقتصادية والفنية وفي اغلب الدساتير الاتحادية تدخل هذه المسائل في اختصاص سلطات الأقاليم والولايات مما يعني ان إيداع هذه

الاختصاصات في الدستور الاتحادي للسلطات الاتحادية ان تفقد سلطات الولايات او الاقاليم كل مغزى وجودها ولذلك كله دعا فريق من الفقهاء الى ضرورة المحافظة على الاستقلال الداخلي للولايات الذي يكفله الدستور الاتحادي وعند ذلك تبرز اهمية التوفيق بين المستلزمات الدولية والدستورية عند تنظيم العلاقة بين سلطات الاتحاد وسلطات الولايات بشان ابرام المعاهدات وهذا التوفيق هو الذي يوفر للدولة الاتحادية وحدة القرار على الصعيدين الداخلي والدولي ويمكن تحقيق ذلك بتقييد صلاحية الاتحاد والولايات او الاقاليم بضرورة الاستشارة المتبادلة بين هذين السلطتين وضمان الموافقة الثنائية قبل اعلان الالتزام المفاشي بالمعاهدة على الصعيد الدولي[١٠].

وقد سار على هذا الاتجاه بعض الدساتير الاتحادية ومنها الدستور السويسري الذي حدد في المادة <٩> منه اختصاص الولايات في ابرام معاهدات مع الدول الأجنبية في المسائل الاقتصادية والحدودية والبوليسية وعلى شرط ان لا تتضمن هذه المعاهدات ما يتعارض مع غايات الاتحاد وحقوق الولايات الاخرى.

وكذلك فعل الدستور الالماني الاتحادي لعلم ١٩٤٩ الذي قضى في المادة <٣٢> في الفقرة الثالثة منه باختصاص الولايات في ابرام المعاهدات مع الدول الاجنبية بشرط ان تتناول هذه المعاهدات مواضيع تتعلق بالاختصاص التشريعي للولايات بموافقة الحكومة الاتحادية.

وفي دستور الامارات العربية المتحدة الصادر ١٨٥ تموز عام ١٩٧١ اجازت المادة <١٢٣> للامارات الاعضاء ابرام اتفاقيات محددة ذات طبيعة ادارية محلية مع الدول الاقطار المجاورة لها على ان لاتتعارض مع القوانين الاتحادية وبشرط اخطار المجلس الاعلى للاتحاد مسبقا وهذا هو استثناء من نص المادة <١٢٠> التي جعلت للسلطة الاتحادية مختصة حصرا بالتشريع والتنفيذ في المسائل الخاصة بالشؤون الخارجية.

واخيرا نجد ان الدستور الكندي قد وسع من صلاحيات الاقاليم والولايات في الميدان الدولي فهناك مثلا مكاتب تمثيلية لكيبك في <٢٥> دولة تديرها وزارة علاقات دولية منفصلة كما انها تقوم بتوقيع مئات الاتفاقيات مع دول مختلفة كذا الحال مع مقاطعة البرتا ذات الثروة النفطية الكبيرة التي اقامت في اذار عام ٢٠٠٥ مكتبا من ثلاثة اشخاص ضمن السفارة الكندية في واشنطن [١١].

ثالثا/ الاتجاه المقترح

من المسلم به ان عقد المعاهدات وابرامها وتنفيذها جزء من الصلاحية العامة التي تملكها الدول في ميدان العلاقات الخارجية والمفترض في هذه المعاهدات انها تمثل السياسة العامة للدولة الا ان هذه الصلاحية ليست مطلقة اذ قد تكون خاضعة لقيود دستورية يمكن ان تضعها كل دولة وحسب طبيعة نظام الحكم السائد والفكرة القانونية السائدة فيها.

كما ان القانون الدولي المعاصر اخذ يمارس تاثيرا كبيرا على الدساتير الوطنية [١٢] وكل ذلك يتطلب اقامة نوع من التشاور او التوفيق بين السلطات الاتحادية وسلطات الاقاليم او الولايات وذلك بان يكفل الدستور الاتحادي توزيع الاختصاصات بين المركز والاطراف على نحو يجعل مصلحة الدولة الاتحادية هي الاساس في ابرام أي المعاهدة دولية.

وفي ظل الدعوة لايجاد معيار معين لتنظيم توزيع سلطة ابرام المعاهدة بين المركز والاطراف ظهر اتجاه يدعو الى تقييد صلاحية المركز بالتعاهد على نحو يجعل تنفيذ هذه المعاهدة داخل الاقاليم او الولايات يتم

بتشريعات اتحادية او محلية الا ان هذا القيد لا يمكن تصوره الا حين يستلزم الدستور صدور قوانين داخلية لتطبيق المعاهدة داخل اقليم الدولة في حين انة ليس كل الدساتير يستلزم اصدار مثل هذا القانون كما هو الحال في دستور الولايات المتحدة الامريكية الذي يمكن في ظلة تطبيق المعاهدة تلقائيا ودون حاجة الى قانون خاص وظهر اتجاه اخر يدعو الى تقييد صلاحية التعاهد في المركز اعتمادا على معيار <الملائمة> أي ان يكون موضوع المعاهدة يدخل ضمن ميدان الشؤون الخارجية التي تهم مجموع الدول أي المعاهدات المتعددة الاطراف وعيب هذا الاتجاه انه ممكن ان يكون موضوع المعاهدات الثنائية ملائما او مهما كما ان دساتير الدول لا تميز في صلاحية التعاقد بين معاهدات متعددة الاطراف واخرى ثنائية[١٣].

واذا كانت بعض الدساتير الاتحادية تخول الحكومات الاتحادية الهيمنة على ادارة العلاقات الدولية فان بعض الدساتير الاخرى سمحت للولايات ابرام المعاهدات مع وضع القيود الدستورية والتي ترتكز على اساس النظر الى اثر المعاهدات في المركز الدولي للدولة الاتحادية ويبرز هذا الاثر من طبيعة المعاهدات المراد ابرامها فاذا كانت هذه المعاهدة ذات طبيعة سياسية فان الدساتير الاتحادية تعتمد الى اناطة ابرامها بالحكومة الاتحادية ولذلك يحظر دستور الولايات المتحدة الامريكية على الولايات الدخول في ايه معاهدة او تحالف ذو طبيعة سياسية سواء بين الولايات نفسها او بينها وبين الدول الاخرى كما فعل الدستور السويسري ذلك عند حظر ابرام ايه معاهدة ذات طابع سياسي بين الولايات كما عهد للحكومة الاتحادية بالاختصاص العام لابرام المعاهدات مع الدول الاجنبية [١٤].

اما بشان المعاهدات غير السياسية فان بعض الدساتير الاتحادية قد منح الولايات سلطة ابرامها فيما بينها او مع الدول الاخرى مع وضع بعض القيود الدستورية ومنها موافقة السلطة الاتحادية وعدم تعارضها مع الحقوق والسلطات الدستورية للولايات الاخرى او تعارضها مع المعاهدات التي تبرمها الحكومة الاتحادية فضلا عن عدم تعارض هذه المعاهدات مع الدستور الاتحادي او القوانين الاتحادية [١٥].

والخلاصة لما تقدم انه في ظل التطور والتداخل في مختلف العلاقات الدولية سواء من الناحية السياسية ام الاقتصادية ام الثقافية ام الفنية وبعد ان اصبحت هذه المسائل موضع اهتمام متزايد من قبل القانون الدولي اضحى من الممكن ان تفوض الاقاليم او الولايات المكونة للدولة الفيدرالية بعض الصلاحيات في ابرام بعض المعاهدات غير ذات الطابع السياسي كالمعاهدات المتعلقة بالجوار الجغرافي كالمعاهدات الادارية او الكمركية او الزراعية او المتعلقة بمسائل النقل والطرق او الرعي مع تقييد ذلك بقيود ينص عليها الدستور الاتحادي على ان هذا التفويض في الصلاحيات من الدستور الاتحادي لا يكسب الولايات باي حال من الاحوال الشخصية الدولية وهذا ما سنوضحه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: الاساس القانوني لتمتع الولايات او الاقاليم بحق ابرام المعاهدات الدولية:

ان مشروع اتفاقية فينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ تضمن نصا في الفقرة الثانية من المادة <٥> يتعلق بأهلية الدول الاعضاء في اتحاد فيدرالي بابرام المعاهدات الدولية في حالة ما اذا نص عليها الدستور الاتحادي وفي الحدود المشار اليها في الدستور الا ان الاتفاقية بصيغتها النهائية لم تتضمن هذا النص [١٦].

وقد انقسم الفقه باتجاهين ازاء تمتع الولايات بصلاحية عقد المعاهدات وتنفيذها فاتجاه يرى تمتع هذه الولايات بالشخصية الدولية أي بأهلية اكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات بموجب القانون الدولي واتجاه اخر رأى ان تمتع هذه الولايات بصلاحية عقد المعاهدات يتأتى من دستور الدولة الاتحادية وحده.

اولا: نظرية السيادة:

لقد حاول بعض الفقهاء ربط اهلية الولايات بابرام المعاهدات الدولية بموضوع السيادة في الدولة الاتحادية فهناك كتاب ذهبوا الى ان هذه السيادة قابلة للتجزئة وعليه يمكن ان تعود الشخصية الدولية الى كل من الدولة المركزية والاعضاء ويتمتع كلاهما بالسيادة في نطاق اختصاصه وقد انتقد هذا الاتجاه باعتبار ان السيادة بطبيعتها غير قابلة للتجزئة ولايمكن توزيعها في الدولة الواحدة فمستقر السيادة في السلطة الاتحادية التي تتمثل فيها جميع خصائص السيادة دون غيرها من سلطات الولايات الاعضاء والقول خلاف ذلك أي تمتع الولايات او الاقاليم بالسيادة يحول الدولة من دولة اتحادية فيدرالية الى دولة اتحادية كونفدرالية [١٧].

وهناك من يرى بأن السيادة في الدولة الاتحادية تكمن في وقت واحد في المركز والوحدات معا أي اخذوا بمفهوم تزامن السيادة في الدولة الاتحادية فالسيادة هنا تكمن في جميع الاجزاء التي تتألف منها الدولة الاتحادية فالعلاقة بين اجزاء الدولة الاتحادية تعاونية لا اخضاعية وعلى السلطة الاتحادية ان تعمل وفق ارادة الوحدات المكونة للاتحاد حيث يمكن لهذه الوحدات تخويل حقوق المركز بادارة العلاقات الدولية وعندئذ يتمتع الاتحاد بالشخصية الدولية اما اذا ارادوا الاحتفاظ بصلاحيات دولية محدودة فهم الى ذلك الحد يعدون من اشخاص القانون الدولي [١٨].

ويمكن الرد على هذا الاتجاه بأن تمتع الولايات بأهلية عقد المعاهدات لا يستند الى سيادتهم بأي معنى من معاني السيادة المتعارف عليها في القانون الدستوري بكونها السلطة العليا التي لاتحدها سلطة اخرى وتمتع باستقلال داخل الدولة وخارجها وعليه فأن ممارسة هذه الولايات لمظاهر السلطة العليا يستند الى الاختصاصات الدستورية الممنوحة لها بموجب الدستور الاتحادي ومهما منحت هذه الولايات من اختصاصات وتشكلت لها من هيئات لممارستها فأنها لاتملك القدرة على ان تحدد بنفسها هذه الاختصاصات [١٩].

واذا كانت بعض الدساتير الاتحادية قد اعترفت بالسيادة للولايات الاعضاء فيها مثل المادة "١٥" من الدستور السوفيتي عام ١٩٣٦ التي تنص على "سيادة الجمهوريات الاعضاء" والمادة "١٨١" من الدستور الماليزي الصادر عام ١٩٤٥ فأن هذه الجمهوريات او الولايات لا تتمتع بالحقيقة بالسيادة التي تكسبها الشخصية الدولية لانها لا تستطيع بإرادتها المنفردة ان تزيد من اختصاصاتها وفي نفس الوقت فأن ممارستها لهذه السيادة مقيد بقيود دستورية تضعف ان لم تسلب اية صفة سيادية في تصرفات الولايات [٢٠] اذ ان تخويل بعض الولايات حق ابرام المعاهدات الدولية مقيد بانواع معينة من المعاهدات وباخذ موافقة السلطة الاتحادية.

ويمكن القول بشكل نهائي ان السلطة الاتحادية في المركز تتبوأ مركزاً اقوى من مركز الولايات المكونة لها ويتجسد ذلك بالرجوع الى الدساتير الاتحادية المختلفة التي يتضح فيها ما يأتي:

ان التشريع الاتحادي يلغي عند اصداره كل نص يتعارض معه في تشريعات الولايات.

لا تملك الولايات حق ابطال القوانين الاتحادية التي تجد فيها ان السلطات الاتحادية قد تجاوزت اختصاصاتها الدستورية عند اصدارها.

ان المنازعات التي تنشأ بين الولايات نفسها وبينها وبين الحكومة تختص بالفصل فيها سلطة قضائية اتحادية كالمحكمة الاتحادية العليا في الولايات المتحدة الامريكية والعراق وهذه المحاكم لا تقوم بالتحكيم

وانما بالفصل في النزاع وتفرض احكامها على الولايات فأن لم تذعن الولايات لاحكامها امكن للسلطة الاتحادية تنفيذها بالقوة [٢١].

ثانيا: الدستور الاتحادي مصدر الصلاحيات الدولية:

ان دساتير الدولة الاتحادية تنظم عمل السلطات المختصة فيها في المجالين الداخلي والدولي والنظام الدستوري الاتحادي هو الذي يتولى تحديد وتوزيع الاختصاصات بين الاتحاد والولايات وهي اختصاصات تتباين بحسب الانظمة الدستورية [٢٢] ولايتعارض توزيع الاختصاصات بين الاتحاد والولايات مع النظام الدستوري الاتحادي بل يتفق وروح هذا النظام ومقاصده ودون ان يرقى هذا التوزيع للاختصاصات الى مستوى الاعتراف بالسيادة الكاملة للولايات [٢٣].

ان نظرة الى دساتير الدول الاتحادية ترينا ان معظمها لم يمنح الوحدات صلاحية الدخول في تفاوضات مع دول اخرى والتوصل الى اتفاقيات أيا كان نوعها ذلك ان صلاحيات هذه الوحدات محددة في هذه الدساتير ومن هنا كان الدستور الاتحادي هو مصدر هذه الصلاحيات وعليه فأن الشخصية الدولية التي تتمع بها هذه الوحدات مستمدة اساسا من الدستور الاتحادي [٢٤].

ان مستقر السيادة في الدول الاتحادية هو في السلطات الاتحادية وليس في سلطات الولايات لاسيما تلك الاختصاصات المتعلقة بالشؤون الخارجية اذ تجعل الانظمة الدستورية الاتحادية العلاقات الدولية من اختصاص الحكومة الاتحادية بصورة عامة وتحيط الاختصاصات الممنوحة للولايات في هذا المجال بقيود دستورية بشكل يضمن سيادة الدولة الاتحادية.

في المادة "١٢٤" من الدستور الأرجنتيني المعدل لعام ١٩٩٤ تخول المقاطعات عقد الاتفاقيات بشرط كونها لا تتناقض مع السياسة الخارجية الوطنية او تنال من الصلاحيات المقررة للحكومة الفيدرالية وكذلك تنص المادة "٣٢" من الدستور الالماني لعام ١٩٤٩ علما ان اللاندر "Landr" أي المقاطعة لا تستطيع عقد المعاهدات الا بموافقة الحكومة الاتحادية كما نجد ان المادة "٥٦" من الدستور السويسري المعدل عام ١٩٩٩ تطلب من الكانتون عند ابرام الاتفاقيات ان لا تتعارض مع مصالح الاتحاد الفيدرالي او مصالح الكانتونات الاخرى.

ويمكن القول من استعراض المواقف الدستورية المتقدمة ان بعض الدساتير الاتحادية تفوض الولايات اختصاص ابرام المعاهدات الدولية ولكن ليس مؤدى ذلك ان هذا التفويض يكسب تلك الولاية الشخصية الدولية اذ ان هذه السلطة قد فوضها الدستور ويمكن تجريدها منها بقوة الدستور ويمكن اضافة ان الدستور غالبا ما يقيد هذه السلطة بقيود متعددة تؤكد عليها السلطة الاتحادية وكل ذلك انعكاس لاعتبار ان الحق في ابرام المعاهدات الدولية من قبل الولايات يستمد مصدره من الدستور الاتحادي الذي يعد القانون الاعلى في الدولة الاتحادية والذي يجب ان تخضع له كافة الدساتير والقوانين المحلية للولايات.

واخيرا يذهب البعض للقول بأن الدستور الاتحادي غير كاف عند منحه الولايات صلاحية عقد المعاهدات بل يجب ان يرافق ذلك اعتراف من قبل الدول الاخرى لتمتع الولايات بهذه الشخصية الدولية الا ان هذا الراي عليه اكثر من مأخذ فمن ناحية ان الولايات يمكن ان تملك الشخصية الدولية عندما تملك اهلية معينة لممارسة الحقوق وتحمل الالتزامات ومصدر هذه الاهلية وهو دستور الاتحاد وبالتالي لا تتوقف هذه الاهلية على الاعتراف بل يتوقف الاعتراف عليها وعلى حد قول البعض ان الاهلية تؤلف شرطا مسبقا من شروط الاعتراف. من ناحية اخرى ان اشتراط الاعتراف بهذه الصلاحية للولايات يعتبر

تدخلا في شؤون الدولة الاتحادية يبيح للدول الاخرى الاتفاق مع احدى الولايات في الدولة الاتحادية على اساس نظرتها الخاصة لتقسيم وتوزيع الصلاحيات في دستور تلك الدولة الاتحادية ولعل هذا كان احد اسباب الغاء الفقرة الثانية من المادة "٥" من مشروع اتفاقية فينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ اذ شجبت الكثير من الدول الاتحادية مثل هذا التدخل في المناقشات التي دارت عام ١٩٦٨ و١٩٦٩ في مؤتمر الامم المتحدة الخاص بقانون المعاهدات [٢٥].

المبحث الثاني: الاثار المترتبة على ابرام المعاهدات الدولية في الدولة الاتحادية

ان ابرام المعاهدات من قبل الاقاليم والولايات في الدولة الاتحادية يترتب عليه اثار مهمة تتعلق بضرورة تنفيذ نصوص هذه المعاهدات واحترام احكامها وذلك بعد اتمام الاجراءات الدستورية التي يتطلبها دستور الدولة في ابرام هذه المعاهدات وبالتالي تتحمل الاطراف في هذه المعاهدات المسؤولية الدولية عن كل خرق او عدم تنفيذ للاحكام الواردة فيها.

المطلب الاول: تنفيذ المعاهدة الدولية المبرمة من قبل الاقاليم

ان تنفيذ المعاهدات الدولية في المجال الداخلي للدول الاطراف فيها يرجع الى القانون الداخلي لكل دولة أي بمعنى اخر ان هناك دساتير تنص على اعتبار المعاهدة في حكم القانون بمجرد ابرامها دون حاجة الى تشريع داخلي أي يكون للمعاهدة قيمة قانونية ملزمة للافراد والمحاكم كما في التشريعات الداخلية في حين ان هناك دساتير اخرى تنص على وجوب اتخاذ اجراءات تشريعية داخلية حتى تصبح المعاهدة نافذة بحق الافراد والمحاكم وما تقدم ينطبق على الدول المركبة والبسيطة.

واذا كان الاصل في اختصاص ابرام المعاهدات في الدولة الاتحادية يعود للسلطة الاتحادية والاستثناء يكون ان يكون للولايات سلطة ابرام المعاهدات الا انه ليس من المؤكد ان يكون الاصل في تنفيذ المعاهدات يرجع الى السلطة الاتحادية وذلك يعود الى امرين:

الاول// ان الدستور في الدولة الاتحادية يوزع الاختصاصات بين السلطة الاتحادية وسلطة الولايات وبالتالي ليس بامكان السلطات الاتحادية التجاوز على نطاق الاختصاصات المقررة للولايات لان في ذلك اعتداء على سلطة الولايات المحددة في الدستور.

الثاني // ان المعاهدات الدولية اليوم اخذت تتضمن العديد من المسائل الاجتماعية والاقتصادية ومسائل حقوق الانسان كساعات العمل والاجور والصحة والتعليم والهجرة والملكية الفكرية وحقوق المرأة وعقوبة الاعدام... الخ وان تنفيذ مثل هذه المعاهدات داخل الدولة الاتحادية لايمكن ان يتم دون موافقة السلطات المحلية في الولايات او الاقاليم.

ولذلك كله نجد ان المواقف الدستورية في الدول الاتحادية قد تباينت في مسألة تنفيذ المعاهدات الدولية.

اولا: التنفيذ من قبل السلطة الاتحادية:

اتجهت بعض الدساتير الاتحادية الى منح السلطات الاتحادية سلطات واسعة في تنفيذ مضمون المعاهدات الدولية وذلك خاصة في الدول الاتحادية التي قيدت او منعت ولاياتها من ابرام المعاهدات مع الدول الاخرى.

ففي الولايات المتحدة الامريكية نصت المادة السادسة من الدستور على ان دستور الولايات المتحدة والمعاهدات التي ابرمت او التي ستبرم بموجب سلطة الولايات المتحدة ستكون القانون الاعلى للبلاد ويلتزم بها القضاة في كل ولاية حتى في حالة مخالفتها الدستور او القوانين لاية ولاية.

وعلى ذلك فأن المعاهدات التي يبرمها رئيس الجمهورية بموافقة ثلثي اعضاء مجلس الشيوخ تعد القانون الاعلى في الولايات المتحدة ويجب تنفيذها في جميع الولايات رغم تعارضها مع دستور الولاية وقوانينها.

وقد ايدت المحكمة الاتحادية العليا الامريكية هذا التوجه منذ اعم ١٧٩٦ عندما نصت بأن المعاهدة باعتبارها القانون الاعلى للولايات المتحدة الامريكية لايمكن ان يقف في طريقها أي تشريع تصدره السلطة التشريعية للولاية لانه لايمكن لارادة جزء صغير من الولايات المتحدة تعطيل ارادة المجموع <٢٦> كما اكدت نفس المحكمة في قرارها "Missourie / Holland" بأن القانون الاتحادي المعتمد لتطبيق معاهدة دولية يمكن ان يتناول موضوعا ليس مفوضا للدولة الاتحادية بموجب الدستور. وهذا ما تم اتباعه ايضا في الاتفاقيات ذات الشكل المبسط التي تعقد دون العرض على البرلمان اذ صاغت المحكمة العليا اجتهادا لصالح امتداد سلطات الدولة الاتحادية باقرارها سلطات مهمة جدا حول العلاقات الدولية كما في قرارات "Belmont" في عام ١٩٣٧ و "Pink" في عام ١٩٤٢ وسمحت للحكومة الاتحادية باستخدام هذا الشكل المبسط من الاتفاقيات الدولية لتنظيم مسائل تتصل باختصاص الولايات المنضمة للاتحاد <٢٧> وقد أيد غالبية الفقه الامريكي هذا الاتجاه للمحكمة الاتحادية العليا وذكروا ان السلطة الاتحادية تملك كل الاختصاصات الدستورية التي تملكها دولة موحدة بالنسبة للحقوق والالتزامات الناشئة عن المبادئ العامة للقانون الدولي او الناتجة عن المعاهدات حتى لو ترتب على ذلك انتهاك للاختصاص المطلق للولايات (٢٨) وقد سارت المحكمة العليا في استراليا على هذا المنوال عندما اقرت بأن برلمان الكومنوليث له ان يسن تشريعات لتنفيذ المعاهدات بغض النظر عن موضوع تلك المعاهدات (٢٩). وقد سار على هذا التوجه عدد من الدول الاتحادية فقد اجازت المادة (٢٥٣) من الدستور الهندي للبرلمان سلطة سن أي قانون لكل الاقاليم الهندية او أي جزء منه لتنفيذ اية معاهدة او اتفاقية مع أي بلد كما ان الدستور النايجيري الصادر عام ١٩٦٣ اعطى للبرلمان الاتحادي سلطة وضع قوانين بشأن تنفيذ أي معاهدة شريطة الا يسري مفعول أي قانون من هذا القبيل في اقليم من الاقاليم ما لم يوافق حاكم الاقليم على تنفيذه.

واخيرا فأن الممارسة السائدة منذ وقت طويل في الاتحاد السويسري تقر بامكانية تنفيذ أي معاهدة وان كانت ليست مرتبطة بالتوزيع الداخلي للصلاحيات التشريعية [٣٠].

ثانيا: توزيع التنفيذ بين السلطة الاتحادية وسلطة الولايات:

اخذت معظم الدول الاتحادية التي خولت ولاياتها ابرام المعاهدات الدولية بأن يتم تنفيذ هذه المعاهدات بالتعاون بين المستويين التشريعيين في المركز والاقاليم أي ان السلطة الاتحادية تنفذ المعاهدة في ميادين اختصاصاتها والسلطة الاقليمية تنفذ المعاهدة في ميدان اختصاصها ويترتب هذا الامر عند حصول السلطة الاتحادية على موافقة الولايات عند قيامها بابرام معاهدة دولية من شأن ابرامها المساس بالاختصاص المطلق لهذه الولايات.

ولذلك نجد ان الدستور الالماني في المادة (٣٢) من الفقرة الثانية ينص على وجوب استشارة الولاية عندما يؤثر عقد المعاهدة على اختصاصها ألحصري او مساسه بظروفها الخاصة على ان تكون هذه الاستشارة قبل ابرام المعاهدة بوقت كاف وهذا ما فعله الدستور النمساوي لسنة ١٩٢٠ الذي يعتبر اقدم الانظمة الفيدرالية في اوربا ففي الوقت الذي اعطى للسلطة الفيدرالية ايفاء الالتزامات الناجمة عن المعاهدات الدولية اكد على مسالة استشارة المقاطعة قبل توقيع السلطة الفيدرالية على اية معاهدة قد تؤثر على مجالها الجغرافي [٣١].

وفي كندا اناط الدستور بالولايات اختصاص تنظيم الموضوعات التي تتعلق بالملكية والحقوق المدنية وجعلها من الاختصاص المطلق للولايات وبالتالي يعد صدور قانون اتحادي بشأن هذه الموضوعات باطلا من الناحية الدستورية اذ ان الذي جرى فعلا ان السلطة الاتحادية الكندية ابرمت في الاول من اذار عام ١٩٣٥ اتفاقيتين من اتفاقيات منظمة العمل الدولية تحدد احدهما ساعات العمل في المشاريع الصناعية وتتعلق الاخرى بتطبيق نظام الراحة الاسبوعية وكانت ان تناولت هذه المعاهدات موضوعات تتعلق بالملكية والحقوق المدنية وهذه من اختصاصات الولايات الكندية وكان اصدار الهيئة التشريعية الاتحادية لقوانين تنفيذ هذه المعاهدات يعد تدخلا في مجال نص الدستور الكندي على انه يدخل في الاختصاص المطلق للولايات فالهيئة التشريعية للولايات هي وحدها المختصة باصدار مثل هذه التشريعات المطلوبة لتنفيذ هذه المعاهدات وهذا الامر جعل كندا من اكثر الدول الاتحادية معاناة للمصاعب الناتجة عن تنفيذ المعاهدات الدولية ولذلك فأن (مجلس الملك الخاص) ابطل عدة قوانين اجازها البرلمان عام ١٩٣٥ لتنفيذ اتفاقية اعتمدتها منظمة العمل الدولية وكان الاساس في هذا الابطال تجاوز البرلمان لاختصاصاته اذ انه من المستحيل للسلطة الاتحادية ان تضع موضع التطبيق المعاهدات المتعلقة بمسائل تتصل بالاقاليم [٣٢]. وقد اعترضت المقاطعات الكندية على بروتوكول كيتو حول تغير المناخ بعد ان اعلن رئيس الوزراء الكندي ان كندا ستصادق على هذا البروتوكول عام ٢٠٠٢ [٣٣].

وقد اعتمد الدستور البلجيكي الصادر في (٥ ايار) عام ١٩٩٣ توازنا في الاختصاصات الداخلية والخارجية للدولة الاتحادية فقد وزعت سلطة ابرام المعاهدات وتنفيذها بين الملك والسلطات التنفيذية للاقاليم [٣٤].

وهناك حالة قد تبرز عندما تعجز الولايات عن تنفيذ الالتزامات المترتبة على ابرامها لمعاهدة معينة وهنا يمكن ان تقوم السلطات الاتحادية باتخاذ التدابير التي تراها ملائمة في تنفيذ هذه الالتزامات وهذا فعله الدستور النمساوي عندما سمح للسلطات الاتحادية ان تحل محل سلطات المقاطعات في تنفيذ تلك المعاهدات الى ان تعتمد تلك المقاطعات تدابير التنفيذ المطلوبة وهذا ما جرى ايضا في المانيا عندما اجازت المادة ((٣٧)) من القانون الاساس الالماني للسلطات الفيدرالية لتحل محل الكيانات الفيدرالية الرافضة لتنفيذ المعاهدات وفي سويسرا تمتلك الدولة الاتحادية الحلول محل الكيانات المنظمة للاتحاد لتنفيذ المعاهدات المبرمة في حين لا يجيز الدستور الكندي للاتحاد الفيدرالي ان يحل محل الاقاليم باستثناء صدور قرار من المحكمة العليا [٣٥].

المطلب الثاني: المسؤولية الدولية المترتبة على ابرام المعاهدة الدولية في الدولة الاتحادية

ان ارادة الدول الاتحادية للحفاظ على سياسة واحدة وتدارك ان تقوم الولايات بافعال متعارضة مع هذه السياسة تشكل تطبيقا لقاعدة مستقرة في القانون الدولي تجعل الدولة الاتحادية مسؤولة مسؤولية

دولية عن تصرفات الكيانات المكونة لها الا ان هذه القاعدة يمكن ان يرد عليها استثناء يجعل من الولاية او الإقليم يتحمل المسؤولية عند انتهاك القواعد الدولية التي ترتبط بها مباشرة مع الدول الاخرى [٣٦].

اولا: المسؤولية الدولية لدولة الاتحاد:

ان القانون الدولي يمنع الدول من الاحتجاج بقانونها الداخلي للتخلص من مسؤوليتها عن جميع الإشكالات التي تسبب بها أقاليمها او ولاياتها فاذا اقترفت احدى الولايات الاعضاء جرائم او مخالفات معينة فأن المسؤولية تنسب لدولة المركز وليس للولايات الاعضاء ان تحتج بالدستور الاتحادي او دستور الولاية [٣٧].

وقد اكدت على ذلك المادة ((٢٧)) من اتفاقية فينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ التي ذكرت بأنه لا يجوز لطرف في المعاهدة ان يتمسك بقانونه الداخلي كسبب لعدم تنفيذ هذه المعاهدة وعليه فأن عدم القيام بهذا الالتزام يرتب المسؤولية الدولية.

ومن المتفق عليه فقها وقضاء انه من غير الجائز للدولة الاتحادية ان تحاول دفع المسؤولية باثبات دخول الفعل غير المشروع الصادر من الولاية من صميم الاختصاص الداخلي لهذه الولاية وفقا لاحكام الدستور الاتحادي حتى لو كان من المحظور عليها وفقا لهذا الدستور ان تتدخل في تصرفات الولايات بصدد المسألة موضوع الفعل المخالف لاحكام القانون الدولي العام وتعتبر هذه القاعدة نتيجة منطقية من نتائج مبدأ خضوع القانون الداخلي للقانون الدولي العام [٣٨] وقد ذكر بعض الفقه ان مسؤولية الدولة الاتحادية متأتية من تفويض او موافقة الحكومة الاتحادية المسبقة للولايات في ابرام المعاهدة كما هو الحال في دساتير الدول الاتحادية التي اوجبت الحصول على موافقة الاتحاد المسبقة على المعاهدات التي تعقدها الولايات كما هو الحال في الدستور الالماني ودستور الامارات العربية المتحدة وهذا يعني ان الاتحاد وحده مسؤول عن أي نكوص عن تنفيذ الالتزامات الناجمة عن هذه المعاهدات [٣٩].

وعلل بعض الفقه مسؤولية الاتحاد بالقول بأن الدول الأجنبية لا تملك وسيلة اكراه لاجبار اعضاء الاتحاد اذا ما خالفوا الالتزامات الدولية المترتبة عن المعاهدات التي ابرموها ولا تستطيع تجنب الصدام مع الاتحاد نفسه اذا ما اختارت اللجوء الى القوة ويقابل هذا ان اعضاء الاتحاد من الولايات لا يملكون هم ايضا وسيلة كهذه ازاء الدول الاجنبية اذا لم تفي بالتزاماتها اتجاههم وانتهى الفقه للقول الى ان الاتحاد يتولى مسؤولية غير مباشرة عن التزامات اعضائه يتمكن من خلال تدخله من الحفاظ على حقوق هؤلاء او ليسأل شخصيا عن التزاماتهم [٤٠].

وقد ايد كل من التحكيم والقضاء الدولي هذا التوجه ومن ذلك قرار التحكيم في قضية السفينة (مونتيجو) في (٢٦ تموز ١٨٧٥) بين كولومبيا والولايات المتحدة الامريكية والتي جاء فيها ((ان المعاهدة فوق الدستور وان على تشريع كولومبيا ان يطابق المعاهدة وليس على المعاهدة ان تطابق القانون الداخلي وان على الدولة ان تصدر القوانين اللازمة لتطبيق المعاهدات [٤١].

ومن احكام القضاء الدولي في هذا الشأن الحكم الصادر عام ١٩٢٧ في قضية (Mellen) القاضي بمسؤولية حكومة الولايات المتحدة الامريكية عن الاعمال الضارة التي اسندت الى ولاية تكساس بوصفها احدى ولاياتها وكذلك الحكم الصادر منه ١٩٣١ في قضية (Tribolet) والقاضي بمسؤولية حكومة المكسيك عن قتل رعايا الولايات المتحدة التي تسبب في وقوعه موظفوا احد الولايات التابعة لحكومة المكسيك المركزية [٤٢].

وهذه الاراء الفقهية والاحكام القضائية هي تطبيق للعرف الدولي المستقر الذي تنسب الوقائع والتصرفات التي تصدر عن الاقاليم في الدولة الاتحادية الى السلطة الاتحادية في الدولة وان كان لهذه الاقاليم قدراً من الاستقلال وذلك لان القانون الدولي لا شأن له بهذا الاستقلال لان اعتبارات الضمان القانوني المتبادل بين الدول الاعضاء في المجتمع الدولي تدعوا الى النظر الى الدولة بوصفها مسؤولة عن افعال وتصرفات هذه الاقاليم اذا ما ادت الى قيام المسؤولية الدولية [٤٣].

ثانيا / / المسؤولية الدولية للولاية او الاقاليم:

ان الدستور الاتحادي هو الاساس في تحديد مدى مسؤولية الولايات عن تنفيذ التزاماتها وان القراءة المتأنية في الدساتير الاتحادية التي تمنح بموجبها الولايات صلاحية عقد معاهدات مع الدول تدلنا على ان الاتحاد غير ملزم بصورة عامة بتنفيذ التزامات الولايات وبالتالي فأن الذي ينكر على اهلية الولايات في تحمل المسؤولية الدولية هو نفسه الذي انكر تمتعها اصلا باي قسط من الشخصية الدولية [٤٤].

فعلى سبيل الاستثناء يمكن ان تتحمل الولايات او الاقاليم المنظمة للاتحاد الفيدرالي المسؤولية الخاصة عن انتهاك القواعد الدولية التي تربطها مباشرة بدول اخرى وتنجم هذه المسؤولية عن كون سلطة الولاية او الاقليم هي سلطة تتصرف بصورة مستقلة عن الحكومة الاتحادية فهناك مسؤولية رئيسية لهذه السلطة في حين تكون مسؤولية سلطة الاتحاد مسؤولية تبعية في حين يكون العكس في حالة تفويض السلطة الاتحادية لسلطة الولاية ابرام المعاهدات الدولية اذ تتحمل السلطة الاتحادية هنا المسؤولية الرئيسة في حين تتحمل سلطة الولاية المسؤولية التبعية.

وعلى الاغلب فأن هذه النظرية لا يمكنها ان تكتسب قيمة في القانون الوضعي لعدم وجود سابقة اذ ان هناك العديد من الدول الاتحادية ومنها سويسرا اكدت مسؤوليتها الحصرية عن جميع التصرفات الاتحادية او تصرفات الولايات [٤٥].

ان الاتفاقيات المعقودة بين الولايات او الاقاليم والدول الاجنبية يمكن ان تنص على طرائق محددة وناجحة لحل الخلافات الناجمة عن تفسير هذه الاتفاقيات وتطبيقها او حلها سلميا. وقد لاحظ العديد من الفقهاء انه يفترض بالدول الاجنبية ان تكون على علم مسبق بمدى اختصاص الولايات وصلاحيتهم في التعاقد وقدرتهم على الوفاء بالتزاماتهم واكثر من هذا تستطيع هذه الدول بمحض اختيارها الاعلان عن تخليها بالرجوع الى الاتحاد في حالة خلافها مع احد اقاليمه او احالة هذا الخلاف الى جهات قضائية او تحكمية [٤٦].

ويلاحظ على السمة الغالبة للمعاهدات الدولية التي تبرمها الولايات او الاقاليم بأنها مقيدة بقيود مادية اوخرى شكلية ومن القيود المادية بأن هذه المعاهدات تتعلق بشكل عام بعلاقات الجوار كأن تتعلق بالطرق الحدودية والخطوط الحديدية وتوزيع الطاقة الكهربائية والصحة العامة والامن العام وبالتالي فأن الدول المجاورة غالبا ما تكون الطرف الثاني بهذه المعاهدات [٤٧]. اما القيود الشكلية في ابرام الولايات للمعاهدات فهي تتعلق بضرورة موافقة ومشاورة الحكومة الاتحادية على جميع الاتفاقيات التي تنوي السلطات المحلية في الولايات عقدها مع الدول الاخرى.

ان القدر المحدود للغاية من السيادة الخارجية الذي يمنح للولايات لا يكفي للقول بتمتعها بوصف الدولة بالمفهوم القانوني السليم فهي ذات شخصية دولية ناقصة ترتبط بمداها المتواضع والمحدود

باختصاصات السيادة الخارجية الضئيلة التي تتمتع بها بمقتضى التفويض الصادر لها من الدولة الفيدرالية التي تنتمي اليها والمنصوص عليها صراحة في دستور الاتحاد [٤٨].

اما فيما يتعلق بالمسؤولية الدولية الناجمة عن الاخلال بعقد دولي ابرمته احدى الولايات الاعضاء في الاتحاد فيلزم دراسة كل حالة على حدا في ضوء القواعد العامة للوقوف على مدى مسؤولية الدولة الاتحادية ولاسيما في تلك الحالات التي تنفرد فيها الولاية العضو في الاتحاد بابرام عقد دولي دون اشراف من جانب سلطات الدولة الاتحادية حيث تقع المسؤولية على عاتق الولاية دون الدولة الاتحادية [٤٩].

الخاتمة

بعد الانتهاء من بحثنا فقد لاحت لنا بعض النتائج وعدد من التوصيات

اولا: النتائج

١. ان الدستور الاتحادي هو الذي ينظم توزيع الاختصاصات بين الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات او الاقاليم على نحو يمنع امكان قيام القواعد الدولية بزعزعة هذا التوزيع في الاختصاصات.
٢. ان عملية التنسيق والتشاور التي تقوم بها الحكومة الفيدرالية مع الحكومات الاقليمية يبدو من الضرورة بمكان وان كانت الدولة الفيدرالية تملك سلطات مطلقة لعقد المعاهدات الدولية مادام ان تنفيذ هذه المعاهدات غالبا ما يتم داخل حدود هذه الوحدات التي يمكن لها رفض تنفيذها طالما يدخل نطاق تنفيذها باختصاصاتها الحصرية.
٣. يمكن التمييز بين المعاهدات الإستراتيجية المهمة والمعاهدات غير المهمة وذات الاثر المحدود بنطاق اختصاص الاقاليم اذ يمكن جعل هذه الاخيرة من اختصاص حكومات الاقاليم في حين تترك الاولى للحكومة الفيدرالية.
٤. ان الحوافز الاقتصادية يمكن ان تكون العامل الاقوى الذي يدفع الوحدات المكونة للدولة الفيدرالية في الدخول لمعترك العلاقات الخارجية في ابرام معاهدات تعزيز صادرتها او استثماراتها او سياحتها ومن اجل رفع المستوى ألمعاشي لمواطنيها الامر الذي يتطلب من الحكومة الفيدرالية ان تشرع القوانين الاتحادية الضريبية والكمركية وتقديم التسهيلات المصرفية... الخ من الحوافز التي توحد اقتصاد الدولة من جهة وتمكن هذه الوحدات من النهوض بواقعها من جهة اخرى.

ثانيا: التوصيات

١. الابقاء على بعض الافضلية للدولة الاتحادية في مجال العمل الدولي من خلال حقها بالرقابة على المعاهدات المبرمة من قبل الولايات وبالتالي يمكنها التدخل في جميع مراحل ابرام المعاهدة من مفاوضات وتحرير وتوقيع وتصديق لكي تمارس ضغوطا رسمية وغير رسمية على حكومات اقاليمها بشكل يحول دون ابرام معاهدات دولية تضر بمصلحة البلد.
٢. ان الحكومة الفيدرالية قد تملك خبرات جيدة وتأثيرا اكبر على الصعيد الدولي وتمارس نفوذا سياسيا واقتصاديا اكبر من الوحدات المكونة لها ولكنها في نفس الوقت عليها التعاون مع هذه الوحدات للتوصل الى تسويات تجعل منها اكثر فعالية على صعيد العلاقات الدولية.
٣. يمكن للقضاء الدستوري ان يلعب ورا حاسما في حل النزاعات حول الاختصاصات بين الحكومة الاتحادية وحكومات الاقليم على ان يملك هذا القضاء التشكيل القانوني المؤهل والاختصاص القانوني المحدد.

الهوامش

١. د. حسن عزبة العبيدي, تنظيم المعاهدات في دساتير الدول, رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة بغداد, كلية القانون ١٩٨٨ ، ص ٦٠ – ٦١.

٢. انظر في الابرام

Lard. Mcnair, The law if treaties. 1961. p. 129.

Louis. Henkin and other, inter national law, Second Edition. 1987.p. 4 ets.

٣. د. صالح جواد الكاظم, هل ينبغي منح اجزاء الدولة الاتحادية صلاحيات تعاهدية, مباحث في القانون الدولي، ١٩٩١.ص ٢٢٣.

٤. د. احسان الفرجي, د. كطران زغير, د. رعد الجدة، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق, المكتبة القانونية, بغداد, ١٩٩٠. ص.

٥. د. صالح جواد الكاظم, مرجع سابق ص ٢٣٠.

٦. الفقرة ٢ من المادة <٢> من الدستور الامريكي.

٧. انظر المادتين <١٩> و <٨٣ ف ١٠ من دستور الارجنتين.

٨. انظر المادتين ١٦ ف ١ و <٨٧> ف ٦ من دستور البرازيل.

٩. انظر المادتين<٣٦> و <٦٩> من دستور المملكة الليبية المتحدة

١٠. د. حسن عزبة العبيدي, مرجع سابق ص ٩٤.

١١. راوول بليند يناخر, ساندرا باسما, حوارات حول العلاقات الخارجية في الدول الفيدرالية ج ٥ ، ترجمة مها بسطامي, الناشر منتدى الاتحادات الفيدرالية والرابطة الدولية لمركز الدراسات الفيدرالية ٢٠٠٦.ص ٢٧ – ٢٨.

١٢. د. صالح جواد الكاظم, مرجع سابق ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

١٣. المرجع علاه ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

١٤. انظر المادتين <٧> و <٨> من الدستور السويسري.

١٥. د. حسن عزبة العبيدي, مرجع سابق ص ٧٨.

١٦. عندما ناقش مؤتمر فينا هذا النص وجهت له انتقادات عديدة خاصة من الدول الاتحادية كالولايات المتحدة الامريكية وسويسرا والبرازيل وكندا وغيرهم من الدول الاتحادية واعلنوا انهم لايؤيدون هذا النص مطلقا ودافع عنه فقط الاتحاد السوفيتي السابق وفي النهاية رفض هذا النص ولم يدرج في اتفاقيات فينا لقانون العاهدات: انظر:

د. عصام العطية، القانون الدولي العام,٢٠٠١, ص١٤٤.

١٧. د. حسن عزبة العبيدي, مرجع سابق ص ٦٩ – ٧٠.

١٨. د. صالح جواد الكاظم, مرجع سابق ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

١٩. انظر في السيادة:

- د. هاني الطهراوي, النظم السياسية والقانون الدستوري, دار الثقافة للنشر والتوزيع, عمان ٢٠٠٧.ص ٤٣٠.

●د. نعمان الخطيب. الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري. دار الثقافة للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٦. ص ١٤.

٢٠. د. حسن عزبة العبيدي. مرجع سابق ص٦٩ – ٧٠.

٢١. المرجع علاه ص٧٣.

٢٢. انظر الفقرتين ٨و١٠ من المادة ١ والفقرة ٢ و٣ من المادة ١٠ من دستور الولايات المتحدة الامريكية

●المواد ٥١ و ١٠٧ و ١٠٩ من الدستور الاسترالي الصادر عام ١٩٠٠.

●المواد ٣ و٥ و ٨٥ و ١٠٢ من الدستور السويسري لعام ١٨٤٨.

٢٣. د. حسن عزبة العبيدي. مرجع سابق ص ٧٤.

٢٤. د. صالح جواد الكاظم. مرجع سابق ص ٢٣٧.

٢٥. المرجع علاه ص ٢٣٨.

٢٦. د. حسن عزبة العبيدي. مرجع سابق ص ١٤٩.

٢٧. هيلين نودار. تدويل الدساتير الوطنية. ترجمة باسل يوسف. بيت الحكمة، بغداد. ٢٠٠٤ ص ١٤٧.

٢٨. د. حسن عزبة العبيدي. مرجع سابق ص ١٥١ – ١٥٢.

٢٩. ان تومي. العلاقات الخارجية في استراليا. حوارات حول العلاقات الخارجية مرجع سابق ص ١٥.

٣٠. هيلين نودار. مرجع سابق ص ٤٨.

٣١. ستيفان هامر. حوارات حول العلاقات الخارجية حوارات حول العلاقات الخارجية مرجع سابق ص ٧.

٣٢. هيلين نودار. مرجع سابق ص ٤٨. وكذلك انظر

K. C. Wheare, Federal Government, 4th Edition. 1963.p. 170

٣٣. اندريه لاكون. جورج اندرسون. السياسة الاجنبية والعلاقات البينحكومية في كنا. حوارات مرجع سابق ص ٢٦.

٣٤. هيلين نودار. مرجع سابق ص ١٥٠.

٣٥. هيلين نودار. مرجع سابق ص ١٥٠ – ١٥١.

٣٦. المرجع علاه ص ١٥٩.

٣٧. سعد عبد الجبار العلوش. الدولة الموحدة والدولة الفيدرالية. دراسات دستورية عراقية ط ١، المعهد الدولي لحقوق الانسان ٢٠٠٥. ص ٣٩٦.

٣٨. د. محمد سامي عبد الحميد. اصول القانون الدولي العام، منشأة المعارف. الاسكندرية ١٩٩٥. ص ٣٥٥.

٣٩. د. صالح جواد الكاظم. مرجع سابق ص ٢٣٩.

٤٠. المرجع علاه ص٢٣٩.

٤١. ثار هذا النزاع بين الولايات المتحدة الامريكية وكولومبيا عندما استولى ثوار كولومبيين بالقوة على السفينة مونتيجو المملوكة لمواطنين امريكيين واحتجزوها في اقليم احدى ولايات كولومبيا وهي ولاية بناما وقد طالبت الولايات المتحدة الامريكية الحكومة الفيدرالية الكولومبية بالتعويض ولكن الاخيرة احتجت بأن الدستور الفيدرالي لا يعطيها الا حقا محدودا في التدخل في الشؤون الداخلية للولايات

الاعضاء واعتبرت ان المسؤولية تقع على ولاية بناما ولم تقبل ان تتحمل عنها المسؤولية واتفقت الدولتان بعد ذلك على احالة القضية الى التحكيم وقد شكلت لهذا الغرض لجنة تحكيم مختصة وقد صدر قرار هذه اللجنة التحكمية الذي اكد ان الحكومة الفيدرالية مسؤولة دوليا عن الاعمال غير المشروعة للولايات ورفض بصراحة دفاع كولومبيا المبني على القصور في دستورها.

٤٢. نقلا عن د. عصام العطية، مرجع سابق، ص ٨٤.

٤٣. نقلا عن سعد عبد الجبار العلوش, مرجع سابق، ص ٣٩٦.

٤٤. جاءت المادة السابعة من مشروع لجنة القانون الدولي بشأن مسؤولية الدول:

١ : يعتبر كذلك فعلا صادرا عن الدولة بمقتضى القانون الدولي تصرف العفو في كيان حكومي اقليمي داخل الدولة شريطة ان يكون العفو قد قام بالتصرف المذكور بهذه الصفة.

٢ : ويعتبر ايضا فعلا صادرا عن الدولة بمقتضى القانون تصرف العفو في كيان لا يشكل جزءا من بنية الدولة ذاتها او بنية كيان حكومي اقليمي فيها ولكن القانون الداخلي يؤهله لممارسة عناصر من السلطة الحكومية شريطة ان يكون العفو قد قام بالتصرف المذكور بهذه الصفة.

انظر د. صلاح الدين عامر, مقدمة لدراسة القانون الدولي العام, دار النهضة العربية, ٢٠٠٢. ص ٧٤٤.

٤٥. د. صالح جواد الكاظم, مرجع سابق ص ٢٣٩.

٤٦. هيلين نودار, مرجع سابق ص ١٥٩ – ١٦٠.

٤٧. صالح جواد الكاظم, مرجع سابق ص ٢٤.

٤٨. ان الولايات الاسترالية لا تتمتع بحدود دولية برية ولذلك فأن علاقاتها الدولية محدودة في هذا المجال اكثر من نظيرتها من الوحدات في الدول الفيدرالية الاخرى.

هذا وقد تدفع اللغة والثقافة المشتركة بعض الولايات لعقد اتفاقيات مع الدول الاخرى مثل مقاطعة كيبك الكندية التي تتحدث اللغة الفرنسية اذ عقدت عدة معاهدات للتعاون الثقافي والفني مع فرنسا نثل الاتفاقية المعقودة مع وزير التعليم العالي الفرنسي في ١٩٦٠/٢/٢٧ وقد وافقت الحكومة الفيدرالية في كندا عام ٢٠٠٦ على ان يكون لكيبك ممثل دائم في الوفد الكندي في اليونسكو في باريس.

٤٩. د. محمد سامي عبد الحميد, مرجع سابق ص ٢٦٥.

٥٠. د. صلاح الدين عامر, مرجع سابق ص ٥٩٩.

المصادر

اولا// المصادر العربية:

١. د. احسان الفرجي, د. كطران زغير, د. رعد الجدة، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق, المكتبة القانونية, بغداد, ١٩٩٠.

٢. ان تومي, العلاقات الخارجية في استراليا, حوارات حول العلاقات الخارجية في الدول الفيدرالية ج ٥، ترجمة مها بسطامي, الناشر منتدى الاتحادات الفيدرالية والرابطة الدولية لمركز الدراسات الفيدرالية ٢٠٠٦.

٣. اندريه لاكون, جورج اندرسون, حوارات حول العلاقات الخارجية في الدول الفيدرالية ج ٥, ترجمة مها بسطامي, الناشر منتدى الاتحادات الفيدرالية والرابطة الدولية لمركز الدراسات الفيدرالية ٢٠٠٦.

٤. د. حسن عزبة العبيدي. تنظيم المعاهدات في دساتير الدول. رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة بغداد. كلية القانون ١٩٨٨.
٥. راوول بليند يناخر. ساندرا باسما. حوارات حول العلاقات الخارجية في الدول الفيدرالية ج ٥، ترجمة مها بسطامي. الناشر منتدى الاتحادات الفيدرالية والرابطة الدولية لمركز الدراسات الفيدرالية ٢٠٠٦.
٦. ستيفان هامر. حوارات حول العلاقات الخارجية في الدول الفيدرالية ج ٥، ترجمة مها بسطامي. الناشر منتدى الاتحادات الفيدرالية والرابطة الدولية لمركز الدراسات الفيدرالية ٢٠٠٦.
٧. سعد عبد الجبار العلوش. الدولة الموحدة والدولة الفيدرالية. دراسات دستورية عراقية ط ١، المعهد الدولي لحقوق الانسان ٢٠٠٥.
٨. د. صالح جواد الكاظم. هل ينبغي منح اجزاء الدولة الاتحادية صلاحيات تعاهدية. مباحث في القانون الدولي، ط ١. ١٩٩١.
٩. د. صالح الدين عامر. مقدمة لدراسة القانون الدولي العام. دار النهضة العربية ٢٠٠٢.
١٠. د. عصام العطيه. القانون الدولي العام. ٢٠٠١.
١١. د. محمد سامي عبد الحميد. اصول القانون الدولي العام، منشأة المعارف. الاسكندرية ١٩٩٥.
١٢. د. نعمان الخطيب. الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري. دار الثقافة للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٦.
١٣. د. هاني الطهراوي. النظم السياسية والقانون الدستوري. دار الثقافة للنشر والتوزيع. عمان ٢٠٠٦.
١٤. هيلين نودار. تدويل الدساتير الوطنية. ترجمة باسل يوسف. بيت الحكمة، بغداد. ٢٠٠٤

ثانيا// المصادر الاجنبية

1. K. C. Wheare, Federal Government, 4th Edition. 1963.
2. Lard. Mcnair, The law if treaties. 1961.
3. Louis. Henkin and other, inter national law, Second Edition. 1987.

ثالثا// الدساتير

١. دستور العراق
٢. دستور الولايات المتحدة الامريكية
٣. دستور البرازيل
٤. دستور المملكة الليبية المتحدة
٥. دستور سويسرا
٦. دستور الهند
٧. دستور النمسا
٨. دستور نايجيريا
٩. دستور المانيا الاتحادية
١٠. دستور الارجنتين
١١. دستور استراليا
١٢. دستور كندا
١٣. دستور ماليزيا
دستور الامرات العربية المتحدة

الضوابط القانونية لبطاقة الاعتماد المتجدد في علاقة الجهة المصدرة بالحامل

المدرس المساعد
واثق عبد الجبار جلوب
قسم القانون الخاص

المدرس
يوسف عودة غانم
قسم القانون الخاص

الضوابط القانونية لبطاقة الاعتماد المتجدد
في علاقة الجهة المصدرة بالحامل

م.م. واثق عبد الجبار جلوب
م. يوسف عودة غانم

المقدمة

تُعد البطاقات الائتمانية وسيلة من وسائل الدفع الحديثة، باعتبارها أداة مصرفية تقوم مقام النقود في الوفاء بالالتزامات القانونية مقبولة على نطاق واسع لدى الأفراد والتجار.

ويقتضي التعامل بالبطاقات الائتمانية وجود عدة أطراف هم:

١- المنظمة العالمية الراعية، والتي غالباً ما تحمل البطاقة شعارها كما في أمريكان اكسبريس، الماستر كارد، الفيزا، داينرز كلوب، اليورو كارد وغيرها.

٢- الجهة المصدرة للبطاقة ٣- العميل / حامل البطاقة

٤- التاجر / المحلات التجارية التي تقبل التعامل بالبطاقة.

كما إنّ ذلك التعامل يمر بمراحل عدة ابتداءً من مرحلة الإصدار مروراً بفترة التعامل بالبطاقة، وانتهاءً بالوفاء بالالتزامات المترتبة على كل طرف تجاه غيره من الأطراف وفي كل مرحلة من تلك المراحل توجد علاقات تعاقدية بين أطراف البطاقة، ومن المؤكد إنّ العلاقة بين الجهة المصدرة والحامل تُعد من أهم تلك العلاقات لأنها تمثل العقد الأصلي وما سواها فيُعد مكملاً لتلك العلاقة، لذا فإننا سنركز على هذه العلاقة من حيث بيان التكييف القانوني لها وتحديد الآثار المترتبة عليها.

وتتخذ البطاقات الائتمانية بصورة عامة أنواعاً ثلاثة وهي: بطاقة الحسم الفوري وبطاقة الحسم الآجل فضلاً عن بطاقة الاعتماد المتجدد، وسنقتصر في هذه الدراسة على النوع الأخير دون النوعين الآخرين وذلك بالنظر لأهمية الدور الذي تؤديه هذه البطاقة من جهة ولعدم وجود دراسة مستقلة تتناول هذا النوع من البطاقات الائتمانية.

وتكمن الغاية من هذه الدراسة في بيان الضوابط القانونية لهذا النوع من البطاقات خاصة في ظل بدء انتشار البطاقات الائتمانية في بلدنا الحبيب مع غياب التنظيم القانوني لها سواء على المستوى الوطني أم المستوى الدولي.

ولغرض دراسة موضوع الضوابط القانونية لبطاقة الاعتماد المتجدد في علاقة الجهة المصدرة بالحامل بصورة مفصلة فان الأمر يقتضي تقسيمه على مبحثين: نتناول في الأول ذاتية بطاقة الاعتماد المتجدد من حيث تعريف البطاقة وبيان خصائصها وتمييزها عما يشتبه بها؛ أما المبحث الثاني فسنخصصه لبحث العلاقة القانونية بين مصدر البطاقة وحاملها من حيث التكييف القانوني لتلك العلاقة وبيان الآثار القانونية المترتبة عليها من حيث بيان التزامات الجهة المصدرة للبطاقة والتزامات حامل تلك البطاقة.

المبحث الأول: ـ ذاتية بطاقة الاعتماد المتجدد:ـ

من اجل تحديد ذاتية بطاقة الاعتماد المتجدد فإننا سنقسم هذا المبحث على مطلبين، نتناول في المطلب الأول مفهوم بطاقة الاعتماد المتجدد، بينما نخصص المطلب الثاني لتمييز هذه البطاقة عما يشتبه بها.

المطلب الأول: مفهوم بطاقة الاعتماد المتجدد:

سنقسم هذا المطلب على فرعين نخصص الأول لتعريف بطاقة الاعتماد المتجدد فيما نتناول في الثاني خصائص هذه البطاقة، وحسب التفصيل الآتي:

الفرع الأول: تعريف بطاقة الاعتماد المتجدد:-

لقد وردت عدة تعاريف بشأن بطاقة الاعتماد المتجدد، أو كما يسميها البعض بطاقة الائتمان أو الاعتماد الحقيقي (Credit Card):

فقد عرفها جانب من الفقه بأنها: (بطاقة تخول حاملها الحق في الحصول على تسهيل ائتماني من مصدر هذه البطاقة، حيث يقدمها للتاجر والذي يحصل بموجبها (الحامل) على سلع وخدمات، تُسدد قيمتها من الجهة مصدرة البطاقة)[1]. فيما عرفها جانب آخر من الفقه بأنها (البطاقة التي تستخدم كأداة وفاء وائتمان في نفس الوقت، لأنها تتيح لحاملها الحصول على السلع والخدمات فور تقديمها مقابل التزامه - الحامل - بدفع قيمة هذه المشتريات للبنك المصدر لتلك البطاقة)[2].

كما عرفها مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بأنها (مستند يُعطيه مصدره لشخص طبيعي أو اعتباري بناء على عقد بينهما يُمكّنه من شراء السلع والخدمات ممن يعتمد المستند

---

١ ـ د. عبد الفتاح بيومي حجازي، الحكومة الإليكترونية ونظامها القانوني، الكتاب الأول، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٤١٤؛ انظر نفس التعريف في مؤلفه التجارة الإليكترونية وحمايتها القانونية، الكتاب الأول، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص١١٤.

٢ ـ د. جميل عبد الباقي الصغير، الحماية الجنائية والمدنية لبطاقات الائتمان الممغنطة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٥.

دون دفع الثمن حالاً لتضمنه التزام المصدر بالدفع)[٣].

يُلاحظ على هذه التعاريف اشتراكها في التركيز على بيان الغاية من إصدار بطاقة الاعتماد المتجدد والمتمثلة بتوفير الائتمان الذي يُمكّن حاملها من الحصول على السلع والخدمات من التجار الذين يقبلون التعامل بتلك البطاقات، إلا إنّ هذه التعاريف لم تتطرق الى خصوصية بطاقة الاعتماد المتجدد و المتمثلة بصفة التجديد التلقائي للحد الائتماني الممنوح لحامل البطاقة وبكيفية قيام الحامل بتسديد المبالغ المترتبة في ذمته للجهة مصدرة البطاقة.

وتلافياً لذلك فقد عرفها جانب من الفقه بأنها (البطاقة التي تسمح للعميل بالحصول على خط أو حد ائتماني معين بمبلغ متغير يستخدمه في أي وقت يشاء، وبناء على اتفاق سابق مع البنك وهذا الحد الائتماني يتم تجديده تلقائياً)[٤].

كما عُرفت بأنها (البطاقة التي تؤدي الى إنشاء دين متجدد في ذمة حاملها بقيمة مشترياته الشهرية أو مسحوباته النقدية على أن يتم سداد المستحق على أقساط دورية تتناسب مع دخله)[٥].

في حين عرفها جانب آخر من الفقه بأنها (البطاقة التي تمنحها البنوك لعملائها، على أنْ يكون لهم حق الشراء والسحب نقداً في حدود مبلغ معين، ولهم تسهيلات في دفع قرض مؤجل على أقساط وفي صيغة قرض ممتد متجدد على فترات، لقاء فائدة محددة)[٦].

ويؤخذ على التعريفين الأخيرين، رغم ما يتمتعان به من دقة، خلطهما بين بطاقة الاعتماد المتجدد وبطاقة السحب النقدي بإعطاء حامل البطاقة الحق في شراء السلع والخدمات والسحب نقداً، والواقع إنّ وظيفة كل بطاقة مستقلة عن وظيفة البطاقة الاخرى؛ حيث تنفرد بطاقة السحب النقدي بتمكين حاملها من سحب المبالغ النقدية التي يروم الحصول عليها في حدود مبلغ البطاقة فيما تختص بطاقة الاعتماد المتجدد بتمكين حاملها من الحصول على السلع والخدمات من التجار والمؤسسات التي تقبل التعامل بتلك البطاقة.

بعد استعراضنا لمختلف التعاريف التي قيلت في بطاقة الاعتماد المتجدد نستطيع تعريفها بأنها: بطاقة اسمية تمنح من تصدر لمصلحته اعتماداً مالياً يخوله الحق في الحصول على ما يلزمه من سلع وخدمات من المؤسسات التي تقبل التعامل بها في حدود سقف ائتماني معين خلال مدة محددة قابلة للتجديد بصورة تلقائية، مقابل التزام الحامل بدفع المبالغ التي تترتب بذمته للجهة المصدرة على شكل أقساط دورية تتناسب مع دخله.

---

٣ ـ مجلة مجمع الفقه الإسلامي المنبثق من منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد الثاني عشر، الجزء الثالث، ص ٦٧٥- ٦٧٦، نقلاً عن د. مبارك جزاء الحربي، التخريج الفقهي للعلاقة بين مصدر بطاقة الائتمان وحاملها، مجلة الحقوق، العدد الثاني، السنة الثلاثون، الكويت، ٢٠٠٦، ص ٢٠٨.

٤ ـ د. نبيل محمد احمد صبيح، بعض الجوانب القانونية لبطاقات الوفاء والائتمان المصرفية، مجلة الحقوق، العدد الأول، السنة السابعة والعشرون، الكويت، مارس ٢٠٠٣، ص ٢٢٩.

٥ ـ سامح محمد عبد الحكم، الحماية الجنائية لبطاقات الائتمان (جرائم بطاقات الدفع الإلكتروني)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٠.

٦ ـ د. وهبة الزحيلي، بطاقة الائتمان، بحث منشور على الموقع الإلكتروني www.zuhayli.net/credit.him-57k

الفرع الثاني: خصائص بطاقة الاعتماد المتجدد:-

تتسم بطاقة الاعتماد المتجدد بجملة من الخصائص يمكن إجمالها بالآتي :-

أولاً : إنها بطاقة اسمية :

إذ ينبغي أنْ يُذكر فيها اسم الشخص المصرح له باستخدامها، ومن ثم لا يجوز إصدار هذه البطاقة لحاملها ذلك لان طبيعة هذه البطاقة تحتم على المؤسسات التي تقبل التعامل بها التحقق من شخصية صاحبها [٧]، نظراً لكونها بطاقة شخصية ينبغي استعمالها حصراً من قبل الشخص الذي صدرت لمصلحته ؛ ومما لاشك فيه إنّ ذكر اسمه في البطاقة سيساعد كثيراً في الوصول الى هذه الغاية.

فضلاً عن إنّ كون البطاقة اسمية سيجنبنا العديد من المخاطر التي قد تصاحب صدور البطاقة فيما لو كانت لحاملها وخاصة في حالتي سرقتها أو ضياعها، صحيح إنّ مشكلة سرقة أو ضياع بطاقة الاعتماد المتجدد كانت ولا تزال من أهم المشاكل القانونية التي يثيرها التعامل بهذه البطاقة [٨]، ولكن نطاق هذه المشكلة سيكون بشكل أوسع فيما لو أُجيز صدورها لحاملها إذ يمكن بالفرضية الأخيرة – بسهولة – انتحال صفة الحامل الشرعي للبطاقة بسبب عدم ذكر اسمه فيها.

يُلاحظ أخيراً بأن العادة قد جرت على عدم الاكتفاء بذكر اسم حامل البطاقة فحسب بل يُذكر الى جانب ذلك رقم حسابه وتوقيعه في نفس البطاقة بالشكل الذي يُمكّن من تحديد هويته بشكل واضح.

ثانياً :- إنها تتضمن فتح اعتماد متجدد :-

عرفت المادة (٢٦٩) من قانون التجارة العراقي الاعتماد بأنه " عقد يضع المصرف بمقتضاه تحت تصرف المستفيد مبلغاً من النقود لمدة معينة أو غير معينة " [٩].

وهذا ما ينطبق على بطاقة الاعتماد المتجدد في علاقة الجهة المصدرة بحامل البطاقة، إذ إنّ التعامل بهذه البطاقة يفترض أنْ تقوم الجهة المصدرة لها بوضع مبلغ من النقود تحت تصرف العميل يُمكّنه من الحصول على السلع والخدمات بصرف النظر عن مقدار الرصيد الدائن لحسابه، لان دفع قيمتها سيكون من حساب مُصدّر البطاقة وليس من حساب حاملها ؛ ويبقى بعد ذلك للعميل الاستفادة أو عدم الاستفادة من مبلغ الاعتماد، بحيث يستطيع (حامل البطاقة) استخدام كل المبلغ أو جزء منه أو أنْ لا يستخدمه أصلاً دون أنْ يكون لاحد إلزامه في ذلك.

بيد إنّ الحامل ملزم، فيما لو قرر الاستفادة من مبلغ الاعتماد، باستخدام ذلك المبلغ للغرض الذي رُصد من أجله والمتمثل بشراء السلع والخدمات من المؤسسات التي تتعامل بالبطاقة، كما إنّ عليه التقيد بحدود مبلغ الاعتماد المسموح به والذي يختلف باختلاف أنواع بطاقة الاعتماد المتجدد: ففي البطاقة العادية أو الفضية يكون ذلك المبلغ منخفضاً نسبياً بخلاف البطاقة الممتازة أو الذهبية التي يكون مبلغ الاعتماد فيها عالياً لدى بعض الجهات المصدرة للبطاقة مثل (الفيزا) وقد يكون مفتوحاً

---

٧ ـ د. جميل عبد الباقي الصغير، مصدر سابق، ص ١٠ ، ١٢ ؛ د. عبد الفتاح بيومي حجازي، التجارة الاليكترونية ...، الكتاب الأول، مصدر سابق، ص ١١٦.

٨ ـ د. عبد الفتاح بيومي حجازي، مكافحة جرائم الكومبيوتر والانترنت في القانون العربي النموذجي، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٥٨٨ ؛ سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٨٤.

٩ ـ تقابلها المادة (٣٣٨) من قانون التجارة المصري.

مطلقاً لدى البعض الآخر مثل (أمريكان اكسبريس) والتي تُمنح عادة للأثرياء مقابل دفع رسوم باهضة [١٠].

ويتميز هذا الاعتماد بصفة التجديد التلقائي، أي إنّ عقد الاعتماد يكون ممتداً لفترة معينة يحددها مصدر البطاقة على أنْ تتجدد لفترات لاحقة ما لم يخطر حامل البطاقة الجهة المصدرة برغبته في عدم التجديد قبل انتهاء المدة المحددة بوقت مناسب [١١].

ثالثاً: - إنها أداة للوفاء:

تقوم بطاقة الاعتماد المتجدد بوظيفة الوفاء بقيمة السلع والخدمات التي يشتريها حامل البطاقة من المحلات التجارية التي تقبل التعامل بها بدلاً من الوفاء النقدي [١٢]، أي إنها تحل محل النقود في الوفاء ويتم ذلك بإجراءات مبسطة تتمثل في توقيع الحامل على الإيصالات التي تتعلق بالمشتريات ليتم تقديمها الى الجهة المصدرة التي تتولى عملية دفع قيمة تلك الإيصالات.

ومما لا شك فيه إنّ استخدام هذه البطاقة سيقلل من استعمال النقود في التعامل؛ بمعنى إنّ هناك علاقة عكسية بينها وبين النقود، فكلما ازداد التعامل ببطاقة الاعتماد المتجدد كلما انخفض تداول النقود وقلت الحاجة إليها، الأمر الذي يُمكّن من الاحتفاظ بكميات كبيرة من النقود السائلة والعكس صحيح [١٣].

وتُعد وظيفة بطاقة الاعتماد المتجدد كأداةٍ للوفاء من الوظائف الاقتصادية المهمة التي تؤديها هذه البطاقة والتي تحقق فائدة لجميع أطراف هذه البطاقة:

فبالنسبة لحامل البطاقة فانه يستطيع بموجبها الحصول على ما يلزمه من سلع وخدمات حتى في حالة عدم توافر النقود الكافية لتغطية ما يحتاجه؛ فالبطاقة تُعد بمثابة شهادة ملاءة تدفع التجار الى تلبية طلبات مالكها بمجرد تقديمها لهم [١٤].

أما بالنسبة للتجار المنضمين الى نظام التعامل بالبطاقات فانهم يتمتعون بالعديد من الضمانات للحصول على ثمن السلع التي يبيعونها أو مقابل الخدمات التي يقدمونها، والتي من أهمها التزام الجهة المصدرة بسداد الإيصالات الموقعة من العميل (حامل البطاقة) وهو التزام مستقل عن العلاقة التي تربط حامل البطاقة بالجهة المصدرة لها بحيث لا يكون لتلك الجهة الامتناع عن الوفاء أو الاحتجاج في مواجهة التاجر المورّد بأي دفع مستمد عن علاقتها بالحامل، ويترتب على ذلك بقاء التزام الجهة المصدرة بالوفاء حتى لو لم يكن للحامل رصيد كافٍ أو حتى لو تعرض لأزمات مالية أو

١٠ـ سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٠؛ د. وهبة الزحيلي، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني:
www.zuhayli.net/credit.htm-57k
١١ـ د. علي جمال الدين عوض، عمليات البنوك من الوجهة القانونية في قانون التجارة الجديد وتشريعات البلاد العربية، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥٧٧؛ انظر كذلك: الهيئة الشرعية لبنك البلاد السعودي، ضوابط البطاقات الائتمانية، منشور على الموقع الالكتروني للبنك:
www.bankalbilad.com.sa/ar/creditcards.doc.
١٢ـ د. جميل عبد الباقي الصغير، مصدر سابق، ص ١٥؛ نضال إسماعيل برهم، أحكام عقود التجارة الإلكترونية، الطبعة الأولى، الإصدار الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥، ص ٨٨.
١٣ـ د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٣١.
١٤ـ د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ٥٨٣؛ د. محمود مختار احمد بريري، قانون المعاملات التجارية (عمليات البنوك والأوراق التجارية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٨١.

أُشهر إفلاسه طالما كانت القيمة المطلوبة لم تتجاوز الحد الائتماني الممنوح للحامل ؛ هذا من جانب ومن جانب آخر يُلاحظ البعض إنّ زيادة التعامل ببطاقة الاعتماد المتجدد أدت بالفعل الى زيادة مبيعات التجار الذين يقبلون التعامل بها من خلال زيادة عدد زبائنهم وزيادة حجم مشترياتهم [١٥].

أما بالنسبة للجهة المصدرة للبطاقة فإنها تستفيد من العمولات التي تتقاضاها من المحلات التجارية التي تتعامل بالبطاقة ومن العملاء نظير إصدار البطاقة، كما إنّ زيادة التعامل بهذه البطاقة من شأنه أن يُخفف من أعباء خدمات الخزينة ويقلل من استخدام النقود ويُبسط عمليات الوفاء والتداول الالكتروني وهو هدف تسعى المؤسسات المصرفية الى تحقيقه.[١٦]

رابعاً: إنها تقوم على الاعتبار الشخصي:

بمعنى إنّ هناك اعتبارات متعلقة بشخص العميل هي التي تدفع الجهة المصدرة للبطاقة الى التعاقد معه وإعطاءه الاعتماد أي الثقة فيه، وهذا ما يبرر قيام الجهة المصدرة بتحريات واستعلامات عن حالة العميل قبل أن تضع ثقتها فيه، وللجهة المصدرة أن ترفض التعاقد مع الشخص الذي يتقدم بطلب إصدار البطاقة إذا لم تتوافر فيه عناصر الثقة المطلوبة [١٧].

ويُعد إفصاح الجهة المصدرة عن رغبتها بإصدار البطاقة، حسب رأي جانب من الفقه [١٨]، مجرد دعوة للتعاقد وليس إيجاباً مُلزماً للجهة المصدرة، ومن ثم فان العقد لا يتم إلا بقبول من تلك الجهة لاحق لإيجاب العميل الذي ينبغي صدوره بصورة نموذج معد سلفاً من قبل الجهة المصدرة.

ويترتب على مبدأ الاعتبار الشخصي نتيجة مفادها إنّ بإمكان الجهة المصدرة إلغاء البطاقة بإرادتها المنفردة قبل حلول اجل الاعتماد أو عدم تجديد الاعتماد لفترات لاحقة إذا حدث ما يخل بالثقة بالعميل كوفاته أو فقدانه الأهلية أو إفلاسه أو تدهور مركزه المالي [١٩].

المطلب الثاني: تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عما يشتبه بها:-

سنحاول في هذا المطلب تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عن كل من الصك وأنواع بطاقات الائتمان الاخرى وذلك من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: - تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عن الصك:-

تقترب بطاقة الاعتماد المتجدد من الصك على اعتبار إنهما يقومان بوظيفة الوفاء بالالتزامات القانونية، غير إنّ هناك ثمة فروق جوهرية تُباعد بين النظامين يمكن إجمالها بالآتي: -

---

١٥- د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٣١ ؛ د. محمود مختار احمد بريري، مصدر سابق، ص١٨٢.

١٦- د. عبد الفتاح بيومي حجازي، الحكومة الاليكترونية ...، الكتاب الأول، مصدر سابق، ص ٤١٤ ؛ د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص٥٨٤.

١٧- د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ٥٧٩ ؛ د. سميحة القليوبي، الأوراق التجارية وفقاً لقانون التجارة رقم ١٧ لسنة ١٩٩٩، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٤٧٢ ؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ٩٤.

١٨- د. مصطفى كمال طه و د. وائل أنور بندق، الأوراق التجارية ووسائل الدفع الالكترونية الحديثة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٣٥٨ ؛ د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ٥٧٩.

١٩- د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٦ ؛ نضال إسماعيل برهم، ١٠٢.

أولاً :- من حيث وظيفة الائتمان :

تقوم بطاقة الاعتماد المتجدد بوظيفة الائتمان، إذ إنّ الجهة المصدرة للبطاقة تمنح حاملها أجلاً للوفاء بالمبالغ التي تترتب بذمته من جراء قيام تلك الجهة بدفع أثمان السلع والخدمات التي اشتراها من المؤسسات التي قبلت التعامل بالبطاقة [٢٠] ؛ أما الصك فلا يقوم بوظيفة الائتمان لعدم تضمنه أجلاً للوفاء كونه دائماً " مستحق بمجرد الاطلاع عليه " [٢١].

ثانياً :- من حيث صفة المسحوب عليه :

تتولى إصدار بطاقة الاعتماد المتجدد، عادة، المؤسسات الائتمانية أياً كان نوعها سواء أكانت مؤسسات مصرفية أم مؤسسات مالية غير مصرفية، كما يمكن إصدارها من قبل المؤسسات التجارية الكبرى ليستخدمها عملائها في تسوية مشترياتهم من تلك المؤسسات وفروعها الاخرى المنتشرة في أنحاء البلاد، لا بل اكثر من ذلك فقد تصدر من جهات اخرى كالنوادي الخاصة كما هو الحال بالنسبة لبطاقات (دينرز كلوب)[٢٢]، ومن ثم فان سحب تلك البطاقة على مصرف لا يُعد مسألة حتمية ودون أن يؤثر ذلك على صحة البطاقة، بخلاف الصك الذي اشترط المشرع التجاري فيه أن يكون مسحوباً على مصرف بالشكل الذي رتب عليه (المشرع) نفي صفة الصك عن كل ورقة مسحوبة على غير مصرف وان كانت في صورة صك [٢٣].

ثالثاً :- من حيث الصفة الاسمية :

تُعد بطاقة الاعتماد المتجدد بطاقة اسمية إذ يقتضي إصدارها تحديد اسم الشخص الذي يُخول باستخدامها ولا يصح إصدارها لحاملها، بخلاف الصك الذي أجاز المشرع سحبه ابتداءً لحامله [٢٤].

رابعاً :- من حيث قابلية التداول :

يكون الصك قابلاً للتداول وتختلف طريقة تداوله باختلاف الشكل الذي يتخذه: فإن كان الصك بإسم شخص معين مع التصريح بكلمة (لأمر) أو بدونها، فانه يكون قابلاً للتداول بطريق التظهير، وإن كان الصك بإسم شخص معين مع عبارة (ليس للأمر) أو أية عبارة اخرى بهذا المعنى فانه لا يكون قابلاً للتداول إلا بطريق حوالة الحق [٢٥].

إما إذا كان الصك لحامله، فانه يتداول بطريق التسليم ؛ في حين تُعد بطاقة الاعتماد المتجدد بطاقة شخصية لا يُسمح باستعمالها إلا من قبل من صدرت البطاقة بإسمه، وقد جرت العادة على إدراج الجهة المصدرة للبطاقة شرطاً يتعهد بموجبه العميل (حامل البطاقة) بعدم السماح لأي شخص

---

٢٠ ـ سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٠ ؛ انظر كذلك موضوع ضوابط البطاقات الائتمانية، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني لبنك البلاد السعودي : www.bankalbilad.com.sa/ar/creditcards.doc.

٢١ ـ انظر المواد : (١٥٥) من قانون التجارة العراقي، (٥٠٣) من قانون التجارة المصري.

٢٢ ـ د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٦٧ ؛ د. محمود الكيلاني، التشريعات التجارية والمعاملات الالكترونية، الطبعة الأولى، دار وائل، عمان، ٢٠٠٤، ص ٥١٩ ؛ أما في فرنسا فيُلاحظ إنّ الأمر يختلف حيث جعل قانون البنوك الصادر عام ١٩٨٤ إصدار البطاقات الائتمانية من اختصاص البنوك حصراً، انظر في تفصيل ذلك Ripert (G) et Roblot (R) , Traite de droit commercial , T II , Paris , 1991 , P.523 .

٢٣ ـ انظر المواد : (١٤٠) من قانون التجارة العراقي، (٤٧٥) من قانون التجارة المصري.

٢٤ ـ انظر المواد : (١٤٣) من قانون التجارة العراقي، (٤٧٧) من قانون التجارة المصري.

٢٥ ـ انظر المواد : (١٤٧) من قانون التجارة العراقي، (٤٨٦) من قانون التجارة المصري.

آخر باستعمال البطاقة مما يعني بالمحصلة النهائية إنّ بطاقة الاعتماد المتجدد لا تكون قابلة للتداول [٢٦].

خامساً:- من حيث ضرورة وجود الرصيد:

يستلزم المشرع التجاري في الصك وجود رصيد للساحب لدى المسحوب عليه، ولكي يُعد ذلك الرصيد موجوداً فلا بد من وجود مبلغ نقدي وقت إنشاء الصك وان يكون كافياً للوفاء بقيمته فضلاً عن ضرورة كونه قابلاً للتصرف فيه بموجب صك طبقاً لاتفاق صريح أو ضمني [٢٧]، وقد رتب المشرع على ذلك اعتبار الساحب مرتكباً لجريمة إصدار صك بدون رصيد في حالة عدم توافر الرصيد عند إصداره[٢٨]؛ أما بالنسبة لبطاقة الاعتماد المتجدد فان الأمر يختلف، إذ إنّ إصدار هذه البطاقة إنما يكون للعملاء الذين ليس لديهم رصيد كافٍ فيعمدون الى الاتفاق مع الجهة المصدرة للبطاقة على فتح اعتماد متجدد لهم يُمكّنهم من شراء السلع والخدمات في حدود مبلغ الاعتماد، ولا يجوز تطبيق أحكام جريمة إصدار صك بدون رصيد في حالة تجاوز حامل البطاقة الحد الائتماني المسموح له به، وذلك لان مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات يقف حائلاً دون اللجوء الى القياس في مجالي التجريم والعقاب [٢٩].

سادساً:- من حيث التنظيم القانوني:

يتمتع الصك بوجود تنظيم قانوني شامل لأحكامه وذلك في الفصل الثالث من الباب الثالث من قانون التجارة العراقي (المواد ١٣٧- ١٧٩) بالإضافة الى الأحكام المشتركة بينه وبين الحوالة التجارية والسند للأمر (المواد ١٨٠- ١٨٥) فضلاً عن أحكام الإحالة على الحوالة التجارية بالقدر الذي لا تتعارض فيه مع ماهية الصك طبقاً لنص المادة (١٣٧) من نفس القانون.

في حين يُلاحظ إنّ التعامل ببطاقة الاعتماد المتجدد محكوماً بالأعراف والعادات المصرفية، إذ إنها تعاني نقصاً تشريعياً واضحاً لأحكامها الأمر الذي يقتضي تدخل المشرع بإيراد نصوص قانونية تعالج تنظيم هذه البطاقة خاصة بعد اتساع دائرة التعامل بها في الوقت الحاضر.

الفرع الثاني:- تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عن أنواع بطاقات الائتمان الاخرى:-

تصنف بطاقة الاعتماد المتجدد الى جانب بطاقتي الحسم الفوري والحسم الآجل ضمن البطاقات الائتمانية، ولكن مع ذلك فان لبطاقة الاعتماد المتجدد من الخصائص ما تتميز بها عن الأنواع الاخرى. ومن اجل الوقوف على حقيقة ذلك يقتضي بنا البحث تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عن بطاقة الحسم الفوري أولاً ومن ثم تمييزها عن بطاقة الحسم الآجل وحسب التفصيل الآتي:-

أولاً:- تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عن بطاقة الحسم الفوري:-

تعرف بطاقة الحسم الفوري (Debit Card) بأنها البطاقة التي يستلزم إصدارها وجود رصيد لحاملها لدى الجهة المصدرة والتي تُستخدم كأداة وفاء بديون العميل الناشئة عن ثمن السلع

---

٢٦ ـ د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٥٠- ٢٥١.

٢٧ ـ انظر المواد: (١٤١) من قانون التجارة العراقي، (٤٩٧) من قانون التجارة المصري.

٢٨ ـ انظر المادة (٤٥٩) من قانون العقوبات العراقي المعدلة.

٢٩ ـ د. جميل عبد الباقي الصغير، مصدر سابق، ص ٧٥؛ سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٧٣.

والخدمات التي يحصل عليها من التجار فضلاً عن إمكانية استخدامها في سحب النقود من الآت التوزيع الآلي ومن الشبابيك الآلية للمصارف [٣٠].

يظهر لنا من خلال هذا التعريف إنّ هناك اختلافين جوهريين بين بطاقة الاعتماد المتجدد و بطاقة الحسم الفوري يتمثل أحداهما في مدى إمكانية السحب النقدي، حيث تقوم بطاقة الحسم الفوري بوظيفة سحب النقود إضافة الى الوفاء بثمن السلع والخدمات وذلك من خلال إدخال البطاقة في جهاز السحب الآلي وإدخال الرقم السري، الذي يمثل توقيع العميل بصورة إلكترونية، وتحديد المبلغ الذي يحتاج إليه، وبعد إتمام عملية الصرف يسترد العميل بطاقته آلياً مع تسجيل المبلغ في الجانب المدين من حساب العميل مباشرة [٣١]؛ في حين تقتصر وظيفة بطاقة الاعتماد المتجدد على الوفاء بثمن السلع والخدمات دون أنْ تمتد الى وظيفة السحب النقدي.

أما الاختلاف الثاني فيتمثل في الوظيفة الائتمانية للبطاقتين، حيث تُعد بطاقة الاعتماد المتجدد أداة حقيقية للائتمان وذلك من خلال الحد الائتماني المتجدد الذي يقدمه مصدر البطاقة الى حاملها والذي يُمكّن الأخير من شراء السلع والخدمات بصرف النظر عن مقدار الرصيد الدائن لحساب العميل (حامل البطاقة)، إذ إنّ دفع قيمة السلع والخدمات سيكون من حساب مصدر البطاقة وليس من حساب حاملها [٣٢]؛ على خلاف بطاقة الحسم الفوري التي تُستخدم كأداة وفاء فقط ولا تنطوي على تقديم تسهيلات ائتمانية لحاملها، لأنها تعتمد على وجود أرصدة فعلية للعميل لدى الجهة المصدرة تقابل المسحوبات المتوقعة للعميل حامل البطاقة وبمقتضاها تقوم الجهة المصدرة بخصم قيمة المشتريات وأجور الخدمات التي يحصل عليها الحامل عن طريق استعمال البطاقة بصورة مباشرة من أموال الحامل المودعة لديها [٣٣].

صفوة القول، إنّ بطاقة الحسم الفوري ـ وعلى خلاف بطاقة الاعتماد المتجدد ـ لا تقوم بالوظيفة الائتمانية، الأمر الذي يدفعنا بالاعتقاد بعدم صحة أدراج هذه البطاقة ضمن أنواع البطاقات الائتمانية وذلك لعدم توافر المعيار الذي على أساسه تُصنف البطاقات الائتمانية والمتمثل بتقديم تسهيلات ائتمانية لحاملها.

ثانياً: - تمييز بطاقة الاعتماد المتجدد عن بطاقة الحسم الآجل: -

تُعرف بطاقة الحسم الآجل (Charge Card) بأنها البطاقة التي تمنح لحاملها قرضاً في حدود معينة بحسب درجة البطاقة ولزمن معين يجب تسديده كاملاً في وقت محدد مُتفق عليه عند الإصدار [٣٤].

يتضح من خلال التعريف المتقدم إنّ بطاقة الحسم الآجل تقترب كثيراً من بطاقة الاعتماد المتجدد بكونهما تمنحان الحامل أجلاً فعلياً في الوفاء بثمن السلع ومقابل الخدمات التي يتم الحصول عليها من

٣٠ـ انظر في هذا المعنى د. مبارك جزاء الحربي، مصدر سابق، ص ٢٠٨؛ د. وهبة مصطفى الزحيلي، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني: www.zuhayli.net/credit.him-57k .

٣١ـ د. خالد ممدوح إبراهيم، إبرام العقد الالكتروني (دراسة مقارنة)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ٢٠١؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ٨٩.

٣٢ـ د. نائل عبد الرحمن صالح الطويل والمحامي ناجح داود رباح، الأعمال المصرفية والجرائم الواقعة عليها، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ٤٥.

٣٣ـ د. جميل عبدالباقي الصغير، مصدر سابق، ص ١٥؛ سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ١٩.

٣٤- د. وهبة الزحيلي، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني: www.zuhayli.net/credit.him-57k .

خلال التعامل بالبطاقة ؛ بيد إنّ هناك ثمة اختلافات بين هذين النوعين من البطاقات الائتمانية : يتمثل إحداها بصفة التجديد الدوري التي تُعد حكراً على بطاقة الاعتماد المتجدد دون بطاقة الحسم الآجل التي يكون الائتمان فيها لأجل محدد غير قابل للتجديد، بحيث إذا ما رغب أطراف البطاقة (الحامل والجهة المصدرة) بسحب الائتمان لفترات لاحقة للمدة المُتفق عليها عند إصدار البطاقة ينبغي عليهم عندئذٍ إبرام عقد جديد لإصدار بطاقة اخرى للمدة التي يرومون فيها توفير الائتمان للحامل [٣٥].

فيما يتمثل الاختلاف الآخر بالتسهيلات الائتمانية التي تقدمها الجهة المصدرة لحامل البطاقة، حيث تمتاز بطاقة الاعتماد المتجدد بمنح حاملها حق الاختيار في تحديد طريقة الدفع لتسديد المبالغ التي تترتب بذمته للجهة المصدرة وذلك من خلال إعطائه الحق بتجزئة الوفاء بتلك المبالغ على شكل أقساط دورية تتناسب مع دخله بخلاف بطاقة الحسم الآجل التي لا تتيح لحاملها مثل تلك التسهيلات، إذ يتعين عليه (الحامل) المبادرة بسداد ثمن مشترياته كاملاً خلال المدة التي تحددها الجهة المصدرة والتي غالباً ما تكون قصيرة نسبياً لا تتجاوز في أحسن الأحوال ثلاثين يوماً من تاريخ تسلم الحامل الكشوفات المرسلة له من تلك الجهة [٣٦]

المبحث الثاني:ـ العلاقة القانونية بين مصدر بطاقة الاعتماد المتجدد وحاملها:ـ

يحكم العلاقة بين الجهة المصدرة للبطاقة وحاملها العقد المبرم بينهما والذي يحدد كيفية إصدار البطاقة وشروطها ومدة صلاحيتها وكيفية استخدامها والحد الأقصى للمبالغ التي يجوز للعميل التصرف فيها وكيفية تسديد المبالغ المترتبة بذمة حامل البطاقة، فضلاً عن بيان حالات إلغاء البطاقة وسحبها والأحكام المتعلقة بسرقة البطاقة وضياعها [٣٧].

ولكي نقف على حقيقة هذه العلاقة فإننا سنقسم هذا المبحث على مطلبين نتناول في الأول تكييف العلاقة بين المصدر والحامل في حين نتناول في الثاني الآثار المترتبة على هذه العلاقة :

المطلب الأول: التكييف القانوني للعلاقة بين مصدر البطاقة وحاملها:

اختلف الفقه في تكييف العلاقة بين مصدر بطاقة الاعتماد المتجدد وحاملها وتحديد الفكرة التي يمكن إرجاعها إليها : فذهب جانب من الفقه الى تكييف تلك العلاقة بأنها عقد قرض يستطيع الحامل من خلاله الحصول على المبالغ النقدية من الجهة المصدّرة بالقدر المحدد له في العقد [٣٨] ؛ ويؤخذ على هذا الرأي عدم انسجامه مع أحكام القرض التي تستلزم أن يتسلم المُقترِض المبلغ المُقترَض فور التعاقد [٣٩]، صحيح إنّ القرض لم يُعد عقداً عينياً إذ لا يُعد هذا التسليم شرطاً لانعقاد العقد، ولكنه لا يزال في مقدمة الالتزامات التي تترتب عليه فتتعلق بترتبه بقية آثار العقد ؛ أما بالنسبة لبطاقة الاعتماد المتجدد

٣٥- انظر : الهيئة الشرعية لبنك البلاد السعودي، ضوابط البطاقات الائتمانية، منشور على الموقع الالكتروني للبنك : www.bankalbilad.com.sa/ar/creditcards.doc.

٣٦- سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص١٩- ٢٠ ؛ د. وهبة الزحيلي، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني : www.zuhayli.net/credit.him-57k.

٣٧ - د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٢ ؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ٩٣.

٣٨- د. وهبة الزحيلي، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني : www.zuhayli.net/credit.him-57k ؛ انظر كذلك موضوع ضوابط البطاقات الائتمانية، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني لبنك البلاد السعودي : www.bankalbilad.com.sa/ar/creditcards.doc.

٣٩- انظر المواد : (٦٨٤) من القانون المدني العراقي، (٥٣٨) من القانون المدني المصري.

فلا يُلزم الحامل على الإطلاق الاستفادة من الاعتماد الممنوح له ودون أنْ يؤثر ذلك في بقاء العقد وفاعليته وترتيبه لسائر آثاره بين الطرفين [٤٠]، كما إنّ الجهة المصدّرة للبطاقة لا تسلم مبلغ الاعتماد بصورة مباشرة الى العميل (حامل البطاقة) بل تضع تحت تصرفه مبلغاً معيناً للمدة المتفق عليها يُمكّنه من شراء السلع والخدمات إنْ أراد ذلك.

في حين حاول جانب آخر من الفقه تكييف تلك العلاقة بأنها مجرد وعد بالقرض [٤١]، وقد عللوا ذلك بالقول انه لا يوجد عند إبرام العقد إلا مجرد وعد من جانب الجهة المصدّرة بتسليم العميل المبالغ التي يطلبها في حدود الاعتماد الممنوح له، ومن ثم فان التسليم لا يقع إلا منذ قيام العميل بسحب المبالغ المخصصة له في الاعتماد فعلاً.

وقد تعرض هذا الرأي لانتقادات عديدة منها: انه في الوعد بالقرض يكون المبلغ المُقترَض عادة وحدة لا تتجزأ بحيث إذا أبدى المستفيد رغبته في الاستفادة من الوعد انصبت هذه الرغبة على كل المبلغ الموعود به، أما في بطاقة الاعتماد المتجدد فالعميل يستفيد من مبلغ الاعتماد لشراء السلع والخدمات بصورة متتالية وفقاً لرغباته وحاجاته، وقد يقتصر على الاستفادة الجزئية من مبلغ الاعتماد [٤٢]؛ كما إنّ استفادة العميل من بطاقة الاعتماد المتجدد لا تتخذ شكل استلام مبلغ نقدي، وعلى خلاف الوعد بالقرض، وإنما تكون في شكل الحصول على السلع والخدمات.

بينما ذهب جانب آخر من الفقه الى تكييف تلك العلاقة بأنها عبارة عن عقد كفالة على اعتبار إنّ الجهة المصدرة تكفل الحامل تجاه التجار بسداد الديون المترتبة بذمته والناشئة عن قيمة مشترياته من السلع والخدمات التي يحصل عليها [٤٣]؛ وهذه الكفالة تضامنية بطبيعتها بحيث يكون للتجار الرجوع على الجهة المصدرة مباشرة دون أن يكون للأخيرة مطالبتهم بالرجوع أولاً على الحامل وتجريده من أمواله قبل الرجوع عليها.

وقد تعرض هذا الرأي للعديد من الانتقادات مفادها إنّ بطاقة الاعتماد المتجدد تُنشئ في ذمة الجهة المصدرة التزاماً مستقلاً عن العلاقة التي تربط الحامل بالتاجر، ومن ثم لا يجوز لها التمسك في مواجهة التجار بالدفوع التي تكون للحامل تجاههم كما لا يجوز لها التمسك بالدفوع الناشئة عن علاقتها بالحامل [٤٤]؛ وهذا على خلاف الكفالة التي يكون فيها التزام الكفيل تابعاً لالتزام المكفول، وهو ما أكدته محكمة النقض المصرية بالقول (التزام الكفيل متضامناً كان أو غير متضامن هو التزام تابع لالتزام المدين الأصلي) [٤٥]. ويترتب على ذلك العديد من النتائج منها: إنّ بطلان التزام المدين المكفول يُحتم بطلان التزام الكفيل، كما إنّ للكفيل التمسك بجميع الدفوع الخاصة به والناتجة عن عقد الكفالة وبجميع

٤٠- د. عبد الحميد الشواربي، عمليات البنوك، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ١٦٦؛ د. هشام فرعون، القانون التجاري البري، ج٢، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٥، ص ٢١٢.

٤١- د. مصطفى كمال طه، عمليات البنوك، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص٧٧.

٤٢ - د. علي البارودي، العقود وعمليات البنوك التجارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون سنة طبع، ص٣٧٠؛ د. عبد الحميد الشواربي، مصدر سابق، ص ١٦٦.

٤٣- د. مبارك جزاء الحربي، مصدر سابق، ص ٢٤١.

٤٤- نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ١٠٩- ١١٠.

٤٥- قرار محكمة النقض المصرية بتاريخ ١٩٧٦/٣/١٥، د. احمد حسني، قضاء النقض التجاري من عام ١٩٣١-١٩٨١، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون سنة طبع، ٤٠٨.

الدفوع الخاصة بالمكفول بحيث يمكنه التمسك في مواجهة الدائن ببطلان التزامه أو ببطلان التزام المدين [٤٦].

فيما اعتبر جانب آخر من الفقه بان العلاقة بين الجهة المصدّرة للبطاقة وحاملها هي وكالة صادرة من العميل (الموكل) للجهة المصدرة (الوكيل) [٤٧]، تقوم بمقتضاها تلك الجهة بتنفيذ الأمر الصادر من الموكل بوفاء مبلغ من النقود للتاجر والمتمثل بثمن السلع والخدمات التي حصل عليها حامل البطاقة ؛ وينبغي على الجهة المصدّرة – كوكيل – تقديم كشف دوري للحامل لاثبات قيامه بواجبه.

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي في تفسير قيام المُصدر بالوفاء نيابة عن الحامل في حالة ما إذا كان للحامل رصيداً مودعاً لدى الجهة المصدّرة، إلا انه لا يصلح في تكييف تلك العلاقة في إطار بطاقة الاعتماد المتجدد، لان الجهة المصدّرة في هذه البطاقة لا تلتزم بالوفاء عن حامل البطاقة فحسب، بل إنها تلتزم قبل ذلك بفتح اعتماد متجدد لذلك الحامل تُجبر بمقتضاه على سداد دين الحامل للتاجر رغم أنها لم تكن مدينة للحامل، وهذا يختلف تماماً عن المعنى الحاصل في الوكالة إذ إنّ الوكيل - في الأصل – لا يُجبر على سداد دين الموكل إلا إذا كان مديناً للموكل أو كان للأخير مالاً عنده ؛ بمعنى إنّ الوكيل لا يدفع من ماله بل يكون مفوضاً بالدفع عن موكله من مال ذلك الموكل [٤٨]، هذا من جانب ؛ ومن جانب آخر فان الأخذ بفكرة الوكالة يؤدي الى نتائج غير مقبولة منها : إنّ المشرع في الوكالة قد أجاز للموكل الرجوع عن وكالته[٤٩] ؛ وهذا ما ترفضه طبيعة التعامل ببطاقة الاعتماد المتجدد، إذ إنّ أمر الوفاء الصادر من الحامل لا يقبل الرجوع فيه.

كما إنّ للوكيل في الوكالة التمسك بالدفوع التي تكون لموكله قبل الغير، في حين نجد إنّ التزام الجهة المصدّرة بالوفاء يُعد التزاماً مستقلاً عن العلاقة التي تربط الحامل بالتاجر ومن ثم لا يجوز لتلك الجهة التمسك بالدفوع التي تكون للحامل والناشئة عن تلك العلاقة.

في حين ذهب رأي خامس في الفقه الى تكييف العلاقة بين الجهة المصدرة وحامل البطاقة بأنها عقد اعتماد [٥٠]على اعتبار إنّ تلك العلاقة تعتمد أساساً على قيام مصدّر البطاقة بفتح اعتماد لمصلحة الحامل يحدد فيه مبلغ معين يستطيع الأخير على أساسه استخدام البطاقة لدى التجار الذين يقبلون التعامل بها. ويؤخذ على هذا الرأي انه إذا كان يصلح في تفسير التزام الجهة المصدّرة بفتح اعتماد للحامل إلا انه يُعد قاصراً عن تفسير التزام تلك الجهة بالوفاء للتاجر بقيمة المشتريات والخدمات التي يحصل عليها الحامل بموجب البطاقة.

وتلافياً للانتقادات الموجهة الى الرأيين الأخيرين حاول جانب من الفقهاء الجمع بين هذين الرأيين وذلك من خلال تكييف العلاقة بين الجهة المصدّرة والحامل على انها وكالة وعقد اعتماد في آن واحد

٤٦- انظر د. عبدالرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء العاشر، في التأمينات الشخصية والعينية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٥١.

٤٧- د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٧١.

٤٨- د. مبارك جزاء الحربي، مصدر سابق، ص ٢٢٦.

٤٩- انظر المادة (٩٤٧) من القانون المدني العراقي والمقابلة المادة (٧١٥) من القانون المدني المصري.

٥٠- د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٤ ؛ سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٣٩.

(٥١)، و المُلاحظ على هذا الرأي عدم صلاحيته هو الآخر لتكييف العلاقة بين الجهة المصدّرة للبطاقة والحامل، إذ انه واجه نفس الإشكاليات التي واجهت أنصار عقد الوكالة من حيث إمكانية الرجوع في الوكالة وإمكانية تمسك الوكيل بالدفوع التي يملك الموكل التمسك بها والتي لا تنسجم مع نظام بطاقة الاعتماد المتجدد.

بعد استعراضنا لمختلف الآراء التي قيلت في تحديد الطبيعة القانونية للعقد المبرم بين مصدر بطاقة الاعتماد المتجدد وحاملها وبيان الانتقادات الموجهة لها، نستطيع القول بان ذلك العقد هو عقد غير مسمى يتضمن عمليتين إحداهما فتح اعتماد لحامل البطاقة والاخرى تتعلق بتعهد الجهة المصدرة بالوفاء بقيمة السلع والخدمات التي يحصل عليها حامل البطاقة من المحلات التجارية التي تقبل التعامل بتلك البطاقة.

أي انه عقد من نوع خاص لا يمكن رده الى القواعد القانونية التقليدية، إذ إنّ بطاقة الاعتماد المتجدد تُعد وسيلة حديثة من وسائل الوفاء والائتمان مستقلة عن غيرها من النظم القانونية الاخرى، وهذا ما يؤكد ضرورة تدخل المشرع باستحداث نظام مستقل لتنظيم العلاقات الناشئة عن استخدام هذه البطاقة.

المطلب الثاني: الآثار المترتبة على العلاقة بين الجهة المصدرة للبطاقة وحاملها:-

يُرتب العقد المُبرم بين مصدر البطاقة وحاملها جملة من الالتزامات على عاتق طرفيه، وسنتكلم أولاً عن التزامات الجهة المصدرة للبطاقة ثم نتناول التزامات حامل البطاقة وحسب التفصيل الآتي:

الفرع الأول: التزامات الجهة المصدرة للبطاقة:-

يقع على عاتق الجهة المصدرة للبطاقة عدة التزامات أهمها:

أولاً:- فتح اعتماد متجدد لمصلحة الحامل: تلتزم الجهة المصدرة بتخصيص مبلغ من المال تقوم بوضعه تحت تصرف العميل مع تمكين الأخير من الانتفاع به، ويشترط أن يستمر هذا التخصيص للفترة الزمنية المُتفق عليها على أن تكون تلك الفترة قابلة للتجديد لفترات اخرى ما لم يُقرر الطرفين أو أحدهما عدم التجديد (٥٢).

ويتم فتح الاعتماد وقت صدور البطاقة، ويمثل هذا الاعتماد الخط الائتماني للبطاقة الذي ينبغي على الحامل عدم تجاوزه، وغالباً ما يكون ذلك الخط محدداً بيد إنّ هناك أنواعاً من البطاقات يكون فيها مبلغ الإعتماد مفتوحاً مطلقاً (٥٣).

ثانياً:- خدمة صندوق العميل (حامل البطاقة): تلتزم الجهة المصدرة كذلك بالوفاء للتاجر بقيمة المشتريات والخدمات التي يحصل عليها العميل بموجب البطاقة وضمن السقف الائتماني المسموح به، فإذا تجاوز العميل ذلك السقف فلا تكون تلك الجهة مُلزمة بالوفاء وفقاً للعقد الذي صدرت البطاقة على أساسه، فان قامت بالوفاء بالمبلغ المتجاوز لحدود الاعتماد فهي تُعد، حسب الرأي الراجح في الفقه،

٥١- انظر د. كيلاني عبد الراضي محمود، النظام القانوني لبطاقات الوفاء والضمان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص٧١٢.

٥٢- د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ٥٨٠؛ د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

٥٣- سامح محمد عبد الحكم، مصدر سابق، ص ٢٠؛ د. وهبة الزحيلي، مصدر سابق، منشور على الموقع الالكتروني:

www.zuhayli.net/credit.him-57k

بمركز الوكيل عن العميل وتخضع هذه العلاقة لعقد الوكالة [٥٤]، ومن ثم يكون العميل مُلزم بهذا الوفاء ما لم يصدر عنه أمراً للجهة المصدرة بعدم الوفاء بالمبالغ الزائدة عن الحد الائتماني للبطاقة أو ما لم يعترض على ذلك الوفاء.

ثالثاً: - المحافظة على سرية البيانات المتعلقة بالبطاقة وحاملها: تقوم العلاقة بين الجهة المصدرة وحامل البطاقة أساساً على الاعتبار الشخصي وما يتطلبه ذلك من ضرورة قيام الجهة المصدرة بتجميع وحفظ المعلومات الشخصية للحامل ومعرفة مركزه المالي والاجتماعي، وتتضمن بطاقة الاعتماد المتجدد بعض تلك المعلومات بشكل مقروء كإسم الحامل ولقبه وتاريخ انتهاء صلاحية البطاقة ورقم تسلسل البطاقة واسم المؤسسة المصدرة لها، كما تشتمل هذه البطاقة على بعض المعلومات والبيانات السرية التي لا يعرفها أحد سوى الحامل والجهة المصدرة مثل الرقم السري للبطاقة والحد الأقصى للاعتماد المسموح باستعماله والبيانات المتعلقة بالعمليات المُنفذة بالبطاقة فضلاً عن تحديد المركز المالي للحامل؛ ولما كان إفشاء المعلومات الخاصة بالعميل (حامل البطاقة) للغير من شأنه الإضرار به، لذا ينبغي على الجهة المصدرة التكتم على تصرفات العميل وأحواله المالية وهي مسائل يعتبرها العميل من شؤونه الخاصة التي يجب ألا يعرفها الغير، سواء أكان هذا العميل تاجراً أم غير تاجر، فمن الطبيعي أن يحرص كل إنسان على إخفاء مركزه المالي عن غيره، سواء أكان هذا الغير مُنافساً له أم ليس منافساً، بل حتى لو كان أحد من أفراد عائلته[٥٥].

هذا من جانب ومن جانب آخر فان طبيعة التعامل بالبطاقة تقتضي التكتم على البيانات السرية المتعلقة بالبطاقة وخاصة رقمها السري كونه يعد وسيلة مهمة للدخول الى حساب العميل واستعمال البطاقة، ومن ثم فان إفشاء ذلك الرقم للغير من شانه أنْ يسهل عليه الاستعمال غير الشرعي للبطاقة فيما لو قام بسرقتها أو عثر عليها [٥٦].

رابعاً: - إرسال كشف دوري لحامل البطاقة: تلتزم الجهة المصدرة أخيراً بإرسال كشف حساب لحامل البطاقة من وقت لآخر يتضمن المبالغ والنفقات التي قامت بدفعها للتجار ثمناً للمشتريات والخدمات التي حصل عليها بموجب البطاقة، كما يتضمن أسماء المحلات التجارية والتجار الذين تقدموا بالإيصالات الموقعة من قبل الحامل وقيمة مطالبة كل منهم [٥٧].

ويفترض وصول الكشف للحامل بعد مضي مدة معينة من تاريخ إرساله، وغالباً ما تُحدد المدة في عقد إصدار البطاقة، ولكن مع ذلك فان تلك الفرضية ليست قطعية إذ يمكن للحامل دحضها من خلال إثبات عدم وصول الكشف بكافة طرق الإثبات، على اعتبار إنّ إرسال الكشف بذاته يمثل واقعة مادية يمكن إثباتها بكافة طرق الإثبات [٥٨].

وتكمن أهمية هذا الكشف في اطلاع حامل البطاقة على ماهية الإيصالات التي تقوم الجهة المصدرة بإيفائها وبيان مجموع المبالغ التي تترتب بذمة الحامل من جراء تلك التعاملات، ويمكن للحامل

٥٤- انظر د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٥ ؛ د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ٥٨٠ ؛ د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٤٧ ؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ١٠٤.

٥٥- د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ١٠٨٦.

٥٦- د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٤٩ ؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ١٠٣.

٥٧ - د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٥ ؛ د. مبارك جزاء الحربي، مصدر سابق، ص ٢١٠.

٥٨- نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ١٠٤.

الاعتراض على كشوف الحساب المرسلة إليه خلال مدة محددة غالباً ما تكون قصيرة، ضماناً لاستقرار التعاملات، وإذا ما حصل ذلك الاعتراض قامت الجهة المصدرة بمراجعة الإيصالات المقدمة من التجار لغرض فحص تفاصيل العملية التي تم الاعتراض عليها على أنْ يتحمل حامل البطاقة مصاريف إعادة الفحص إذا ثُبت عدم صحة الاعتراض (٥٩).

الفرع الثاني: التزامات حامل البطاقة:-

يتضمن عقد إصدار البطاقة عدة شروط تُحدد بمجموعها التزامات حامل البطاقة وهي كالآتي:-

أولاً:- استعمال البطاقة استعمالاً شخصياً: لما كانت بطاقة الاعتماد المتجدد تقوم أساساً على الاعتبار الشخصي، فقد بات من الضروري أن يكون استعمال تلك البطاقة مقصوراً على الحامل الذي صدرت بإسمه؛ ومما يؤكد إضفاء الصفة الشخصية على البطاقة: إعطاء كل حامل لها رقماً سرياً يختلف بالتأكيد عن الأرقام السرية للحملة الآخرين، إضافة الى ضرورة توقيع الحامل شخصياً على الإيصالات التي يقدمها له التاجر كشرط لإتمام عملية البيع بنظام البطاقة وضرورة مطابقة هذا التوقيع للتوقيع الموجود على ظهر البطاقة والعائد لحاملها الشرعي، فضلاً عن ضرورة مطابقة اسم مستعمل البطاقة مع الاسم الموجود عليها ويتم ذلك من خلال قيام التاجر بالتحقق من الهوية الشخصية لمُقدِم البطاقة (٦٠).

ومما يُلاحظ بهذا الشأن قيام الجهة المصدرة للبطاقة بتضمين عقد الإصدار شرطاً صريحاً بضرورة تقيد الحامل بالاستعمال الشخصي للبطاقة وعدم إعارتها أو التنازل عنها لأي شخص آخر أياً كانت العلاقة التي تربطه به، وغالباً ما تُرتب على مخالفة الحامل لهذا الشرط قيام مسؤوليته التعاقدية أمام الجهة المصدرة عن جميع المعاملات التي تتم بواسطة الغير مع تمتع الجهة المصدرة في هذه الحالة بإمكانية فسخ العقد واسترداد البطاقة (٦١).

ثانياً:- المحافظة على البطاقة: يلتزم حامل البطاقة باتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على البطاقة؛ ولا يقتصر هذا الالتزام على حفظ الكيان المادي للبطاقة فحسب، بل ينبغي فوق ذلك التكتم على البيانات السرية للبطاقة وخاصة رقمها السري، كونه يمثل مفتاح خزانة العميل لدى الجهة المصدرة، وهذا ما يفسر قيام تلك الجهة عادة بإلغاء البطاقة في حالة إخطارها من قبل الحامل بفقدان الرقم السري للبطاقة أو نشره (٦٢).

ويحتم هذا الالتزام تحمل الحامل كافة النتائج المترتبة على ضياع البطاقة أو سرقتها، بحيث يكون مسؤولاً عن جميع المبالغ التي يستخدمها من وقعت البطاقة في حيازته ما لم يتمكن الحامل من إثبات عدم صدور أي خطأ من جانبه مكن الغير من حيازة البطاقة، مع إثبات حدوث إهمال من جانب التاجر كما في حالة عدم اتخاذ الإجراءات المعتادة للتحقق من سلامة البطاقة وشخصية حاملها، أو عدم إجراء

---

٥٩ - د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٦.

٦٠- د. جميل عبد الباقي الصغير، مصدر سابق، ص ١٦٦؛ د. مصطفى كمال طه ود. وائل أنور بندق، مصدر سابق، ص ٣٥٨؛ د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٥٠.

٦١ - د. سميحة القليوبي، مصدر سابق، ص ٤٧٣؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ٩٥- ٩٦.

٦٢ - د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص ٢٥٠؛ د. جميل عبد الباقي الصغير، مصدر سابق، ص ١٧٢.

المطابقة بين توقيع الحائز على الإيصال وتوقيع الحامل الشرعي للبطاقة المُثبت عليها، إذ يتحمل التاجر في مثل هذه الحالات نتيجة إهماله ويمتنع عليه المطالبة بقيمة تلك الإيصالات[٦٣].

وتقوم مسؤولية حامل البطاقة عن المبالغ المستخدمة من قبل الغير على أساس صدور خطأ من جانبه يتمثل بإخلاله بالتزامه في المحافظة على البطاقة، وإذا ما أراد التخلص من المسؤولية فعليه المسارعة بإخطار الجهة المصدرة بواقعة ضياع البطاقة أو سرقتها واطلاعها على ظروف وملابسات تلك الواقعة [٦٤]؛ حيث تنتقل المسؤولية، في هذه الحالة، من الحامل الى الجهة المصدرة منذ لحظة تلقي الأخيرة الإخطار من الحامل.

ثالثاً:- إعادة البطاقة الى الجهة المصدرة عند انتهاء صلاحيتها: تنص غالبية اتفاقيات إصدار بطاقة الاعتماد المتجدد صراحة على اعتبار البطاقة مملوكة للجهة المصدرة وإنّ الحامل لا يعدو أنْ يكون حائزاً لها [٦٥]، لذا ينبغي على الحامل إعادة البطاقة للجهة المصدرة عند انتهاء صلاحيتها ويترتب على إخلال الحامل بهذا الالتزام اعتباره مرتكباً لجريمة خيانة الأمانة [٦٦].

تجدر الإشارة الى إنّ صلاحية البطاقة تنتهي بانتهاء مدتها سواء تم تجديد البطاقة لفترة لاحقة أم لم يتم ذلك، إذ يتحتم على الحامل في جميع الأحوال رد البطاقة المنتهية الصلاحية واستلام بطاقة جديدة في حالة التجديد [٦٧]، كما يمكن أن تنتهي صلاحية تلك البطاقة قبل انتهاء مدتها في حالة فسخ العقد بين الحامل والجهة المصدرة بسبب إساءة استعمال البطاقة من قبل الحامل أو بتوقف الأخير عن دفع الأقساط الدورية المستحقة بذمته أو بوفاته أو إفلاسه أو غير ذلك من الأسباب التي قد تؤدي الى فسخ العقد وانتهاء التعامل بالبطاقة [٦٨].

رابعاً:- الوفاء بالمبالغ المستحقة للجهة المصدرة: يلتزم حامل البطاقة بالوفاء بالمبالغ التي تترتب بذمته للجهة المصدرة، وتتمثل تلك المبالغ أساساً بقيمة المشتريات والخدمات التي يحصل عليها من المحلات التجارية بوساطة البطاقة بناءً على توقيعه على إيصالات الشراء والتي قامت الجهة المصدرة بسدادها لتلك المحلات [٦٩]؛ فضلاً عن الالتزام بدفع الفوائد المتفق عليها على المبالغ التي يتم استعمالها بالفعل من قبل حامل البطاقة.

كما تشتمل تلك المبالغ على رسوم الاشتراك السنوي في نظام البطاقة ورسوم إصدارها وكذلك رسوم تجديدها، وغالباً ما يتم الاتفاق على دفع تلك الرسوم مقدماً عند إصدار البطاقة أو عند تجديدها وبصرف النظر عن استعمال أو عدم استعمال المبلغ الذي تتضمنه البطاقة [٧٠].

٦٣- د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص ٥٨٢؛ د. مبارك جزاء الحربي، مصدر سابق، ص ٢١٦.

٦٤- د. محمود مختار احمد بريري، مصدر سابق، ص ١٨٥؛ نضال إسماعيل برهم، مصدر سابق، ص ٩٧.

٦٥- انظر البند الرابع من اتفاقية بطاقة ماستر كارد الصادرة عن البنك التجاري الكويتي والمنشورة كملحق لبحث د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص٣١٧- ٣٢٢؛ انظر كذلك البند الرابع عشر من اتفاقية بطاقة فيزا بنك مصر المنشورة كملحق لمؤلف د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص٥٨٧- ٥٨٩.

٦٦- د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص٢٥٧.

٦٧- د. جميل عبد الباقي الصغير، مصدر سابق، ص١٧٧.

٦٨- د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص٥٧٩؛ د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص٢٥٧

٦٩- د. علي جمال الدين عوض، مصدر سابق، ص٥٨٠؛ د. محمود مختار احمد بريري، مصدر سابق، ص١٨٤.

٧٠- د. نبيل محمد احمد صبيح، مصدر سابق، ص٢٥٢- ٢٥٣؛ نضال اسماعيل برهم، مصدر سابق، ص١٠١

ويُعد هذا الالتزام من أهم الالتزامات التي تقع على عاتق الحامل، وهو التزام مجرد ومستقل عن العلاقة التي تربط ذلك الحامل بأصحاب المحلات التجارية والتي على أساسها تم التوقيع على الإيصالات؛ ومن ثم لا يجوز للحامل التنصل من هذا الالتزام بإثارة الدفوع التي له أنْ يُثيرها قِبل التجار. ويتم الوفاء على شكل أقساط دورية تتناسب مع مدخولات حامل البطاقة.

الخاتمة

من خلال دراستنا لبطاقة الاعتماد المتجدد في علاقة الجهة المصدرة بالحامل توصلنا الى تعريف هذه البطاقة بأنها: بطاقة اسمية تمنح من تصدر لمصلحته اعتماداً مالياً يخوله الحق في الحصول على ما يلزمه من سلع وخدمات من المؤسسات التي تقبل التعامل بها في حدود سقف ائتماني معين خلال مدة محددة قابلة للتجديد بصورة تلقائية، مقابل التزام الحامل بدفع المبالغ التي تترتب بذمته للجهة المصدرة على شكل أقساط دورية تتناسب مع دخله.

كما لاحظنا بان لبطاقة الاعتماد المتجدد العديد من الخصائص تتمثل بكونها بطاقة اسمية متضمنة فتح اعتماد متجدد وبأنها أداة للوفاء فضلاً عن قيامها على الاعتبار الشخصي، وهذه الخصائص كفيلة بتمييزها عما يشتبه بها من وسائل الوفاء الاخرى وخاصة الصك وبقية أنواع البطاقات الائتمانية الاخرى.

كما ثبت لنا بان بطاقة الحسم الفوري لا يمكن إدراجها ضمن أنواع البطاقات الائتمانية وذلك لعدم توافر المعيار الذي على أساسه تُصنف البطاقات الائتمانية والمتمثل بتقديم تسهيلات ائتمانية لحاملها.

وعند الحديث عن التكييف القانوني للعلاقة بين الجهة المصدرة للبطاقة والحامل وجدنا إنّ هناك خلافاً فقهياً كبيراً حول تحديد طبيعة تلك العلاقة وتعيين الفكرة التي يمكن ردها إليها، وقد لاحظنا بان الآراء المطروحة لا تنهض كأساس لتكييف تلك العلاقة لكون إنّ العقد الذي يربط بين الجهة المصدرة للبطاقة وحاملها لا يمكن رده الى القواعد القانونية التقليدية، إذ إنّ بطاقة الاعتماد المتجدد تُعد وسيلة حديثة من وسائل الوفاء والائتمان مستقلة عن غيرها من النظم القانونية الاخرى؛ وقد توصلنا – نتيجة لذلك – الى تكييف ذلك العقد بأنه عقد غير مسمى يتضمن عمليتين إحداهما فتح اعتماد لحامل البطاقة والاخرى تتعلق بتعهد الجهة المصدرة بالوفاء بقيمة السلع والخدمات التي يحصل عليها حامل البطاقة من المحلات التجارية التي تقبل التعامل بتلك البطاقة.

كما ظهر لنا من خلال البحث إنّ العقد المبرم بين الجهة المصدرة والحامل يرتب التزامات متبادلة على عاتق طرفيه تتمثل بالنسبة للجهة المصدرة بضرورة فتح اعتماد متجدد لمصلحة الحامل وخدمة صندوق العميل والمحافظة على سرية البيانات المتعلقة بالبطاقة وحاملها فضلاً عن ضرورة إرسال كشف دوري لحامل البطاقة يتضمن المبالغ والنفقات التي قامت تلك الجهة بدفعها للتجار ثمناً للمشتريات والخدمات التي حصل عليها الحامل بموجب البطاقة.

أما بالنسبة لالتزامات حامل البطاقة فتتمثل بضرورة استعمال البطاقة استعمالاً شخصياً والمحافظة على البطاقة والالتزام بردها الى الجهة المصدرة وأخيراً الوفاء بالمبالغ المترتبة بذمته للجهة المصدرة.

كما لاحظنا أخيراً افتقار بطاقة الاعتماد المتجدد لوجود تنظيم قانوني يُعالج أحكامها سواء على المستوى الوطني أم الدولي الأمر الذي دفعنا الى الاقتراح على المشرع التجاري بضرورة التدخل لإيراد نصوص قانونية تعالج تنظيم هذه البطاقة خاصة بعد اتساع دائرة التعامل بها في الوقت الحاضر.

المصـــــادر

* باللغة العربية

أولاً: الكتب:

١- د. جميل عبد الباقي الصغير، الحماية الجنائية والمدنية لبطاقات الائتمان الممغنطة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.
٢- د. خالد ممدوح إبراهيم، إبرام العقد الإلكتروني (دراسة مقارنة)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
٣- سامح محمد عبد الحكم، الحماية الجنائية لبطاقات الائتمان (جرائم بطاقات الدفع الإلكتروني)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.
٤- د. سميحة القليوبي، الأوراق التجارية وفقاً لقانون التجارة رقم ١٧ لسنة ١٩٩٩، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.
٥- د. عبد الحميد الشواربي، عمليات البنوك، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
٦- د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء العاشر، في التأمينات الشخصية والعينية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠.
٧- د. عبد الفتاح بيومي حجازي، التجارة الإليكترونية وحمايتها القانونية، الكتاب الأول، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
٨- د. عبد الفتاح بيومي حجازي، الحكومة الإليكترونية ونظامها القانوني، الكتاب الأول، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
٩- د. عبد الفتاح بيومي حجازي، مكافحة جرائم الكومبيوتر والإنترنت في القانون العربي النموذجي، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
١٠- د. علي البارودي، العقود وعمليات البنوك التجارية، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون سنة طبع.
١١- د. علي جمال الدين عوض، عمليات البنوك من الوجهة القانونية في قانون التجارة الجديد وتشريعات البلاد العربية، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.
١٢- د. كيلاني عبد الراضي محمود، النظام القانوني لبطاقات الوفاء والضمان، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣- د. محمود الكيلاني، التشريعات التجارية والمعاملات الإلكترونية، الطبعة الأولى، دار وائل، عمان، ٢٠٠٤.
١٤- د. محمود مختار احمد بريري، قانون المعاملات التجارية (عمليات البنوك والاوراق التجارية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.
١٥- د. مصطفى كمال طه، عمليات البنوك، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
١٦- د. مصطفى كمال طه و د. وائل أنور بندق، الأوراق التجارية ووسائل الدفع الإلكترونية الحديثة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
١٧- د. نائل عبد الرحمن صالح الطويل والمحامي ناجح داود رباح، الأعمال المصرفية والجرائم الواقعة عليها، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.

١٨- نضال إسماعيل برهم، أحكام عقود التجارة الإلكترونية، الطبعة الأولى، الإصدار الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥.
١٩- د. هشام فرعون، القانون التجاري البري، ج٢، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٥.

ثانياً: الأبحاث القانونية:

٢٠- الهيئة الشرعية لبنك البلاد السعودي، ضوابط البطاقات الائتمانية، منشور على الموقع الإلكتروني للبنك: www.bankalbilad.com.sa/ar/creditcards.doc.
٢١- د. مبارك جزاء الحربي، التخريج الفقهي للعلاقة بين مصدر بطاقة الائتمان وحاملها، مجلة الحقوق، العدد الثاني، السنة الثلاثون، الكويت، ٢٠٠٦.
٢٢- د. نبيل محمد احمد صبيح، بعض الجوانب القانونية لبطاقات الوفاء والائتمان المصرفية، مجلة الحقوق، العدد الأول، السنة السابعة والعشرون، الكويت، مارس ٢٠٠٣.
٢٣- د. وهبة الزحيلي، بطاقة الائتمان، بحث منشور على الموقع الإلكتروني www.zuhayli.net/credit.him-57k

ثالثاً: المجاميع القضائية:

٢٤- د. احمد حسني، قضاء النقض التجاري من عام ١٩٣١- ١٩٨١، منشأة المعارف، الإسكندرية، بدون سنة طبع.

رابعاً: القوانين:

٢٥- القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨.
٢٦- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.
٢٧- قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.
٢٨- قانون التجارة العراقي رقم ٣٠ لسنة ١٩٨٤.
٢٩- قانون التجارة المصري رقم ١٧ لسنة ١٩٩٩.

*** باللغة الفرنسية**

30- Ripert (G) et Roblot (R) , Traite de droit commercial , T II , Paris , 1991.

الحماية القانونية للمصنفات ومؤلفيها

دارسة مقارنة

المدرس المساعد

أشواق عبد الرسول عبد الأمير الخفاجي

الحماية القانونية للمصنفات ومؤلفيها

دارسة مقارنة

م.م. أشواق عبد الرسول عبد الأمير الخفاجي

ملخص البحث

ان الحماية القانونية في نطاق موضوعنا تتجه الى صيانة وضع، ومنع الاعتداء عليه، سواء كانت شخصية تتجه الى المؤلف ذاته وهو الفرد الموهوب الذي يتمتع بخيال خصب، وملكة إبداع يستطيع عن طريق الكتاب أو المحاضرة أو المسرح أو الرسم، ان يرسم للمستقبل صورة تختلف عن صورته الحاضرة بما له من ملكة تصور وقدرة في التعبير. ان هذا الفرد الموهوب يرعاه القانون ويقدر جهوده وإنتاجه ويحيطه بسياج من الحماية يحافظ بها على ما أنتجه لحاضر أمته ولأجيالها المستقبلة. وليشجع غيره من طريقها على الاقتداء به. ولذلك فان القانون يبسط حمايته عليه. وقد تكون لحماية القانونية عينية تتجه الى المصنف إذ لا يكفي ان يهتدي الشخص الى فكرة مبتكرة حتى يسبغ عليها القانون حمايته. وإذا يلزم فضلاً عن ذلك ان تصاغ هذه الأفكار في شكل مادي محسوس تظهر الى عالم الوجود أياً كان نوعها أو طريقة التعبير عنها أو أهميتها أو الغرض منها.

المقدمة

أولاً: موضوع البحث:

ان الحماية القانونية في نطاق موضوعنا تتجه باتجاهين، اولهما: حماية الإنتاج الذهني الذي يتضمن ابتكاراً وينصب في قالب مادي له كيانه المحسوس مهما كانت طريقة التعبير عنه أو الغرض منه أو لونه أو نوعه.

ثانيهما: حماية صاحب الإنتاج الذهني وهو المؤلف الذي يرعاه القانون ويقدر جهوده وإنتاجه ويحيطه بسياج من الحماية القانونية ليحافظ على إنتاجه.

وقد اعترف الفقه والقضاء والقوانين الحديثة بحقوق المؤلف وقررت الحماية له باعتباره صاحب الإنتاج الذهني الذي يضفي صفة المؤلف على من ابتكره، كما قررت الحماية للمصنف الذي أنتجه لكي تؤمن بقاء هذا الإنتاج حياً بين أفكار الجماهير، وهذه الحماية القانونية للمصنفات ومؤلفيها هي موضوع بحثنا، والمحور الذي ندور حوله.

ثانياً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

لاشك في ان تقدم المجتمعات الحديثة، في العلم والأدب والفن، كان ثمرة أفكار رجال امتازوا بمواهب وعبقريات في كل أفق من آفاق المعرفة، وطبعت أسماؤهم على كل مظهر من مظاهر الحياة. وقد استطاعوا بنبوغهم وملكتهم تغيير مجرى التاريخ لصالح الإنسانية، بفضل ما حققوه من إنجازات أسدلت الستار على الماضي المتخلف ومهدت الطريق لحياة أفضل تنعم بها البشرية. أولئك هم ذوو العقول الخلاقة، وأصحاب المصنفات المبتكرة في مختلف مجالات الحياة، ولابد من الاهتمام بهم إذ ان ابرز عوامل نجاح المجتمعات المتقدمة هو اهتمامها البالغ بالعلماء والأدباء والمفكرين وغيرهم من رجال الفكر وتوفير الحماية القانونية لهم ولإنتاجهم الذهني.

وبالرغم من اهتمام معظم المشرعين في الوقت الحاضر بحقوق التأليف والابتكار نجد المشرع العراقي جاء بأحكام موجزة في قانون حماية حق المؤلف رقم (٣) لسنة ١٩٧١ لا تتناسب مع أهمية هذه المصنفات ومؤلفيها. ولكل ما تقدم كان سبباً لاختيار البحث.

ثالثاً: خطة البحث:

تتوزع الدراسة على مبحثين خصصنا المبحث الأول لبيان المصنفات التي يحميها القانون، وتضمن هذا المبحث مطلبين تناولنا في المطلب الأول مفهوم المصنفات محل الحماية وفي المطلب الثاني أنواع المصنفات المشمولة بالحماية.

أما المبحث الثاني خصصناه لبيان المؤلفون الذين يحميهم القانون، وتضمن هذا المبحث مطلبين يتهم الأول بتحديد المقصود بالمؤلف أما المطلب الثاني فتناولنا فيه تحديد المؤلف في المصنفات التعاونية.

وسننهي البحث بخاتمة أدرجنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج ومقترحات.

وندعو المولى سبحانه وتعالى ن يسدد خطانا ويقيل عثراتنا وان يجعل أعمالنا خالصة لوجهة الكريم. وان يتقبلها بقبول حسن، انه على ما يشاء قدير وعليه توكلنا وبه نستعين انه حسبنا، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ولله الحمد والشكر ومنه العون والأجر.

المبحث الأول: المصنفات التي يحميها القانون

ان الحماية القانونية تتجه الى صيانة وضع معين، ومنع الاعتداء عليه. وقد منح القانون للمؤلف وسائل لحماية حقوقه من الاعتداء عليها، إلا انه لا يستطيع ممارستها إلا بعد ان يكتسب إنتاجه الذهني صفة (المصنف).

وسنوضح في المطلب الأول من هذا المبحث مفهوم المصنفات محل الحماية. ونتناول في المطلب الثاني أنواع المصنفات المشمولة بالحماية.

المطلب الأول: مفهوم المصنفات محل الحماية

على الرغم من حرص قوانين حماية حق المؤلف والتأكيد على ضرورة حماية المصنفات الفكرية، إلا ان الملاحظ على اغلب هذه القوانين إنها لم تضع له تعريفاً محدداً. وإنما عمدت ان تترك لكتابات الفقه وأحكام القضاء بيان مضمون هذا التعريف وحدوده.

وعليه سنتناول في هذا المطلب تعريف المصنفات محل الحماية في الفرع الأول، وشروط المصنفات محل الحماية في الفرع الثاني.

الفرع الأول: تعريف المصنفات

المصنف لغةً: من صنف الشيء أي صيره أصنافاً لتمييزه عن بعض[1].

وأما اصطلاحاً فقد ذهب بعض الفقه[2]. الى ان المقصود بالمصنف، هو كل إنتاج ذهني، أياً كان مظهر التعبير عنه كتابة أو صوتاً أو رسماً أو تصوير أو حركة، و أياً كان موضوعه أدباً أو فناً أو علوماً.

وعُرف بأنه كل عمل مبتكر أدبي أو علمي أو فني أياً كان نوعه أو طريقة التعبير عنه أو أهميته أو الغرض من تصنيفه[3].

وعرف كذلك بأنه كل نتاج ذهني يتضمن ابتكاراً يظهر للوجود، مهما كانت طريقة التعبير عنه أو الغرض منه لو لونه أو نوعه[4].

ولو نظرنا الى التعريف الأخير فإننا نرى انه يتناول تعريف المصنف من حيث شروطه التي يتطلبها القانون. وهو ان يكون الإنتاج الذهني مبتكراً ليكون جديراً بالحماية، وان يكون ظهور الابتكار عن طريق التعبير عنه، لان الحق لا يحظى بحماية القانون إذا لم يبرز محله الى الوجود.

ولذلك فاني أرى ان هذا التعريف للمصنف هو الأرجح لان التعريف الأول قد اغفل أهم شرط من الشروط التي يتطلبها القانون. وهو ان يكون النتاج الذهني مبتكراً ليكون جديراً بالحماية، كما انه لم يشر الى وجوب ظهور الابتكار عن طريق التعبير عنه.

وارى بأنه لا يكفي ان يهتدي الشخص الى فكرة مبتكرة حتى يسبغ عليها القانون حمايته، وإنما يلزم فضلاً عن ذلك ان تصاغ هذه الأفكار في شكل مادي محسوس، وهذا ما استقرت عليه بعض تشريعات الملكية الفكرية في مختلف دول العالم[5].

ويترتب على ما تقدم بأنه متى ما ظهر المصنف المبتكر في شكل الدعامة المادية. فهو يتمتع بالحماية أياً كان نوعه أو طريقة التعبير عنه أو أهميته أو الغرض منه.

ولا يختلف الأمر بالنسبة للمصنفات الأدبية (كالكتب الشعرية أو الروائية أو برامج الكمبيوتر أو قواعد البيانات..... الخ) عن المصنفات الفنية (كالرسومات أو أعمال النحت أو التصوير أو الألحان الموسيقية أو الأفلام السينمائية أو البرامج الإذاعية..... الخ) عن المصنفات العلمية (كالرسائل والأبحاث الأكاديمية والتصميمات الهندسية.....)[6].

كما تدخل في دائرة الحماية للمصنفات على اختلاف أشكال التعبير عنها، سواء كان التعبير بالكتابة أو الرسم أو الصب في قوالب أو التصوير أو الصوت أو الضوء أو الحركة أو حتى بمجرد الرموز العلمية التي لا يفهمها إلا المتخصص في مجالها[7].

ولا يتدخل القانون أو القضاء في تقدير القيمة الأدبية أو الاجتماعية أو الثقافية أو العلمية أو الفنية للمصنف، إذ قد ينطوي كتاب معين على الابتكار حتى لو كان هذا الكتاب من الكتب التعليمية أو حتى لو كان الكتاب لا يقرأه إلا العامة، كذلك قد ينطوي لحن موسيقي على الابتكار حتى لو كان لا يستمع إليه إلا فئة معينة.

وعليه فانه لا أهمية للغرض من المصنف، فهو يتمتع بالحماية القانونية سواء كان الهدف منه تربوياً أو أخلاقياً، أو سياسياً أو ثقافياً متى ما استوفى المصنف للشروط القانونية لكي يكون محل للحماية القانونية وهذا ما سيكون مدار بحثنا في الفرع الثاني من هذا المطلب.

الفرع الثاني: شروط المصنفات

اختلف الفقه في بيان الشروط الواجب توافرها في المصنف لكي يكون جدير بالحماية القانونية، وبهذا الصدد ثمة رأيان فقهيان.

الرأي الأول: ذهب الرأي الأول الى وجوب توافر شرطين رئيسيين اولهما: ظهور خلق جديد في عالم الفكر أي اعتبار الابتكار شرطاً ضرورياً للحماية. وثانيهما: بروز هذا الخلق الى عالم الوجود ليصبح حقيقة ملموسة يحميه القانون ويمنع الاعتداء عليه[٨].

الرأي الثاني: انه يرى وجوب توافر ثلاثة عناصر في المصنف ليكون جديراً بالحماية القانونية. اولهما (الفكرة)، وثانيهما (التصميم)، وثالثهما (التعبير). وقد اعتبر هذا الرأي ان الفكرة هي المادة التي يبنى عليها المصنف. والتصميم هو التمهيد للفكرة حتى تخرج الى عالم الوجود، وهما يستحقان الحماية قبل التعبير عنه في الثوب النهائي. ومثال ذلك مؤلفاً ينضج في ذهنه تصميماً لقصة ثم باح بها لأحد معارفه، فأخذها هذا وأخرجها للناس فان صاحب الفكرة والتصميم جدير بالحماية[٩].

وقد انتقد هذا الرأي لان التمهيد للفكرة وهي لا تزال في عالم الخيال وقبل ان تصبح حقيقة ملموسة لا يمكن ان تشملها الحماية، وكذلك التصميم لا يستحق الحماية قبل التعبير عنه في شكله النهائي. وذلك لتعذر معرفته وتحديده ولان التصميم قبل ظهوره الى عالم الوجود يكون عرضة للتغيير، وقد لا يتيسر الظروف ظهوره الى عالم النور[١٠].

بعد استعراض هذه الآراء يبدو لنا ان الرأي الأول هو الأرجح فان الشروط الواجب توافرها في المصنف ليكون جديراً بالحماية لا تعدو شرطين.

اولهما: ان يتضمن المصنف ابتكاراً.

ثانيهما: ان يظهر المصنف في شكل محسوس الى عالم الوجود.

أولاً: ان يتضمن المصنف ابتكاراً

على الرغم من ضرورة توافر عنصر الابتكار كأساس لحماية المصنفات الفكرية، إلا ان الملاحظ على اغلب القوانين ومنها القانون العراقي لم يورد فيها تعريف للابتكار، وهذا ما أدى الى خلافات فقهية لتحديد معنى (الابتكار).

وذهب جانب من الفقه في فرنسا الى ان الابتكار يجب ان يتضمن الأصالة أو الجدية في المصنف المتميز بطابع شخصية مؤلفه، سواء في الإنشاء أو في التعبير[١١].

وعرفه الجانب الأخر في الفقه الفرنسي بأنه ((البصمة الشخصية التي يضعها المؤلف على مصنفه))[١٢].

أما الفقه المصري، فقد اختلف في تحديد معنى الابتكار. ذهب بعض الفقهاء الى ان المقصود بالابتكار ((المجهود الذهني الذي بذله المؤلف، والذي يسفر عن خلق فكرة تتميز بطابع شخصي خاص، تبدو فيه بصمة شخصيته واضحة وبارزة على المصنف))[١٣].

وعرفه أخر على انه ((الإنتاج الذهني الذي يتميز بقدر من الجدة والأصالة في طريقة العرض أو التعبير، والذي يكون من شأنه ان يبرز شخصية معينة لصاحبها))[١٤].

واتجه الرأي الغالب في الفقه المصري الى ان المقصود بالابتكار هو ((ان يتميز المصنف بطابع (أصيل) أما في الإنشاء أو في التعبير))[١٥].

وقد حدد الفقه العراقي المقصود بالابتكار بأنه ((بروز المجهود الشخصي لصاحب الفكرة بصرف النظر عن قيمتها الأدبية وأهميتها المادية، سواء كان الإنتاج كله من خلق المؤلف أو قام على عناصر مختلفة جمعها ورتبها بشكل خاص. أي ان شخصية المؤلف يجب ان تبرز في إنتاج مصنفه))[١٦].

وشخصية المؤلف في الإنشاء تعني ان يبذل المؤلف مجهوداً ذهنياً يضفي على مصنفه طابعه الشخصي ويكون نابغاً عن روحه وملكاته، والأصالة في الإنشاء تعني بروز شخصية المؤلف في بناء المصنف أو تركيبه، فيكون الإنشاء وليد أفكاره دون ان يكون مصنفه مشتقاً أو مقتبساً من صنف أخر[١٧].

وكذلك شملت الحماية القانونية بموجب قانون حماية حق المؤلف العراقي[١٨]. المصنفات أياً كانت طريقة التعبير عنها، فإذا نشر المؤلف كتاباً في موضوع ما، ثم صدر بعد فترة كتاب تناول نفس الموضوع من قبل مؤلف أخر فان التشابه بين موضوعي الكتابين لا يعني تجرد الكتاب الثاني من الأصالة وان مؤلفه قد اعتدى على حقوق المؤلف الأول، لان من المسلم به تمتع أي مؤلف بحرية تناول الفكرة التي تناولها مؤلف أخر سبقه أو عاصره. ويثبت له حق المؤلف على مصنفه إذا كان إنتاجه مبتكراً وتشمله الحماية، بالرغم من تشابه الفكرتين في الموضوع.

وقد أوضحت المادة الثانية من قانون حق المؤلف العراقي[١٩]. مظاهر التعبير للمصنفات المحمية وهي الكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة، فلكل مؤلف أصالته الشخصية في التعبير عن مصنفه بغض النظر عن الفكرة التي يتضمنها. ونرى مما تقدم ضرورة تحديد وتعريف معنى (الابتكار) لأنه شرط أساس لحماية المصنفات الفكرية.

ونقترح على المشرع العراقي ان ينحو منحى التشريعات الحديثة. كالقانون المصري لحماية حقوق الملكية الفكرية رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢، فقد أورد في المادة (١٣٨) من أحكام هذا القانون تعريفاً للابتكار، إذ عرّفه المشرع على انه ((الطابع الإبداعي الذي يسبغ الأصالة على المصنف)). والواقع ان شرط الابتكار عرف منذ فترة زمنية بعيدة، حيث أكد فقهاء الشريعة الإسلامية على إدراك عرف الأقدمين لأهم خصائص التأليف التي تتمثل في الابتكار أو الإبداع الذهني، مقررين ضرورة لجوء المؤلف الى اختراع المعاني الأبكار التي لم يقع مثلها أو لم يسبق سابق الى كتابتها، لان الحوادث والوقائع التي لا تتناهى ولا تقف عند حد[٢٠]. وعليه ندعو المشرع العراقي النص على تعريف (الابتكار) كما فعل المشرع المصري.

ثانياً: ظهور المصنف في شكل محسوس:

لا يكفي ان يهتدي الشخص الى فكرة مبتكرة حتى يسبغ عليها القانون حمايته، وإنما يلزم فضلاً عن ذلك ان تصاغ هذه الأفكار في شكل مادي محسوس. ويترتب على ما تقدم ان الحماية القانونية تشمل المصنفات التي تظهر الى عالم الوجود بشكلها المادي المحسوس أياً كان نوعها أو طريقة التعبير عنها أو أهميتها أو الغرض منها[٢١].

والمقصود بالوجود المادي المحسوس الذي يتناوله هذا الشرط هو ان يستشعره الإنسان بالسمع أو بالنظر أو باللمس[٢٢].

ويعد هذا التعبير (الوجود المادي المحسوس) أفضل من التعبير الأكثر شيوعاً من جانب الفقه وهو (الوجود المادي الملموس) نظراً لان الاقتصار على الوجود المادي الملموس يضيق من نطاق الحماية القانونية المقررة لبعض المصنفات التي تتم عن طريق الأداء العلني كالتلاوة العلنية للقرآن الكريم التي ليس لها وجود ملموس، أو إنشاء بعض القصائد الشعرية)[٢٣].

ويضاف الى ذلك ان تعبير الوجود المادي المحسوس يتفق مع ما استقر عليه العمل على المستوى الدولي عند تحديد وتعريف المصنف الذي عرفته المنظمة العالمية للملكية الفكرية بأنه ((الطريقة التي تسمح بادراك أي مصنف حسياً أو عقلياً بما في ذلك التمثيل أو الأداء أو التلاوة أو التثبيت المادي أو أية طريقة أخرى مناسبة))[٢٤].

ولا تكتفي بعض تشريعات الملكية الفكرية بالتعبير عن الأفكار المبتكرة في شكل مادي محسوس حتى توفر الحماية للمصنفات، وإنما تستلزم فوق ذلك إتباع إجراءات شكلية معينة، ويعد تسجيل المصنف من ابرز الإجراءات الشكلية التي اعتمدت عليها بعض الدول واعتبرته شرطاً أساسياً للحماية فيجب على مؤلف المصنف ان يقوم بتسجيل كافة البيانات المتعلقة به في السجلات المعدة لهذا الغرض[٢٥].

وتسجيل المصنف بالمفهوم السابق يختلف تمام الاختلاف عن (الإيداع القانوني للمصنفات) فالإيداع نظام لا ينظر إليه على انه شرط أساسي لحماية المصنفات، وإنما هو مجرد إجراء وقائي لتلافي وقوع الاعتداءات على حقوق المؤلفين ؛ فهو إجراء يلتزم بمقتضاه مؤلفو وناشرو وطابعو ومنتجو المصنفات بالتضامن فيما بينهم بتسليم عدد محدد من نسخ مصنفاتهم لإحدى الجهات الحكومية أو إحدى المكتبات الوطنية. والإيداع القانوني نظام معمول به في معظم دول العالم[٢٦]. ومنها العراق إذ نصت المادة (٤٨) من قانون حماية حق المؤلف[٢٧]. على انه ((يجب على ناشري المصنفات التي تعد للنشر عن طريق عمل نسخ منها ان يودعوا خلال شهر من تاريخ النشر خمس نسخ من المصنف في المكتبة الوطنية. ويعاقب على عدم الإيداع بغرامة لا تزيد على خمسة وعشرين ديناراً. ولا يترتب على عدم الإيداع الإخلال بحقوق المؤلف التي يقررها القانون. ولا تسري هذه الأحكام على المصنفات المنشورة في الصحف والمجلات الدورية إلا إذا نشرت هذه المصنفات على انفراد)).

المطلب الثاني: أنواع المصنفات المشمولة بالحماية القانونية

نتيجة تشعب ميادين البحث وغزارة الإنتاج الذهني وتنوعه كثرت المصنفات وتفاوتت من حيث طبيعتها ومصادرها ومدى أصالتها.

ويمكن توزيعها الى طائفتين، اولهما: المصنفات الأصلية التي تتميز بالجدة في الموضوع. فيصنفها مؤلفوها دون اقتباس من مصنفات سابقة أخرى. وثانيهما: المصنفات المشتقة التي يقتبس واضعوها مضمونها من مصنفات سابقة وضعها غيرهم.

وعليه سنتناول في هذا المطلب (المصنفات الأصلية في الفرع الأول) و (المصنفات المشتقة في الفرع الثاني).

الفرع الأول: المصنفات الأصلية

ان المقصود بالمصنفات الأصلية هي تلك المصنفات التي وضعها مؤلفوها بصورة مباشرة، دون ان تقتبس من المصنفات السابقة. وتعتبر هذه المصنفات أصلية لأنها وليدة أفكار مؤلفها[٢٨].

وقد نصت المادة الثانية من قانون حماية المؤلف العراقي[٢٩]. على المصنفات الأصلية التي يحميها القانون، إذ جاء فيها ((تشمل هذه الحماية المصنفات المعبر عنها بطريق الكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة وبشكل خاص ما يلي: ١- المصنفات المكتوبة في جميع الأصناف. ٢- برامج الكمبيوتر، سواء برمز المصدر أو الآلة، التي يجب حمايتها كمصنفات أدبية. ٣- المصنفات المعبر عنها شفوياً كالمحاضرات والدروس، والخطب والمواعظ وما نحوها. ٤- المصنفات الداخلة في فنون الرسم والتصوير بالخطوط أو الألوان أو الحفر أو النحت أو العمارة. ٥- المصنفات المسرحية والمسرحيات الموسيقية. ٦- المصنفات التي تؤدى بحركات أو خطوات فنية ومعدة أساساً للإخراج. ٧- المصنفات الموسيقية سواء صاحبتها الكلمات أو لم تقترن بها. ٨- المصنفات الفوتوغرافية والسينمائية. ٩- المصنفات المعدة للإذاعة والتلفزيون. ١٠- الخرائط والمخططات والمجسمات العلمية. ١١- التلاوة العلنية للقرآن الكريم. ١٢- التسجيلات الصوتية. ١٣- البيانات المجمعة)).

ويتضح من هذا النص ان المصنفات الأصلية يحميها القانون تبدو على فئتين هما: أولا: المصنفات الأدبية والعلمية. ثانياً: المصنفات الفنية.

أولاً: المصنفات الأدبية والعلمية:

ان الحماية القانونية تشمل المصنفات الأدبية والعلمية، إذا تميزت بابتكار تبرز فيه شخصية المؤلف في ميدان الأدب والعلم سواء وقع التعبير عنها كتابة أو مشافهة[٣٠]. وعليه فان المصنفات الأدبية والعلمية قد تكون مصنفات مكتوبة أو مصنفات شفهية.

وتشتمل المصنفات المكتوبة (الكتب) وقد عرفتها المحكمة العليا الأمريكية بأنها ((كل إنتاج ذهني للمؤلف يحميه القانون، ولا يقتصر على الشكل فقط، وإنما يشمل أية طريقة نشر يختارها المؤلف لعرض إنتاجه الأدبي))[٣١].

والكتب المحمية، هي الكتب التي تتضمن ابتكاراً أصيلاً، سواء كان الكتاب مطبوعاً، أو مخطوطاً، وسواء هذه الكتب أدبية كالكتب الخاصة بالنشر أو الشعر، والقصص الأدبية، المسرحية

والتاريخ والجغرافية. أو الكتب العلمية كالكتب الخاصة بالطب، والصيدلة والهندسة، والكيمياء، والفيزياء.....الخ.

وقد ذهب الفقه والقضاء الفرنسي، الى أوسع من ذلك في تفسير لفظ (الكتب) فمصطلح الكتاب يشمل محفظة التصاوير، والكراسات التي تحتوي على معلومات والدليل السنوي، والتصاميم، والمرشد، والقاموس، والخرائط الجغرافية[٣٢].

وقد استعمل المشرع العراقي في المادة الثانية من قانون حماية حق المؤلف مصطلحاً عاما هو المصنفات المكتوبة وأسبغ عليها الحماية وهذه الحماية قد لا تشمل الكتب فقط بل يتضح من تحليل أحكام التشريع العراقي انه تدرج في حماية ما ينشر في الصحف والنشرات الدورية ومنها المصنفات الأدبية والعلمية التي ينشرها مؤلفوها في الصحف والنشرات الدورية، فقد اعتبر المشرع العراقي ما نشر في هذه المصنفات محمياً، ويتمتع مؤلفها بالحماية المقررة، ولا يجوز للصحف الأخرى إعادة نشرها مرة ثانية إلا بموافقة مؤلفها[٣٣].

أما المصنفات الأدبية والعلمية الشفهية فلم يرد في القانون الفرنسي الصادر سنة ١٧٥٣ نص خاص يحمي المصنفات التي تلقى شفهياً، واقتصرت حمايته على المصنفات المكتوبة على اختلاف أنواعها. إلا ان القضاء الفرنسي سد هذا النقص وقرر الحماية على المصنفات التي تلقى شفاهاً. وبهذا الرأي اخذ القانون الفرنسي الصادر سنة ١٩٥٧ وقرر الحماية في مادته الثالثة لهذه المصنفات كالخطب والمواعظ القضائية[٣٤].

وكذلك نص القانون الإنكليزي الصادر عام ١٩٥٦ على حماية المصنفات التي تلقى شفهياً كالمحاضرات والخطب والمواعظ وأضفى على مؤلفها الحماية القانونية على الرغم من ان هذه المصنفات بطبيعتها وبحكم ظروف إلقائها لا يحظر بسماعها إلا عدد محدود من الناس ولكن يمكن لهم ان يقوموا بطبع ما سمعوه في صورة مذكرات يقومون بنشرها، أياً كان الغرض من النشر، ربحاً مادياً عن طريق البيع، أو توزيعاً مجانياً مما يؤدي الى خروج المصنف عن الغاية التي هدف إليها وهي قصر الفائدة على المستمعين ونقل آراء المؤلف إليهم بالطرق المباشرة دون غيرها عن طريق النشر كالطبع والإذاعة[٣٥]. ومن الأمثلة كذلك على المصنفات التي يكون مظهر التعبير عنها شفهياً، كإلقاء الشعر والنثر بصرف النظر عما إذا كان الإلقاء في اجتماع خاص أو عام. ويلاحظ ان الحماية هنا تشمل مضمون المصنفات التي تلقى شفهياً ولا تشمل طريقة أدائها، إلا ان المشرع العراقي استثنى التلاوة العلنية للقرآن الكريم وأسبغ حمايته على طريقة الإلقاء فنصت الفقرة الحادية عشر من المادة الثانية من قانون حماية حق المؤلف (التلاوة العلنية للقرآن الكريم).

ثانياً: المصنفات الفنية:

ان تطور المجتمع البشري في فكرة وأوضاعه، وما اقترن به من ازدياد في سيطرة الإنسان على عالم الطبيعة أثره في عالم الفن بحيث أصبحت للفنون شخصية متميزة ومهام مختلفة وحياة خاصة[٣٦].

وقد حدد التشريع الإنكليزي الصادر في سنة ١٩٥٦ المصنفات الفنية المتمثلة بالرسوم والصور الزيتية والتماثيل والنقش والتصميم.

أما القانون الفرنسي الصادر سنة ١٩٥٧ فقد قرر الحماية لجميع الفنون التصويرية وأورد على سبيل المثال لا الحصر، المصنفات الفنية، كالمصنفات الخاصة بالرسم والنحت والنقش. وقد توسع القضاء الفرنسي في بسط الحماية على مصنفات أخرى ما دامت هذه المصنفات تتضمن ابتكاراً أصيلاً، كالمصنفات الخاصة بالديكورات والطلاء والموبايلات وتصاميم المنظر وتصاميم المناظر والنحت الزخرفي والرسوم الفنية والرسوم الخاصة بالعلوم الطبية[٣٧].

وقد اشترط قانون حماية حق المؤلف المصري الابتكار في المصنفات الفنية لغرض إسباغ الحماية عليها، فنصت المادة الأولى منه على انه ((يتمتع بالحماية هذا القانون مؤلفو المصنفات المبتكرة في الآداب والفنون والعلوم.....)).

أما القانون العراقي فقد نص في مادته الثانية على حماية المصنفات الفنية التي يكون مظهر التعبير عنها الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة وأوردت الفقرة الرابعة صوراً للمصنفات الداخلة في فنون الرسم والتصوير بالخطوط أو الألوان أو الحفر أو النحت أو العمارة، وشملت الفقرة الخامسة بحمايتها المصنفات المسرحية الموسيقية أما الفقرة السادسة فقد خصت بحمايتها المصنفات التي تؤدى بحركات أو خطوط فنية وتكون معدة للإخراج. وأشارت الفقرة العاشرة الى الخرائط والمخطوطات والمجسمات العلمية.

الفرع الثاني: المصنفات المشتقة

ان الحماية القانونية لا تقتصر على المصنفات التي تظهر لأول مرة وإنما تمتد الى المصنفات المشتقة من مصنفات سابقة.وعرفت المادة (١٠١) من قانون حق المؤلف الأمريكي[٣٨]. المصنف المشتق بأنه ((ذلك المصنف الجديد الذي يعتمد على مصنف سابق عليه أو أكثر، وهو ما يظهر في الترجمة، أو التوزيع الموسيقي، أو التصوير الفني، أو التنقيح، أو التلخيص. أو غير ذلك من صور المصنفات القابلة لإعادة الصياغة، أو التغيير أو التي لا يمكن الاقتباس عنها))[٣٩].

وكذلك نصت الفقرة السادسة من المادة (١٣٨) من قانون الملكية الفكرية المصري على تعريف للمصنف المشتق بأنه ((المصنف الذي يستمد أصله من مصنف سابق الوجود كالترجمات والتوزيعات الموسيقية وتجميعات المصنف بما في ذلك قواعد البيانات المقروءة سواء من الحاسب أو من غيره، ومجموعات التعبير الفلكلوري ما دامت مبتكرة من حيث ترتيبها أو اختيار محتوياتها)).

والنصوص أعلاه تؤكد ضرورة توافر شرطين رئيسيين يلزم توافرها في المصنف المشتق وهما: أولاً إدماج مصنف سابق في مصنف جديد. ثانياً: عدم مساهمة مؤلف المصنف السابق في المصنف الجديد.

الشرط الأول: إدماج مصنف سابق في مصنف جديد:

ومضمون هذا اشرط ان مؤلف المصنف الجديد (المشتق) يستعين ببعض ما ورد بمصنف سابق عليه ويدمجه في مصنفه الجديد، ولكن يجب ألا يفهم من ذلك ان الأمر يقتصر على مجرد الإدماج المادي لمصنف سابق في مصنف جديد، لان المهم ان المصنف السابق سيندرج بطريقة أو بأخرى في المصنف الجديد سواء كان الإدماج مادياً أو فكرياً[٤٠].

وعليه فان مؤلف المصنف الجديد حينما يستعين ببعض الأفكار الواردة بمصنف سابق يكون أمام طريقين: أما ان يقوم بنقل محتوى المصنف السابق كما هو دون ان يمس به، مقتصراً على وضع بعض الإضافات عليه، وهذا هو (الإدماج المادي).

أو ان يقوم بتعديل وتغيير جذري في المصنف السابق مقتصراً على الاستعانة بالفكرة العامة التي يسعى مؤلف المصنف الى تحقيقها وتوصيلها الى الجمهور، وهذا ما يعرف بـ(بالإدماج الفكري)[٤١].

ويتضح مما تقدم ان هذا الشرط يتحقق بالإدماج المادي الذي يظهر في صورة التلاصق أو المزج المادي- كإعادة نشر المصنفات التي آلت الى الملك العام[٤٢]. مع إجراء بعض التعديلات عليها في الترتيب أو طريقة العرض.

ويتحقق بالإدماج الفكري الذي يظهر في صورة ترجمة الكتب من لغة المؤلف الى لغة أخرى، أو تحوير الأعمال الأدبية.

الشرط الثاني: عدم مساهمة مؤلف المصنف السابق في المصنف الجديد:

الحقيقة ان مثل هذا الشرط يعتبر بديهياً، لان مشاركة مؤلف المصنف السابق في المصنف الجديد يكون المصنف من المصنفات المشتركة فيخرج عن إطار المصنفات المشتقة إذ ان لكل منهما أحكامه المختلفة.

وأكدت نصوص قوانين الملكية الفكرية على هذا الشرط ومنها ما جاء في المادة (١١٣) من تقنين الملكية الفكرية الفرنسي، وكذلك المادة (١٠١) من قانون حق المؤلف الأمريكي إذ نصت على ((ضرورة عدم مساهمة مؤلف المصنف السابق في المصنف الجديد كشرط جوهري يلزم توافره حتى تنطبق أحكام المصنفات المشتقة)).

وقد حاول جانب من الفقه المصري[٤٣] ان يجمع بين المصنفات المشتركة والجماعية والمشتقة تحت مسمى (المصنفات المتعددة للمؤلفين).

ونحن بدورنا نؤيد من ذهب [٤٤]. الى ان هذه التسمية لا تنطبق بمفهومها الصحيح إلا على المصنفات المشتركة التي يتعاون في إبداعها أكثر من مؤلف، والمصنفات الجماعية التي يشترك في وضعها جماعة بإرادتهم وبتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي، أما المصنف المشتق فان مؤلف المصنف الأصلي (المشتق عنه) لم يساهم بأي دور في المصنف الجديد، وان كان صحيحاً ان مؤلف المصنف الجديد يعتمد بشكل أساسي على الأفكار التي أتى بها مؤلف المصنف السابق، إلا ان هذا ليس معناه اعتبار هذا الأخير شريكاً في المصنف الجديد طالما انه لم يتخذ على نحو ايجابي في تحقيق المصنف الجديد.

وخلافاً لما عليه الحال في اغلب قوانين حق المؤلف، ولم يتضمن قانون حماية حق المؤلف العراقي أي تعريف للمصنفات المشتقة وإنما اكتفى بيان الصور الخاصة بهذه المصنفات المشتقة التي تشملها الحماية القانونية[٤٥].

وعليه ندعو المشرع العراقي وضع تعريف محدد للمصنفات المشتقة وتنظيم أحكامها تنظيماً مفصلاً أسوة بما عليه الحال في كافة تشريعات حق المؤلف لوضع حد للخلط الذي كثيراً ما يحدث بين هذه المصنفات وغيرها من المصنفات المتعددة للمؤلفين.

المبحث الثاني: المؤلفون الذين يحميهم القانون

لاشك ان المؤلف هو كل شخص يقوم بإنتاج فكري مبتكر سواء كان هذا الإنتاج علمياً أو أدبياً أو فنياً و أياً كانت طريقة التعبير عنه سواء بالكتابة أو الرسم أو التصوير الى غير ذلك من الطرق الأخرى.

وان هذا الشخص الموهوب يرعاه القانون ويقدر جهوده وإنتاجه ويحيطه بالحماية ليحافظ على ما أنتجه لحاضر أمته ولأجيالها المستقبلة، ولذلك فان القانون يبسط حمايته عليه.ولكن هل المؤلف المعني بالحماية قاصر على الشخص الطبيعي وهل ان يمكن ان يمتد للشخص المعنوي؟ وكيف يتم تحديد المؤلف في المصنفات التعاونية، أي في المصنفات التي يتعاون في إبداعها عدد من الأشخاص، كالمصنفات المشتركة أو المصنفات الجماعية؟

ولغرض الإجابة عن هذه الأسئلة تعرض في هذا المبحث مطلبين، نبين في المطلب الأول (تحديد المقصود بالمؤلف)، وفي المطلب الثاني (تحديد المؤلف في المصنفات التعاونية).

المطلب الأول: تحديد المقصود بالمؤلف

عرّفت المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO) المؤلف تعريفاً موجزاً بأنه ((ذلك الشخص الذي يبتكر مصنفاً))[٤٦].

ونصت الفقرة (٣) من المادة (١٣٨) من قانون الملكية الفكرية المصري على تعريف المؤلف بأنه ((الشخص الذي يبتكر المصنف، ويعد مؤلفاً للمصنف من يذكر اسمه عليه أو ينسب إليه عند نشره باعتباره مؤلفاً ما لم يقم الدليل على غير ذلك)).

ولم تجد قوانين الملكية الفكرية لمعظم الدول[٤٧]. ضرورة لوضع تعريف محدد للمؤلف، وإنما تفترض توافر صفة المؤلف للشخص بمجرد التثبت من وقائع معينة فمثلاً تمنح صفة المؤلف للشخص مع الذي يحمل المصنف اسمه الحقيقي أو اسمه المستعار، أو الشخص الذي يبادر بذكر اسمه أو الإعلان عن صفته كمؤلف عند استخدام المصنف.

ويتضح مما تقدم ان المؤلف قد يكون شخصاً طبيعياً أو شخصاً معنوياً وقد ينشر المصنف دون ذكر اسم مؤلفه أو ينشر باسم أخر وهو الاسم المستعار.

وعليه سنتناول في هذا المطلب فروعاً ثلاثة يختص الفرع الأول (بالمؤلف إذا كان شخصاً طبيعياً) ويختص الفرع الثاني (بالمؤلف إذا كان شخصاً معنوياً). ونتناول في الفرع الثالث (الاسم المستعار والمصنف المغفل عن ذكر الاسم).

الفرع الأول: المؤلف شخص طبيعي

نصت المادة الأولى من المعاهدة الدولية لحق التأليف المعقودة سنة ١٩٥٢ على ان الحماية تضمن حقوق المؤلف وأي مالك للتأليف[٤٨].

يتضح ان هذه المعاهدة الدولية تمنح الحماية القانونية الى كل من تثبت له ملكية التأليف دون ان تقصرها على المؤلف ويرجع ذلك لسببين:

اولهما: ان كلمة مؤلف لها معان متعددة في التشريعات الخاصة بحقوق المؤلف، فتحدد بعض القوانين المؤلف بالشخص الطبيعي فقط، وتتطلب قوانين دول أخرى الوجود الشرعي، كذلك الأمر

بالنسبة للمصنفات التي توضع من قبل مجموعة من الإجراءات ضمن واجبهم. فان قوانين بعض الدول تعتبر الأجير أو المستخدم هو المؤلف وترى قوانين دول أخرى رب العمل هو المؤلف[٤٩].

ثانيهما: الرغبة في ان تشمل الحماية خلف المؤلف كالمتنازل لهم عن الحق أو الورثة أو الموصي لهم[٥٠].

وحددت الفقرة الثانية من المادة الأولى من قانون حق المؤلف العراقي معنى المؤلف بنصها ((يعتبر مؤلفها الشخص الذي نشر المصنف منسوباً إليه سواء كان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو بأية طريقة أخرى. إلا إذا قام الدليل على عكس ذلك، ويسري هذا الحكم على الاسم المستعار بشرط ألا يقوم أدنى شك في حقيقة شخصية المؤلف))[٥١].

ويتضح من النص أعلاه ان حق التأليف غير حق النشر فليس من الضروري ان يكون ناشر المصنف هو المؤلف نفسه. فقد يعمد مؤلف الى وضع مصنف، ويعهد الى غيره بنشره. فيجوز ان يتنازل المؤلف عن حق النشر لشخص أخر[٥٢].

وان نشر المصنفات يعني إيصال الإنتاج الذهني الى الجمهور، هو في معناه الواسع يفيد تكرار صورة المصنف، أو نسخ صور منه أو عمل نماذج منه، بحيث تكون في متناول الجمهور[٥٣].

وتختلف طرق النشر باختلاف نوع المصنف فقد يتم عن طريق الطباعة، أو الرسم، أو الحفر، أو التصوير الفوتوغرافي، أو الصب في قوالب أو بالتسجيل على اسطوانات أو أشرطة.

ويجب الحصول على إذن المؤلف بنشر مصنفه[٥٤].

ويعتبر المؤدي مؤلفاً تشمله الحماية القانونية المقررة وقد نصت المادة الخامسة من قانون حق المؤلف العراقي على انه ((يتمتع المؤلف بالحماية ويعتبر مؤدياً كل من ينفذ أو ينقل الى الجمهور عملاً فنياً من وضع غيره سواء كان هذا الأداء بالغناء أو العزف أو الإيقاع أو الإلقاء أو التصوير أو الرسم أو الحركات أو الخطوط أو بأية طريقة أخرى مع عدم الإخلال بحقوق مؤلف المصنف الأصلي)).

ويتضح من النص أعلاه ان للمؤدي دوراً بارزاً في نجاح المصنف. فقد تتوقف قيمة المصنف على طريقة عرض المصنف على الجمهور من قبله. وحسناً فعل المشرع العراقي عندما نص على حماية حقه في هذه المادة، وان لم يبين نوع الحماية المقررة له، أهي الحماية المقررة للمؤلف أم حماية من نوع خاص؟

الفرع الثاني: المؤلف شخص معنوي

عّرف الشخص المعنوي بأنه مجموعة من الأشخاص أو الأموال ترمي الى تحقيق هدف معين بواسطة أداة خاصة، ويمنح الشخصية القانونية بالقدر اللازم لإدراك هذا الهدف[٥٥].

وقد اختلفت آراء الفقهاء والتشريعات حول مدى إمكانية اعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً، فهناك اتجاهان:

الاتجاه الأول: هو الاتجاه المعارض لاعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً. حيث يرى هذا الاتجاه ان الابتكار أو الخلق الذهني وهو معيار انفعال المؤلف وانطباع نفسي لا يتصور صدوره من غير الإنسان باعتباره الكائن الذي يتوافر له العقل والنفس، والقدرة على الإنتاج والتعبير.

وبهذا الاتجاه سارت معظم التشريعات اللاتينية كفرنسا[٥٦]. وبلجيكا وأسبانيا وألمانيا والنمسا إذ عارضت هذه التشريعات إسناد صفة المؤلف للشخص المعنوي وذلك لان المؤلف هو الشخص

الطبيعي الذي يبدع المصنف وان الشخص المعنوي لا يستطيع ان يكتسب هذه الصفة نظراً لافتقاره الى القدرة على الإبداع. وهو بذلك لا يملك سوى شراء حقوق المؤلف المالية المتعلقة بالمصنفات[٥٧].

الاتجاه الثاني: هو الاتجاه المؤيد لاعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً[٥٨]، وهو رأي تؤيده أكثر التشريعات المعاصرة، إذ نصت المادة (٢٧) من قانون حماية حق المؤلف العراقي على انه ((المصنف الجماعي هو المصنف الذي يشترك في وضعه جماعة بإرادتهم وبتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي ويندمج عمل المشتركين فيه في الفكرة العامة الموجهة من هذا الشخص الطبيعي أو المعنوي بحيث يكون من غير الممكن فصل عمل كل من المشتركين وتمييزه على حده. ويعتبر الشخص الطبيعي أو المعنوي الذي وجه ونظم ابتكار هذا المصنف مؤلفاً ويكون له وحده الحق في مباشرة حقوق المؤلف))[٥٩].

ويتضح من هذا النص ان المشرع العراقي وضع بعض الشروط لاعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً وهي[٦٠]:

١- ان يكون المصنف جماعياً. والمصنف الجماعي هو المصنف الذي يشترك في وضعه عدد من الأشخاص. أما إذا طلب الشخص المعنوي مصنفاً من مؤلف واحد فان الشخص المعنوي لا يعتبر مؤلفاً.

٢- ان يكون الأشخاص الذين أسهموا في وضع المصنف تحت إدارته وتوجيه وتنظيم ابتكار المصنف. فإذا قام عدة أشخاص بوضع مصنف ما دون توجيه وتنظيم من قبل الشخص المعنوي فان الشخص المعنوي لا يكتسب صفة المؤلف.

٣- ان يندمج عمل المشتركين في وضع المصنف بحيث يتعذر فصل عمل كل منهم عن عمل الآخرين، فإذا اشترك عدد من المؤلفين من وضع مصنف موسيقي غنائي، فان الشخص المعنوي لا يكتسب صفة المؤلف، لامكان التمييز بين عمل كل واحد منهم.

وإذا لم تتوفر جميع الشروط السالفة الذكر فان الشخص المعنوي لا يكتسب صفة المؤلف وفق أحكام قانون حماية حق المؤلف العراقي.

الفرع الثالث: المؤلف للمصنف المغفل عن الاسم وللمصنف الذي يحمل اسماً مستعاراً

تعترف التشريعات الوطنية والاتفاقيات الدولية الخاصة بالملكية الفكرية[٦١]. للمؤلف بحقه في نسبة مصنفه إليه، ومضمون هذا الحق ان للمؤلف التمسك بالإعتراف بان مصنفه الذي أبدعه هو من نتاج فكره، كذلك حقه في ان يصل بمصنفه الى الجمهور حاملاً اسمه ولقبه بالمؤهلات العلمية[٦٢]. فضلاً عن حقه في إتاحة مصنفه للجمهور بدون ان يحمل أي اسم على الإطلاق أو تحت الاسم المستعار.

وقد يعمد المؤلف الى نشر مصنف تحت اسم مستعار أو غفلاً عن اسمه لأسباب ترجع الى محض تقديره. فقد يفضل إخفاء اسمه لتتاح له الفرصة لتقدير اثر مصنفه في نفوس الجماهير. وقد تكون هناك أسباب أخرى قد ترغم المؤلف على نشر المصنف غفلاً عن اسمه أو على نشره باسم مستعار. كأن يكون المؤلف ممنوعاً عليه البحث في القضايا السياسية. أو تكون الفكرة التي يتضمنها المصنف تعرض مؤلفها الى مضايقات ومتاعب فيما لو نشرت بأسمه[٦٣].

وقد نظمت تشريعات الملكية الفكرية حق المؤلف في التستر وراء الاسم المستعار أو الاسم المجهول.

فأكدت الفقرة السادسة من المادة (١١٣) من قانون الملكية الفكرية الفرنسي على ان مؤلفي المصنفات التي تحمل الاسم المستعار أو الاسم المجهول يتمتعون بذات الحقوق المقررة للمؤلفين الكاشفين عن هويتهم، ويعتبر الناشر أو المنتج ممثلاً لهم في مباشرة حقوقهم الى ان يقوموا بالكشف عن شخصياتهم الحقيقية.

ونصت المادة (١٧٦) من قانون الملكية الفكرية المصري على انه ((يعتبر مؤلف المصنفات التي لا تحمل اسم المؤلف أو التي تحمل اسماً مستعاراً مفوضاً للناشر في مباشرة الحقوق المنصوص عليها في هذا القانون، ما لم يعين المؤلف وكيلاً أخر أو يعلن عن شخصه ويثبت صفته))[٦٤].

ويتضح من النصوص أعلاه ان المشرع الفرنسي قد الزم المؤلفين باختيار المنتج أو الناشر للمصنف كوكيل عنهم طوال فترة تسترهم وراء الاسم المستعار أو الاسم المجهول.

بينما المشرع المصري قد أطلق الحرية للمؤلفين في اختيار الوكيل الذي يمثلهم طوال فترة تسترهم وراء الاسم المستعار أو الاسم المجهول، وقد كان المشرع الفرنسي وما يزال محل نقد جانب كبير من الفقه الفرنسي[٦٥]. الذي رأى في ذلك إضراراً بحقوق المؤلفين في الأحوال التي يهمل فيها الناشر أو المنتج القيام بواجباته فيعرض المصنف للاعتداء، وبالتالي لا يكون أمام هؤلاء المؤلفين سوى الكشف عن شخصياتهم ليتولوا بأنفسهم الدفاع عن مصنفاتهم.

ويلاحظ على المشرع العراقي انه سلك مسلكاً مغايراً لكل من التشريع الفرنسي والمصري إذ اعتبرت الفقرة الثانية من المادة الأولى من قانون حماية المؤلف الشخص الذي نشر المصنف بإسم مستعار مؤلفاً إذ نصت ((يعتبر مؤلفها الشخص الذي نشر المصنف منسوباً إليه سواء كان بذكر اسمه على المصنف أو بأية طريقة أخرى إلا إذا قام الدليل على عكس ذلك ويسري على الاسم المستعار بشرط ألا يقوم أدنى شك في حقيقة شخصية المؤلف)).

ويتضح من هذه المادة ان من يتمتع بالحماية ويعتبر مؤلفاً هو الشخص الذي يذكر اسمه على المصنف بصورة واضحة وكذلك الأمر بالنسبة للاسم المستعار. فالمصنف الذي ينشر باسم مستعار يعتبر مؤلفه صاحب الاسم المذكور ويتمتع بجميع الحقوق المقررة للمؤلف.

أما بالنسبة للمصنف المغفل عن ذكر الاسم، فان المشرع العراقي نص عليه في المادة الحادية والعشرين من قانون حماية حق المؤلف إذ جاء فيها ((لا تشمل الحماية المنصوص عليها في هذا القانون المصنفات التي تنشر غفلاً من اسم المؤلف أو أي اسم مستعار له على انه إذا كشف المؤلف أو ورثته عن شخصيته فتبدأ مدة الحماية من تاريخ هذا الكشف)).

ويتضح من هذا النص، ان المصنف إذا نشر دون ان يحمل اسم مؤلفه أو دون ان يحمل اسماً مستعاراً لا تشمله الحماية القانونية، وليس مؤلفه الحقيقي ان يباشر الحقوق المعترف له بها في القانون. فإذا أراد مباشرتها وجب عليه الكشف عن شخصيته كي ينسب المصنف إليه ويتمتع بالحقوق المقررة للمؤلف اعتباراً من تاريخ الكشف عن شخصيته.

المطلب الثاني: تحديد المؤلف في المصنفات التعاونية

ان الوضع الغالب ان يكون المصنف الأدبي أو العلمي أو الفني من تأليف مؤلف واحد، إذ لا توجد في هذه الحالة أدنى مشكلة عند ممارسة هذا المؤلف لحقوقه الأدبية والمالية على مصنفه الذي أبدعه، باعتباره المؤلف الوحيد الذي يقدر ممارسة هذه الحقوق أو عدم ممارستها.

ولكن الصعوبة تثور في حالة ما إذا وجدت مصنفات تقتضي طبيعتها ان يشترك في تأليفها أكثر من مؤلف واحد. أما الآن المصنف فيها يتضمن عدداً من المصنفات المتنوعة التي تنسب لعدد من المؤلفين يسهم في وضع كل منها مؤلف في مجال اختصاصه، كالمصنف السينمائي الذي يشترك فيه عدد من المؤلفين كمؤلف السيناريو، وواضع النص الأدبي والمخرج إذا مارس رقابة فعلية عليه وقام بعمل ايجابي، أو لان المصنف قد اشترك في تأليفه عدد من الموظفين في اختصاص واحد كأن يشترك أستاذان في القانون بتأليف كتاب في أصول القانون.

وما دام المصنف قد اشترك في تأليفه عدد من الموظفين فانه يتضمن ابتكاراً ذهنياً وليد جهود ذهنية متنوعة بتعدد المؤلفين. وهذه الجهود المشتركة قد تقبل الإفراز حيناً بحيث يستطيع كل من المؤلفين تعيين ما أسهم فيه، وقد تكون مندمجة حيناً أخر فيتعذر التعرف على ما قدمه لأي من المؤلفين. وهذه المصنفات يطلق عليها فقهاء القانون الفرنسي[٦٦]. بـ ((المصنفات التعاونية)) وهي تتمثل في المصنفات المشتركة والمصنفات الجماعية. وعليه سنتناول في هذا المطلب تحديد المؤلف في المصنفات المشتركة في الفرع الأول، وتحديد المؤلف في المصنفات الجماعية في الفرع الثاني.

الفرع الأول: تحديد المؤلف في المصنفات المشتركة

عرفت المادة (التاسعة) من قانون الملكية الفكرية الفرنسي، المصنف المشترك بأنه ((المصنف الذي يقوم بتأليفه عدة أشخاص طبيعيين يتآزرون في اشتراكهم بالابتكار الذهني، وهذا التآزر هو الأساس في اعتبار كل منهم مشتركاً في إنتاج المصنف المشترك، أما المساهمة البسيطة في إنشاء المصنف فلا تكفي لغرض الاشتراك فيه))[٦٧].

ويتضح من النص أعلاه ان الاشتراك في المصنف يتحقق إذا أسهم جميع المشتركين في ابتكار المصنف، أما الأعمال المادية التي لا تدخل ضمن نطاق الابتكار فان مقدمها لا يعتبر شريكاً في تأليف المصنف ولا يتمتع بالتالي بالحقوق المقررة للشريك لان الأعمال الذهنية المبتكرة وحدها هي التي تضفي على صاحبها صفة المؤلف[٦٨].

وتنقسم المصنفات المشتركة الى مصنفات الاشتراك التام، ومصنفات الاشتراك الناقص.

أولاً: مصنفات الاشتراك التام: يقصد بمصنفات الاشتراك التام- أو المصنفات المشتركة بالمعنى الضيق كما يطلق عليها أحياناً- تلك المصنفات التي يتم فيها الامتزاج المطلق بين المساهمات التي يساهم بها كل شريك بحيث يتعذر معها تحديد ما يمكن نسبته الى احدهم وما يمكن نسبته الى الباقين[٦٩].

وغالباً ما يتوافر هذا النوع من المصنفات المشتركة في حالة وجود لون واحد من ألوان الفن، كأن يكون المصنف أدبياً بحتاً(مثل اشتراك أكثر من شخص في تأليف رواية أدبية أو سيرة ذاتية أو فنياً أو

تأليف قطعة موسيقية) أو فنياً بحتاً (مثل مشاركة أكثر من شخص في نحت تمثال أو رسم لوحة فنية أو تأليف مقطوعة موسيقية)[٧٠].

وقد تناول التشريع العراقي هذا النوع من المصنفات إذ نصت المادة (٢٥) من قانون حماية حق المؤلف العراقي[٧١] على انه ((إذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل كل منهم في العمل المشترك يعتبرون جميعاً أصحاب المصنف بالتساوي فيما بينهم إلا إذا اتفق على غير ذلك وفي هذه الحالة لا يمكن مباشرة الحقوق المترتبة على حق المؤلف إلا باتفاق جميع المؤلفين المشتركين، ويعتبر كل واحد منهم وكيلاً عن الآخرين. فإذا وقع خلاف بينهم يكون الفصل فيه من اختصاص محكمة البداءة على انه لكل من المشتركين في التأليف الحق في رفع الدعوى عند وقوع أي تعد على حق المؤلف)).

ثانياً: مصنفات الاشتراك الناقص: ويقصد بمصنفات الاشتراك الناقص- أو المصنفات المشتركة بالمعنى الواسع كما يطلق عليها أحياناً- تلك المصنفات التي يمكن فيها تمييز عمل كل من المشتركين في المصنف، طالما ان إرادات الشركاء توافقت على الرغبة في العمل الجماعي من اجل تحقيق هدف مشترك يتم تبادل الآراء والأفكار وبالتداول المستمر طوال فترة الإعداد للمصنف[٧٢].

وتندرج المصنفات الغنائية ضمن المصنفات المشتركة ذات الاشتراك الناقص، إذ لا يشترط ان يتدخل ملحن الموسيقى في عمل مؤلف الكلمات أو العكس. وكذلك الحال ينطبق على جميع المصنفات السمعية والبصرية، مثل الأفلام السينمائية وبرامج الإذاعة والتلفزيون ومواقع الانترنت[٧٣].

ونصت المادة (٢٦) من قانون حماية المؤلف العراقي على هذا النوع من المصنفات المشتركة إذ جاء فيها ((إذا اشترك عدة أشخاص في تأليف مصنف بحيث يمكن فصل دور كل منهم في العمل المشترك كان لكل منهم الحق في الانتفاع بالجزء الذي ساهم به على حدة بشرط ان لا يضر ذلك باستغلال المصنف المشترك ما لم يتفق على غير ذلك)).

الفرع الثاني: تحديد المؤلف في المصنفات الجماعية

عرفت الفقرة الرابعة من المادة (١٣٨) من قانون الملكية الفكرية المصري المصنف الجماعي بأنه ((المصنف الذي يضعه أكثر من مؤلف بتوجيه شخص طبيعي أو اعتباري يتكفل بنشره باسمه وتحت إدارته، ويندفع عمل المؤلفين فيه الى الهدف العام الذي قصد إليه هذا الشخص بحيث يستحيل فصل عمل كل مؤلف وتمييزه على حدة))[٧٤].

أما الفقه المصري[٧٥]. فقد عرّف المصنف الجماعي بأنه المصنف الذي يشترك في وضعه عدة أفراد بتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي يتكفل بنشره تحت إدارته وبأسمه، ويندمج عمل المشتركين في الهدف العام الذي قصد إليه هذا الشخص الطبيعي أو المعنوي، بحيث لا يمكن فصل عمل كل من المشتركين وتمييزه على حدة ومن الأمثلة عليه الكتب التي تصدرها الحكومات ببيان سياستها في مسالة من المسائل التي تشغل الرأي العام والتي يقوم بوضعها عدة أفراد.

والتعريف المذكور يتفق مع تعريف المشرع العراقي للمصنف الجماعي وفق المادة (٢٧) من قانون حماية حق المؤلف إذ جاء فيها ((المصنف الجماعي هو المصنف الذي يشترك في وضعه جماعة بإرادتهم وبتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي ويندمج عمل المشتركين فيه في الفكرة العامة الموجهة

من هذا الشخص الطبيعي أو المعنوي بحيث يكون من غير الممكن فصل عمل كل من المشتركين وتمييزه على حدة. ويعتبر الشخص الطبيعي أو المعنوي الذي وجهه ونظم ابتكار هذا المصنف مؤلفاً ويكون له وحده الحق في مباشرة حقوق المؤلف)).

ويتضح من النص أعلاه ان المصنف الجماعي يقوم على أركان أربعة وهي:

أولاً: اشتراك عدة مؤلفين في وضعه ولا يهم عددهم وإنما المهم ان يشترك اثنان في الأقل في وضعه. وغالباً ما يكون المشتركون ذوي اختصاص واحد، كأن يكونون أدباء أو رسامين. وهذا ما يميز المصنف الجماعي عن المصنف المشترك الذي يشترك في وضعه عدد من المؤلفين ذوي اختصاصات متنوعة كالفلم السينمائي الذي يتضمن النص الأدبي لمؤلف أديب[٧٦].

ثانياً: اندماج عمل المؤلفين. فان العمل الذي يقدمه كل مشترك في المصنف الجماعي يتداخل مع أعمال بقية المشتركين بحيث يتعذر فصل وتمييز عمل كل منهم، ويبدو العمل كلا لا تنفصل أجزاؤه. ويجب ان يتحقق الاندماج في الفكرة العامة الموجهة من قبل هذا الشخص طبقاً لنص المشرع العراقي، أي ان يكون هناك وعاء المصنف ويصب كل مشترك فيه ابتكاره الذهني ويختلط كل ابتكاره بما قدمه باقي المشتركين[٧٧].

ثالثاً: وجود شخص ينظم ابتكار المصنف. ان أهم ما يميز المصنف الجماعي عن المصنف المشترك هو وجود شخص طبيعي أو معنوي يقوم بأداء وتوجيه عمل المشتركين في المصنف الجماعي، خلافاً للمصنف المشترك الذي يتولى فيه المشتركون إدارة العمل وتوجيهه بأنفسهم[٧٨]. ان الشخص الموجه يقوم بتنسيق عمل المشتركون وان لم يشترك فعلاً في المصنف الجماعي ولذلك فان الاتفاق الذي يتم بين شخص طبيعي أو معنوي وبين عدد من المؤلفين سبق ان ألقوا مصنفاً لا يفقد المؤلفين المشتركين حق التأليف على مصنفهم، ولا يمنح الشخص الطبيعي أو المعنوي حق المؤلف لافتقاد عنصر التنظيم والتوجيه لابتكار المصنف.

ولكي يعتبر الشخص الطبيعي أو المعنوي مؤلفاً يجب ان ينظم الابتكار ويشرف على توجيهه. والشخص المعنوي الموجه يكون الدولة في الغالب، وقد يكون شركة أو جمعية تتمتع بالشخصية القانونية[٧٩].

رابعاً: إدارة وتوجيه محل المشتركين من قبل الشخص المنظم للابتكار:

ذهب جانب من الفقه[٨٠]. الى ان كلمة (توجيه) الواردة في نص المادة (٢٧) تؤسس العلاقة التي تربط الشخص الطبيعي أو المعنوي بمن كلفوا بتنفيذ المشروع الفني أو الأدبي على عقد العمل وهذا التوجيه أو الإشراف هو الذي يشفع لرب العمال في اعتباره صاحب الحق على المصنف، لأنه يمكنه في الأقل من الاشتراك الفعلي في إنتاج المصنف[٨١].

هوامش البحث

(١) مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، المطبعة العصرية، مصر، ط٣، ١٩٣٣، ص١٦٣.

(٢) د.إسماعيل غانم، محاضرات في النظرية العامة للحق، ط٣، مكتبة عبد الله وهبه، ١٩٦٦، ص٥٤. د.محمد كمال عبد العزيز، الوجيز في نظرية الحق، مكتبة وهبه، بلا سنة طبع، ص٤٩.

(٣) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة (في ضوء قانون حماية حقوق الملكية الفكرية الجديد رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢)، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤، ص١١١.

(٤) سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨، ص١٥٨.

(٥) نصت المادة (١٣٨) من قانون الملكية الفكرية المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢ تعريفها للمصنف بأنه ((كل عمل مبتكر أدبي أو فني أو علمي أياً كان نوعه أو طريقة التعبير عنه أو أهميته أو الغرض من تصنيفه)).

(٦) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مصدر سابق، ص١٠٢.

(٧) رجب كريم عبد اللاه، المدخل للعلوم القانونية، ج٢، نظرية الحق، بلا مكان طبع، ٢٠٠٣، ص١٤٦.

(٨) د.عبد المنعم البدراوي، شرح القانون المدني، الحقوق العينية الأصلية، ط٢، بلا مكان طبع، ١٩٥٦، ص٢٤٠. عبد الملك ياس، أصول القانون، نظريتا القانون والحق، مطبعة سلمان، بغداد، ١٩٦٨، ص٢٨٥. د.محمود جمال الدين زكي، دروس في مقدمة الدراسات القانونية، مطبعة الشعب، ١٩٦٤، ص٣٣٩.

(٩) د.محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني، الحقوق العينية الأصلية، ج٢، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٤٩، ص٣٢٢. د.مختار القاضي، النظرية العامة، حق المؤلف، مصر، ١٩٥٨، ص٣٥.

(١٠) سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي، مصدر سابق، ص١٦٠.

(11) Chand B Grannis, what happen in book publishing, press,1957, p.264.

(12) Bernard Ede'lman, Laproprie'te' Litteraire et artistique, Paris, 1989,p.15. Andre' Francon, Course Depropie'te Litte'raire , artistique et industeielle, e'd. cd (Les cours de droit), 1996,p.30.

(١٣) خاطر لطفي، الموسوعة الشاملة في القوانين حماية حق المؤلف والرقابة على المصنفات الفنية، دراسة فقهية وعلمية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٢.

(١٤) حسام الاهواني، أصول القانون، القاهرة، ١٩٨٨، ص٦٤٨.

(١٥) د.عبد المنعم فرج الصدة، حق المؤلف في القانون المصري، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٠٤. د.توفيق حسن فرج، مذكرات في المدخل للعلوم القانونية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠، ص٩٨.

(١٦) شاكر ناصر حيدر، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، الحقوق العينية الأصلية، ج١، مطبعة المعارف، ١٩٥٩، ص٥٩.

(١٧) سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص١٦٤.

(١٨) نصت المادة الأولى من قانون حماية حق المؤلف العراقي رقم (٣) لسنة ١٩٧١ المعدل بأنه ((يتمتع بحماية هذا القانون مؤلفو المصنفات الأصلية في الآداب والفنون والعلوم أياً كان نوع هذه المصنفات أو طريقة التعبير عنها أو أهميتها والغرض من تصنيفها. ٢- يعتبر مؤلفها الشخص الذي نشر المصنف منسوباً إليه سواء كان ذكر اسمه على المصنف أو بأية طريقة أخرى إلا إذا قام الدليل على عكس ذلك ويسري هذا الحكم على الاسم المستعار بشرط ألا يقوم أدنى شك في حقيقة شخصية المؤلف)). تقابلها المادة الأولى من قانون حماية حق المؤلف المصري رقم (٣٥٤) لسنة ١٩٥٤ (مطابق).

(١٩) نصت المادة الثانية من قانون حماية المؤلف العراقي على انه ((تشمل هذه الحماية المصنفات المعبر عنها بطريق الكتابة أو الصوت أو الرسم أو التصوير أو الحركة.....)).

(٢٠) فتحي الدريني، حق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٤، ص١٤.

(٢١) د.محمد علي عرفه، حق المؤلف أو الملكية الأدبية والفنية، بحث منشور في مجلة التشريع والقضاء، العدد العاشر، السنة الرابعة، ١٩٥٢، ص٧٤.

(٢٢) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٢٣) المحامي خاطر لطفي، موسوعة حقوق الملكية الفكرية، شركة رشدي عابدين للطباعة، مصر، ٢٠٠٣، ص٥٦١.

(٢٤) انظر: المنظمة العالمية للملكية الفكرية، معجم المصطلحات حق المؤلف والحقوق المشابهة، فقرة ١٠٩، ص١١١.

(٢٥) نواف كنعان، حق المؤلف (النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته)، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٠، ص٢٠٦.

(٢٦) الإيداع القانوني نظام معمول به في معظم دول العالم، فقد طبقته معظم دول العالم، فقد طبقته العديد من الدول كما هو الحال بالنسبة لقانون حماية حق المؤلف الليبي رقم ٩ لسنة ١٩٦٨، والقانون الأردني لحماية حق المؤلف رقم (١٤) لسنة ١٩٩٢. والقانون اللبناني لحماية الملكية الأدبية والفنية رقم (٧٥) لسنة ١٩٩٩، والقانون الكويتي لحماية حقوق الملكية الفكرية رقم (٥) لسنة ١٩٩٩، والقانون الاتحادي الجديد لدولة الإمارات العربية المتحدة رقم (٧) لسنة ٢٠٠٢.

(٢٧) تقابلها المادة (٨١٤) من قانون حماية الملكية الفكرية المصري رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢ التي نصت على انه ((يلتزم ناشرو وطابعو ومنتجو المصنفات والتسجيلات الصوتية والاداءات المسجلة والبرامج الإذاعية بالتضامن فيما بينهم بإيداع نسخة منها أو أكثر بما لا يجاوز عشرة، ويصدر الوزير المختص قراراً بتحديد عدد النسخ ونظائرها البديلة مراعياً طبيعة كل مصنف وكذلك الجهة التي يتم فيها الإيداع.....)).

(٢٨) سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٢٩) تقابلها المادة الثانية من قانون حماية حق المؤلف المصري (مطابق).

(٣٠) سهيل حسن الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي، مصدر سابق، ص١٧٠.

(31) Philip Witten-bey , the law of lierary property clereland, Paris,1980,p.82.

(٣٢) محمد فواز محمد المطالقة، المصنفات الأدبية والفنية (دراسة في التشريعات الأردنية والمصرية)، اربد، الأردن، ٢٠٠١، ص٣٣٦.

(٣٣) نصت المادة الخامسة عشرة، قانون حق المؤلف العراقي على انه ((لا يجوز نسخ الروايات المتسلسلة أو القصص القصيرة وغيرها من المصنفات الأدبية أو الفنية أو العلمية التي ينشرها مؤلفوها في الصحف أو الدوريات إلا بأذن منهم.....)).

(٣٤) محمد فواز محمد المطالقة، المصنفات الأدبية والفنية، مصدر سابق، ص٣٣٧.

(٣٥) ويعرف البعض المصنف الشفوي بأنه ((كل مصنف جرى العرف على توجيهه شفوياً الى واحد أو جماعة من الناس بقصد التأثير فيهم تأثيراً فكرياً قد لا يتأتى تحقيقه إلا عن طريق الخطابة. ويترتب على هذا التعريف نتيجة منطقية مؤداها ان المصنفات الغنائية لا تعتبر من قبيل المصنفات الشفوية لافتقادها الى عنصر التوجيه الفكري الذي تقوم عليه هذه المصنفات. انظر: نواف كنعان، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٣٦) د.محمد علي عرفه، حق المؤلف أو الملكية الأدبية أو الفنية، مصدر سابق، ص١٣٥.

(٣٧) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مصدر سابق، ص١٢٩.

(٣٨) قانون حق المؤلف الأمريكي الصادر سنة ١٩٧٦.

(٣٩) عرفت المنظمة العالمية للملكية الفكرية (WIPO) المصنف المشتق بأنه ((مصنف مبتكر استناداً الى مصنف سابق له، وتكمن أصالته سواء في وضع الاقتباس للمصنف السابق له، أو في العناصر الإبداعية لترجمته الى لغة مختلفة. ويتمتع المصنف المشتق بالحماية دون المساس بحق المؤلف في المصنف السابق له)). انظر: معجم مصطلحات حق المؤلف والحقوق المشابهة، فقرة ٧١، ص٧٢.

(40) Pul Daniel , General Les Auteurs de l'oeure cine'mtaqraphique et leurs driots, Paris, 1993, p.27.

(٤١) والتفرقة بين الإدماج المادي والإدماج الفكري لا تنشأ عنها أية أثار قانونية، إلا ان الفقه والقضاء في فرنسا يستخدمان مصطلح (المصنفات المركبة) للدلالة على المصنفات المشتقة التي تتحقق عن طريق الإدماج المادي في حين يستخدمان مصطلح (المصنفات المشتقة) للدلالة على المصنفات المشتقة التي تتحقق عن طريق الإدماج الفكري: انظر:

Henri Desbols , Le droit d'auteur en France, Paris, 1999,p.102.

(٤٢) الملك العام يعني أموال الدولة العامة التي لا يجوز التصرف فيها أو تملكها بالتقادم ولا يجوز الاستئثار بها وفق المادة (٧١ من القانون العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١) فإذا آلت مجموعة مصنفات الى الملك العام لأصبح من غير الممكن استغلالها وإعادة نشرها وجني الفوائد منها لأنها تصبح حقوق مشاعة للجميع كالمصنفات المتعلقة بالأخبار والحوادث اليومية. انظر: د.محمد حسام الدين لطفي، المرجع العلمي في الكلية الأدبية والفنية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧، ص٣٥.

(٤٣) د.عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، حق الملكية، ج٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٣، ص٤١٦. د.محمد حسام لطفي، المرجع العلمي في الملكية الأدبية والفنية، مصدر سابق، ص٣٦.

(٤٤) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مصدر سابق، ص١٤٩.

(٤٥) نصت المادة الرابعة من قانون حماية المؤلف العراقي على انه ((يتمتع بالحماية من قام بتعريب المصنف أو ترجمته أو مراجعته أو بتحويله من لون من ألوان الآداب أو الفنون أو العلوم أو لون أخر، أو من قام بتلخيصه، أو بتحويره أو بتعديله أو بشرحه، أو بالتعليق عليه بفهرسته بأي صورة تظهره في شكل جديد مع عدم الإخلال بحقوق مؤلف المصنف الأصلي، على ان حقوق مؤلف المصنف الفوتوغرافي لا يترتب عليها منع الغير من التقاط صور جديدة للشيء المصور ولو أخذت هذه الصورة الجديدة من ذات المكان وفي ذات الظروف التي أخذت فيها الصورة الأولى)).

(٤٦) المنظمة العالمية للملكية الفكرية، معجم مصطلحات حق المؤلف والحقوق المشابهة، مصدر سابق، فقرة (١٧)، ص١٧.

(٤٧) نصت الفقرة الأولى من المادة (١١٣) من قانون الملكية الفكرية الفرنسي على انه ((تثبت صفة المؤلف، ما لم يثبت العكس للشخص أو الأشخاص الذين ينشد المصنف باسمهم))، للشخص الذين ينشد المصنف باسمهم)). ونصت المادة (٧) من قانون حق المؤلف الجزائري الصادر سنة ١٩٧٣ على انه ((يعتبر مؤلف الإنتاج الشخص الذي يرد اسمه أو اسمه المستعار على الإنتاج وحسب الطريقة المعهودة طالما لم يدع مجالاً للشك في هويته ولم يثبت عكس ذلك)).

(48) Arpad Bogschm ,The law of copyright under the universal convention, third revised edition Leyden - New York, 1968,p.88.

(49) E.P.Skon saimes, copyright 12th edition, London, 1999,p.135.

(50) Arpad Bogschm, op.cit, p.90.

(٥١) تقابلها المادة (١٢) من الأمر الجزائري رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٧ بشأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة إذ نصت على انه ((يعتبر مؤلف المصنف الأدبي أو الفني مفهوم هذا الأمر الشخص الطبيعي الذي أبدعه)). ونصت الفقرة (الثانية) من المادة (الأولى) من قانون حماية حقوق الملكية الفكرية الكويتي رقم (٥) لسنة ١٩٩٩ على انه ((يعتبر مؤلفاً الشخص الذي يبتكر أو ينسب إليه عند نشره سواء أكان ذلك بذكر اسمه على المصنف أو بأية طريقة أخرى إلا إذا قام الدليل على خلاف ذلك)). ونصت المادة (التاسعة) من قانون حق المؤلف والرسوم وبراءات الاختراع الإنجليزي الصادر سنة

١٩٨٨ على ان ((المؤلف هو الشخص الذي يبتكر مصنفاً ويأخذ على عاتقه كافة التدابير الضرورية لتحقيق المصنف)).

(٥٢) قد أجازت المادة (٧) من قانون حماية المؤلف العراقي في ان يقوم غير المؤلف بنشر المصنف بعد موافقة المؤلف، إذ نصت على انه ((للمؤلف وحده الحق في تقرير نشر مصنفه وفي تعيين طريقة هذا النشر وله أيضاً الحق في الانتفاع من مصنفه بأية طريقة مشروعة يختارها، ولا يجوز لغيره مباشرة هذا الحق دون إذن سابق منه أو ممن يؤول إليهم هذا الحق)).

(٥٣) د.عبد الرزاق السنهوري، الوسيط، ج٨، مصدر سابق، ص٣٢٦.

(٥٤) د.محمود جمال الدين زكي، دروس في مقدمة الدراسات القانونية، دار مطابع الشعب، ١٩٦٤، ص٣٥٣.

(٥٥) د.توفيق حسن فرج، المدخل للعلوم القانونية، مصدر سابق، ص٢٣٧.

(٥٦) د.محمد لبيب شنب، مبادئ القانون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٠٨. د.حسن كيره، المدخل لدراسة القانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩، ص٦٠١.

(٥٧) نصت الفقرة (٧) من المادة (١١٣) من قانون الملكية الفكرية الفرنسي الصادر في الأول من يوليو سنة ١٩٩٢ على ان ((صفة المؤلف لا تثبت إلا للأشخاص الطبيعيين الذين يحققون إبداعاتهم الذهنية في هذه المصنفات)).

(58) Alain berenboon, Le droit d'auteur dans l'audiorisuel inventaire des proble'mes a'laveilledune re'forme. Actesdu collque de Bruxelles 11-12, Sept,1987,p.83.

(٥٩) د.شمس الدين الوكيل، الموجز في المدخل لدراسة القانون، ط١، الإسكندرية، ١٩٧٠، ص٢٢٢.

Alain Le Trance , Manuel de la proprie'te' Litte'raire, 1966,p.245.

(٦٠) تقابلها المادة (٢٧) من قانون حماية حق المؤلف المصري (مطابق). والمادة (٢٠١) من قانون حماية حق المؤلف الأمريكي رقم (٩٥) لسنة ١٩٧٦ (موافق). والمادة (١٠) من قانون حماية حق المؤلف الكندي لسنة ١٩٨٥ (موافق).

(٦١) انظر سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوي في القانون العراقي، مصدر سابق، ص٢٣٠.

(٦٢) نصت الفقرة (الثالثة) من المادة (١٥) من اتفاقية برن المعقودة عام ١٨٨٦ على انه ((بالنسبة للمصنفات التي لا تحمل اسم المؤلف أو التي تحمل اسماً مستعاراً، يفترض ان الناشر الذي يظهر اسمه على المصنف، ما لم يثبت العكس ذلك، بمثابة ممثل للمؤلف، وبهذه الصفة فان له حق المحافظة على حقوق المؤلف والدفاع عنها، ويوقف سريان حكم هذه الفقرة عندما يكشف المؤلف عن شخصيته ويثبت صفته)).

(٦٣) ومن تطبيقات القضاء المصري الذي يؤكد على ضرورة الالتزام بذكر أسماء المؤلفين وألقابهم ومؤهلاتهم على المصنفات التي يبدعونها. تطبيق بارز عرفته المحاكم المصرية في القضية الخاصة بمسرحية (شاهد ما شفش حاجة) والتي تدور وقائعها حول قيام منتج المسرحية بالإعلان عنها بالطرق المختلفة في وسائل الإعلام من دون ان يضع اسم مؤلف النص المسرحي على هذه

الإعلانات، وقد ترتب على ذلك لجوء هذا المؤلف الى القضاء المصري مطالباً المنتج بوضع اسمه على المسرحية مع إلزامه بدفع تعويض مادي يتناسب مع ما أصابه من ضرر أدبي من جراء تعمد إغفال ذكر اسمه على العمل وعليه قضت محكمة النقض المصرية على ان ((..... النص في الفقرة الأولى من المادة التاسعة من القانون رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ بإصدار قانون حماية حق المؤلف وحده الحق في ينسب إليه مصنفه، وفي ان يدفع أي اعتداء على هذا الحق.... يدل على ان للمؤلف الحق دائماً في ان يكتب اسمه على كل نسخة من المصنف الذي ينشره بنفسه أو بواسطة غيره وفي جميع الإعلانات عن هذا المصنف بغير حاجة الى إبرام اتفاق مع الغير على ذلك)). نقض مدني/ جلسة ٧/ يناير/١٩٨٧، رقم (١٣٥٢)، أشار إليه د.عبد الرشيد مأمون و د.محمود سامي عبد الصادق، مصدر سابق، ص٣١٠- ٣١١.

(٦٤) د.عبد الرزاق السنهوري، الوسيط، ج٨، مصدر سابق، ص١٩٢. سهيل حسين الفتلاوي، مصدر سابق، ص٢٣٣.

(٦٥) تقابلها المادة (٢٨) من القانون الاتحادي لدولة الإمارات العربية المتحدة رقم (٧) لسنة ٢٠٠٢ (مطابق) وتقابلها المادة (٢٢) من قانون حماية المؤلف السوري رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٠ (مطابق). وتقابلها المادة (٢٨) من قانون الملكية الفكرية لدولة الكويت رقم (٥) لسنة ١٩٩٩ (مطابق) وتقابلها المادة (١٣) من قانون حماية حق المؤلف السوداني لسنة ١٩٩٦ (مطابق).

(66) Henri Desbols , Le droit d'auteur en France, Paris, 1999,p.520.

نقلاً عن د.عبد الرشيد مأمون و د.سامي عبد الصادق، مصدر سابق، ص٣١٧، هامش رقم (١).

(67) Laurent Veray, L'auteur du film, Deseription dun combat , e'd institute lumie're, 1996, p.49.

(٦٨) ونصت الفقرة الخامسة من المادة (١٣٨) من قانون الملكية الفكرية المصري على تعريف المصنف المشترك إذ جاء فيها ((المصنف الذي لا يندمج ضمن المصنفات الجماعية، ويشترك في وضعه أكثر من شخص سواء أمكن فصل نصيب كل منهم فيه أو لم يمكن)).

(٦٩) د.اشرف جابر سيد، الصحافة عبر الانترنت وحقوق المؤلف، دار النهضة العربية، ٢٠٠٦، ص٢٥.

(٧٠) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة، مصدر سابق، ص١٧٤.

(٧١) ان بعض الدول اكتفت بالأخذ بهذا النوع من المصنفات (الاشتراك التام) واعتبره هو الأساس الذي تقيم عليه تصورها لمفهوم المصنفات المشتركة. ومن هذه الدول انجلترا وفق المادة (١٠) من قانون حق المؤلف والرسوم والنماذج الصناعية لسنة ١٩٨٨. وكذا وفق المادة (٢) من قانون حق المؤلف لسنة ١٩٨٥. وألمانيا وفق المادة (٨) من قانون حق المؤلف لسنة ١٩٩٥.

(٧٢) تقابلها المادة (١٧٤) من قانون الملكية الفكرية المصري إذ نصت على انه ((إذا اشترك أكثر من شخص في تأليف مصنف بحيث لا يمكن فصل نصيب كل منهم في العمل المشترك اعتبر جميع

الشركاء مؤلفين للمصنف بالتساوي فيما بينهم ما لم يتفق كتابة على غير ذلك. وفي هذه الحالة لا يجوز لأحدهم الانفراد بمباشرة حقوق المؤلف إلا باتفاق مكتوب بينهم.....)).

ويتضح من خلال النص ان المشرع المصري أكد على ضرورة الاتفاق الكتابي واعتبره الأساس في العلاقة بين شركاء المصنف، ولاشك في ان هذا هو الأفضل من حيث الواقع العملي الذي كشف عن كثير من المنازعات التي ثارت بين شركاء المصنف نتيجة عدم اتفاقهم المسبق. وندعو المشرع العراقي الى ان يسلك مسلك المشرع المصري وان يشترط ضرورة الاتفاق الكتابي بين شركاء المصنف.

(٧٣) د.عبد الرشيد مأمون، حماية حق المؤلف في إطار المصنفات المشتركة، مصر، ٢٠٠١، ص٢٦٩.

(٧٤) ان بعض الدول اكتفت بالأخذ بهذا النوع من المصنفات(الاشتراك الناقص) ومن هذه الدول (الولايات المتحدة الأمريكية، وفق المادة (١٠١) من قانون حق المؤلف لسنة ١٩٧٨. وسويسرا وفق المادة (٤) من قانون حق المؤلف السويسري لسنة ١٩٩٢).

(٧٥) نصت الفقرة الثالثة من المادة (٩) من قانون الملكية الفكرية الفرنسي على تعريف للمصنف الجماعي إذ جاء فيها ((انه المصنف الذي ينظم ابتكاره شخص طبيعي أو معنوي يتولى إدارة نشره أو إذاعته. والذي يشترك في وضعه عدد من المؤلفين يسهمون بإنتاجهم الذهني، دون إمكان فصل أو تمييز عمل كل منهم)).

(٧٦) د.إسماعيل غانم، محاضرات في النظرية العامة للحق، مصدر سابق، ص٥٦. د.توفيق حسن فرج، مصدر سابق، ص٩٦. د.محمد كمال عبد العزيز، الوجيز في نظرية الحق، مصدر سابق، ص٤٩.

(٧٧) د.مختار القاضي، حق المؤلف، مصدر سابق، ص٥٨. د.اشرف جابر سيد، مصدر سابق، ص١٠٥.

(٧٨) سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي، مصدر سابق، ص٢٦٣. د.عبد الرشيد مأمون، حماية حق المؤلف في إطار المصنفات المشتركة، مصدر سابق، ص٢٦٧.

(٧٩) د.عبد الرزاق السنهوري، الوسيط، ج٨، مصدر سابق، ص٤١٧. د.عبد المنعم فرج الصدة، مصدر سابق، ص٢٧.

(٨٠) د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، مصدر سابق، ص١٨٥.

(٨١) د.أبو اليزيد علي المتيت، الحقوق على المصنفات الأدبية والفنية والعلمية، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص٤٨. د.محمد كمال عبد العزيز، مصدر سابق، ص٤٩. د.مختار القاضي، مصدر سابق، ص١٥٧.

(٨٢) وبهذا الاتجاه سار القضاء العراقي واعتبر العقد الذي يربط الموجه أو المنظم برئيس الفرقة عقد عمل، فجاء في قرار لمحكمة بداءة بغداد ((المدعى عليه (س) استخدم (د) مع فرقته المسماة (.....) العمل في محله لمدة خمسة أسابيع باجرة ليلية قدرها (٤٢) ديناراً وتم فعلا اشتغال الفرقة لمدة ٢٧ يوم وبعد ذلك منعهم عن العمل لبقية المدة المتفق عليها، كما ان المدعي عليه لم يدفع كامل

أجورهم عن المدة التي شغلهم المدعي عليه منها وامدهما (٨) أيام حيث ترتب بذمة المدعى عليه عن المدة المذكورة مبلغاً قدره (٣٣٦) ديناراً وهي بقية الأجور للمدة التي اشتغل فيها، كما ترتب له بذمة المدعي عليه مبلغ (٣٣٦) دينار أخرى وذلك من عدم تشغيلهم في المدة الباقية المتفق عليها وأمدها (٨) أيام أخرى المكملة للأسابيع الخمسة. وقد ألزمت المحكمة المدعي عليه بتأدية مبلغ قدره (٣٣٦) دينار للمدعي ورد دعوى المدعي بالزيادة.....)).

قرارها رقم ١٩٦٤/٧١٣ في ١٩٦٤/٤/١. منشور في قضاء محكمة تمييز العراق، المجلد الثاني، القرارات، الصادرة سنة ١٩٦٤، ص٢٤٩.

الخاتمة

وذا نصل الى نهاية البحث لموضوع (الحماية القانونية للمصنفات ومؤلفيها) لابد لنا من ان نستخلص أهم النتائج التي توصلنا إليها والتوصيات التي نضعها. فضلاً عما تم طرحه ومناقشته كلاً في موضعه وذلك من خلال ما يأتي:

١- ان الحماية القانونية تتجه الى صياغة وضع معين، ومنع الاعتداء عليه، سواء كانت شخصية تتجه الى المؤلف ذاته، أو عينية تتجه الى المصنف.

٢- على الرغم من حرص قوانين حماية حق المؤلف على ضرورة حماية المصنفات الفكرية إلا إنها لم تضع له تعريفاً محدداً. وإنما عمدت ان تترك لكتابات الفقه وأحكام القضاء بيان مضمون هذا التعريف وحدوده. وقد توصلنا الى تعريف يبين معنى (المصنف) بوضوح وهو ((كل نتاج ذهني يضمن ابتكاراً، يظهر للوجود، مهما كانت طريقة التعبير عنه أو الغرض منه أو لونه أو نوعه)).

٣- لقد اختلف الفقه في تحديد الشروط الواجب توفرها في المصنف ليكون جديراً بالحماية القانونية. فاستنتجنا من تعريف المصنف شرطين يجب توفرهما في المصنف ليكون جديراً بالحماية وهما: آ- ان يتضمن المصنف ابتكاراً. ب- ان يظهر المصنف من شكل محسوس ودعونا المشرع العراقي النص على هذين الشرطين من قانون حماية حق المؤلف رقم (٣) لسنة ١٩٧١(المعدل).

٤- لقد سكت المشرع العراقي عن تحديد معنى (الابتكار) مما أدى الى خلافات فقهية لتحديد معناه ونعتقد ان أفضل تعريف فقهي له هو ((بروز المجهود الشخصي لصاحب الفكرة بصرف النظر عن قيمتها الأدبية وأهميتها المادية، سواء كان الإنتاج كله من خلق المؤلف أو قام على عناصر مختلفة جمعها ورتبها بشكل خاص. أي ان شخصية المؤلف يجب ان تبرز في إنتاج مصنفه)). واقترحنا على المشرع العراقي ان ينحو منحى التشريعات الحديثة، كالقانون المصري الذي أورد تعريف للابتكار وفق المادة (١٣٨) من قانون حماية الملكية الفكرية رقم (٨٢) لسنة ٢٠٠٢ التي نصت على انه ((الطابع الإبداعي الذي يسبغ الأصالة على المصنف)).

٥- نتيجة تشعب ميادين البحث وغزارة الإنتاج الذهني وتنوعه، تكاثرت المصنفات وتفاوتت من حيث طبيعتها ومصادرها ويمكن توزيعها الى طائفتين اولهما: المصنفات الأصلية وهي تلك المصنفات التي وضعها مؤلفيها بصورة مباشرة، دون ان تقتبس من المصنفات السابقة، وتعتبر هذه المصنفات أصلية لأنها وليدة أفكار مؤلفيها.

ثانيهما: المصنفات المشتقة: وهي المصنفات التي يقتبس واضعوها مضمونها من مصنفات سابقة وضعها غيرهم. وقد اعتقد جانب من الفقه بتطابق مصطلح (المصنفات المشتقة) مع مصطلح (المصنفات المتعددة المؤلفين). وقد توصلنا الى أنهما موضوعان مختلفان ومن ابرز نقاط الخلاف هو ان المصنفات متعددة المؤلفين قد تنطبق على المصنفات المشتركة التي يتعاون في إبداعها أكثر من مؤلف والمصنفات الجماعية ان يشترك في وضعها جماعة بإرادتهم وبتوجيه من شخص طبيعي أو معنوي، أما المصنفات المشتقة فقد تكون من مؤلف واحد. وعليه دعونا المشرع العراقي وضع تعريف محدد للمصنفات المشتقة. وتنظيم أحكامها تنظيماً مفصلاً أسوة بما عليه الحال في كافة التشريعات لوضع حد للخلط الذي كثيراً ما يحدث بين هذه المصنفات وغيرها من المصنفات المتعددة المؤلفين.

٦- المؤلف هو الشخص الذي يبتكر المصنف، ويعد مؤلفاً للمصنف من يذكر اسمه عليه أو ينسب إليه عند نشره باعتباره مؤلفاً له ما لم يقم الدليل على غير ذلك. وقد شمل المشرع العراقي المؤدي بالحماية القانونية وفق المادة (٥) من قانون حماية حق المؤلف التي نصت على انه ((يتمتع المؤلف بالحماية ويعتبر مؤدياً كل من ينفذ أو ينقل الى الجمهور عملاً فنياً من وضع غيره سواء كان هذا الأداء بالغناء أو العزف.....))، وحسناً فعل المشرع العراقي عندما نص على حماية حقه في هذه المادة وان لم يبين نوع الحماية المقررة له، أهي الحماية المقررة للمؤلف أم حماية من نوع خاص؟

٧- وقد اختلف الفقه حول مدى إمكانية اعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً فهناك اتجاهان: الاتجاه الأول هو الاتجاه المعارض لاعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً والاتجاه الثاني هو الاتجاه المؤيد لاعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً. وقد حسم المشرع العراقي هذا الخلاف واشترط بعض الشروط لاعتبار الشخص المعنوي مؤلفاً وذلك وفق نص المادة (٢٧) من قانون حماية حق المؤلف وهي:

(١) ان يكون المصنف جماعياً. والمصنف الجماعي هو المصنف الذي يشترك في وضعه عدد من الأشخاص، أما إذا طلب الشخص المعنوي مصنفاً من مؤلف واحد. فان الشخص المعنوي لا يعتبر مؤلفاً.

(٢) ان يكون الأشخاص الذين أسهموا في وضع المصنف تحت إدارة وتوجيه وتنظيم ابتكار المصنف. فإذا قام عدة أشخاص بوضع مصنف ما دون توجيه وتنظيم من قبل الشخص المعنوي فان الشخص المعنوي لا يكتسب صفة المؤلف.

(٣) ان يندمج عمل المشتركين في وضع المصنف بحيث يتعذر فصل عمل كل منهم عن عمل الآخرين. فإذا اشترك عدد من المؤلفين في وضع مصنف موسيقي غنائي فان الشخص لا يكتسب صفة المؤلف. لإمكان التمييز بين عمل كل واحد منهم.

وإذا لم تتوافر جميع هذه الشروط فان الشخص المعنوي لا يكتسب صفة المؤلف وفق أحكام قانون حماية حق المؤلف العراقي.

٨- قد اعتبر المشرع العراقي مؤلفاً ويتمتع بالحماية القانونية المنصوص عليها في قانون حماية حق المؤلف الشخص الذي يذكر اسمه على المصنف بصورة واضحة ومؤلف المصنف الذي ينشر

بإسم مستعار ولا تشمل هذه الحماية مؤلف المصنفات التي تنشر دون ان تحمل اسم مؤلفها أو اسمه المستعار إلا إذا كشف المؤلف أو ورثته عن شخصيته فتبدأ مدة الحماية من تاريخ هذا الكشف.

٩- قد يشترك في تأليف المصنف عدد من المؤلفين. وهو الجهود المشتركة قد تقبل الإقرار بحيث يستطيع كل من المؤلفين تعين ما أسهم فيه، وقد تكون مندمجة فيتعذر التعرف على ما قدمه أي من المؤلفين. وهذه المصنفات يطلق عليها بـ (المصنفات التعاونية) وهي تتمثل في المصنفات المشتركة والمصنفات الجماعية. واهم ما يميز المصنف الجماعي عن المصنف المشترك هو وجود شخص طبيعي أو معنوي يقوم بأداء وتوجيه عمل المشتركين في المصنف الجماعي، خلافاً للمصنف المشترك الذي يتولى فيه المشتركون إدارة العمل وتوجيهه بأنفسهم.

المصادر

أولاً: الكتب القانونية والمؤلفات:

١- أبو اليزيد علي المتيت، الحقوق على المصنفات الأدبية والفنية والعلمية، الإسكندرية، ١٩٦٧

٢- إسماعيل غانم، محاضرات في النظرية العامة للحق، ط٣، مكتبة عبد الله وهبه، ١٩٦٦.

٣- د.أشرف جابر سيد، الصحافة عبر الانترنت وحقوق المؤلف، دار النهضة العربية، ٢٠٠٦.

٤- د.توفيق حسن فرج، مذكرات في المدخل للعلوم القانونية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠.

٥- حسام الأهواني، أصول القانون، القاهرة، ١٩٨٨.

٦- د.حسن كيره، المدخل لدراسة القانون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩.

٧- خاطر لطفي، الموسوعة الشاملة في القوانين حماية حق المؤلف والرقابة على المصنفات الفنية، دراسة فقهية وعلمية، القاهرة، ١٩٩٤.

٨- خاطر لطفي، موسوعة حقوق الملكية الفكرية، شركة رشدي عابدين للطباعة، مصر، ٢٠٠٣.

٩- رجب كريم عبد اللاه، المدخل للعلوم القانونية، ج٢، نظرية الحق، بلا مكان طبع، ٢٠٠٣.

١٠- سهيل حسين الفتلاوي، حقوق المؤلف المعنوية في القانون العراقي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.

١١- شاكر ناصر حيدر، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، الحقوق العينية الأصلية، ج١، مطبعة المعارف، ١٩٥٩.

١٢- د.شمس الدين الوكيل، الموجز في المدخل لدراسة القانون، ط١، ١٩٧٠.

١٣- د.عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، حق الملكية، ج٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٣.

١٤- د.عبد الرشيد مأمون و د.محمد سامي عبد الصادق، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة (في ضوء قانون حماية حقوق الملكية الفكرية الجديد رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢)، دار النهضة العربية، ٢٠٠٤.

١٥- عبد الملك ياس، أصول القانون، نظريتا القانون والحق، مطبعة سلمان، بغداد، ١٩٦٨.

١٦- د.عبد المنعم البدراوي، شرح القانون المدني، الحقوق العينية الأصلية، ط٢، بلا مكان طبع، ١٩٥٦.

١٧- د.عبد المنعم فرج الصدة، حق المؤلف في القانون المصري، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٧.

١٨- فتحي الدريني، حق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٩٨٤.

١٩- د.محمد حسام الدين لطفي، المرجع العلمي في الملكية الأدبية والفنية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧.

٢٠- محمد فواز محمد المطالقة، المصنفات الأدبية والفنية (دراسة في التشريعات الأردنية والمصرية)، اربد، الأردن، ٢٠٠١.

٢١- د.محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني، الحقوق العينية الأصلية، ج٢، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٤٩.

٢٢- د.محمد كمال عبد العزيز، الوجيز في نظرية الحق، مكتبة وهبه، ١٩٩٩.

٢٣- د.محمد لبيب شنب، مبادئ القانون، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.

٢٤- د.محمود جمال الدين زكي، دروس في مقدمة الدراسات القانونية، دار مطابع الشعب، ١٩٦٤.

٢٥- د.مختار القاضي، النظرية العامة، حق المؤلف، مصر، ١٩٥٨.

٢٦- نواف كنعان، حق المؤلف (النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته)، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٠.

ثانياً: البحوث:

- د.محمد علي عرفه، حقوق المؤلف، بحيث منشور في مجلة التشريع والقضاء، العدد العاشر، السنة الرابعة، ١٩٥٢.

ثالثاً: القوانين:

١- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.

٢- قانون حماية حق المؤلف العراقي رقم ٣ لسنة ١٩٧١ المعدل.

٣- قانون حماية حق المؤلف المصري رقم ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤.

٤- قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصرية رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢.

٥- قانون حماية حق المؤلف الليبي رقم ٩ لسنة ١٩٦٨.

٦- قانون حماية حق المؤلف الأردني رقم ١٤ لسنة ١٩٩٢.
٧- قانون حماية الملكية الأدبية والفنية اللبناني رقم ٧٥ لسنة ١٩٩٩.
٨- قانون حماية حقوق الملكية الفكرية الكويتي رقم ٥ لسنة ١٩٩٩.
٩- القانون الاتحادي لدولة الإمارات العربية المتحدة رقم ٧ لسنة ٢٠٠٢.
١٠- قانون حماية حق المؤلف الجزائري لسنة ١٩٧٣.
١١- قانون حماية حق المؤلف السوري رقم ١٢ لسنة ٢٠٠١.
١٢- قانون الملكية الفكرية الفرنسي لسنة ١٩٩٢.
١٣- قانون حماية حق المؤلف والرسوم وبراءات الاختراع الانجليزية لسنة ١٩٨٨.
١٤- قانون حماية حق المؤلف الامريكي رقم ٩٥ لسنة ١٩٧٦.

رابعاً: المصادر اللغوية:

- مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣، المطبعة العصرية، ط٣، مصر، ١٩٣٣.

خامساً: مصادر القرارات القضائية:

- قضاء محكمة تمييز العراق، المجلد الثاني، القرارات الصادرة لسنة ١٩٦٤.

سادساً: المصادر الأجنبية:

1- Chand B Grannis, what happen in book publishing, press,1957.

2- Bernard Ede'lman, Laproprie'te' Litteraire et artistique, Paris, 1989.

3- Andre' Francon, Course Depropie'te Litte'raire , artistique et industeielle, e'd. cd (Les cours de droit), 1996.

4- Philip Witten-bey , the law of lierary property clereland, Paris,1980.

5- Paul Daniel , Grard Les Auteurs de l'oeurre Cine'mtograaphique et leurs droits, paris, 1993.

6-Henri Desbols , Le droit d'auteur en France, Paris, 1999.

7- Arpad Bogschm ,The law of copyright under the universal convention, third revised edition Leyden - New York, 1968.

8- E.P.Skon saimes, copyright 12th edition, London, 1999.

9- Alain berenboon, Le droit d'auteur dans l'audiorisuel inventaire des proble'mes a'laveilledune re'forme. Actesdu collque de Bruxelles 11-12, Sept,1987.

10- Laurent Veray, L'auteur du film, Deseription dun combat , e'd institute lumie're, 1996.

11- Alain Le Trance , Manuel de la proprie'te' Litte'raire,1966.

أثر الدراسات المقارنة للأدب في حوار الحضارات بِلوهر وبوذاسف نموذجاً

الاستاذ المشارك الدكتور حامد صدقي
رئيس فسم اللغه العربيه بجامعة «تربيت معلّم» طهران

أثر الدراسات المقارنة للأدب في حوار الحضارات

بلَوهر وبوذاسف نموذجاً

د. حامد صدقي

الملخص:

يلعب الأدب دوراً مهماً في حياة الأمم وبخاصة إذا كان الأدب إنساني النظرة والنزعة يعبر عن حاجات الإنسان أينما كان وفي أي زمن عاش، وبذلك يخلد هذا الأدب ويخلد صاحبه.

وتلعب الدراسات المقارنة للأدب دوراً في إحياء هذه الآداب الخالدة ونشرها بين الأمم لتطلع الإنسانية عليه وتتكامل في مسيرتها الحضارية.

وتعد قصة بِلَوْهَر وبوذاسُف نموذجاً للقصص الخالدة على طول التاريخ، فقد ترجمت إلى لغات عديدة لم تترجم قصة أخرى إليها جميعاً. وتهدف هذه المقالة إلى تعريف موجز بها ودورها الذي يمكن أن تلعبه في الحوار الحضاري.

الكلمات الرئيسة: الأدب، الأدب المقارن، الأدب الإنساني، بلوهر وبوذاسف، حوار الحضارات.

مما لا شك فيه أن أحد أهداف الدراسات المقارنة للأدب هو التقريب بين الآداب المختلفة والمتنوعة، وبيان نقاط الإشتراك والإفتراق بينها.[1]

وإذا كان العمل الأدبي يعرف بأنه: التعبير عن تجربة شعورية بصورة موحية[2]. وإذا كان الأديب الممتاز هو الذي يتجرد عن أنانيته وذاتيته وعن حدوده المكانية والزمانية لينطلق إلى فضاء الإنسانية الأرحب، الذي يعيش فيه بنو الانسان على اختلاف أصولهم العرقية والجنسية والقومية، ليحس في ذلك الفضاء بالقيم الانسانية التي يشترك فيها كل الناس، على اختلاف أشكالهم وعقائدهم

١- مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الدكتور سعيد علّوش، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٢- النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط ٦، ١٩٩٠، ص ٩.

وأصولهم التي ينحدرون منها، وليعبر عن تلك القيم الانسانية، بما يحسه من تجارب شعورية هي الاخرى انسانية فان ذلك الادب، وذلك العمل الادبي، يخرج عن دائرة التاريخ والجغرافية، عن دائرتي الزمان والمكان المحدودتين، ليحلق في أجواء عالمية الزمان والمكان. عند ذلك فإن ذلك الاديب وذلك النتاج الادبي الذي ينتجه لا يرتبط بدائرة زمانية أو مكانية معينة، ولا يعود في ملكيته الى قوم أو شعب أو جماعة، بل يُعدّ ملكاً للانسانية في أبعادها الزمانية والمكانية، ومن حق الانسانية في كل زمان ومكان أن تفخر بذلك الاديب، وأن تفخر بذلك العمل الادبي، وأن تعتبره ملكاً لها، تبوح به، وتنشره، وتذيعه بلغات الانسانية المتنوعة، لتنعم الانسانية والبشرية على مر العصور، وعلى امتداد الآفاق الجغرافية بذلك العمل الادبي وبذلك الاديب.

هذه الظاهرة هي التي تفسّر لنا عاملاً من عوامل خلود بعض الآثار الادبية على توالي العصور، وتداول الايام، وتغير الحكومات، وتنوع البيئات الجغرافية، فالبشرية أنتجت عدداً يصعب حصره من الأعمال الادبية، ورحم الانسانية ولد عدداً يتعذر احصاؤه من الادباء، ولكن الذين خلدتهم الايام وخلّدت أعمالهم الادبية يمكن حصرهم، ويمكن عدّهم، فاسماؤهم معروفة لدى الجميع، وأعمالهم الادبية في متناول الجميع، يستطيع الانسان أيّاً كان بلده، وأيّاً كانت قوميته، وأيّاً كانت لغته، أن يطّلع عليها، وأن تستلذ عواطفه الوجدانية بقراءتها وملاحظتها، وأن ترتوي أخلاقه من قيمها المعطاءة التي تشع على القلوب الضمأى نور الطمأنينة، وتوصل النفوس المضطربة الى ساحل الامان والاستقرار، وأن توحد الجهود المتلاطمة والمتصارعة وتقودها نحو طريق واحد، لبناء عالم تسوده الانسانية، بقيمها العالمية المتناغمة المتناسقة المتحابّة المتكاملة.

هذه الظاهرة هي التي تفسر لنا ترجمة بعض الاعمال الادبية، الى لغات أخرى تختلف عن اللغة الأم لذلك العمل الادبي، لان الانسان أيّا كانت لغته، وأيا كانت ثقافته، يحسّ بتلك التجربة الشعورية لذلك الاديب الانسان، وكأنها تعبر عن عواطفه، وعن شعوره، وعن احساسه، وعن نظرته الى الكون والحياة.

فمتى ما استطاع الاديب أن يوصل نفسه الى ذلك النبع الصافي النقي الذي يغذي العالم على مر الايام، ويرويه فانه سيصل الى قلب الانسانية الواحد على مر العصور واختلاف الاماكن، وسيرتبط بالدورة الدموية الانسانية الكبرى التي تغذي جسم الانسانية وعقلها وأعضائها بدم واحد هو الدم الانساني.

ولعل بعثة الانبياء عليهم السلام طوال التاريخ كانت تستهدف تغذية الانسانية بغذاء واحد يتمحور حول أخلاقيات وسلوكيات وثقافات تسمو بالانسان الى العالم الذي هبط منه، وتؤهله للصعود مرة أخرى، وللارتقاء من جديد الى البيئة التي ارتضاها الخالق له ليعيش حياته السرمدية، وكانت تستهدف أيضاً تلقيح الانسانية بأمصال تقيها شرّ الامراض والاوبئة الخلقية والسلوكية التي تعصف بالجسد الانساني، وبالمجتمع البشري، وتفتت قواه، وتستنزف طاقاته البناءة والفاعلة لتحولها الى مجموعة خلايا متحللة، متفسخة تنبعث منها روائح كريهة تزكم الانوف، والى مناظر بشعة توحش العيون، والى أصوات تصم الآذان، والى أغذية تمجها الأذواق والأفواه وتلفظها لفظاً.

♦ **الدور الحضاري للعلوم الإ نسانية:**

وتشكل الثقافة ركناً مهماً من اركان الحضارة، الثقافة بما تضمه من أفكار وعقائد وقيم ورؤى نحو الكون والحياة، ولعل الثقافة تلقي بتأثيراتها وظلالها الوارفة على الركن الحضاري الآخر وهو المدنية، ولذلك بدأت الحاجة تتزايد في عالم اليوم الى العلوم الانسانية ومحاولة إدخالها حتى في بعض الفروع العلمية المحضة، لما للعلوم الانسانية من أثر فى تكوين شخصية الانسان وبنائه الحضاري، ويساهم الادب بصورة عامة مساهمة لا يمكن غض الطرف عن أهميتها وحجمها في العلوم الانسانية، حيث أشرنا آنفاً الى الدور الذي يلعبه العمل الادبي، والاديب في بناء أفكار الانسان وعواطفه وأحاسيسه وتجاربه الشعورية، وما تلقي هذه الجوانب من ظلال على تكوين شخصية الانسان ونظرته الى الكون والحياة ومدى مساهمته في بناء المجتمع الانساني، ونظرته الى الانسان الاخر الذي يعيش في بيئته أو في بيئة أخرى؛ في زمانه أو في زمن آخر.

ولعل ما نشاهد من صراع في بعض أجزاء من العالم سواء أكان هذ الصراع في الماضي، الحال أو في المستقبل، ربما يعود في أحد أسبابه وعوامله الى الثقافة السائدة في مجتمعات الصراع، وما يعمله النتاج الادبي سلبياً متأثراً بتلك الثقافة ومؤثراً فيها، وذلك لافتقاده الى الروح الانسانية، والنظرة الانسانية، والقيم الانسانية التي تؤكد على حرمة الانسان وكرامته وحقه في الحرية والحياة والعيش بسلام.

ولذلك واذا ما أردنا تخليص هذا العالم من الصراع وتداعياته المفسدة والمهلكة والمدمرة، فلابد لنا أن نسعى، باذلين جهدنا؛ من أجل إشاعة أدب الحوار القائم على القيم الانسانية وعلى التجارب الشعورية إلانسانية التي تركز على إشاعة مفاهيم إنسانية مشتركة بين المجتمعات اللإنسانية.

♦ **الدور الحضاري للأدب المقارن:**

ومن الممكن جداً أن تشكل الدراسات المقارنة للأدب الانساني حجر الزاوية في البناء الحضاري القائم على الحوار والمفاهيم الإنسانية المشتركة، فالدراسات المقارنة للادب تعتبر مجالاً خصباً لإشاعة القيم المشتركة والمفاهيم الجامعة لبني الانسان، اذ المفروض أن توظف مثل هذه الدراسات من أجل القيم الخيّرة، لا من أجل ابراز القيم الشريرة أو حتى من أجل القيم المحايدة التي لا تحمل خيراً أو شراً. إنه من المؤسف أن تخصص مثل هذه الدراسات لأدب الجنس والخمر والغناء واللهو بصورة عامة أو للادب الزائف في مدح الملوك والوزراء و... و للأدب العدواني في الهجاء الذاتي وليس الموضوعي، أو للأدب الذاتي في الفخر و... مما تمتلئ به خارطة النتاج الادبي باللغة العربية وغالبية الآداب الاجنبية أيضاً على مر العصور. فأمثلة هذه الانواع من الأدب هي جزء من الإنحراف الاجتماعي الذي يجهد علماء النفس والاجتماع والتربية الأرضيون أنفسهم في تشخيصه وعلاجه لتحقيق التوازن الفردي والاجتماعي. إذن لابد للدراسات المقارنة في الادب أن تعرض عن مثل هذه الانواع الادبية لتهتم بالأنواع التي تحقق الخير للإنسان، وتسمو به الى عالم تسود فيه القيم الجمالية في الاخلاق والسلوك والتفكير، ليساهم بدوره في تحقيق السعادة للانسانية وإبعادها عن الشقاء الذي تعانيه.

♦ عالمية الادب وحوار الحضارا ت:

إن البحث والدراسة في حوار الحضارات يستدعينا التوقف والتساؤل عن الوسائل التي يمكن بواسطتها انجاز هذا الحوار. فموضوعات الحوار تشكل ركناً أساسياً لهذا الحوار، ولعل أحد الموضوعات المهمة في هذا الحوار هو الأدب بمكوناته الفنية والموضوعية، ولكن أي أدب يصلح لهذا الحوار؟ أهو الادب الذي يتقوقع في ظروفه البيئية وأحواله الذاتية؟ أم هو الأدب الذي يخرج عن تلك الحدود القومية، أو المحلية أو الذاتية الى عالم الآخرين يؤثر فيهم ويتأثر بهم؟

إن عالمية الأدب تعني خروجه عن نطاق اللغة التي كتب بها الى أدب لغة أو آداب لغات أخرى. وهذه العالمية ظاهرة عامة بين الآداب في عصور معينة وبالنسبة لأدباء معينين.[٣]

إن الادب ـ قبل كل شيء ـ استجابة للحاجات الفكرية والاجتماعية للوطن والقومية وحتى الذاتية، وموضوعه تغذية هذه الحاجات. فهي محلية موضعية أولاً وهي تشف حتماً عن غايات عالمية، ولكن من وراء التعبير عن المسائل والآمال والآلام الوطنية والقومية، وما يتبع ذلك عن المواقف النفسية والخواطر الذاتية التي لابد لها أن تدل أولاً على حال المؤلف بوصفه مواطناً أو فرداً من جماعة كبيرة. ومن وراء هذا الموقف المحدد الذي يتوجه به الكاتب الى جمهوره الخاص، تتراءى المعاني الإنسانية العامة. فالآداب وطنية قومية أولاً، وخلودها ينتج من صدقها وتعمقها في الوعي الوطني والتاريخي، وأصالتها الفنية في تصوير آمالها وآلامها النفسية والاجتماعية المشتركة بين الكاتب وجمهوره.[٤] غير أن العامل الأساس الذي يلقي بظلاله على العوامل الاخرى هو النظرة الإنسانية للكون والحياة، هذه النظرة وهذه الفكرة التي تسيطر على الشاعر أو الاديب عندما يحاول أن ينتج أدباً؛ هي التي تسبب خلود هذا الأثر، وهي التي تسبب عالمية هذا الادب، لأن الجمهور الذي يطلع على هذا النتاج الادبي الذي كتب بلغة غير لغته، ولبيئة غير بيئته، ولجمهور غيره، لكنه يرى فيه تعبيراً عن أحاسيسه وعواطفه وعما يريده وجدانه، إذن هناك عواطف وأحاسيس وتجارب إنسانية تتخطى الحدود والزمن؛ واذا استطاع الاديب أن يصل اليها ويعّبر عنها؛ كتب لنتاجه الخلود؛ وانتقل بأدبه من مجال وطني وقومي الى مجال عالمي.

ولعلنا إذا استقرأنا الأعمال الأدبية التي اتصفت بالعالمية والخلود، لوجدنا عوامل مشتركة تؤلف بينها وتكتب لها هذا الانتشار السريع الواسع، وهذا الموضوع بحد ذاته يحتاج الى دراسة مستقلة عميقة لسنا نحن بصددها الآن.

إن الأعمال الأدبية العالمية الخالدة ما هي في الواقع إلا نوع من التلقيح والإخصاب للأدب الوطني والقومي والمحلي، إنها في الحقيقة بذور فنية وفكرية ووجدانية تستنبت في تربة غير تربتها حينما تتهيأ لها العوامل المساعدة على الإنبات، إن هذه العوامل المساعدة ليست في الحقيقة إلا الافكار وإلا العواطف وإلا الأحاسيس الإنسانية المشتركة، فالأديب لا يترجم عملاً أدبياً إلا اذا وجد ذلك العمل يعبر عما يجيش في نفسه من أفكار وعواطف وأحاسيس ورموز. والاديب لا يتأثر

٣- الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٩٩ م، ص ١٠٤.
٤- المصدر نفسه، ص ١٠٥.

بأديب آخر إلا إذا وجدت صوراً مشتركة تجمعه وذلك الاديب والقارئ الذي هو المخاطب في العمل ؛ والنتاج الادبي لا يتأثر بذلك العمل إلا اذا أحس أنه بالفعل هو مخاطب ذلك النتاج الأدبي.

إذن، فمجال عالمية الادب، هو مجال التجاوب في الميول والاتجاهات الفنية والفكرية، حيث تُمحى فيه الحدود المانعة والعائقة عن الوطن والقومية واللغة والجنس. فيشعر الكاتب والأديب المتأثر أنه بصدد من يشاركه في وطنه الفكري المثالي، وفي حياته العاطفية والوجدانية.

إن مثل هذا التبادل وهذا التأثير والتأثر يشكل مجالاً فيه التنافس والحيوية ويعد عاملاً قوياً لتقدم الادب الوطني والقومي.[٥]

ولهذا التأثير المتبادل أثره الذي لا يمكن التغافل عنه في إغناء الحضارات، وفي التقريب بينها، وفي اشاعة المفاهيم المشتركة التي يمكن لها أن تشكل لغة الحوار بين الحضارات المختلفة.

إن العمل على توسيع وتطوير الدراسات المقارنة للأدب، وتشجيعها ونقدها وتقويمها يدفع بعملية التحاور الحضاري إلى الأمام، ويعمل على إكمالها وتطويرها وتقليل فرص الصراع، إذ أن مثل هذه الدراسات تزيد من فرص التفاهم والاطلاع المشترك على ما عند الآخر، وتقرب وجهات النظر المختلفة نحو الكون والحياة.

♦ القصة ومكانتها في الدراسات المقارنة:

يكاد يتفق معظم المؤلفين في الأدب المقارن على أن القصة أو الاسطورة إذا ما عولجت في آداب مختلفة تعد مجالاً من المجالات التي يتناولها الأدب المقارن بالدراسة والتحليل.[٦]

ويرى البعض أن ظهور النثر القصصي في الآداب العالمية قد تأخر عن الملحمة والمسرحية، فالقصة آخر الاجناس الادبية وجوداً في تلك الآداب، وكانت أقلها خضوعاً للقواعد، وأكثرها تحرراً من قيود النقد الادبي.[٧]

ومن القصص التي يشير اليها عادة مؤلفو كتب الادب المقارن[٨]:

١ ـ قصة ألف ليلة وليلة وتعود في نشأتها الى أصول هندية ـ فارسية.[٩]

٢ ـ قصص المقامات، وهي أصيلة غير مترجمة، ويعد بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ) اول من اخترعها وأعطاها هذا الاسم.[١٠] وقد أثّرت هذه المقامات في الأدب الفارسي. فمقامات حميد

٥- الادب المقارن، الدكتور طه ندا، دار النهضة العربية للطباعة النشر، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ص ٢٨.

٦- في الادب المقارن، دراسات في نظرية الادب والشعر القصصي، الدكتور محمد عبدالسلام كفافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧١ م، ص ٣٠؛ الادب المقارن، دراسات تطبيقية في الادبين العربي والفارسي، الدكتور محمد السعيد جمال الدين، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٤٤ ـ ٤٥؛ من آفاق الادب المقارن، الدكتور داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٩ وما بعدها.

٧- الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٢٠١.

٨- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٠ ـ ٢٤٢؛ من آفاق الادب المقارن، ص ٩ ـ ١٧٠.

٩- الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٢٢٢.

١٠- شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ؛ المقامة، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٦، ١٩٨٧ م، ص ٨.

الدين الفارسية للقاضي حميد الدين البلخي يسير مؤلفها على نهج بديع الزمان.[١١] كما أثّرت هذه المقامات في الأدب الاوروبي تأثيراً واسعاً متنوع الدلالة.

٣ ـ رسالة التوابع والزوابع لأبي عامر أحمد بن شهيد (ت ٤٣٦ هـ).

٤ ـ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

٥ ـ حي بن يقظان وأول من ألفها ابن سينا (ت ٤٣٣ هـ) وألف بعده ابن طفيل (ت٥٨١هـ) رسالة بالاسم نفسه.[١٢] وقد ترجمت الى اللاتينية والانجليزية والاسبانية والفرنسية والروسية.[١٣]

٦ ـ سلامان وأبسال وقد يكون لها أصل يوناني ترجمها عنه حنين بن اسحاق وقد تأثر بها عبدالرحمان الجامي. وللقصة رواية أخرى من صياغة ابن سينا نفسه.[١٤]

٧ ـ الغريبة الغربية للسهروردي.[١٥]

٨ ـ قصة السندباد.

غير أني لم أعثر في المصادر العربية المؤلفة في مجال الادب المقارن على أية اشارة الى قصة أخرى ترجمت الى العديد من لغات العالم ألا وهي قصة بلَوهَر وبوذاسف، التي حاولت في هذه المقالة تسليط الاضواء عليها لأنها تدخل في مجال الدراسات المقارنة للأدب، ولأن مفاهيمها الانسانية التي انتقلت بين لغات وآداب مختلفة تساهم الى حد ما في عملية التحاور الحضاري، ولأُنبّه الباحثين في هذا المجال لدراسات أعمق حول هذه القصة وتفصيلاتها.

♦ **قصه بِلَوهَر وبوذاسف:**

تعد قصة «بلوهر وبوذاسف» من القصص الشائعة في الثقافة الاسلامية، وهي من القصص الصوفية والاخلاقية كقصة حي بن يقظان، وسلامان وأبسال، ومنطق الطير وغيرها.

إلا أن قصة «بلوهر وبوذاسف» تختلف عن القصص الاخرى التي مر ذكرها، إذ أن تلك القصص رمزية وخيالية ناتجة عن نوع من الإبداع الأدبي، أو التجربة الصوفية (العرفانية) والروحية لكاتبيها. فأبطال هذه القصص من إبداعات وإبتكارات مؤلفيها؛ غير أن قصة «بلوهر وبوذاسف» التي اصطبغت بصبغة إسلامية أحياناً ومسيحية أحياناً أخرى. تمتلك جذوراً تاريخية، ويعدّ بطلها شخصية تاريخية هي شخصية «بوذا الاعظم» مؤسس الديانة البوذية.

١١- مقامات حميدي، حميدالدين البلخي (أبوبكر)، طهران، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م، مقدمة.

١٢- حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، أحمد أمين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢ م، ص ١٣٥؛ من المشرق والمغرب، بحوث في الادب، الدكتور شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ص ١٨٧ ـ ٢١٠.

١٣- الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢.

١٤- محبوب القلوب، المقالة الثانية، قطب الدين محمد بن الشيخ علي الاشكوري الديلمي اللاهيجي، تقديم وتصحيح الدكتور حامد صدقي والدكتور ابراهيم الديباجي، التراث المخطوط، طهران، ١٤٢٤ هـ، ص ١٨٤ ـ ١٨٨.

١٥- أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، الدكتور محمد علي العريان، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص ٣١٣ ـ ٣١٨.

♦ **التسمية**:

لابد لنا قبل الخوض في غمار البحث حول هذه القصة أن نشير الى أنها حظيت بأسماء وتسميات متنوعة ومختلفة في لغات عديدة في العالم، لم تحظ بها أية قصة أخرى. فقد أحصى أحد الباحثين حوالي ٦٦ تسمية لها[١٦] في اللغات العربية والفارسية والفهلوية والسنسكريتية والتركية والاردوية والسغدية واليونانية والگرجية والروسية واللاتينية والحبشية، الا أن أكثر التسميات شيوعاً في العربية هي: يوذاسف، يوزاسف، بوذاسف، بوداسف. ويرى البعض أن هذه التسميات ما هي في الحقيقة الا انعكاساً وتعريباً للتسمية الفارسية «بوداسب»، والتسمية السنسكريتية «بودى ساتوا» والتسمية الهندية «بودا ستفاي»[١٧] أما تسمية الحكيم الذي أخذ بيد بوذاسف وهداه الصراط القويم بـ «بلوهر» فيمكن أن تكون تعريباً لكلمة «بُلْوَر» التي تعني الأمير، أو تعريباً لكلمة التفخيم الهندية «بلهرا» التي تعني ملك الملوك.[١٨]

♦ **أصل القصة ومصادرها**:

يبدو أن الاصل الكامل لقصة «بوذاسف وبلوهر» قد اختلط في المصادر المكتوبة قبل الاسلام بكتاب «كليلة ودمنة» حيث قام أحد الايرانيين غير الزرادشتيين، ومن المحتمل أنه كان بوذياً، بترجمة هذه القصة مع كتاب «كليلة ودمنة» من اللغة الفهلوية الى اللغة السريانية، وتم اكتشاف هذه النسخة اليتيمة لكتاب «كليلة ودمنة» سنة ١٨٧٠ م في دير ف، ماروين بمكتبة الكنيسة الكلدانية، حيث نشرت هذه النسخة الاصلية مع ترجمة ألمانية لها سنة ١٨٧٦ م بمدينة لايبزيك.[١٩]

أما في العصور الاسلامية فقد نشرت هذه القصة لأول مرة في كتاب *كمال الدين وتمام النعمة* للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)[٢٠] في معرض حديثة عن المعمرين والمُغيَّبين لإثبات غيبة الامام المهدي (عج) وطول عمره. كما ذكرها بعد ذلك بأكثر من ستة قرون محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠ هـ) في كتابه *بحار الأنوار*[٢١]. هذا في مجال النشر.

١٦- بلوهر وبوذاسف، اكبر ثبوت، دانشنامه جهان اسلام، ج ٤، زير نظر غلامعلى حداد عادل، تهران، ١٣٧٧ هـ ش، ص ١٧٣ ـ ١٧٥.

١٧- بازتاب اسطوره بودا در ايران و اسلام، پروفسور سيد حسن امين، انتشارات مير كسرى، تهران، چاپ اول، بهار ١٣٧٨ هـ ش، ص ٥٨.

١٨- م.ن، ص ٧٨.

١٩- مقدمه بر داستانهاى پيدپاى ترجمه محمد بن عبدالله البخاري، پرويز ناتل خانلرى، تهران، خوارزمى، ١٣٦١ هـ ش، ص ١٢.

٢٠- كمال الدين وتمام النعمة، ابو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تحقيق و تصحيح على اكبر غفارى، ترجمه منصور پهلوان، نشر دار الحديث، قم، چاپ اول، ١٣٨٠ هـ ش، ج ٢، ص ٤٠٣ ـ ٥٣٦.

٢١- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ج ٧٨، ص ٣٨٣ ـ ٤٤٤.

أما في مجال الشعر فيروى أن الشاعر إبان بن عبدالحميد اللاحقي (ت ٢٠٠ هـ) قد نظم هذه القصة شعراً[٢٢].

أما في اللغة الفارسية فان أكثر الروايات تفصيلاً ما ذكره كمال شري بخشي كشميري في كتاب «تاريخ الهند»،[٢٣] وما رواه علي بن محمد نظام تبريزي (٧٤٠ ـ ٨٠١ هـ).[٢٤] كما أن المجلسي في كتابه «عين الحياة» قد ترجم هذه القصة الى الفارسية مع تقديم اسم يوذاسف على بلوهر.[٢٥] كما ترجمها أيضا الى الفارسية السيد علي رضا ريحان يزدي وطبعت سنة ١٣٥٥ هـ.[٢٦] كما ترجمت هذه القصة الى الفارسية شعراً في مزدوج (مثنوي) طويل من قبل السيد علي نقي أمين.[٢٧]

مما سبق يمكن القول أن الشيخ الصدوق (رض) المتوفى في القرن الرابع الهجري هو أول من ذكر هذه القصة وأورد تفاصيلها ثم نقل المجلسي عنه ذلك في القرن الحادي عشر وأما قصيدة إبان بن عبد الحميد فلم يعثر عليها.

ومما يثير التساؤل كيف لفّ النسيان هذه القصة ولم نر لها أي أثر في المؤلفات العربية بصورة عامة[٢٨] وفي مجال كتب الادب المقارن بصورة خاصة؟ بينما نرى قصصاً أخرى قد لا توازي هذه القصة أهمية قد تداولتها الكتب بالنشر، وقد تداولها الباحثون بالدراسة والبحث؟!!

ولعل الجواب على مثل هذا التساؤل يكمن في أن هذه القصة قد نُشرت في اللغة العربية في كتاب من كتب الأحاديث والروايات عند الشيعة الاثني عشرية، في مجال الإثبات والتدليل على غيبة الامام المهدي (عج) وهو الامام الثاني عشر عند الشيعة الغائب عن الأنظار والذي يظهر في آخر الزمان ليملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ولذلك فان الباحثين في مجال الادب بصورة عامة والادب المقارن بصورة خاصة، لم يعثروا عليها ويلتفتوا اليها لأنها لم تنشر في كتاب أدبي من الكتب التي ألفوها وتعودوا مطالعتها والبحث فيها. ثم ان عقيدة غيبة الامام المهدي (عج) يقول بها الشيعة الاثني عشرية ولا يقول بها بقية المسلمين. لذلك فان الادباء الشيعة لم يلتفتوا اليها لأنها ليست موجوده في الكتب الأدبية المعروفة، كما لم يبحث عنها الادباء العرب والمسلمون من غير

٢٢- تاريخ الأدب العربي، الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م، ج٢، ص ١٦٨؛ و يذكر الدكتور عمر فروخ ان لإبان مزدوجات في تاريخ الفرس: بيلوهر و بوداساف و... معتبراً – اشتباهاً- أن هذه القصة في تاريخ الفرس و هي ليست كذلك. و يمكن أنه ذكر ذلك اعتماداً على أصل القصة المكتوب باللغة الفهلوية و الذي هو الآخر منقول عن اللغة السنسكريتية. و حول إبان و حياته و شعره راجع: إبان بن عبد الحميد اللاحقي، الدكتور آذرتاش آذرنوش، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج٢، طهران، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٤٨- ٥٠.

٢٣- بازتاب اسطوره بودا در ايران و اسلام، پروفسور سيد حسن أمين، ص ٤٩.

٢٤- بلوهر وبيوذَسف، علي بن محمد نظام تبريزي (٧٤٠ـ ٨٠١ هـ)، پيشگفتار، نمايه ها و ويرايش دكتر محمد روشن، ميراث مكتوب، تهران، ١٣٨١ هـ ش.

٢٥- عين الحياة، محمد باقر مجلسي، چاپ اسلامية، تهران، (بدون تاريخ)، ص ٢٧٦.

٢٦- الذريعة الى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، ١٤٩/٣، ١٢٨/٤ و ٥١٥، ٥٢/٧، ٩١/١٧؛ فهرست كتابهاى چاپى فارسى، ج١/ ٥١٦، ٥٢٢.

٢٧- منطق عارفان: داستان يوذاسف وبلوهر حكيم، سيد علينقي أمين، نشر طيب، قم، ١٣٧٥ هـ ش.

٢٨- إلا ما نشر في بيروت راجع: كتاب بلوهر و بوذاسف، حققه دانيال جيماريه، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٢ م. و تختلف هذه القصة عما رواه الصدوق في العبارات و في الأسماء للملك و بعض الاشخاص المذكورين فيها.

الشيعة، على الرغم من أن هذه القصة قد ترجمت ـ كما سنرى فيما بعد ـ الى كثير من لغات العالم وقلما ترجمت قصة أخرى الى لغات متعددة كهذه القصة، ولهذا نجد أن انتشار هذه القصة وترجماتها في الأوساط الايرانية أكثر وأوسع مما هو في الأوساط العربية.

♦ **خلاصة القصة:**

تدور هذه القصة حول عدة محاور نوجزها بما يأتي:

١ ـ تبدأ القصة بالحديث عن ملك من ملوك الهند تهيأت له كل أسباب القوة والمنعة والسلطان والطاعة له، غير أنه تكبر وطغى وحارب كل مظهر من مظاهر الدين وشجع الناس على عبادة الاوثان.

٢ ـ أما المحور الثاني فيدور حول استجواب الملك لأحد أفراد حاشيته الذين آثروا التنسك وطلب الآخرة على الدنيا. وفي هذا المحور العديد من المواعظ الاخلاقية التي يتحدث بها الناسك أمام الملك الذي لم يتعظ بها آمراً الناسك في النهاية بالابتعاد والإغراب عن البلد.

٣ ـ ويدور المحور الثالث حول عدم انجاب الملك للذكور ومن ثم رزقه بولد ذكر ذكر المنجمون ما سيكون له من الشرف والعزة في المستقبل ولكن ليس في الدنيا، بل في الآخرة، وانزعاج الملك من هذا الأمر، والأمر ببناء قصر منعزل لتوفر فيه كل وسائل الراحة والرفاه واللهو حتى ينشأ الولد بعيداً عن كل فكرة من الافكار المتعلقة بالدين وبالآخرة وبالموت.

٤ ـ ويتحدث المحور الرابع عن وزير الملك وخروجه للصيد مع الملك ورؤيته لإنسان مريض وعطفه عليه وارجاعه الى المدينة ووعد المريض للوزير بأنه يستطيع في اللحظات الحاسمة مساعدته وتقديم المشورة له.

٥ ـ ويشير المحور الخامس الى رؤية الملك لناسِكَين في بلاده على الرغم من أمره القاضي بقتل كل النساك أو خروجهم من مملكته والنصائح والعظات التي تحدث بها الناسِكَين أمام الملك.

٦ ـ يتحدث هذا المحور عن ابن الملك ونموه ورشده وتكامل شخصيته، واطلاعه على ما هو عليه من حصار مفروض عليه، وعدم السماح له بالخروج والتعرف الى المجتمع والى الناس وحديثه مع والده حول هذا الموضوع، وأن الحصار المفروض عليه يشوقه الى معرفة ما منع عنه لأن الانسان حريص على ما منع، كما يقال، وموافقة الملك على فك الحصار عن ابنه، وخروج الولد الى المجتمع ورؤيته بعض المشاهد عن المرض والموت والكبر والشيخوخة والهرم، وتداعيات ذلك عليه في التفكير بمصير الانسان، وما سيؤول اليه، والعواقب التي تنتظره.

٧ ـ وابتداءً من هذا المحور تبدأ القصة الاصلية لبلوهر وبوذاسف، حيث يشيع بين الناس استغراق ابن الملك بالتفكير وبالبحث عن مصير الدنيا، فيأتي اليه ناسك كان يسكن جزيرة سرنديب (سيرلانكا حالياً) وتنكره بزي التجار وتحايله للوصول الى ابن الملك وعرض ما لديه عليه، واقبال ابن الملك عليه والاستماع الى نصائحه وعظاته والاستزادة منه.

٨ ـ وتدور بقية القصة حول القصص القصيرة التي يرويها بلوهر لبوذاسف والتي تتضمن موضوعات عقائدية وعرفانية وأخلاقية وسلوكية، تبلغ حوالي ٣٦ قصة وموضوعاً وعظة، سنحاول ذكر بعض نماذجها فيما يأتي لنطلع على مفاهيمها وعلى أسلوبها:

أ. رأينا من المناسب أن نذكر القصة الاولى التي أدلى بها بلوهر عند بداية اجتماعه مع بوذاسف.[٢٩]

«... فلما دخل عليه [بوذاسف] بلوهر، سلّم عليه وحياه وأحسن ابن الملك إجابته، وانصرف الحاضن، وقعد الحكيم [بلوهر] عند ابن الملك، فأول ما قال له بلوهر: رأيتك يا ابن الملك زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك؟

قال ابن الملك: ذلك لعظيم ما رجوت عندك.

قال بلوهر: لئن فعلت ذلك بي، فقد كان رجل من الملوك في بعض الآفاق يُعرف بالخير ويُرجى، فبينا هو يسير يوماً في موكبه اذ عرض له في مسيره رجلان ماشيان، لباسهما خلقان، وعليهما أثر البؤس والضرّ، فلما نظر اليهما الملك لم يتمالك أن وقع على الارض فحياهما وصافحهما، فلما رأى وزراؤه اشتد جزعهم مما صنع الملك! فأتوا أخاً له وكان جريئاً عليه، فقالوا له:

إن الملك أزرى بنفسه، وفضح أهل مملكته، وخرّ عن دابته لإنسانين دنيّين، فعاتبه على ذلك كيلا يعود، وله على ما صنع.

ففعل ذلك أخو الملك، فأجابه الملك بجواب لا يدري ما حاله فيه، أساخط عليه الملك أم راض عنه.

فانصرف الى منزله حتى اذا كان بعد أيام أمر الملك منادياً، وكان يسمّى منادي الموت، فنادى في فناء داره، وكانت تلك سنتهم فيمن أرادوا قتله، فقامت النوائح والنوادب في دار أخي الملك، ولبس لباس الموتى، وانتهى الى باب الملك وهو يبكي بكاء شديداً ونتف شعره. فلما بلغ ذلك الملك دعا به، فلما أذن له الملك دخل عليه، ووقع على الارض، ونادى بالويل والثبور، ورفع يده بالتضرع.

فقال له الملك: اقترب ايها السفيه، أنت تجزع من مناد نادى على بابك بأمر مخلوق وليس بأمر خالق. وأنا أخوك، وقد تعلم أنه ليس لك إليّ ذنب أقتلك عليه، ثم أنتم تلومونني على وقوعي الى الارض حين نظرت الى منادي ربي إليّ، وأنا أعرف منكم بذنوبي، فاذهب فإني قد علمت انه إنّما استفزّك وزرائي وسيعلمون خطأهم.

ثم أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له من خشبٍ، فطلى تابوتين منها بالذهب، وتابوتين بالقار. فلما فرغ منها ملأ تابوتي القار ذهباً وياقوتاً وزبرجداً. وملأ تابوتي الذهب جيفاً ودماً وعذرة وشعرا. ثم جمع الوزراء والاشراف الذين ظن أنهم أنكروا صنيعه بالرجلين الضعيفين الناسكين، فعرض عليهم التوابيت الاربعة وأمرهم بتقويمها.

فقالوا: أما في ظاهر الامر، وما رأينا ومبلغ علمنا، فان تابوتي الذهب لا ثمن لهما لفضلهما، وتابوتي القار لا ثمن لهما لرداءتهما.

فقال الملك: أجل هذا لعلمكم بالاشياء ومبلغ رأيكم فيها، ثم أمر بتابوتي القار فنزعت عنهما صفائحهما، فأضاء البيت بما فيهما من الجواهر.

٢٩- كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه القمي، ص ٤٣١ ـ ٤٣٤.

فقال: هذان مثل الرجلين اللذين ازدريتم لباسهما وظاهرهما، هما مملوءان علماً وحكمة وصدقاً وبراً وسائر مناقب الخير الذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجواهر والذهب.

ثم أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أبوابهما، فاقشعر القوم من سوء منظرهما، وتأذوا بريحهما ونتنهما.

فقال الملك: وهذان مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة واللباس، وأجوافهما مملوءة جهالة وعمىً وكذباً وجوراً وسائر أنواع الشر التي هي أفظع وأشنع وأقذر من الجيف.

قال القوم للملك: قد فقهنا واتعظنا أيها الملك.

ثم قال بلوهر: هذا مثلك يا ابن الملك فيما تلقيتني به من التحية والبشر، فانتصب بوذاسف ـ ابن الملك ـ وكان متكئاً، ثم قال: زدني مثلاً...».

ويلاحظ مما سبق العظات الاخلاقية التي حاول بلوهر تقديمها لبوذاسف عن طريق القصة التي رواها له، وكيف أن الانسان يجب أن لا يتسرع في الحكم على الامور استناداً الى الظواهر، بل عليه التأني والبحث والتدقيق لكيلا يحكم شططاً ويظلم الآخرين بحكمه.

ب ـ ولنضرب مثالاً آخر على موعظة تقدم بها بلوهر الى بوذاسف تتعلق بوصف الآخرة:[٣٠]

« قال ابن الملك لبلوهر: ... فصف لي أمر الآخرة تاماً؟

قال بلوهر: ان الزهادة في الدنيا يا ابن الملك مفتاح الرغبة في الآخرة. ومن طلب الآخرة فأصاب بابها، دخل ملكوتها. وكيف لا تزهد في الدنيا [ياابن الملك] وقد آتاك الله من العقل ما آتاك، وقد ترى أن الدنيا كلها وإن كثرت انما يجمعها أهلها لهذه الاجساد الفانية، والجسد لا قوام له، ولا امتناع به؛ فالحرّ يذيبه، والبرد يجمده، والسموم تتخلّله، والماء يعرقه، والشمس تحرقه، والهواء يسقمه، والسباع تفترسه، والطير تنقره، والحديد يقطعه، والصدم يحطمه، ثم هو معجون بطينة من ألوان الاسقام والاوجاع والامراض، فهو مرتهن بها، مترقب لها، وجل منها، غير طامع في السلامة منها، ثم هو مقارن الآفات السبع التي لا يتخلّص منها ذو جسد، وهي: الجوع والظمأ والحر والبرد والوجع والخوف والموت، فأما ما سألت عنه من أمر الآخرة، فإني أرجو أن تجد ما تحسبه بعيداً، قريباً، وما كنت تحسبه عسيراً، يسيراً، وما كنت تحسبه قليلاً، كثيراً...».

ج ـ ولتأخذ مثلاً على دعاء دعا الحكيم (بلوهر) الله لبوذاسف:[٣١]

«... ثم عاد الحكيم اليه فسلم عليه ودعا له؛ ثم جلس فكان من دعائه أن قال:

أسأل الله الأول الذي لم يكن قبله شيء، والآخر الذي لا يبقى معه شيء، والباقي الذي لا منتهى له، والواحد الفرد الصمد الذي ليس معه غيره، والقاهر الذي لا شريك له، البديع الذي لا خالق معه، القادر الذي ليس له ضد، الصمد الذي ليس له ندّ، الملك الذي ليس معه أحد، أن يجعلك ملكاً عدلاً، اماماً في الهدى، قائداً الى التقوى، ومبصّراً من العمى، وزاهداً في الدنيا، ومحباً لذوي النهى، ومبغضاً لأهل الرّدى، حتى يُفضي بنا وبك الى ما وعد الله أولياءه على ألسنة أنبيائه

٣٠- م. ن، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.

٣١- م. ن، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩.

من جنته ورضوانه، فان رغبتنا الى الله في ذلك ساطعة، ورهبتنا منه باطنة، وأبصارنا اليه شاخصة، وأعناقنا له خاضعة، وأمورنا اليه صائرة...».

والمتأمل في هذا الدعاء يجد مفاهيم عقائدية دعا اليها الاسلام أيضاً ووردت بعض العبارات في الادعية الاسلامية أيضاً، بالاضافة الى ما تمتاز به العبارات من جزالة اللفظ والفكر، ويقف الانسان حائراً أمامها لا يدري أهي أفكار بوذية؟ أم أفكار اسلامية؟ أم أن الدين لله وحده، وان اختلفت التسميات، وتنوعت الطقوس.

إن دراسة مثل هذا الادب، ودراسة مثل هذه الموضوعات، وترجمتها الواسعة يؤدي حتماً الى نوع من الحوار الحضاري، ويبعد الانسانية عن محاور الشرّ والصراع الحضاري السلبي.

د ـ وحول وحدانية الله عزوجل وتنزيهه عن الصفات نجد في هذه القصة أموراً عقائدية لا تختلف عما هو في الشريعة الاسلامية، وفي الفكر الاسلامي التوحيدي، ففي محاورة جرت بين بوذاسف وبين بلوهر قال الاخير للاول:[٣٢]

«... وأن أمتكم صنعوا أصنامهم بأيديهم ثم زعموا أنها هي التي خلقتهم، وحفظوها من أن تسرق مخافة عليها، وزعموا أنها هي التي تحفظهم، وأنفقوا عليها من مكاسبهم وأموالهم، وزعموا أنها هي التي تزرقهم، فطلبوا من ذلك ما لا يدرك، وصدقوا بما لا يكون، فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان.[٣٣]

قال ابن الملك: أما الاصنام فإني لم أزل عارفاً بأمرها، زاهداً فيها، آيساً من خيرها، فأخبرني بالذي تدعوني اليه والذي ارتضيته لنفسك ما هو؟

قال بلوهر: جماع الدين أمران: أحدهما معرفة الله عزّ وجل، والآخر العلم برضوانه، قال ابن الملك: وكيف معرفة الله عزّ وجل؟

قال الحكيم: أدعوك الى أن تعلم أن الله واحد ليس له شريك، لم يزل فرداً ربّاً وما سواه مربوبٍ، وأنه خالق وما سواه مخلوق، وأنه قديم وما سواه محدث، وأنه صانع وما سواه مصنوع، وأنه مدبر وما سواه مدبَّر، وأنه باق وما سواه فان، وأنه عزيز وما سواه ذليل، وأنه لا ينام ولا يغفل ولا يأكل ولا يشرب ولا يضعف ولا يغلب ولا يضجر، ولا يعجزه شيء، لم تمتنع منه السماوات والارض والهواء والبر والبحر، وأنه كوّن الاشياء من لا شيء، وأنه لم يزل ولا يزال، ولا تحدث فيه الحوادث، ولا تغيره الاحوال. ولا تبدله الازمات، ولا يتغير من حال الى حال، ولا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، ولا يكون من مكان أقرب منه الى مكان، ولا يغيب عنه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء، قدير لا يفوته شيء، وأن تعرفه بالرأفة والرحمة والعدل، وأن له ثواباً أعده لمن أطاعه، وعذاباً أعده لمن عصاه، وأن تعمل لله برضاه، وتجتنب سخطه.

قال ابن الملك: فما رضى الواحد الخالق من الاعمال؟

٣٢- م. ن، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٥.

٣٣- اشارة إلى قصة وردت قبل هذه العبارة المنقولة هنا حول الاصنام وعبادتها، ص ٤٧١.

قال الحكيم: يا ابن الملك رضاه أن تطيعه ولا تعصيه، وأن تأتي الى غيرك ما تحب أن يؤتى اليك، وتكفّ عن غيرك ما تحب أن يكف عنك في مثله، فان ذلك عدل وفي العدل رضاه، وفى اتباع آثار الله ورسله بأن لا تعدو سنتهم...».

والباحث في هذه العبارات التي يصف بها الحكيم الله سبحانه وتعالى لا يجد فرقاً جوهرياً عما قالته المعتزلة والامامية في هذا المجال، كما أن هذه القصة لا تغفل الموضوعات العقيدية والكلامية والفلسفية الى حد ما، مثلها في ذلك مثل قصة حي بن يقظان ومثل قصة سلامان وآبسال، فلماذا اشتهرت تلكما القصتان ولم تشتهر هذه القصة في الادب العربي بصورة عامة!!

كما أن هذه القصة لا تقل جزالة وفصاحة من حيث الاسلوب والحكم والمواعظ عما ورد في *كليلة ودمنة*. فلماذا اشتهرت الاخيرة ولم تحظ قصة بلوهر وبوذاسف بذلك الصيت الذي حظيت به *كليلة ودمنة*!!

♦ القصة بين العربية والفارسية:

إذا تصفحنا واستقرأنا القصة التي رواها الصدوق بالعربية، وتلك التي لخصها علي بن محمد النظام التبريزي (٧٤٠ ـ ٨٠١ هـ) وهي باللغة الفارسية،[٣٤] نجد بعض الاختلافات الجديرة بدراسة مستقلة لها، ومنها:

١ ـ تحتوي القصة الفارسية على قصة كتبها النظام التبريزي يشير فيها الى أهمية هذه القصة والاسباب التي دعته الى كتابتها وتلخيصها حيث يقول: «... تشرفت بمطالعة كتاب بلوهر بيوذسف، والحق وجدته كتاباً من شأنه أن يكتب بالنور على محور الحور، ويُرقم بسواد العين على سويداء القلب».[٣٥]

٢ ـ ان المترجم الفارسي قد زاد على النص العربي وأطنب فيه، هذا الإطناب وهذه الاضافات كانت في زيادات تصويرية فنية للأصل العربي.

٣ ـ حاول المترجم الفارسي أن يلتزم بالسجع في ترجمته ظناً منه أن هذا الالتزام يزيد النص جمالاً، غير أنه كان متكلفا وثقيلاً بعض الأحيان مما دعى النظّام الى اختصار ذلك والتخلص من بعض التصنع والتكلف.

٤ ـ تمتاز الترجمة الفارسية بكثير من الأبيات الشعرية العربية والفارسية التي أوردها المترجم مناسبة للموضوعات التي تتحدث عنها القصة.

فعندما يتحدث في بداية القصة عن ذلك الملك الجبار الذي دانت له الرقاب وأعرض عن كل نصيحة وموعظة،

يأتي بهذه الابيات:[٣٦]

أحسنتَ ظنّكَ بالأيام إذ حَسُنَت ... ولم تَخَفْ سوء ما يأتي به القدرُ

٣٤- بلوهر وبيوذسف، علي بن محمد نظام تبريزي.
٣٥- م. ن، ص ٦.
٣٦- م. ن، ص ١٤.

وسالمتكَ الليالي فاغترتَ بها　　وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

ويقول أيضاً بالفارسية:

هر لحظه هاتفي به تو آواز مى دهد　　كاين دامگه نه جاى أمانست الأمان
آواز اين خطيبِ الهى بشنوى　　كز جوش غفلتست ترا گوش دل گران

٥ ـ هناك بعض الاختلافات في القصة بين النص العربي والنص الفارسي، ففي القصة التي حكاها الحكيم لبوذاسف عن تزويج الملك ابنه يقول النص العربي[٣٧] «... دعا الملك امرأة ابنه فقال لها: انه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام...» بينما يشير النص الفارسي الى أن الملك دعا مربية العروس وحاضنتها وأخبرها. كما أن ما جرى بين الملك وامرأة ابنه (في النص العربي) وما جرى بين الملك ومربية العروس (في النص الفارسي) يختلفان أيضاً. ولا يقتصر هذا الاختلاف على محتوى القصة بل ان هذه القصة في النص العربي هي احدى القصص التي حكاها بلوهر لبوذاسف بينما هي في النص الفارسي تدور حول بوذاسف نفسه ووداعه لبلوهر.

٦ ـ كما أن خاتمة القصة في النص الفارسي تختلف عن خاتمتها في النص العربي.

مما سبق يلاحظ أن هذا الموضوع يمكن أن يكون موضوعاً من موضوعات الادب المقارن، وكيف أن النص قد اختلف عندما ترجم من لغة الى أخرى، والعوامل التي أدت الى مثل هذه التغييرات، كما حدث لقصة مجنون ليلى عندما ترجمت من قبل الشاعر الايراني نظامي گنجوي الى الفارسية.

♦ القصة وترجماتها في لغات العالم:[٣٨]

لقد ذكرنا آنفاً أن القصة كانت باللغة السنسكريتية، وان اتباع بوذا الايرانيين أو الهنود قد كتبوها.

وأول ترجمة لها كان الى اللغة الخُتَنية ثم الى اللغة السغدية والپارتية، كما ترجمت الى اللغة الفهلوية في القرن السادس الميلادي، كما لها ترجمة باللغة التركية القديمة مصطبغة بصبغة مانوية وقد عثر على قطعة منها في منطقة طورفان بالصين.

كما ترجمت القصة من اللغة الفهلوية الى اللغة السريانية.

١. وتوجد ترجمتان لهذه القصة الى اللغة الگرجية، الاولى من الترجمة السريانية، والثانية من الترجمة الفهلوية، كما توجد اشارات الى ترجمة گرجية مسيحية موجودة في القدس مأخوذة من ترجمة عربية نقلت عن الفهلوية.

كما ترجمت الرواية العبرية لهذه القصة الى الگرجية.

وحول الترجمات اليونانية لهذه القصة توجد آراء مختلفة، ويبدوأن الترجمات الفهلوية والعربية والگرجية والسريانية كانت كل واحدة منها مصدراً لترجمة يونانية، غير أن الترجمات اليونانية قد

٣٧- م. ن، ص ٣٢٨؛ كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥١٦ ـ ٥١٧.

٣٨- اعتمدنا في هذا القسم على ما جاء في مقالة أكبر ثبوت في دانشنامه جهان اسلام، ج ٤، ص ١٦٨ ـ ١٧٢؛ والمقدمة التي كتبها محمد روشن لكتاب بلوهر وبيوذسف، لعلي بن محمد النظام التبريزي.

اصطبغت بصبغة مسيحية، وقد اعتبر الكتاب التابعون للكنيسة المسيحية بطلي هذه القصة قِدّيسين بلّغا الديانة المسيحية في الهند.

كما توجد ترجمة أرمنية وأخرى لاتينية نقلت من الفهلوية مباشرة، وقد انتشرت هذه القصة من اللاتينية الى اللغات الاوربية الرئيسة.

كما توجد ترجمة عبرية نقلت عن اليونانية في القرنين السادس والسابع الميلاديين وأخرى نقلت عن العربية في القرن الثاني عشر الميلادي.

كما ترجمت هذه القصة في القرن السادس عشر الميلادي الى اللغة الحبشية منقولة عن أصل عربي مسيحي.

وترجمت الى اللغة الانجليزية سنة ١٩١٤ م وسنة ١٩٢٣ م. كما ترجمت هذه القصة من اليونانية الى الفرنسية القديمة في القرنين السادس والسابع الميلاديين، ومنها الى الالمانية، وتركت آثارها على بعض القصص كتاجر البندقية لشكسبير.

كما ترجمت في القرنين السادس والسابع الميلاديين الى اللغة النرويجية القديمة، وترجمت الى الايطالية حوالي القرن الرابع عشر الميلادي.

وترجمت هذه القصة من العربية الى الروسية ونشرت سنة ١٩٤٧ م. كما توجد ترجمة مجرية لها، وتوجد ترجمات قبطية، اسبانية، بولندية، رومانية، هولندية، سويدية، سويسرية، ايسلندية واللغات السلافية المختلفة.

كما ترجمت هذه القصة الى الفارسية ترجمات عديدة منذ العهد الساماني (٢٦١ ـ ٣٩٠ هـ)

وترجمت الى اللغة الاردوية والگجراتية منقولة عن النص العربي الذي أورده الصدوق.

♦ الخلاصة:

مما سبق يظهر لنا:

١. أن الدراسات المقارنة في الأدب يمكن أن تلعب دوراً مهما في الحوار الحضاري بين الشعوب المختلفة، و تقلل من فرص الصراع الحضاري و تداعياته الفاسدة.
٢. تحتل الدراسات في العلوم الإنسانية مكانة لا يمكن التقليل من شأنها في البناء الحضاري لأية أمة، و تساهم مساهمة ملحوظة في التأثير على عناصر شخصية الإنسان و المجتمع.
٣. للأدب بصورة عامة و الدراسات المقارنة في الأدب بصورة خاصة مكانة مرموقة في مجال دراسات العلوم الإنسانية إذ أنها تلعب دوراً لا يمكن تجاهله في صياغة شخصية الفرد و المجتمع.
٤. للقصة مكانة خاصة في الدراسات المقارنة للأدب تحتل حيزاً ملحوظاً في هذا المجال.
٥. تتميز قصة بلوهر و بوذاسف عن غيرها من القصص بترجمتها إلى عدد لا بأس به من لغات العالم، لم تحظ أية قصة أخرى بمثل هذا العدد من الترجمات.
٦. إغفال الدراسات الأدبية العربية لهذه القصة و عدم التعرض لها.
٧. تحتوي هذه القصة على عدد من القصص القصيرة و المتوسطة نسبياً.

٨. تعتمد هذه القصص على محاور عقيدية و أخلاقية و اجتماعية و سلوكية و تتميز باسلوب أدبي جيد.
٩. ترجمت هذه القصة إلى العديد من لغات العالم.
١٠. هناك اختلافات بين النص العربي للقصة و بين النص الفارسي المترجم. و من الضروري أن تدرس هذه الاختلافات و يتم تحليلها و دراسة العوامل الفاعلة في ذلك.
١١. من الضروري أيضاً أن تقوم دراسات مقارنة لترجمات هذه القصة بصورة عامة.
١٢. من الممكن جداً أن تحتل الدراسات الأدبية المقارنة التي تتناول هذه القصة حيزاً ملحوظاً في الأدب المقارن لتصبح أحد موضوعاته الرئيسة.

♦ الإحالات:

٢. مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الدكتور سعيد علّوش، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
٣. النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط ٦، ١٩٩٠، ص ٩.
٤. الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٩٩ م، ص ١٠٤.
٥. المصدر نفسه، ص ١٠٥.
٦. الادب المقارن، الدكتور طه ندا، دار النهضة العربية للطباعة النشر، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م، ص ٢٨.
٧. في الادب المقارن، دراسات في نظرية الادب والشعر القصصي، الدكتور محمد عبدالسلام كفافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧١ م، ص ٣٠؛ الادب المقارن، دراسات تطبيقية في الادبين العربي والفارسي، الدكتور محمد السعيد جمال الدين، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م، ص ٤٤ ـ ٤٥؛ من آفاق الادب المقارن، الدكتور داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٩ وما بعدها.
٨. الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٢٠١.
٩. المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٠ ـ ٢٤٢؛ من آفاق الادب المقارن، ص ٩ ـ ١٧٠.
١٠. الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٢٢٢.
١١. شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ؛ المقامة، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٦، ١٩٨٧ م، ص ٨.
١٢. مقامات حميدي، حميدالدين البلخي (أبوبكر)، طهران، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م، مقدمة.
١٣. حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، أحمد أمين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢ م، ص ١٣٥؛ من المشرق والمغرب، بحوث في الادب، الدكتور شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ص ١٨٧ ـ ٢١٠.

١٤. الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢.
١٥. محبوب القلوب، المقالة الثانية، قطب الدين محمد بن الشيخ علي الاشكوري الديلمي اللاهيجي، تقديم وتصحيح الدكتور حامد صدقي والدكتور ابراهيم الديباجي، التراث المخطوط، طهران، ١٤٢٤ هـ، ص ١٨٤ ـ ١٨٨.
١٦. أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، الدكتور محمد علي العريان، القاهرة، ١٩٥٩ م، ص ٣١٣ ـ ٣١٨.
١٧. بلوهر وبوذاسف، اكبر ثبوت، دانشنامه جهان اسلام، ج ٤، زير نظر غلامعلى حداد عادل، تهران، ١٣٧٧ هـ ش، ص ١٧٣ ـ ١٧٥.
١٨. بازتاب اسطوره بودا در ايران و اسلام، پروفسور سيد حسن امين، انتشارات مير كسرى، تهران، چاپ اول، بهار ١٣٧٨ هـ ش، ص ٥٨.
١٩. م.ن، ص ٧٨.
٢٠. مقدمه بر داستانهاى پيدپاى ترجمه محمد بن عبدالله البخاري، پرويز ناتل خانلرى، تهران، خوارزمى، ١٣٦١ هـ ش، ص ١٢.
٢١. كمال الدين وتمام النعمة، ابو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، تحقيق و تصحيح على اكبر غفارى، ترجمه منصور پهلوان، نشر دار الحديث، قم، چاپ اول، ١٣٨٠ هـ ش، ج ٢، ص ٤٠٣ ـ ٥٣٦.
٢٢. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ج ٧٨، ص ٣٨٣ ـ ٤٤٤.
٢٣. تاريخ الأدب العربي، الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م، ج٢، ص ١٦٨؛ و يذكر الدكتور عمر فروخ ان لإبان مزدوجات في تاريخ الفرس: بيلوهر و بوداساف و... معتبراً – اشتباهاً- أن هذه القصة في تاريخ الفرس و هي ليست كذلك. و يمكن أنه ذكر ذلك اعتماداً على أصل القصة المكتوب باللغة الفهلوية و الذي هو الآخر منقول عن اللغة السنسكريتية. و حول إبان و حياته و شعره راجع: إبان بن عبد الحميد اللاحقي، الدكتور آذرتاش آذرنوش، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج٢، طهران، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٤٨- ٥٠.
٢٤. بازتاب اسطوره بودا در ايران و اسلام، پروفسور سيد حسن أمين، ص ٤٩.
٢٥. بلوهر وبيوذَسف، علي بن محمد نظام تبريزي (٧٤٠ ـ ٨٠١ هـ)، پيشگفتار، نمايه ها و ويرايش دكتر محمد روشن، ميراث مكتوب، تهران، ١٣٨١ هـ ش.
٢٦. عين الحياة، محمد باقر مجلسي، چاپ اسلامية، تهران، (بدون تاريخ)، ص ٢٧٦.
٢٧. الذريعة الى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، ١٤٩/٣، ١٢٨/٤ و ٥١٥، ٥٢/٧، ٩١/١٧؛ فهرست كتابهاى چاپى فارسى، ج١/ ٥١٦، ٥٢٢.
٢٨. منطق عارفان: داستان يوذاسف وبلوهر حكيم، سيد علينقي أمين، نشر طيب، قم، ١٣٧٥ هـ ش.

٢٩. إلا ما نشر في بيروت راجع: كتاب بلوهر و بوذاسف، حققه دانيال جيماريه، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٢ م. و تختلف هذه القصة عما رواه الصدوق في العبارات و في الأسماء للملك و بعض الاشخاص المذكورين فيها.
٣٠. كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه القمي، ص ٤٣١ ـ ٤٣٤.
٣١. م. ن، ص ٤٤١ ـ ٤٤٢.
٣٢. م. ن، ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩.
٣٣. م. ن، ص ٤٧٣ ـ ٤٧٥.
٣٤. اشارة إلى قصة وردت قبل هذه العبارة المنقولة هنا حول الاصنام وعبادتها، ص ٤٧١.
٣٥. بلوهر وبيوذسف، علي بن محمد نظام تبريزي.
٣٦. م. ن، ص ٦.
٣٧. م. ن، ص ١٤.
٣٨. م. ن، ص ٣٢٨؛ كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥١٦ ـ ٥١٧.
٣٩. اعتمدنا في هذا القسم على ما جاء في مقالة أكبر ثبوت في دانشنامه جهان اسلام، ج ٤، ص ١٦٨ ـ ١٧٢؛ والمقدمة التي كتبها محمد روشن لكتاب بلوهر وبيوذسف، لعلي بن محمد النظام التبريزي.

♦ المصادر:

١ ـ أبان بن عبدالحميد اللاحقي، الدكتور آذرتاش آذرنوش، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج ٢، طهران، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
٢ ـ الادب المقارن، الدكتور طه ندا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
٣ ـ الادب المقارن، الدكتور محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٩٩ م.
٤ ـ الادب المقارن، دراسات تطبيقية في الادبين العربي والفارسي، الدكتور محمد السعيد جمال الدين، دار ثابت للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
٥ ـ أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي، الدكتور محمد علي العريان، القاهرة، ١٩٥٩ م.
٦ ـ بازتاب اسطوره بودا در ايران و اسلام، پروفسور سيد حسن امين، انتشارات مير كسرى، تهران، چاپ اول، بهار ١٣٧٨ هـ ش.
٧ ـ بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
٨ ـ بلوهر ويوداسف، أكبر ثبوت، دانشنامه جهان اسلام، ج ٤، زير نظر غلامعلى حداد عادل، تهران، ١٣٧٧ هـ ش.

٩ ـ بِلَوْهَر وبُيُوذَسف، علي بن محمد نظام تبريزي (٧٤٠ ـ ٨٠١ هـ)، پيشگفتار ونمايه ها وويرايش دكتر محمد روشن، ميراث مكتوب، تهران، ١٣٨١ هـ ش.
١٠ ـ تاريخ الادب العربي، الدكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م.
١١ ـ حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، أحمد أمين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢ م.
١٢ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، تهران، دارالكتب العلمية (بدون تاريخ).
١٣ ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
١٤ ـ عين الحياة، محمد باقر المجلسي، چاپ اسلامية، تهران، (بدون تاريخ).
١٥- فهرست كتابهاى چاپى فارسى، از آغاز تا آخر سال ١٣٤٥، بر اساس فهرست خانبابا مشار و فهارس انجمن كتاب، جلد اول، بنگاه ترجمه و نشر كتاب، تهران، ١٣٥٢هـ ش.
١٦ ـ في الادب المقارن، دراسات في نظرية الادب والشعر القصصي، الدكتور محمد عبد السلام كفافي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٧١ م.
١٧- كتاب بلوهر و بوذاسف، حققه دانيال جيماريه، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٢ م.
١٨ ـ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، تحقيق وتصحيح علي اكبر غفاري، ترجمة منصور پهلوان، نشر دار الحديث، قم، چاپ اول، ١٣٨٠ هـ ش.
١٩ ـ محبوب القلوب، المقالة الثانية، قطب الدين محمد بن الشيخ علي الاشكوري الديلمي اللاهيجي، تقديم وتصحيح الدكتور حامد صدقي والدكتور ابراهيم الديباجي، التراث المخطوط، طهران، ١٤٢٤ هـ.
٢٠ ـ مقامات حميدي، حميد الدين البلخي (أبوبكر)، طهران، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م.
٢١ ـ المقامة، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٦، ١٩٨٧ م.
٢٢ ـ مقدمه بر داستانهاى پيدپاى، ترجمه محمد بن عبدالله البخارى، پرويز ناتل خانلرى، تهران، خوارزمى، ١٣٦١ هـ ش.
٢٣ ـ مكونات الادب المقارن في العالم العربي، الدكتور سعيد علّوش، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
٢٤ ـ من آفاق الادب المقارن، الدكتور داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
٢٥ ـ منطق عارفان، داستان يوذاسف وبلوهر حكيم، نشر طيب، قم، ١٣٧٥ هـ ش.
٢٦ ـ من المشرق والمغرب، بحوث في الادب، الدكتور شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
٢٧ ـ النقد الادبي ـ أصوله ومناهجه، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط ٦، ١٩٩٠م.

ابـن مقانا الاشبونـي
شاعر الدولة الحمودية في الأنـدلس

د. عدنان محمد ال طعمة
كلية الاداب / جامعة اهل البيت عليهم السلام

ابن مقانا الاشبوني

شاعر الدولة الحمودية في الأندلس

د. عدنان محمد ال طعمة

المقدمة:

ابن مقانا شاعر اندلسي في عصر الطوائف عاش ايام الصراع السياسي بين هذه الدول: فانتقل من الغرب الاندلسي نحو الشرق الاندلسي، ومن شماله حتى جنوبه: وعاش في ظل المنذر بن يحيى امير سرقسطة وابنه يحيى بن المنذر، ثم يذهب الى دانية ليمدح اميرها مجاهد العامري. وذهب الى بلنسية وعاش في ظل المظفر بن ابي عامر، بقي هناك مدة غير معلومة ثم خرج من عنده وبقي في طرطوشة.

وما بين ٤٣٤ – ٤٣٨ هـ نجده في مالقة ليجاور العالي بالله ادريس بن يحيى بن علي بن حمود الحسني ومدحه في قصيدة نونية اكسبته شهرة واسعة وطار صيته في كل مكان، كنونية ابي البقاء الرندي ومن قبله ابي اسحاق الالبيري الذي احدثت قصيدته[1] ثورة في غرناطة ومن هنا فقد اعلن ابن مقانا بصراحة ولاءه لال النبي في الاندلس ليضيف اسمه الى قائمة الشعراء الموالين لاهل البيت وليعلن نفسه واحدا في الحزب السياسي الذي اقامه علي بن حمود الحسني وشقيقه القاسم بن حمود[2]، الذين استولوا على السلطة في قرطبة عام ٤٠٧هـ وازاحوا خليفة الاندلس المستعين بالله.

في هذا البحث الذي نقدمه هو التعريف بشاعر اندلسي جوال كانت السياسة قد اضطرته للتنقل من مكان الى اخر نتيجة الظروف الصعبة التي تمر بها شبه الجزيرة الالبيرية والدويلات التي قامت على هذه الارض ازاء العدوان القادم من الشمال.

---

١ ـ مع شعراء الاندلس والمتنبي. ص ١٠٥

٢ ـ اعمال الاعلام ٢: ١١٩ – ١٢٨

ولعلني استطيع القول من خلال هذا الشاعر، باننا نستطيع ايجاد تيار سياسي وادبي وتجديد مفاهيم جديدة في الشعر الاندلسي مواز للتيارات السياسية والشعرية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الاول الهجري والقرن الثاني منه في المشرق الاسلامي، والسيد الحميري ومروان بن ابي حفصة واخرين، او شعراء النقائض مثل الفرزدق وجرير والاخطل، والراعي النميري وغيرهم. وابن مقانا واحد من سلسلة طويلة يمكن تصنيفها بوضوح وتسميتها بشعراء الشعوب في الاندلس او شعراء اهل البيت في الاندلس وهذا ما دعاني الى الكتابة في هذا الجانب الحيوي والله الموفق.

تمهيد: قيام الدولة الحمودية

سقطت الخلافة الأموية عام ٤٠٧هـ في ايام المستعين بالله حفيد عبد الرحمن الناصر الاديب الشاعر الذي لم يستطع ان يجمع بين السيف والقلم: ولم تطل خلافته اكثر من ثلاثة اعوام. وبما انه قد تآمر على غيره من ابناء جلدته واهله فقد تآمر الناس عليه: اذ قدم اثنان من قادة الجند الكبار من أحفاد الإمام الحسن بن علي عليه السلام من اولاد ادريس ومكنهم من سبتة والجزيرة الخضراء فقد وضع اول لبنة في اساس الملك لاستبدالها بملك اخر، وهكذا كان قيام الحموديين في الاندلس.

استقطبت هذه الاسرة شعراء كبار وادباء معروفين مثل ابن دراج القسطلي وابن الحناط وعبادة بن ماء السماء وآخرين ليكونوا وسيلة اعلام لبث افكارهم ودعوتهم خاصة وقد ظهر تيار يدعو الى احياء الفكر السياسي الأموي، فمثلا نجد ان ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد في ارجوزته التاريخية يذكر الخلفاء الثلاثة من دون ذكر الامام علي عليه السلام خليفة رابعا، مما اثار غضب قاضي الجماعة منذر بن سعيد البلوطي الذي رد على ابن عبد ربه لاعنا اياه بابيات من الشعر قوله:

أو مـــا علـــي لابرحـــت ملعنـــا ... يـــا ابـــن الخبيثـــة عنـــدكم بإمـــام
رب الكـــساء وخـــير آل محمـــد ... دانـــي الـــولاء مقـــدم الإســـلام

وكان هذا حافزا مهما لكي ينحرف الناس عن الأمويين واتخاذ العلويين قادة لهم: بعد ان اكتشفوا ان بني امية قد جاروا على اهل البيت بقتلهم الحسين بن علي عليه السلام والتنكيل به وباسرته في كربلاء: وقد لاحظ الاندلسيون ان الامويين قد شجعوا بعض الكتاب بتاليف كتب عن العلويين تقليلا من أهميتهم وكان هذا دافع اخر جعل الناس يحنقون عليهم، هذا وقد ذكر ابن سعيد في المغرب انه عندما دالت دولة الامويين وبزغ نجم الحموديين بالاندلس بدأ الناس ينحرفون عن ابن امية واختفي نسبهم ويعرفون الان بالقرشيين لما فعلوه بالحسين عليه السلام وقد عانى الامويون عناءاً شدشداً حتى امتد ذلك الى عصر المرابطين فنجد الفيلسوف بن باجة قد نصح الشاعر ايوب بن سليمان السهيلي ان يرحل فرارا من نسبه وما قصة ذلك البدوي لهذا الشاعر مع خادمة دليلا على كره الناس لهم. فقال قولته المعروفة ما اسعدنا به اولا واشقانا به اخرا [٤].

٣ ـ نفح الطيب ٢: ٥١١ - ٥١٢
٤ ـ المغرب ١: ٦٠ - ٦١

وبدأت ظاهرة التشيع تطفو على السطح وبزغ لون جديد في الشعر الاندلسي يسمى بالادب الشيعي نتيجة تشجيع هؤلاء الامراء لادباء الاندلس وشعرائهم وخلال سبعين عاما من السياسة استطاع الادب الشيعي ان يمد جذوره ويجد ارضا صلبة في هذه الارض وامتد به العمر حتى نهاية عصر غرناطة ولكننا نجد شعراء عديدين في عصر المرابطين والموحدين خاصة يلهجون بذكر اهل البيت عليهم السلام و حبهم خاصة في عصر الموحدين، فضهر ابن الابار: و صفوان بن ادريس. و ناهض الوادي آشي و اخرون كلهم وضعوا كتبا و مؤلفات في رثاء الحسين و اهل بيته ؛ و هذا يعود الى الحجر الاساس الذي وضعه بنو حمود في الاندلس ؛ كما اننا نجد ان الشعر الصوفي بدأ ينحو هذا المنحنى: و كان محيي الدين بن عربي هو الاخر يشيد باهل البيت و فرض طاعتهم على الناس ؛ و ذكر ان اصحاب الكساء هم اهل بيت النبي عليهم السلام و ازواجه ثم الحق بهم سلمان الفارسي تيمناً بحديث الرسول صلى الله عليه وآله "سلمان من اهل البيت". فلهذا كان عبادة و بن دراج و بن الخياط و بن مقانا هم من اسسوا هذا المفهوم في الاندلس. و بناء عليه فاننا نرى ان الواجب يحتم علينا القاء الضوء على المفاهيم الاولى لادب اهل البيت او ادب التشيع في الاندلس.

ابن مقانا الاشبوني:

في خضم الصراع العرقي والأموي القائم في الأندلس بين الطوائف المختلفة عربية وبربرية: صقالبة واسبان عاشوا في تلك الربوع الخضراء وتنازعوا على السلطة وتآمر بعضهم على بعض قي داخل الاسرة الواحدة من قبل الأب وولده: وانتزع الأخ من أخيه الملك. وسال الدم رخيصا بين العائلة الواحدة هناك في الساحل الغربي من شبه الجزيرة الايبيرية ولد عبد الرحمن بن مقانة القبذاقي ثم الاشبوني وفي تلك القرية نشأ وترعرع في أسرة لانعرف عنها شيئا غير اسمها الذي ينحدر من أصول غير عربية. فمقانا على مايبدو انه مشتق من الاسم (Magno) **أو** ماكنس (Magnes)[5] وهو اسم لشاعر يوناني ولد وعاش في أثينا وحصل على جائزة كبيرة في الآداب (سنة ٤٧٢ق. م) او هو مشتق من Magno بمعنى العظيم مثل ألبرتو ماكنو Magno Alberto(البرتو العظيم) اسم متداول ومستعمل في العصور الوسطى عند الأوربيين: كما ان أسرته على مايبدو أسرة فلاحيه متواضعة ومغمورة تعيش في قرية القبذاق الواقعة بالقرب من لشبونة عاصمة البرتغال حاليا.[6]

لكن الحميدي المتوفى سنة ٤٨٨ هـ وتابعه الضبي المتوفى سنة ٥٩٩ هـ نسباه إلى بطليوس: قال: عبد الرحمن بن مقاناة البطليوسي[7]، ابو زيد. كما ان الجغرافيين الأندلسيين لم يذكروا لنا قرية بهذا الاسم سوى قرية القبذاق التابعة لجيان jaen: وتسمى الان AL Caudete[8] وربما زالت القبذاق البرتغالية مثلها مثل القرى الدارسة في الأندلس: وقد حلت محلها قرية أخرى بعنوان آخر واسم جديد، ومحي اسمها القديم ولابد من التأكيد ان ابن بسام الذي

٥ ـ ارسطو: فن الشعر ص١١
٦ ـ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب ١ : ٤١٣
٧ ـ جذوة المقتبس رقم ٦١٨ ص٢٧٩ : بغية الملتمس رقم ١٠٤٤ ص٣٥٨
٨ ـ العذري: احمد بن عمر بن انس م/٤٧٨/هـ ترصيع الاخبار: ١٧٠ : ٨٩ وجغرافيا الإدريسي ص٢٠٤، والترجمة الاسبانية ص٢٥٢

ترجم لابن مقانا هذا نقلا عن محمد بن إبراهيم الفهري ـ مواطن شاعر ـ قد مر بي في قريته القبذاق ورآه هناك وهو يحمل في يده مزبرة [٩]، دليل على وجود القرية بالقرب من لشبونة في ذلك الزمن. ثم ان الشاعر نفسه ذكر قريته هذه مخاطبا أبا عبد الله الفهري في ايامه التي قضاها هناك قائلا:

وأصبحت في قبذاق احصد شوكها بمزبرة رعشاء نابية القطع

واذا كان ابن مقانا في قبذاق الغرب الغربية من لشبونة: او كان من بطليوس كما قال الحميدي: فأنه ينحدر من المنطقة الغربية لشبه الجزيرة الايبرية.

وهو اديب شاعر مشهور: كان حيا أيام المعتد بالله هشام [١٠] وهذا يعني ان شاعرنا ولد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري: وعاش صراعات القرن الخامس وبداية دول الطوائف: وحياة الفوضى التي سادت الأندلس كما انه شهد سقوط الدولة الأموية: وتغلب الصقالية والبربر على مقاليد الحكم في حواضر الأندلس وتشير النصوص الواردة عند ابن بسام ان الشاعر قد زار منذر بن يحيى امير سرقسطة Zaragoza قبل سنة ٤٣٧هـ كما انه مدح ابنه يحيى الذي خلف أباه مابين ٤٢٧هـ ـ ٤٣٠ هـ: والمظفر ابن أبي عامر أمير بلنسية: ومقاتل الفتى العامري، كما انه عاش فترة عند مجاهد العامري أمير دانية: ثم إدريس بن يحيى العلوي (الفاطمي) مابين سنة ٤٣٤هـ ـ ٤٣٨هـ وأخيرا المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الأفطس أمير بطليوس في أواخر حياته ومع إننا لانستطيع أن نجزم بالتواريخ الدقيقة عن الفترة التي قضاها الشاعر عند هؤلاء الأمراء أو السنوات التي مر بهم وحل بضيافتهم لكننا نحاول ان نفترض هذه التواريخ على ضوء حاكميتهم لحواضرهم وسلطانهم.

إن اولى الروايات التي ترد عند ابن بسام [١١] وعنه ينقلها علي بن ظافر م / ٦١٣هـ [١٢] والمقري م/ ١٠٤١ هـ [١٣]:

إن الشاعر ابن مقانا وصديقه احمد بن الشقاق قد حضرا عند القائد ابن درى في جيان فاحضر لهما عنبا اسود مغطى بورق اخضر فارتجل ابن الشقاق قائلا:

عنب تطلع من حشى ورقٍ صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكبٌ كسفت فلاحت في سماء زبرجد

---

٩ ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ٢: ٧٨٧

١٠ـ جذوة المقتبس: ٢٧٩: وهشام المعتد هو ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وامه اجنبية اسمها عاتب. ولد سنة اربع وستين وثلاثمائة.وتوفي في صفر سنة ثمان وعشرين واربعمائة: فكان عمره حوالي اربع وستين سنة.وكان سبط الشعر: اخنس، خفيف العارضين واللحية، حسن الجسم الى القصر وهو اخر ملوك بني امية بالاندلس وبه انقرضت الدولة الاموية. بويع بالثغر بحصن البونث بعدها حكم قرطبة من سنة ٤١٨- ٤٢٢ ودفن بجهة لاردة انظر: ابن بسام الذخيرة ق٣: ٥١٥ – ٥٢٩: ابن عذاري – البيان المغرب ٣: ١٤٥ – ١٥٢، المراكشي: المعجب ٥٧ - ٥٩

١١ـ الذخيرة ٢: ١/٢٦٢

١٢ـ بدائع البدائة: ٢٦٥- ٣٦٦

١٣ـ نفح الطيب: ٤ / ٢٤٧

في هذه الرواية نجد ان بسام قد وصف لنا مجلسا عند القائد ابن دري في مدينة جيان القريبة من غرناطة وقد زاره شاعرنا بصحبة صديق له فوضع لهما المضيف عنبا فارتجل احدهما وهو ابن الشقاق ببيتين من الشعر في وصف العنب المغطى بالورق الأخضر ولم نعرف ماهو موقف الشاعر الاخر وهو ابن مقانا ! لكن الرواية على مايبدو غير مكتملة الصورة: فهل ان ابن مقانا لم يكن حاضر البديهة فسكت ولم يقل شيئا أم ان المؤلف ارجا أبيات الشاعر لكي يثبتها في موضعها، ثم نسي بعد ذلك: أو ان النسخ التي اعتمدها المحقق المرحوم إحسان عباس لم يرد فيها النص كاملا وهذا وارد بالطبع فان نصوصا وتراجم أخرى قد سقطت من الكتاب مع إني قد استخدمت النسخة التي نشرت سنة١٩٤٢ وطبعت في القاهرة لكنها ذات النسخة المعتمدة من قبل د. احسان عباس!!

أما ابن دري القائد فأظنه ميمون بن يوسف ممدوح أبي علي إدريس بن اليماني وآخرين من الشعراء الذين يقصدونه: فقد ذكر ابن بسام نقلا عنه قال: اعتمدني أبو علي إدريس بن اليماني فجاذبته في ذكر البديع من القول فأنشدني هذه القطعة في صفة الثريا:

قبلة كانت على دهش ... اذهب ما بي من العطش
ولها في القلب منزلة ... لو عدتها النفس لم تعش
طرقتني والدجى لبست ... خلعاً من جلدة الحنش
وكأن النجم حين بدى ... دَرهم في كف مرتعش

قال: فعمدت بعد إلى سبعة مثاقيل صحاحا فطبعت عليها وكتبت معها:

وجه الثريا انْ شأت تعرفه ... فاسلك من القول نحو موعبه
نجمك في البعد ظل مشبهها ... وشبهها شبه مابعثت به[١٤]

وقد ذكر ابن بسام أيضا ـ ان ابن مقانا قد جالس مجاهد العامري: وكان الأخير لا يشجع ندماءه على تناول الخمر في تلك المجالس بل كان يحرمها تماما وكان هذا الشاعر واحدا من أعلام مجالسه. كما كان من ندمائه المخلصين وفقا لما يقول المستعرب الايطالي سارنللي شيركو[١٥]، ويمتاز شعره بالحلاوة والعذوبة.

ومن غرر شعره تلك القصيدة التي كتبها يصف فيها احد مجالس مجاهد[١٦]:

ولما سقتنا من إبريقها ... لثمنا يديها وخلخالها
وبتنا وباتت على ساقها ... تصفق للشرب جريالها
كأن نجوم الدجى روضة ... تجر بها السحب أذيالها
كأن الثريا بها راية ... يقود الموفق ابطالها

١٤ـ الذخيرة٣٣٧: ٣
١٥ـ كليلياسارنللي شيركو: مجاهد العامري٢٣٢
١٦ـ الذخيرة ٢: ٧٩٦

والموفق هنا لقب لمجاهد العامري: ولكن متى زار ابن مقانا مجاهد العامري في دانية فهل كان ذلك في سنة ٤٣٠هـ أم بعدها ! هذا مالا نعرفه بالضبط ولكن على مايبدو بعد هذا التاريخ: لان ما من احد من مؤرخي الأدب الأندلسي ذكر لنا مثل هذه الزيارات ولا تواريخها: وليست لدينا روايات عديدة بهذا الشأن وكل الذي لدينا من مصادر أدبية حول شاعرنا ابن مقانا مصدران: احدهما الحميدي م/٤٨٨هـ وقد كتب كتابه في بغداد بعيدا عن موطنه: والثاني ابن بسام في القرن السادس: والذي يدفعنا إلى الاعتقاد ان الشاعر زار مجاهد بعد سنة ٤٣٠هـ كما أشار إليه مؤرخ الأندلس أبو حيان خلف بن حيان كما في رواية ابن عذاري المراكشي: انه في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة تميز أمراء الأندلس وملوكهم من قبائل البربر وغيرهم وصاروا فريقين ما منهم يحذر الدار الآخرة. احد الفريقين فيه عظيمهم سليمان بن هود الجذامي صاحب الثغر الأعلى: وكان معه مقاتل الصقلي صاحب طرطوشة: وعبد العزيز بن ابي عامر صاحب بلنسية: ومن تحتهما من أصحاب الأعمال بالمواسطة، وكان ابن معن صاحب المرية، وسعيد بن رفيل صاحب شقورة وغيرهما من الرؤساء إلى الوزير محمد بن شقور صاحب قرطبة، كان هؤلاء الأندلسيون نمطا واحدا متظاهرين على عظيم البرابرة يومئذ باديس بن حبوس صاحب غرناطة ومن تميز معه من البربر ومن يدعو إليه من إدريس بن يحيى صاحب مالقة: وكانوا متعاضدين على من يباينهم من الأمراء سواهم على اختلالهم في الرأي والدعوة ....[١٧]

ثم يمضي ابن حيان في القول: وكان هؤلاء الثغريون المذكورون يدعون لهشام المنصوب باشبيلية: وكان باديس ومن والاه من أمراء البرابرة يدعون لإمامهم بمالقة وهو إدريس بن يحيى بن علي بن حمود الحسني.

وكان أبو نور بن أبي قرة صاحب رندة وكورة تاكرنا يدعو بابن عباد ورضي ابن عباد منه بذلك: كما ان مجاهد العامري صاحب دانية وابن الأفطس صاحب بطليوس ومن يتصل به من الرؤساء بالغرب: ويحيى بن ذي النون صاحب طليطلة: وإسحاق بن محمد البرزالي صاحب قرمونة ومن والاه من الأمراء الاصاغر مثل ابن نوح: وابن خرزون وغيرهما يلتفت جميع هؤلاء النمط للمعتضد بن عباد صاحب اشبيلية وكلهم على دعوته الهشامية ماخلا يحيى بن ذي النون فأنه كان في هذا الوقت ساكتا عن الدعاء لأحد على رسم والده ورسم أهل قرطبة غالى ان دخل في دعوة ابن عباد سنة ست وثلاثين لما التحم ما بينهما[١٨].

ومن هذا النص يتضح ان ابن مقانا كان قبل التأريخ المذكور عند مجاهد لأنه في هذه المرحلة كان عند ادريس بن يحيى المالقي ولايمكن ان يكون عند مجاهد وادريس معا وفي ابن بسام أبيات ثلاثة لابن مقانا وقد خرج من بلنسية يريد طرطوشة ليحل ضيفا على مقاتل الفتى: فلما ورد عليها منع الجواز فكتب الى اميرها:

إن كان واديك نيلا لإيجاز به ... فما لنا قد حرمنا النيل والنيلا
ان كان ذنبي خروجي من بلنسية ... فما كفرت ولابدلت تبديلا

١٧- البيان المغرب ٢١٩: ٣

١٨ - المصدر السابق ٢١٩- ٢٢٠

هـي المقـادير تجـري في أعنتهـا ليقـضي الله أمـرا كـان مفعـولا

وهنا لابد من السؤال: لماذا منع ابن مقانا من دخول طرطوشة وهو خارج من بلنسية من عند المظفر بن ابي عامر: ومتى كانت هذه الرحلة إلى بلنسية الجواب: لا نعلم ذلك لأننا لا نملك دليلا واحدا على هذه الزيارة ولم يترك لنا ابن بسام إشارة إليها كما انه لاتوجد أبيات من الشعر قالها شاعرنا في المظفر بن أبي عامر: لكنها بالتأكيد جاءت بعد سنة ٤٣٠هـ وأيضا لان شاعرنا كان قبل هذا التأريخ عند منذر بن يحيى صاحب سرقسطة وقد مدحه ومدح ولده في حياته: لان منذرا هذا قد اغتيل في سنة ٤٣٠هـ وهذا معناه انه قد عاش في بلاطه بالثغر الأعلى قبل هذا التاريخ وحينما قتل المنذر فارق سرقسطة إلى الحواضر الشرقية جوالا مابين دانية وبلنسية وطرطوشة، حتى وصل الى مالقة في الجنوب: وحظي باحترام امراء الطوائف جميعهم وشارك في مجالسهم الأدبية ونادمهم على الرغم من انشغالهم في الصراعات السياسية التي لم تفارقهم.

لكن شهرة هذا الرجل جاءت فقط عبر قصيدته النونية التي مدح بها ادريس بن يحيى الحسني أمير مالقة وقد حكم مابين سنة ٤٣٤هـ ـ ٤٣٨هـ[١٩] ومطلعها:

الـــبرق لائـــح مـــن انـــدرين ذرفـــت عينـــاك بالمـــاء المعـــين

وقد اوردها ابن بسام في الذخيرة وقال عن صاحبها: له القصيدة المشهورة في ابن حمود يتداول القوالون أكثر أبياتها لعذوبة ألفاظها وسلاستها[٢٠].

وكانت القصيدة كذلك وقد طار ذكرها في الآفاق وحفظها القاصي والداني: ولولا هذه القصيدة ربما لم يرد ذكر صاحبها: ولم يذكره احد من مؤرخي الأدب الأندلسي لهذا لم نجد ترجمة لابن مقانا في المؤلفات التالية لابن بسام إلا وأشارت إلى هذه القصيدة مثل ابن سعيد المغربي في مؤلفاته، والمقري في نفح الطيب وآخرين.

قال ابن سعيد: قال الحجاري في المسهب: انشده هذه القصيدة خلف حجاب على عادتهم في ذلك فلما بلغ إلى قوله:

كتـــب الجـــود علـــى أبوابـــه ادخلوهـــا بـــسلام امـــنين
انظرونـــا نقتـــبس مـــن نـــوركم انـــه مـــن نـــور رب العـــالمين

أمر برفع الحجاب: حتى نظر اليه: وافرغ عليه سابغ إحسانه عليه[٢١] ويمكننا ان نزعم ان الشاعر كان في مالقة قريبا من سنة ٤٣٦هـ وانه رحل بعد ذلك إلى أبي بكر بن محمد بن مسلمة بن الافطس صاحب بطليوس الذي ألف كتاب المظفري واليه أشار ابن مقانا الاشبوني في القصيدة التي انشدها لابي عبد الله محمد بن ابراهيم الفهري بقوله:

١٩ـ البيان المغرب ٣: ٢٩١: المراكشي ـالمعجب - ٦٥
٢٠ـ الذخيرة ق٢: ٧٩١- ٧٩٢، المغرب ١: ٤١٣- ٤١٤: رايات المبرزين ٣٣- ٣٤
٢١ـ المغرب ١: ٤١٤

وأصبحت في قبذاق احصد شوكها بمزبرة رعشاء نابية القطع
فأن قيل تهجوها وأنت تحبها فقل ان حب الخل من شرف الطبع
وحب أبي بكر المظفر قادني وإحسانه حتى انصرفت إلى ربعي[٢٢]

وهذا يعني انه لازم المظفر وابنه المتوكل أمراء اشبونة وشنترين وقد شغل منصب القضاء في بلش Bullas كما نص على ذلك ابن دحية في المطرب [٢٣] ابن خاقان الش [٢٤]

لنعد مرة أخرى إلى ابن بسام ونقله عن صديق حميم للشاعر ابن مقانا هو الوزير الفقيه ابو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري المقتول بالاشبونة رفع الله منزلته وقتل قتلته: وكل ما عنده ابن بسام حول الشاعر هو من رواية الوزير الفهري قال: " كان ابو زيد بن مقانا قد انصرف شيخا إلى وطنه عندنا بعد ان جال أقطار الأندلس على رؤساء الجزيرة: قال: فمررت يوما بقريته التي تدعى القبذاق من ساحل شنترة وبيده مزبرة " منجل " فلما رأيته ملت إليه ومال إلي واخذ بيدي"[٢٥] وهذا النص صريح وواضح ان الشاعر عاد إلى مسقط رأسه القبذاق القريبة من اشبونة: وشنترة: وقضى بقية حياته فيها وليست القبذاق التي تقع بالغرب من جيان: وهنا يطرح سؤال نفسه ! لماذا سكت ابن سعيد وهو الذي نسبه اليها ؟ عن هذا الموضوع ورفع هذا الالتباس الواقع وهو ابن تلك المنطقة أي جيان: ولم يفصل ذلك ويذكر لنا وجود قريتين تحملان ذات الاسم، هل لأنه اكتفى بنسبة الشاعر إلى المدينة الأصلية اشبونة ؟ ربما كان كذلك، اذ لم يخطر بباله ان قرية القبذاق ستزول يوما ما.

أشار ابن بسام نقلا عن محمد بن إبراهيم الفهري ان ابن مقانا كان قليل السمع وربما كانت هذه العلة طبيعية وخلقية منذ صغر سنه بناء على ما روي عنه أي الوزير الفقيه ان ابن مقانا قد وصف بقلة السمع لأنه كان كما زعموا انه القائل من جملة أبيات:

سمعت الكنك يصرخ في الربيع على مابي من الصمم الطبيعي[٢٦]

ولو ان ابن بسام قد زودنا بهذه الأبيات لأفادنا كثيرا في معرفة الرجل وصفاته لكنه أورد لنا هذا البيت اليتيم فقط: وبالتالي فنحن عاجزون عن رسم ملامح هذا الشاعر البرتغالي الذي لم يكن يعجب به مواطنه صاحب الذخيرة مع انه لم يكن معاصره بل كان الشاعر سابقا لعهده: ولم يدركه هو بل نقل عن شيخ وحيد وراوية وصديق لابن مقانا هو محمد بن إبراهيم الفهري الفقيه الوزير؛ التقى به في القبذاق في قريته [٢٧] وسجل كل شعره ودون اخباره على مايبدو: وربما كان اصغر سنا من الشاعر لهذا فقد عاش فترة طويلة ليلتقي هو الآخر بابن بسام ويملي عليه بعض النصوص والأخبار.

٢٢ـ الذخيرة: ق٢: ٧٨٧
٢٣ـ المصدر ص٢٣
٢٤ـ قلائد العقيان ١٣٨: ١
٢٥ـ الذخيرة ق٢ / ٧٨٦- ٧٨٧
٢٦ـ الذخيرة ق٢: ٧٨٨: والكنك الة موسيقية معروفة شائعة بين المسيحيين ولعلها القنثارة الاسبانية كما يقول دوزي وهي من انواع الطنبور
٢٧ـ المصدر السابق ق٢: ٢٨٧ الباسكي. تكملة المعاجم ١٥٦: ٩

والمعلومات الواردة عند ابن بسام حول الوزير الفقيه هذا يسيرة ومقتضبه، وهي عبارة عن شذرات قليلة، انه من مدينة اشبونة. وكان صديقا لبعض شعراء مصره وقد قتل غيلة على يد شاعر من بني الأخطل في ذلك البلد. وقد أثنى عليه ابن بسام قائلا: كان سويداء قلب الإقليم ومجلسه بالاشبونة: وكان مرمى جمار المنثور والمنظوم وهو المتول هنالك المظلوم رفع الله درجته وقتل قتلته. وحينما قتل بتلك المدينة رثاه بعض شعراء الأندلس مثل أبي عامر الاصيلي بقصيدته التي مطلعها [٢٨]:

على مصرع الفهري ركني وموئلي بكيت وابكي طول دهري وحق لي

منها:

ألا ايها النوام هبوا لتسمعوا جدال قتيل بالرزايا مجندل
اما انه والحق ابلج واضح لقد جئتم بالعار يا آل اخطل
غدرتم فكان الغدر منكم سجية فتى العلم والمجد التليد الموثل

وقد جمع ابن بسام أكثر من قصيدة في رثاء هذا الفقيه الوزير ربما بدافع المواطنة، لأنه والفهري ينحدران من مكان واحد وبلد واحد. وعلى اية حال فقد كان الرجل مصدرا من مصادر المعلومات حول شعراء ذلك الإقليم الغربي: وإذا ما انتهينا من قراءة ابن بسام حول شاعرنا ابن مقانا وتكاد معلوماتنا جلها من كتاب الذخيرة، فتبقى لنا رواية أخرى للحميدي نقلها عن صديق اشبوني آخر هو محمد بن عمر يروي مقطوعة شعرية لمواطنه عبد الرحمن بن مقانا وهي:

وروض من رياض الحزن ناء كأن ملاءه وشي معضد
خرقنا دونه أحشاء خرق كأن سراته جيش مزرد
وقد نشر الصباح رداء نور على درر من الزهر المنضد
كأن الطل منتشرا عليه برادة فضة في الجر تبرد
كأن غديره مرآة قين برادة فضة في الجر تبرد
إذا نزلت عليها الطير غنت لإسحاق وزرياب ومعبد [٢٩]

ومع إننا لانعرف محمد بن عمر الاشبوني هذا راوية الحميدي حول ابن مقانا لكنه يذكر عنده في ترجمة شاعر آخر هو علي بن إسماعيل الاشبوني المعروف بطيطن (الترجمة ٧١١) لهذا فان معلوماتنا تنتهي عند هذا الحد ولا نستطيع أن نمضي أكثر لقلة مصادرنا حول هذا الشاعر وبيئته الثقافية.

٢٨ ـ المصدر السابق ق٣: ٣٦٦- ٣٦٧
٢٩ ـ الجذوة: ص[٢٧٩]

شعـره:

إذا كان الشعر وليد البيئة وكل ماحوله بل وحياة الشاعر الخاصة كما يذهب إلى ذلك سانت بوف. أو انه محكوم بالزمان والمكان والجنس كما يقول تيين[٣٠] وهو ذو علاقة متماسكة وتطور محتوم مرتبط بالعوامل الاجتماعية والسياسية والطبيعية الأخرى وبتعبير أدق بالشاعر والنظم السياسية والاقتصادية والثقافية كما يذهب جوردان[٣١] فأن شعر ابن مقانا كان وليدا لهذه المقومات الثلاث ؛ وقد اجتمعت هذه العناصر كلها لتعكس لنا صورة من الحياة الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت في شبه الجزيرة الايبرية عبر الخليط من الأجناس المختلفة التي تتصارع على السلطة لإثبات وجودها على الأرض خاصة إذا ما علمنا أنّ غالبية المتصارعين قد جاءوا من مكان بعيد خارج الأندلس.

ولو شئنا أن نطبق واحدا من المفاهيم التي طرحناها للتو لعجزنا أن نعثر على جواب واحد لأسئلة كثيرة يتطلبها منهج البحث – متى ولد الشاعر؟ من هم افراد عائلته' ما أسم والده ووالدته كم أخ وأخت عنده 'هل كان متزوجا أم أعزبا وهل ترك ذرية ؟ من هم أساتذته الذين درس عليهم: من هم تلامذته؟ كم من السنين عاش على هذه الأرض؟ متى توفي؟ هل كان له ديوان شعر أم لا؟

كل هذه الأسئلة 'لا جواب عليها! ولا يمكننا إذن أن نكتفي بدراسة النص بعيدا عن حياة الشاعر لكن يبقى لدينا فقط مقارنة النّص بالأشخاص الذين أرتبط بهم هذا النص.

والوضع السياسي والاجتماعي والثقافي في الأندلس أبان المرحلة التي عاشها الشاعر' ثم يأتي النص لنقرأه من الداخل وهل كان حقا يعكس المرحلة التي من أجلها كان الشاعر يطوف فيها على أمراء ألأندلس ليجد ما يطمح إليه عند هذا الأمير أو ذاك: وهل كانت هذه الزيارات غاية أم وسيلة بحدّ ذاتها ؛ هناك نستطيع أن نقرر لماذا عاد الشاعر إلى موطنه ومسكنه وعاد الى القرية التي ولد بها بائسا يائسا كئيبا بعد أن نفض يديه من كلِ الذين كان يأمل فيهم خيرا: هناك وقف خلف المحراث وبيده المزبرة ليحصد البصل والقرع 'الى هذا الفلاح ربما أشار غارثيا غومث: ان الفلاح الذي يقف وراء المحراث لينشد الشعر 'وينظم الابيات الجميلة ؛ وان صحت مقولة غومث فان البيئة الاندلسية هي التي أنجبت هذا الشاعر الفلاح الذي أراد أن يطور حياة الفلاح فلم يحصد غير الخيبة وضياع العمر: ومزرعة القرع والبصل: لكنه بقي وفيا الى أمير بطليوس الذي أمله خيرا بالعودة إلى أرضه ان هو عاد وقد وفى بعهده وبقي ينتظر المكافأة.

كان ابن مقانا مقلا في شعره متوقدا في شبابه باردا في كهولته بائسا يائسا مما حوله اضافة الى حالته المزرية وقد نفقت بضاعته. قال عنه ابن بسام: من شعراء غربنا المشاهير وله شعر يعرب عن أدب غزير تصرف فيه تصرف المطبوعين المجيدين في عنفوان شبابه وابتداء حاله: ثم تراجع طبعه عند اكتهاله.

من ذلك من قصيدة في منذربن يحيى صاحب سرقسطة: ولا بد من الوقوف هنا لحظة عند هذا الخلط الذي أصاب ابن بسام، فأما أن تكون هذه القصيدة في المنذر الأول وولده يحيى بن المنذر: أو أن تكون شطرين قد أعدها ابن بسام قصيدة واحدة في المنذر والأخرى في يحيى، أما المنذر الأول فقد حكم سرقسطة من ٤٠٨هـ- ٤١٢هـ، ثم جاء ولده يحيى المذكور الذي خلف أباه من ٤١٢- ٤٢٧هـ والملقب بالمظفر: ثم جاء المنذر الثاني فخلف أباه من سنة ٤٢٧هـ- ٤٣٠هـ والقصيدة هي:

---

٣٠ ـ سهير القلماوي – النقد الادبي ٤٢ – ٤٤

٣١ ـ المصدر السابق ٤٦ - ٤٧

لمن طلل دارس باللوى ... كحاشية البرد أو كالردى
رماد ونؤي ككحل العروس ... ورسم كجسم براه الهوى
غدا موسما لوفود البلى ... وراح مراحا لسرب المها
عجبت لطيف خيال سرى ... من السدر انى إلي اهتدى
وكيف تجاوز جوز الحجاز ... وجوز الخميس وسدر المنى
ولم يثنه حر نار الضلوع ... وبحر الدموع وريح النوى
فذكر أيامنا بالعقيق ... وليلتنا بهضاب الحمى
وقولي وصيفي بالمنصفين ... وقد نقش الصبح ثوب الدجى
أسرب العذارى بسقط اللوى ... مشى الخيزلى ام نجوم السما
برزن لنا عاطرات الجيوب ... ينازعن في الحسن شمس الضحى
خماص البطون مراض الجفون ... اقمن الشعور مقام الردا
لدان القدود حسان الخدود ... صغار النهود طوال الطلى
عذاب الثغور لطاف الخصور ... خفاف الصدور ثقال الخطى
مشين الهوينا ووادي الخزامى ... يود من البشر ان لو مشى
فما زلن يرفلن حتى إذا ... عقدن لواء الهوى باللوى

في القصيدة التي مدح بها أمير سرقسطة منذر بن يحيى وولده يحيى بن منذر يبدر فيها التكلف ظاهرا فقد حلق الشاعر في مسميات الشعر الجاهلي وغور إلى المواضع الجغرافية في صحراء الجزيرة واستخدم ألفاظا خارج البيئة الأندلسية وبعد عن المروج. والمرتفعات وكأنه تذكر مواطن غرب الأندلس وقت الجفاف وعند احتباس الامطار: ومرج على بقايا الدمن والنؤى والرماد التي تتركها القبيلة ترحل إلى مكان بعيد ويبقى الشاعر متعلقا باطلاع الحبيبة ورسومها أو تبقى مراحا وسهلا تسرح فيها المهاة وحمر الوحش وغيرها من الحيوانات: فقد ذكر هذه المواضع التي هي اللوى والعقيق والحجاز، حتى اذا سرح خياله بعيدا واجتاز هذه المواقع واجتاز العقيق والحجاز وجاوز الخميس إلى سدرة المنتهى: ولم تقف أمامه سدود وحدود: ولا حتى نار الضلوع، وبحر الدموع، وريح النوى، تذكر صبايا امرئ ألقيس فاستعار منه معان وصورا كان قد نقشها عند الصباح في ذلك الغدير وقد نضن ثيابهن: وهن ضامرات البطون رشيقات الأبدان: حراض الجفون، وقد دخلن الغدير ليمرحن ساعة ويستمتعن بهذا الماء العذب وإذا بالشاعر امرئ ألقيس وقد وقف على رأسهن وهو يشاهدهن في وسط الماء، استعار ابن مقانا هذه الصور كلها في البيت التاسع ذ يقول: " أسرب العذارى بسقط اللوى " ليذكرنا بقول ملك الشعر

ألا رب يوم لك منهن صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتي ... فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المتخمل[٣٢]

٣٢ ـ الديوان ص١١

واستكمل الصور في البيت العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ثم أبى ان يقف عند هذا الحد بل اقتبس البيت الرابع عشر والخامس عشر من الأعشى وغيره. وهكذا استعاد معاني وصورا من الشعر الجاهلي مفردات وألفاظا ومواضع قد حفظتها ذاكرته أراد أن يبين لنا ثقافته ومعرفته بالأدب الجاهلي ولغته. تشبيهاته ومجازاته وحسناته. لقد ذكر ابن بسام ان شعر ابن مقانا كان باردا: نعم انه لا يتفق مع بيئة الأندلس الخصبة الرائعة الجميلة الوارفة، لكن الشاعر رمى في غير مرماه أراد غاية أخرى ربما لم يلتفت إليها الناقد بعد أكثر من نصف قرن مازال الجفاف والبيئة الصحراوية تلف المناطق الغربية للأندلس وهذا شان تلك المنطقة خلال القرون الخالية وأراد أن يبصر الآخرين انه قادر على استعارة واستعادة لغة وثقافة امرئ ألقيس والأعشى والنابغة وجميع شعراء الجاهلية فقد حفظ دواوينهم واستفاد من معانيهم وألفاظهم ولغتهم وبلاغتهم: وهاهي ذات المواضع في تلك البيئة الجرداء ولا نذهب بعيدا فاننا واجدون في ادب جيل ٩٨ من اونا مونا unamuno واثورين Azorin، وبيو بارو خا Pio Baroja واخرين وصفا مماثلا لما ذكره ابن مقانا شعرا: وصف هؤلاء الكتاب تلك المناطق الجافة الجرداء: اليابسة وكاننا في صحراء الجزيرة، أو بادية السماوة.

ثم يمضي بنا ابن مقانا مع منذر بن يحيى في بعض حروبه ومعاركه وانتصاراته ولا يريد ان يفارق هذه اللغة القديمة لغة البدوي الصحراوي لغة امرئ ألقيس ولبيد بن ربيعة: لغة البادية وحمار الوحش والأمطار والرعود البروق في ليلة ظلماء حالكة السواد.

وقد اغتدى في سبيل العلا ... بذي ميعة من نتاج الصبا
يهيم بذي همة نازج ... براة السرى مثل بري الظبا
كان فؤادي بوادي الغضا ... وقلب الدليل جناح القطا

وقد استعار هنا في البيت الأخير هذا المعنى من شاعرين: فكلنا يتذكر الشاعر الغريب في خراسان مالك بن الريب حينما تذكر وادي الغضا وهو غريب يحث القلوص النواجيا:

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بجنب الغضا ازجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
الم ترني بعت الضلالة بالهوى ... واصبحت في جيش ابن عفان غازيا[٣٣]
ايا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية اني مقيم ليالیا
وخطا باطراف الاسنة مضجعي ... وردا علي عيني فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الارض ذات العرض ان توسعا ليا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي ... لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بحيث الغضا ارخى القلاص النواعيا[٣٤]

أو شاعر مخضرم وإسلامي حينما يقول:

كان القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية او يراح

٣٣ ـ ابن قتيبة ٢٠٥ - ٢٠٦
٣٤ ـ الاغاني ١٩ / ١٦٢ – فيما بعدها بولاق ١٢٨٥

قطـــاة عزهـــا شـــرك فباتـــت تعالجـــه وقـــد علـــق الجنـــاح

وهكذا يمضي بنا ابن مقانا مستعيرا معاني شعراء جاهليين واسلاميين

كـــان عقائـــل بـــرق الـــدجى خـــلال الحـــبي بريـــق الظبـــا
ويهـــدا طـــورا كغمـــز العيـــون يلتـــاع مـــن لـــوعتين مـــا هـــدا

ألا ترى كيف جمع بين يهدا في أول البيت وختم بهدا في آخره ويلتاع ولوعتين في الشطر الثاني من البيت. وهو جناس تام.

إذا قلقـــل الرعـــد مـــن فوقـــه تقلقـــل قلـــبي لـــه والحـــشا
كـــان الـــسحائب في ســـيرها بنـــود المظفـــر يـــوم الـــوغى

وبدا الشاعر يقدم لنا حركة صورية بين قلقلة الرعد: وقلقلة القلب والحشا وربطها بالسحائب في سيرها الوئيد: ثم شبهها بكتائب يحيى بن المنذر الملقب بالمظفر في خطاها وهي مقدمة على النصر واثقة منه: فأعلامها مرفوعة وثابتة في أيدي أبطالها لاتميل يمنة ولا تهتز مرتعشة لانها عند نجيب تجيب أمير سرقسطة.

نجيـــب تجيـــب إذا استعرضـــت وفارســـها البطـــل المنتقـــى
فتـــى يقـــرع النبـــع بـــالنبع لا جبـــان الجنـــان ولا مزدهـــى
لـــو الفلـــك انخـــر مـــن فوقـــه عليـــه بأقطـــاره مـــا شـــكا
حمـــول لأعبـــاء هـــذا الزمـــان ولا يرهـــب المـــوت عنـــد اللقـــا
إذا ســـار يحيـــى إلى غـــارة فويـــل لاعدائـــه أينمـــا
بجيـــشين جـــيش يهـــد الربـــى وجـــيش يظللـــه في الهـــوا

يقول: إذا مشى المظفر إلى الحرب فهو مقدام بطل لا يعرف الهزيمة ولا يعرف الفر وإذا التقى بالعدو فويل لعدوه منه سيذيقه الموت: وان مسيره للحرب مسير القائد المظفر الذي تدك جيوشه الروابي سنابك خيولها وتهدها، كما يرافقه جيش من ضواري السماء لكي تنقض على أشلاء الجيش المنهزم وأجساد قتلاه: وان هذه الصقور لا شك انها ستوقع الرعب في قلوب الأعداء فتثير في قلوبهم الخوف.

مطاعمهـــا مـــن شـــغاف القلـــوب ومـــشربها مـــن نجيـــع الـــدما

ثم يعرج مخاطبا يحيى بن المنذر ليقول له: ها انذا قادم اليك: نازل في ناديك ضيفا حيث ينادي الجود ببابك – مرحبا بالوافدين.

إليـــك ابـــن منـــذر المنتقـــى قرعـــت يـــد الخطـــب قـــرع العـــصا
فقـــال مناديـــك لـــي مرحبـــا وقالـــت اياديـــك لـــي حبـــذا
دعـــوت فأسمعـــت بالمرهفـــات صـــم الاعـــادي وصـــم الـــصفا
وشمـــت ســـيوفك في جلـــق فـــشامت خراســـان منهـــا الحيـــا

وقد علق ابن بسام وهو الناقد الأديب: قال: جلق واد بشرق الأندلس، فكذبة أبي زيد في هذا أشنع من كذبة مهلهل في قوله:

فلولا الريح اسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

نعم هي مبالغة ابن مقانا وقد ربط بين جلق الاندلس Galicia: وجلق الشام وهي غوطة دمشق وتجيب في الشام وهي قبيلة يحيى بن المنذر: والسيوف التي دخلت جلق الشام هي السيوف ذاتها دخلت جلق اسبانيا: ومن هنا كان علينا ان نفهم ان ابن مقانا اراد ان يسبغ على المظفر نوطا من الأصالة التاريخية ونوطا من الشجاعة ورثه عن آبائه وأجداده لم تأته هذه الصفات عبثية بل هي جينات الوراثة: وكذلك السماحة والجود والسؤدد

والقصيدة التي منحت الشهرة لهذا الشاعر هي النونية التي مدح بها إدريس بن يحيى بن علي بن حمود الحسني أمير مالقة التي قال عنها ابن بسام: يتداول القوالون أكثر أبياتها لعذوبة ألفاظها وسلاستها وهي التي أولها:

ألبرق لا ئح من أندرين ذرفت عيناك بالماء المعين

وفي رواية أخرى بالدمع المعين: وهي اكثر إيقاعا وتأثيرا.

لعبت أسيافه عاربة كمخاريق بأيدي اللاعبين

فهذا البرق الذي ظهر من جهة الشرق كان شعاعه بريق السيوف بأيدي لاعبين مهرة

ولصوت الرعد زجر وحنين ولقلبي زفرات وانين
وأنادي في الدجى عاذلتي ويك لا أسمع قول العاذلين

فقد ربط الشاعر بين صوت الرعد ودقات قلبه فجمع بين الزجر والزفرات وبين الحنين والأنين

عيرتني بسقام وضنى ان هذين لزين العاشقين

لقد أسمعته كلاما قاسيا، يشبه كلام العاتبين والحاسدين والعاذلين: وقد بلغ من الكبر عتيا ومن حوادث الدهور وقساوة صروفها ما أثقله من السقام والمرض والضنى والتعب لكن هذا البؤس واليأس والشقاء هو ما يزين العاشقين لان الحب والسقام والضنى لم يأت إلا من سهر الليالي وذبول الأجفان في ولع الأحباب والتفكير بهم.

ولو وقفنا عند هذه الأبيات التي جعلها الشاعر مقدمة لقصيدته واستهلالا لها استخدم فيها مفردات مشرقية وقد بدأها في الشطر الأول من القصيدة:

" البرق لاح من اندرين ": واندرين مدينة بالشام تصنع الخمور وقد نالت شهرة واسعة نتيجة لهذا العمل وهذه الصناعة: ومطلع القصيدة هذا يذكرنا بمطلع قصيدة عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا

مشعـــشعة كـــان الحـــصَ فيهـــا إذا مـــا المـــاء خالطهـــا ســـخينا[٣٥]

وإذ تذكر الشاعر ديار أهله بالشام مع البرق الذي بدا من الشرق: في تلك اللحظة، فقد ذرفت عيناه لذكراهم، ولهذه الذكرى زجر وحنين وزفرات وانين، كل هذه هي ذكريات وخواطر وشوق ووجد وتشوف وتطلع الى الماضي الذي لا يعود: وفيه حزن وسقم وضنى وشقاء وضنك وبؤس.

كل هذا نسمعه من شاعر لا ينتمي البتة إلى تلك الربوع الشامية البعيدة !! هل لانها كانت ربوعا رومية قبل دخول الإسلام فيها أم انها مجرد قصيدة طللية لابد من ذكر هذه المواضع في مثل هذه المواقع. ومع ان مطالع القصائد الأندلسية تختلف من شاعر إلى آخر، فان بعض الشعراء يبدأون مطالع قصائدهم كما يبدأها ابو نؤاس وبعضهم يجاري البحتري وآخرون يسيرون على نمط القصيدة المخضرمة: لكن ابن مقانا قد وضع لنا مطلعين على ما يبدو. ان من يقرا القصيدة النونية ويتأمل في أبياتها يستطيع ان يبدل في مطالعها: فبدلا من المطلع المذكور أعلاه: نجد مطلعا آخر يبدأه ابن مقانا على هذا الوجه الأتي:

قـد بـدا لـي وضـح الـصبح المـبين فاســقنيها قبــل تكــبير الاذيــن

وهو مطلع يشبه إلى حد كبير مطالع قصائد أبي نؤاس: أو يحيى الغزال

ســـــقنيها مـــــزة صـــــافية عتقـــت في دنهـــا بـــضع ســـنين
نثـــر المـــزج علـــى مفرقهـــا دررا عامـــت فعـــادت كـــالبرين

والبرين جمع برة وهي الخلخال وقد شكلت حلقات كأنها الحجول الفضة وكلما كانت الخمرة قديمة مضى عليها الزمن كانت لذيذة: ومزة هي من أسمائها وصفاتها ولهذا يقال لها بابلية لقدمها: لقد أصر الشاعر على شربها خاصة مع فتيان كرام نجب، عريقين في نسبهم وحسبهم. كرام في أخلاقهم وسجاياهم

مـــع فتيـــان كـــرام نجـــب يتهـــادون ريـــاحين المجـــون
وعلـــيهم زاجـــر مـــن حلمهـــم ولـــديهم قاصـــرات الطـــرف عـــين
شـــربوا الـــراح علـــى خـــد فتـــى نـــور الـــورد بـــه والياســـمين
رجلـــت دایاتـــه عـــا مـــدة ســـبج الـــشعر علـــى عـــاج الجـــبين
لـــوت الـــصدغ علـــى حاجبـــه ضـــمة الـــلام علـــى عطفـــه نـــون

وهكذا دخل الشاعر في وصف الجلاس الذين شرب معهم هذا الكأس المعين ولهم ساق كالولدان المخلدين فقد استعار ابن مقانا في هذه القصيدة من معاني القران الكريم وألفاظه وبلاغته وبالغ في وصف هذا الغلام الساقي:

فـــترى غـــصنا علـــى دعـــص نقـــا وتـــرى لـــيلا علـــى صـــبح مـــبين

ثم قال:

---

٣٥ ـ شرح المعلقات التسع ص٣٠٩

ويـــــسقون إذا مـــــا شـــــربوا بأبـــاريق وكـــأس مـــن معـــين

والشطر الثاني كله مستعار من قوله تعالى " يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكاس من معين "[٣٦]

ومـــصابيح الـــدجى قـــد أطفـــأت في بقايـــا مـــن ســـواد الليـــل جـــون
وكـــأن الطـــل مـــسك في الثـــرى وكـــأن النـــور در في الغـــصون
والنـــدى يقطـــر مـــن نرجـــسه كـــدموع اســـبلتهن الجفـــون
والثريـــا قـــد علـــت في افقهـــا كقـــضيب زاهـــر مـــن يـــاسمين

في هذه الأبيات وصف الشاعر هذه الليلة الحالمة التي قضاها حتى الصباح مع هؤلاء الشباب وقد كاد الصبح ان ينجلي: وقد طلع الفجر وهو يخبرنا كيف ان النور في الغصون بدا كالدر حين ولى الظلام: والندى بدا يقطر من أعلى الشجيرات كدموع تسيل على الخد وقد أسبلتها الجفون ولم يقل العيون فاستعاض بالجزء بدلا من الكل: لاشك في انه الربيع الضاحك الطلق كما وصفه البحتري: وانه زمان فتح النوار: لم يخبرنا الشاعر بزمان الربيع الذي كاد ان يتكلما لكنها جلسة في الفضاء الرحب جمعت جيلا رحبا مرحا من الفتيان يتعاطون رياحين المجون

وحتى هذا المجون لم يكن عابثا صاخبا مستهترا بل كان وقورا راكزا قضى ليلة سعيدة تمتع هو بلذتها وحلاوتها وأمتعنا بقصيدته هذه وكان هدفها هي اللذة والمتعة ثم خرج بعدها إلى المدح والإطراء والثناء ولكن هذا الصبح المسفر الذي يشبه البيض الكنين لم يتركه الشاعر جامدا بل متحركا رسم لنا صورة غاية في الروعة دالا على سرعة الحركة في الغراب إذ يطير إلى الفضاء تاركا بيضه في مكانه:

وانـــبرى جـــنح الـــدجى عـــن افقـــه كغـــراب طـــار عـــن بـــيض كـــنين

ثم طلعت الشمس وبان للجميع شروقها: ووجه الشمس هذه ما هو إلا وجه الممدوح مولانا إدريس بن يحيى أمير مالقة والجزيرة الخضراء، سليل أهل البيت في الأندلس، وهو تشبيه مقلوب بليغ يريد ان يقول وجه الإمام إدريس كالشمس لما طلعت وملئت الآفاق فانثنت عنها عيون الخلق لوضوحها وجمالها وإشراقها على الروابي والغصون ما هو إلا أمير المؤمنين بدون منازع.

وكـــأن الـــشمس لمـــا أشـــرقت فانثنـــت عنهـــا عيـــون النـــاظرين
وجـــه إدريـــس بـــن يحيـــى بـــن علـــي بـــــن حمـــــود أمـــــير المـــــؤمنين

كما انتقل الشاعر يعدد صفات الممدوح وعظمته: وسماحته وجوده وكرمه: مهابته وورعه وتواضعه وخلقه الرفيع، يتمتع بقوة وهيبة وزهد وخشوع وتدين وهو ما يسمى بالمقابلة

خـــط بالمـــسك علـــى أبوابـــه ادخلوهـــا بـــسلام امـــنين

---

٣٦ ـ الواقعة ١٧- ١٨

وينـــادي الجـــود في آفاقـــه يممـــوا قـــصر أمـــير المـــسلمين
ملـــك ذو هيبـــة لكنـــه خاشـــع لله رب العـــالمين

وها نحن أولاء نقرا آية من القران الكريم: ونحن على أبواب الجنة تحت رحمة رب العالمين

وإذا مـــا رفعـــت رايتـــه خفقـــت بـــين جنـــاحي جـــبرئين
وإذا أشـــكل خطـــب معـــضل صـــدع الـــشك بمـــصباح الـــيقين

فهذا الأمير جيوشه منصورة من قبل رب العالمين: والملائكة معها وقائدها جبريل لا تعرف الهزيمة والنكوص بل النصر معها أينما تسير: وهذا الإمام رأيه العدل والحق والصواب الا ترى ان الشك يصدعه باليقين وهو طباق: كما نجد أشكل وصدع، وقد ادخل مع اليقين المصباح وهو علامة النور الذي يضيء الطريق: وهذه الإشارة من الشاعر دلالة استقامة الطريق الذي هو ماض فيه: واذا مضى في هذا السبق كان الفوز والنجاح له ابدا

وإذا راهـــن في الـــسبق اثـــر وبيمنـــاه لـــواء الـــسابقين

وختم الشاعر البيان الأخير في هذه القصيدة ليخبر الجميع ان الولاية لهم لالغيرهم والحق معهم لا لسواهم لأنه حق الهي للنبي الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم.

يـــابني احمـــد يـــا خـــير الـــورى لأبـــيكم كـــان رفـــد المـــسلمين
نـــزل الـــوحي عليـــه فـــأجتبى في الـــدجى فـــوقهم الـــروح الأمـــين
خلقـــوا مـــن مـــاء عـــدل وتقـــى وجميـــع النـــاس مـــن مـــاء وطـــين
انظرونـــا نقتـــبس مـــن نـــوركم انـــه مـــن نـــور رب العـــالمين

لم يترك الشاعر نهاية القصيدة تمر إلا وقد زينها بآية من القران الكريم حلاها ورصعها بها ليقول لنا هذا ما عندي من ثقافة: وما عندي من لغة وما عندي من إيمان، وإذا كان هناك من هدف في القصيدة فهو أولا: أراد الشاعر أن يمتعنا بها ويشعرنا بلذتها لم يكن يهدف إلى تعليم الأخلاق ويرمي إلى تقوية العواطف: فما من قصيدة يمكن أن تكون عظيمة نبيلة جديرة بهذه التسمية التي سماها ابن بسام وانتشرت في الآفاق إلا تلك التي تكون قد كتبت بقصد إشباع لذة كتابة القصيدة فحسب كما يقول بودلير.[٣٧] فكما كان الشعر جيدا كانت مادة موضوعه جيدة صالحة للجميع[٣٨] كما يذهب دورين: وان النقاد غالبا ما يصبحون مصدر قلق وتعب وملل للاخرين لان الشعر في قرارته نقد للحياة وان عظمة الشاعر تكمن في استخدامه الافكار في سبيل الحياة[٣٩].

٣٧ ـ جان مرتليمي – بحث في علم الجمال ص٢٦٩
٣٨ ـ روي كاودن – الاديب وصناعته ص٢٨ (مارك فان دورين – اهمية الشعر المكنة).
٣٩ ـ مقالات في النقد ماثيو ارنولد ١٠٧

الخاتمة:

يلقي هذا البحث الضوء على لون من الوان الادب الشيعي في الاندلس – ابن مقانا الاشبوني نموذجاُ: و حاولنا عرض حياته الادبية و التاريخية و صور من شعره البلاغية و اساليب الابداع الفني من خلال قصيدتين. واحدة اشتهر بها على طول الاندلس و عرضها و هي النونية التي قالها في العالي بالله ادريس بن يحيى بن علي بن حمود الحسني الذي قال ابن بسام فيها ان القوالين في الاندلس يلهجون بذكرها.

و الثانية قالها في منذر بن يحيى وولده يحيى بن المنذر أمير سرقسطة و قد اغرب فيها و اعرب و نهج اسلوب شعراء التشبيب في الاطلال و هي المقصورة و كان ابن مقانا هذا رجلا مقلا في شعره و على الرغم من ذلك فقد اشتهر في الغرب الاسلامي و شرقه بنونيته المعروفة: كما اكتسب شهرة بانتمائه الواضح للحموديين فاصبح جزءاً من الحزب العلوي: و قد جند نفسه و وضف شعره من اجل هذه الدولة ليكون رجلا اعلاميا بمفهومنا المعاصر لترويج افكار الدوله الحموديه و تشيعها في الاندلس: لهذا فقد كان البحث ينطوي على مقدمة و تمهيد، و مبحثين احدهما عن حياته و رحلاته، و الاخر عن الشعر و صوره الشعريه و الخاتمه، و اعتمدنا مصادر اولية بعضها معاصر للشاعر و بعضها الاخر جاء لاحقا، فمنه ماكان اندلسياً مهما و منه ما كان مشرقياً: فإن كنا قد وفقنا لهذا فحسبنا الله و نعم الوكيل و ان اخطأنا فلنا اجر ما اجتهدنا فيه، وهو جهد المقل.

المصادر

- القران الكريم
- الادب المقارن – تاليف الدكتور عبدة عبود – مطبوعات جامعة دمشق ١٩٩١ – ١٩٩٢.
- الاديب وصناعته – تاليف روي كاودن – ترجمة جبرا ابراهيم جبرا – مؤسسة فرانكلين – بيروت – نيويورك ١٩٦٢.
- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام – تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال – دار المكشوف – بيروت ١٩٥٦.
- بحث في علم الجمال – تاليف جان برتليمي – ترجمة الدكتور انور عبد العزيز – مؤسسة فرانكلين – القاهرة ١٩٧٠.
- بدائع البدائة – تاليف علي بن ظافر الازدي م / ٦١٣هـ - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – مكتبة الانجلو المصرية ١٩١٧.
- بغية الملتمس في رجال الاندلس – للضبي – احمد بن يحيى بن عميرة م/ ٥٩٩ – تحقيق ف. كوديرا اي زايدين – مدريد ١٨٨٤م.
- البيان المغرب – لابن عذاري المراكشي ج٣ – تحقيق ليفى بروفنسال. دار الثقافة – بيروت ١٩٦٧.
- ترصيع الاخبار – للعذري احمد بن عمر بن انس الدلائي م / ٤٧٨هـ - تحقيق د. عبد العزيز الاهواني – المعهد المصري للدراسات الاسلامية – مدريد ١٩٦٥.
- تكملة المعاجم العربية – رنهارت دوزي ج٩ – ترجمة الدكتور جمال الخياط – دائرة الشؤون الثقافية. بغداد ١٩٩٩.
- جذوة المقتبس – لابي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي م/ ٤٨٨ هـ - الدار المصرية – القاهرة ١٩٦٦.

- جغرافية الادريسي (ذكر الاندلس – تاليف شريف الادريسي). – ترجمة وتحقيق خوسيه انطونيه كوندة. مدريد ١٧٩٩.
- ديوان عمرو بن كلثوم – صنعة الدكتور علي ابو زيد دار سعد الدين دمشق ١٩٩١.
- ديوان امرئ القيس – شرح الاعلم البطليوسي – تبريز ١٢٧٦ هـ.
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة – لابي الحسن علي بن بسام الشنتريني م / ٥٤٢ هـ - تحقيق الدكتور احسان عباس – دار الثقافة. بيروت ١٩٧٨.
- رايات المتبرزين وغايات المتميزين – لابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي م/ ٦٨٥ هـ - تحقيق غاريثا غومث – برشلونة ١٩٦٥.
- شرح المعلقات التسع – لابي عمرو الشيباني – تحقيق عبد المجيد همو – مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت ٢٠٠١.
- فن الشعر – ارسطو – ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي – دار الثقافة – بيروت ١٩٨٠.
- قلائد العقيان ومحاسن الاعيان – للفتح بن خاقان م / ٥٢٩ هـ ١ – ٤ – تحقيق الدكتور حسين يوسف خريوش. مكتبة المنار – عمان ١٩٨٩.
- مجاهد العامري – تاليف – كليليا سار نيللي فشيركو – لجنة البيان العربي – القاهرة ١٩٦١
- المطرب في اشعار اهل المغرب – تاليف ابي الخطاب عمر بن حسن بن دحية الكلبي م / ٦٣٣ هـ - حققه : ابراهيم الابياري و د. حامد عبد المجيد و د. احمد احمد بدوي – القاهرة ١٩٥٤.
- مع شعراء الاندلس والمتنبي – غرسيه غومث – تعريب الدكتور الطاهر احمد مكي – دار المعارف – الطبعة الثانية ١٩٧٨ القاهرة.
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي – تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي - الطبعة الاولى – القاهرة ١٩٤٩.
- المغرب في حلى المغرب ١ – ٢ – تحقيق د. شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة ١٩٥٥.
- مقالات في النقد – ماثيو ارنولد – ترجمة وتقديم علي جمال عزت. الدار المصرية للتاليف والترجمة – القاهرة ١٩٦٦.
- نفح الطيب – تاليف احمد بن محمد المقري التلمساني م / ١٠٤١ هـ - تحقيق د. احسان عباس – دار الصادر – بيروت ١٩٨٨.
- النقد الادبي – د. سهر قلماوي – محاضرات على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية – طبعة ثانية – دار المعرفة – القاهرة د. ت.
- النقد الادبي – ويمزات وبروكس ١ – ٤ – ترجمة د. حسام الخطيب. وزارة الثقافة والارشاد – دمشق ١٩٧٦.

ابـــن زهـــر الحفيـــد

[[دراسة فنية لشعره]]

الدكتور باقر جواد محمد الزجاجي
كلية الآداب / جامعة أهل البيت عليهم السلام

ابــن زهــر الحفيــد

((دراسة فنية لشعره))

د. باقر جواد محمد الزجاجي

المستخلص:

يتناول البحث سيرة حياة شخصية اندلسية بارزة، عرفت بين المصنفين والباحثين بزعامتها في مجالي الطب والادب، ولا سيما الموشحات، فقد كان ابن زهر الحفيد المتوفي سنة ٥٩٦هـ طبيبا ماهرا كأسلافه من بني زهر، استمد منهم علمه وخبرته واشتغل بالادب فكانت له اليد الطولى، اذ اتسمت موشحاته بالسلاسة والوضوح والايقاع الجميل، معبرة عن معاني وجدانية شفافة تتصل ببيئة الاندلس وطبيعتها الفاتنة، من خلال صور فنية متخيلة تنبض بالحيوية والحركة، مستخدما لذلك قدراته البارعة في التشخيص والتسليم، فجاءت محببة الى النفس، باعثة على التامل والاعجاب.

وقد توزعت اغراضه بين الغزل والخمرة والطبيعة، والحكمة احيانا، غير انه دأب على المزج بينهما، مما جعل موشحاته غنية بالمعاني والصور المتنوعة، اثيرة لدى المتذوقين من العامة، تتداول السنة المغنين في مجالس الطرب.

مقدمة

ابن زهر الحفيد واحد من ابرز شعراء الاندلس، الذين نظموا الموشحات، وطوروا هذا الفن الشعري الذي استحدث في اواسط القرن الثالث الهجري، بل يعده بعضهم صاحب مدرسة في فن التوشيح هي مدرسة الطبع والبساطة، التي كان اثرها فيمن تبعه من الوشاحين.

وعلى الرغم من براعته في نظم الشعر، وتميزه في فن التوشيح، فضلا عن تفوقه في علوم الطب التي ورثها عن اسلافه، واتقن صنعتها، فغطت شهرته القرن السادس الهجري وما بعده، الا انه لم يدرك الحظوة الكافية لدى الباحثين ومؤرخي الادب في الكشف عن خصائص شعره، عدا دراسة الدكتور فوزي سعيد القيمة، التي هدتني ودفعتني الى تتبع ذكره في مصادر الشعر الاندلسي، لاقف

على جانب من مظاهر تميزه من غيره، واتعرف حقيقة منزلته الادبية، فضلا عن الافادة من نتائجها الطيبة عبر رؤية معاصرة.

لقد ظهر لي – بعد وقوفي على قدر لابأس به من جوانب حياته وشعره – ان اقيم خطتي للبحث على ثلاثة فصول، يسبقها تمهيد وجيز اعرض من خلاله شيئا عن حياة بني زهر العلمية والادبية، فقد عرفت بزعامتها في علوم الطب واشتغالها بالادب في الاندلس.. ثم انتقل الى الفصل الاول فاتناول فيه حياة ابن زهر وثقافته ومنزلته الادبية، على حين يتناول الثاني موضوعات شعره وموشحاته، فيما يتناول الفصل الثالث دراسة فنية لموشحاته، ثم الحقته بخاتمة الخص فيها ابرز سمات التميز الذي عرف بها ابن زهر الحفيد في مجال الادب، وما توصلت اليه من نتائج اخرى.

ولي – بعد ذلك – ان التمس العذر عما رافق دراستي المتواضعة هذه من اخطاء غير معتمدة.. ومن الله العون، انه مجيب الدعاء.

تمهيد:

عرفت اسرة بني زهر – التي ينتمي اليها ابو بكر بن زهر الحفيد – من الاسر الاندلسية العريقة، التي توارثت زعامة الطب على مدى ستة اجيال، بدءا بعميدهم الاكبر محمد بن مروان ابن زهر الايادي / ت / ٤٥٢ وانتهاء بابي محمد عبد الله بن ابي زهر / ت ٦٠٢هـ، وقد كانت جهود اسرة بني زهر في الطب تتويجا لجهود اطباء اندلسيين سبقوهم، من اشهرهم ابو الوليد بن رشد صاحب كتاب (الكليات) في التشريح ووظائف الاعضاء، ثم آلت الى بني زهر رئاسة الطب فتوارثوها جيلا بعد جيل، وحظوا بمكانة كبيرة لدى الخلفاء والامراء، ولم يقتصر الاشتغال بالطب على رجال بني زهر وحدهم بل شاركتهم نساؤهم، فاشتهرت منهم أخت ابن زهر الحفيد وابنتها..[١].

واذا ماتتبعنا مجهودات كل واحد منهم الفينا ان محمد بن مروان بن زهر، وهو على رأس عائلة بني زهر والجد الاكبر لابن زهر الحفيد، وشهرته ابو بكر، اشتغل بعلم الحديث، وكان عالما بالراي حافظا للادب فقيها متقنا للعلوم، توفي سنة ٤٢٢ هـ، فخلفه ابنه عبد الملك الذي يعد اول من اشتغل بصناعة مهنة الطب في اسرة بني زهر، ولذلك يعده بعضهم العميد الفعلي لبني زهر[٢]، وقد رحل الى المشرق وتطبب به زمنا، وتولى رئاسة الطب ببغداد، ثم بمصر، ثم القيروان ثم قفل الى الاندلس واستوطن مدينة (دانية) واشتهر في الاندلس كلها بالتقدم في علم الطب حتى تفوق على اهل زمانه، وحظي بمكانة مرموقة في بلاط مجاهد العامري ملك دانية. ثم يليه في وراثة التطبيب ابنه (ابو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر) وهو جد ابي بكر بن زهر (الحفيد)، وقد روي عن ابيه فنون العلم التي جلبها من المشرق، وكان قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في ايام المعتضد بالله،

١ - ينظر: عيون الانباء في طبقات الاطباء: ابن ابي اصيبعة: تحقيق د. نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت / ٥٢١ – ٥٢٨.

٢ - ينظر: نفح الطيب: المقري: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، لبنان: ٣/ ١٦ – ٢٠.

واشتغل بعلم الادب، وهو حسن التصنيف، جيد التاليف [٣]، وكان ابن زهر هذا، الذي اصبح وزيرا تحت حكم المرابطين راس اسرة كاملة من اطباء بارزين [٤]

وقد فاقت براعته حدا جعل ابن بسام يخصه في ذخيرته بترجمة طويلة، اشار من خلالها الى انه نشا بشرق الاندلس والافاق، تتهادى عجائبه، والشام والعراق تتدارس بدائعه وغرائبه، ومال الى علم الابدان [٥] وقد حظي في ايام المرابطين بمنزلة رفيعة، ولكنه ظل على وفائه للمعتمد في اثناء اعتقاله، فكان ذلك باعثا لان يخاطب المعتمد ابا العلاء قائلا:

جزيت ابا العلاء جزاء بر ... نوى برا وصاحبك العلاء
سيسلى الكل عما فات علمي ... بان الكل يدركه الفناء

واجابه ابو العلاء بابيات من بينها:

تنافست المراتب فيك حتى ... حللت العسر اذ نحب الشقاء
ولكن الزمان بلؤم طبع ... على الحر الشريف له اعتداء
ومثلك عز قدرك عن مثيلا ... يؤمل ان يطول له البقاء
وغاية كل شيئ لانتهاء ... وانت لغاية المجد انتهاء

ولابي العلاء بن زهر هذا تآليف كثيرة انتسخت عام ٥٢٦هـ منها كتاب (الخواص)وكتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس، وكتاب النكت الطبية. وبعد وفاته انتقلت زعامة الطب الى ابنه عبد الله بن زهر بن عبد الملك بن زهر، وهو والد شاعرنا (ابي بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر)، وقد اخذ عبد الملك هذا علم الطب عن ابيه ابي العلاء. ويرى بعض المؤرخين ان ابا مروان بن زهر يعد اعظم بني زهر جميعا في صناعة الطب، فالف الى جانب كتاب الاقتصاد كتابا في الاغذية والادوية، وكتاب التيسير اهداه الى ابن رشد، الذي يعد خير ما الف في الطب العلمي [٦] وقد توفي ابو مروان بن زهر والد ابن زهر الحفيد سنة ٥٥٧ هـ بمراكش ودفن في اشبيلية في مقبرة بني زهر، وكان الحفيد قد اوصى ان تكتب على قبره هذه الابيات التي تشير الى معاناته:

تامل بحقك يا واقفا ... ولاحظ مكانا دفعنا اليه [٧]
تراب الضريح على وجنتي ... كاني لم أمش يوما عليه
أداوي الانام حذار المنون ... وها انا قد صرت رهنا لديه

---

٣ - ينظر: طبقات الاطباء / ٥٢٢ – ٥٢٣.
٤ - ينظر: تاريخ الادب العباسي: نيكلسن: ترجمة وتحقيق د. صفاء خلوصي: بغداد ١٩٦٧ / ٢٥٤.
٥ - ينظر: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: ابن بسام: تحقيق د. احسان عباس: بيروت: ١٩٧٩ / ٢١٩ – ٢٢٠
٦ - انظر: ابن زهر (الحفيد) وشاح الاندلس: د. فوزي سعيد عيسى: منشاة المعارف بالاسكندرية: ١٧ - ٢٢
٧ - معجم الادباء: ياقوت الحموي: دار المشرق: بيروت: بدون تاريخ /١٨/٢٢٥.

الفصل الاول: حياته وثقافته ومنزلته الادبية

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الايادي، وينحدر من اصل عربي عريق حيث ينتمي الى قبيلة إياد.

ولادته:

ولد ابو بكر بن زهر في مدينة اشبيلية سنة ٥٠٧ هـ، وهو من ابرز اعيان بيت ابن زهر، الذي كان منهم العلماء والحكماء والوزراء، ونال المراتب العالية لدى الملوك والامراء[٨].

وقد انفرد ابن زهر الحفيد بالامامة في علم الطب بعد ان اخذ الصناعة عن ابيه عبد الملك، وعن جده ابي العلاء زهر بن عبد الملك، اذ كان ابوه قد تعهد بالرعاية والتوجيه منذ صغره، وكان استاذه المباشر في صناعة الطب، فبرع في صناعته حتى نال تقدما وحظوة عند السلاطين، وحمل الناس عنه تصانيفه وكان يلقب بشيخ الطب وجالينوس العصر[٩].

ثقافته:

لم تقتصر ثقافة ابن زهر على مجال الطب حسب، بل تعددت الى ميادين اخرى، فقد نال شهرة واسعة في علوم اللغة والادب، فكان حافظا للقرآن، ولاشعار العرب، وقد سمع الحديث النبوي الشريف، وقيل انه كان يحفظ صحيح البخاري كله، فضلا عن حفظه للقران الكريم والشعر.. فثقافته كما يتضح تنوعت بين الطب والادب واللغة والحديث والفقه، لذلك يقال في وصفه:

(الوزير الطبيب الرئيس الاديب الفقيه)[١٠].

وقد اخذ عنه بعض المشاهير مثل ابي علي الشلوبين وابن دحية صاحب (المطرب) وهو من أجل تلاميذه، وكان لابن زهر تصانيف حملها الناس عنه منها (طب العيون) و (الترياق الخمسيني) الذي الفه المنصور الموحدي، وهما في الطب.

اما في الادب فقد اعجب معاصروه بطريقته التي انفرد بها في التوشيح، التي تقوم على البساطة والطبع وعدم التكلف، فحظيت بشهرة كبيرة في المغرب والمشرق على السواء، وكان لابن زهر منتدى ادبي يقصده الادباء تدور فيه المساجلات والمناقشات والاحكام وغير ذلك من

بدرتم شمس ضحى غصن نقا مسك شم
ما اتم ما اوضحى ما اورقا ما انم
لا جرم من لمحا قد عشقا قد حرم

---

٨ - طبقات الاطباء / ٥٢٦ – ٥٢٧

٩ - ينظر: شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلي، المجلد ٢: جزء ٣: دار الكتب العلمية: بيروت / ١٤٨.

١٠ - نفسه / ٢٤.

وهذا يشير الى ان ابن زهر كان موضع التقدير والاجلال من ادباء عصره، فهو امام الصناعة والمقدر فيها، يعتد بآرائه واحكامه. ((اذ ان الموشحات التي نالت استحسانه مثلت وجهة نظره في النموذج الاعلى للموشح متمثلا ببساطة المعاني وعذوبة الالفاظ والسياق المسترسل والموسيقى الهزازة والخرجة الطريفة المباشرة، مما هيأ له زعامة وشاحي عصره، وان يكون صاحب طريقة في التوشيح يقتدي بها كثير من الوشاحين)) [11]، اما سائر شعره التقليدي فان القصائد القليلة التي اثرت عنه لا تسمح لنا باطلاق حكم فني دقيق بشانها.

شيئ عن نشاته وسيرته:

عرف ابي بكر بن زهر الحفيد – بين المؤرخين وارباب التراجم، بانه كان قوي الدين ملازما للامور الشعرية، محبا للخير، ومهيبا، قوي النفس، جريئا سمحا جوادا، فقد كان لوالده اثر كبير في نشاته وتربيته تربية صالحة فقد روي عنه ذلك الكثير في اصحاب التراجم، ولاسيما ابن ابي اصيبعه والمقري.. وتشير احدى الروايات الى ان الاب كان دؤوبا على متابعة جهود ابنه لاسيما في مجالات الادب، فكان يستمع الى ما نظمه من موشحات، وعندما سمع موشحة ابن زهر التي يقول فيها:

(وفداه بابي ثم بي..)

علق عليها بما يشير الى خفة ظله، وميله الى النكتة والنادرة فقال ((يفديه بالعجوز السوء امه، واما انا فلا....! ؟)) وقد نال ابن زهر الحفيد من المكانة المرموقة بين حكام الاندلس ما جعله يتسلم المناصب العالية، مثل رياسة بلدة، وادرك دولة المرابطين واستمر في خدمتهم مع ابيه حتى سقطت دولتهم، فاتصل بالموحدين حتى مات ابوه في خلافة عبد المؤمن بينما ظل هو في خدمة عبد المؤمن وابنائه ابي يغقوب يوسف ثم ابنه يعقوب المنصور، وكان يصحبه في حله وترحاله، وظل على هذا الحال من التقدير، حتى بعد وفاته.

وفاتـــــه:

تتفق معظم التصانيف على ان وفاة ابن زهر الحفيد كانت سنة ٥٩٥هـ، فيما يرى ابن ابي اصيبعة ان وفاته حدثت سنة ٥٩٦ هـ، نتيجة سم دس له في طعامه، بمكيدة دبرها له ابو زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور، حسدا منه بسبب علو منزلته وعظيم علمه [12] وقد خلف بعده ولده ابا محمد عبد الله الذي كانت له مكانة مرموقة لدى الناصر بعد وفاة والده، بسبب منزلته العلمية والادبية، وقد كانت ولادته سنة ٥٧٧هـ في اشبيلية، ووفاته مسموما كابيه سنة ٦٠٢هـ، وقد ولد لابي محمد هذا ولدان: ابو مروان عبد الملك، وابو العلاء محمد، اللذان اعتنيا بصناعة الطب، واقاما في اشبيلية حتى وفاتهما [13].

١١ - انظر: ابن زهر الحفيد / ١٢٢ – ١٢٣.
١٢ - انظر: طبقات الاطباء / ٥٢٤.
١٣ - نفسه / ٥٢٨

الفصل الثاني: موشحاته: نشاتها وموضوعاتها

الموشحات كما عرفها الدكتور محمد مهدي البصير – " ضرب من الكلام المنظوم تتعدد اوزانه وتتنوع قوافيه تبعا لرغبة قائله وقدرته على التصرف في افانين الكلام " [١٤]. ولم يثبت على وجه التحقيق كيف نشات الموشحات، ومن هو اول من نظمها، ومتى استقرت على قواعدها وما عدد اوزانها، فالباحثون على خلاف في هذا الامر، فمنهم من ينسب اقدم موشح الى ابن المعتز في المشرق في القرن الثالث للهجرة، وهو موشح (ايها الساقي اليك المشتكى) [١٥] ومنه من ينسبه الى المغرب، فيجعل الموشح نفسه لابن زهر، وان اول من ابتدع الموشح هو مقدم بن معاقى القبري شاعر الامير عبد الله بن محمد المرواني في الاندلس، فقد ذكر ذلك ابن خلدون في قوله " واما اهل الاندلس، فاستحدث المتناظرون منهم فنا سموه الموشح " [١٦] وقد اكد نسبة موشحة (ايها الساقي) لابن زهر تلميذه "بن دحية وابن سعيد وابن الخطيب والصفدي وياقوت الحموي وابن ابي اصيبعة والنواجي " [١٧] وعلى اية حال فاننا مع من ذهب الى ان الموشحات نشات متاثرة بالانماط العربية المشرقية كالمسمطات والمخمسات والفنون الشعرية الاخرى كالمواليا والرباعيات والكان وكان.." وساعدت البيئة الاندلسية المنعمة لمجالس الطرب والغناء والموسيقى على تطورها وانتشارها.

ومهما يكن من امر ما يهمنا ان ابن زهر (الحفيد) عد من ابرز الوشاحين في عصره، نظم في معظم اغراضها، فموشحاته – كما يرى مصطفى الشكعة، ((من ارق ما كتب في هذا الفن على الاطلاق، وهو مكثر عددا، متنوع فنا وموضوعا، مبدع صوغا ومعنى)) [١٨]، ولاسيما الغزل الذي استاثر بمعظم موشحاته، مما يدل على ابتعاده عن التكسب، وانما جاء استجابة لطبعه وتعبيرا عن احساسه، بعيدا عن التكلف والتعقيد مؤثرا السهولة والوضوح وايراد الايقاعات الغنائية الخالصة. ((وقد كان مقتدرا، ذا سلطان عليها، يستدعي معانيها فتجيبه، ويدعو قوافيها فتنقاد اليه، وكثيرا ما كان يمزج ما بين الاغراض، ولاسيما الغزل والخمريات والطبيعة، فيرق ويفتن)) [١٩] مثل قوله:

شاب مسكَ الليل كافورُ الصباح ووشت بالروض أعراف الرياح

❖ ❖ ❖

فاسقنيهـا قبـل نـور الفلـق
وغنـــاء الـورق بين الـورق
كاحمرار الشمس عند الشفق

ويتسم غزله بالطابع العذري مرددا معانيه الوجدانية العميقة، فيقول:

---

١٤ - الموشح في الاندلس وفي المشرق: د. محمد مهدي البصير: مطبعة المعارف: بغداد، سنة ١٩٤٨ / ٨.
١٥ - فن التقطيع الشعري: ىد. صفاء خلوصي: بيروت: ١٩٦١ / ٣٠٢ – ٣٠٣.
١٦ - مقدمة ابن خلدون: ط بولاق /.
١٧ - ابن زهر الحفيد / ٤١ – ٤٢.
١٨ - الادب الاندلسي، موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة: دار العلم للملايين: بيروت: ١٩٧٥ / ط٣ / ٤١٧.
١٩ - نفسه / ٤١٩ – ٤٢٠.

هـام قلبـي في معذبـه
وانا اشكــو لمطلبــه
وان كتمت الحب مت به
واذا ما صحـتُ واكبـدا فرح الاعداءُ وانتقدوا

ويكثر ابن زهر من الرموز والصور والاشارات والالفاظ المتصلة بمهنة الطب، كقوله:
قلب قريح وفي الفؤاد كلوم ابدا تدمي

وثمة ظاهرة اخرى في غزله وهي تضمينه معانيَ الحكمة والامثال، لتكون قريبة من الناس وتفكيرهم ولغتهم المالوفة، ولا سيما في المطالع، كقوله:
مسلم الامر للقضا فهو للنفس انفعُ

- اما خمرياته، فقد اتسمت بالرقة والعذوبة، وان كانت ممزوجة مع غيرها من الاغراض، وبخاصة الغزل والطبيعة، كما مر بنا في موشحة:
(شابَ مسكَ الليل كافورُ الصباح). او قوله:
يا مــــن تعاطينـــا الكؤوس على اوكاره
وقضـــى علـــى قلبي فلـــم ياخـــذ بثـــاره
واقر احكـــام، القصـــاص على اختياره
ان أقل حسبـــي فالجور تاباه الطباع [٢٠]

ولعل من اجمل موشحات الخمر واشهرها موشحة ابن زهر، التي يتغزل بها بالساقي ويصفه وصفا بديعا يدل على مهارة واقتدار، مما جعلها تحضى بشهرة واسعة تناقلتها الاجيال، حيث يقول فيها:
ايها الساقي اليك المشتكى كم دعوناك وان لم تسمع

❖ ❖ ❖

نديـــم همـت في غرتـه
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرتـه
جذب الزق اليه واشتكى وسقاني اربعا في اربع

- وتاتي الطبيعة في موشحاته حافلة بالجمال والمعاني الشفافة، بتلقائية ممتعة، مما يؤكد ((ان ابن زهر فتح بموشحاته باب الطبيعة لغيره من الوشاحين، كما بدت عليه موشحته السابقة))
(شاب مسك الليل كافور الصباح ووشت بالروض اعراف الرياح)[٢١]

٢٠ - ابن زهر الحفيد / ٦٢ – ٦٤.

وله كذلك موشحات قليلة خص بها الامراء، اتسمت بالصدق والابتعاد عن التكسب، وانما جاءت اعترافا بحسن الصنيع، منها قوله في مدح الامير ابي حفص الموحدي:

يـابن الناصـر المنـصور ... يـابن المجـد اجمـع
انـت الامـن للمذعـور ... ممـا يتوقـع
فكـم جـذل مـسرور ... يقـول ويـسمع
ابـو حفـص هـ سلطـاني ... الله يحـرز لـي
هـ آمنـي هـ اغانـي ... هـ بلغـن سولـي

• اما موضوعات شعره التقليدي، فعلى الرغم من قلة قصائده ومقطوعاته في هذا الضرب – على اجادته فيه – فقد تنوعت اغراضها بين الغزل والخمريات وموضوعات اخرى، منها قوله يتغزل من (الكامل):

يامـن يذكرنـي بعهـد احبتـي ... طـاب الحـديث بـذكرهم ويطيـب
معـد الحديث علي من جنباتـه ... ان الحـديث عـن الحبيـب حبيـب
ملأ الضلوع وفاض عن احنائها ... قلـب اذا ذكـر الحبيـب يـذوب
مـا زال يضـرب خافقـا بجناحه ... ياليـت شـعري هـل تطـير قلـوب

وينطوي غزله على بعض الجوانب الحسية، وهو يمزج بين الغزل والخمرة – كما فعل في موشحاته – فها هو يقول من (البسيط):

ولي حبيب مليح الدل ذو غنج ... حلـو الشمـائل ما في لثمـه بـاس
فـان تعـذر او عزت مطالبـه ... فالكـاس والكـيس وسـواس وخنـاس

ويتسم شعره الذاتي بالرقة ومسحة من الحكمة، لاسيما في مرحلة شيخوخته فنراه يصف حاله والشيب قد غزا راسه ((ومدى تاثير فكرة الصيرورة والتحول القديمة فيه))[٢٢]:

انـي نظـرت الى المـرآة اذ جليـت ... فانكـرت مقلتـاي كـل مـا راتـا
رايـت فيهـا شـييخا لـست اعرفـه ... وكنـت اعـرف فيهـا قبـل ذاك فتـى
فقلـت ايـن الـذي مثواه كـان هنـا ؟ ... متـى ترحـل عـن هـذا المكـان ؟ متـى ؟
استجهلتني وقالـت لـي ومـا نطقـت ... قـد كـان ذاك وهـذا بعـد ذاك اتـى
هـون عليـك فهـذا لابقـاء لـه ... امـا تـرى العشـب يفنـى بعدما نبتا

ومهما يكن من امر فان قليل شعره التقليدي كان – كما ذهبنا في موشحاته – سلسا رقيقا شجي الايقاع، معبرا عن احساسه المرهف ومشاعره الصادقة. وان شاب بعضه طابع التصنع احيانا.

---

٢١ - الادب الاندلسي / ٤٢٠.
٢٢ - ابن زهر الحفيد الاندلسي: د. محمد مجيد السعيد: مجلة المورد: عدد ٢ لسنة ١٩٨٠ / ١٨.

الفصل الثالث: دراسة فنية

الموشحات فن طريف من فنون القافية، وكان له دور كبير في تاريخ الادب العربي، ولاسيما في الاندلس، وهو – كما عرفه ابن سناء الملك – كلام منظوم على وزن مخصوص، يتالف في الاكثر من ستة اقفال وخمسة ابيات، ويقال له التام، وفي الاقل من خمسة اقفال وخمسة ابيات ويقال له (الاقرع).. وقد سمي هذا الفن بالموشح لما فيه من ترصيع وتزيين وتناظر وصنعة، فكانهم شبهوه بوشاح المراة المرصع باللؤلؤ والجوهر[٢٣] فالموشح إذن بناء هندسي له قوانينه الخاصة، فهو يبدا بالمطلع اذا كان تاما، يليه الدور الذي يتالف من عدة اجزاء متخذة الوزن والقافية وعدد الاجزاء، وتتوالى بعد ذلك الادوار والاقفال حتى تصل الى الخرجة في ختام الموشح، الذي يتالف في الغالب من خمسة ابيات.. و (البيت) في مصطلح الموشح غيره في القصيدة التقليدية، فهو في الموشح يتكون من الدور والقفل، ويسمى (البيت الدوري).

❖- **البنية:** وفي موشحات ابن زهر الحفيد تتنوع انماط البنية، فقد تاتي في ابسط انواعها من غير ترصيع، وقد ياتي بالدور مزدوجا مصرعا، وكثيرا ما يستخدم الترصيع في الاقفال والادوار، فضلا عن استخدامه (التضمين) في بنائها، والذي يحقق من خلالها الترابط والتلاحم والانسجام بين اجزاء الموشحة، او من خلال تعليق القوافي حتى لا يستقل جزء بمعناه، ويجذب انتباه الناس او السامع اليه، مثل قوله:

ياطلعة الشمس اما جعلت ... أصـــلحت ذاك الخلقـــا
قربـــــي حلمـــــا ... هيجـت جـسمي حرقـا
ولـــم نعـــرج كلمـــا ... جئتـك اشـكو الارقـــا
وقـــام للوجـــد دليـــل ... بالـــسر مـــني اخـــبرك
اخـــذت في قتـــل بـــري ... ولـــم تـــحقق نظـــرك

❖- **اللغة:** اما لغة موشحاته، فتتميز بالرقة والبساطة وعدم التكلف بما يجعلها قريبة من لغة الكلام ومنثورة... وهي مطالب اساسية للمغنين، كقوله:

يافؤادي عزاء كلما الله شاء هل ترد القضاء فلتول الدعاء
ان يرد القطار فيعود المزار

وكثيرا ماكان يسكن اواخر الكلمات في الفقرة لتلائم الغناء، كما ظهر في المثال السابق، وكان يكثر من استخدام الاساليب الانشائية مثل حروف الاستفهام وصيغ النداء، كقوله:

(يامن يطيل من الصدود كفاكا استمع مني..)

---

٢٣ - ينظر: في الادب الاندلسي: د. جودت الركابي: دار المعارف بمصر: ١٩٧٥ / ٢٩٣.

❖- **الصور الفنية:** اما صوره الفنية، فتشكل عنصرا اساسيا في شعره، فهي تخضع لتلك السمات العامة التي تتنيز بها مدرسته المتمثلة بالبساطة والوضوح، مع اقتران بالخيال الخصب، وكثيرا مايستعين بعنصر الحركة في رسم لوحاته، فتاتي الصور نابضة بالحياة كهذه الصورة:

مقلة جادت بما ملكت
عرفت ذل الهوى فبكت
وشكت مما بها ورثت
وفؤادي هام ابدا ما عليه للسلو يد

لقد استحالت اعضاء الجسد الى شخوص متحركة متحدثة، ومن بين صوره الفنية البسيطة الشائعة ما يعرف بتراكم التشبيهات، كقوله:

يوسفي الحسن عذب المبتسم
قمري الوجه ليلي اللمم
عنتري الباس علوي الهمم
غصني القد مهضوم الوشاح
ما دري الوصل طائي السماح

وبهذا السياق كان ابن زهر ينوع في طبيعة صوره المتخيلة، فيضمنها تراكيبه اللغوية السهلة الواضحة، مما اخفق غيره من الوشاحين.

❖- **الوزن:** وقد اشتملت موشحات ابن زهر على نوعين من العروض:

الاولى: ما يجري على الاوزان الخليلية التقليدية دون تغيير او حذف او اضافة كموشح:

(ايها الساقي اليك المشتكى)، فهو من بحر (الرمل): (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) مكرر، وقد تتنوع لديه مظاهر التجديد في الاوزان، فيعتمد الى التجزئة في الوزن، كما فعل في موشحته:

لأتبعن الهوى الى اقاصيه
حتى يقول فريق رقت حواشيه

فقد جزأ تفعيلات بحر البسيط، فجاءت (مستفعلن مستفعلن × مستفعلن مستفعلن)

وتتغير صور المنشرح في موشحته:

هات ابنة الطيب × واشرب

فياتي وزنها على هذا النحو:

(مستفعلن مفعو × لات فع)

وقد يستعمل الوزن مقلوبا، مثل قوله من مقلوب البسيط، مع الحذف:

صادني و / لم يدر ما / صادا

فجاء وزن الدور: (فاعلات مستفعلن فعلن)

فهو كما نلاحظه يعنى كثيرا بموسيقى شعره، وتطوير اوزانه وتطويعها للغناء، بما لم يدعها تخرج عن اطار العروض العربي.

❖- اما (الخرجة) التي تشكل الجزء الاخير من الموشح، فتتاثر باهتمام ابن زهر، اذ كثيرا ما يوردها عامية كما درج عليه الوشاح، توخيا لمبدئه في البساطة والوضوح والاقتراب من الكلام العادي، والتي غالبا ما تكون ماخوذة من اغان شائعة مثل:

(رد السلام يا صبي بالنبي) او
(رب يا رب هذا الحبيب اجمعني ماع) [٢٤]

وهي كما نلاحظها بارعة في الصياغة على الرغم من بساطتها ووضوحها وارتباطها بمنثور الكلام العادي [٢٥] ((ولا سيما عندما ياتي بها ساكنة))

❖- انموذج: وهذا انموذج من موشحاته من مقلوب البسيط، ذي الخرجة العامية، ودوره: (فاعلاتن مستفعلن فعلن) [٢٦]

١) صادني ولم يدر ما صادا
شادن سبي الليث فانقادا
واستخف بالبدر او كادا
ياله قد ضم بالغصن ازراه
وبالحقف زناره

❖ ❖ ❖

٢) لو اجاز حكمي عليه
لاقترحت تقبيل نعليه
لا اقول الثم خديه
انا من يعظم والله مقداره
ويلزم اكباره

❖ ❖ ❖

٣) ياسماك حسبك او حسبي
قد قضيت في حبكم نحبي
واحتسبت نفسي في الحب
انها نفسي لذا الحب مختاره
وبالسوء امارة

٢٤ - ينظر: ابن زهر الحفيد: ١٠١ — ١٠٥.
٢٥ - ينظر: ابن زهر الحفيد الاندلسي / ٢٣.
٢٦ - ابن زهر الحفيد: / ١٧٣.

❖ ❖ ❖

٤) عارض الفـؤاد باشجـانـه
ومضى على حكم سلطانه
فانبريت في بعض اوطانه
تارة اقبل في الترب اثاره
واندبه تاره

❖ ❖ ❖

٥) أيهـــا المـدل بـاجفـانـــه
كـم وفيت والغـدر من شـأنه
واقـول في بـعض هجرانـه
وعليش حبيب قطعت الزيارة
وعينيك سحارة

❖ ❖ ❖

الخاتمة:

في الصفحات المتقدمة طالعتنا سيرة حياة شخصية اندلسية بارزة، عرفت بين المصنفين والباحثين بزعامتها في مجالي الطب والادب، ولا سيما الموشحات، فقد كان ابن زهر الحفيد المتوفي سنة ٥٩٦هـ طبيبا ماهرا كأسلافه من بني زهر، استمد منهم علمه وخبرته واشتغل بالادب فكانت له اليد الطولى، اذ اتسمت موشحاته بالسلاسة والوضوح والايقاع الجميل، معبرة عن معاني وجدانية شفافة تتصل ببيئة الاندلس وطبيعتها الفاتنة، من خلال صور فنية متخيلة تنبض بالحيوية والحركة، مستخدما لذلك قدراته البارعة في التشخيص والتسليم، فجاءت محببة الى النفس، باعثة على التامل والاعجاب.

وقد توزعت اغراضه بين الغزل والخمرة والطبيعة، والحكمة احيانا، غير انه دأب على المزج بينهما، مما جعل موشحاته غنية بالمعاني والصور المتنوعة، اثيرة لدى المتذوقين من العامة، تتداول السنة المغنين في مجالس الطرب.

اخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في نقل صورة متواضعة عن تلك الشخصية المهمة، املا ان اجد لدى القارئ الكريم العذرعما رافق هذه الدراسة المتواضعة من قصور غير متعمد.. والله المستعان على بلوغ الصواب.

انه سميع الدعاء..

اهم المصادر والمراجع

١. الادب الاندلسي: موضوعاته وفنونه: د. مصطفى الشكعة: دار العلم / بيروت، طبعة ٣ / ١٩٧٥.

٢. ابن زهر الحفيد: وشاح الاندلس: د. فوزي سعيد عيسى: منشأة دار المعارف بالاسكندرية / ١٩٨٣.
٣. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: ابن بسام: تحقيق د. احسان عباس: بيروت / ١٩٧٩.
٤. شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي: مجلد ٢ ج ٣: دار الكتب العلمية: بيروت / بدون تأريخ.
٥. فن التقطيع الشعري: د. صفاء خلوصي: بيروت / ١٩٦١م.
٦. في الادب الاندلسي: د. جودت الركابي: دار المعارف بمصر / ١٩٧٥.
٧. معجم الادباء: ياقوت الحموي: دار المشرق: بيروت: لبنان / بدون تأريخ.
٨. نفح الطيب: المقري: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد: القاهرة / ١٣٦٧هـ.

الدراسات:

ابن زهر الحفيد الاندلسي: د. محمد مجيد السعيد: مجلة المورد العراقية: عدد ٢ لسنة ١٩٨٠.

القرآنيـة

في علويَّات الشيخ صالح الكوَّاز الحلي

أ. م. د علي كاظم المصلاوي

م. كريمة نوماس المدني

جامعة كربلاء – كلية التربية – قسم اللغة العربية

القرآنيـة في علويّات الشيخ صالح الكوّاز الحلي

أ. م. د علي كاظم المصلاوي
م. كريمة نوماس المدني

خلاصة البحث

القرآنية: - هي آلية من ألآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى و الأنساق، بنية و إيقاعا"، بحسب سياق القرآن الكريم.

و مثلت (علويات) الشيخ صالح الكواز الحلي و هي قصائده في رثاء الحسين بن علي و بقية الشهداء عليهم السلام منعطفا" مهما" في توظيف الشاعر لآي القرآن الكريم، فهو يربط بين النصوص القرآنية إحداثا" و شخوصا و قصصا" و بين ما جرى في واقعة ألطف الأليمة بصورة تدعو الى العجاب و التأمل من لدن المتلقي. و أخرج البحث على تمهيد و مبحثين. تضمن التمهيد نقطتين الولي، تعريف بالشاعر و منزلته الأدبية، إما الثانية فتناولت مفهوم القرآنية و أسباب اجتراحه و تبنيه.

إما المبحث الأول معنون ب (البنائية القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي) و أوضحنا في طبيعة توظيف الشاعر للقرآنية و اثر ذلك في بناء القصيدة عنده.

أما المبحث الثاني فتناولنا فيه التقنيات القرآنية في العلويات و كانت تقنيتين الأولى: - القرآنية المباشرة الغير محورة، و الثانية: - القرآنية المباشرة المحورة. و اشفع المبحثان بخاتمة ضمت ابرز النتائج التي توصل إليها البحث.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي نزَّل القرآن على عبده هدىً ورحمةً للعالمين، والصلاة والسلام على المبعوث والمخصوص بذلك الهدى، وبتلك الرحمة ؛ محمد الصادق الأمين، وعلى من تركهم

حملة لذلك الهدى ولتلك الرحمة ؛ أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى المستقبلين لذلك الهدى ولتلك الرحمة ؛ صحبه الأبرار المنتجبين، ومن تبعهم إلى يوم الدين... وبعد:

يعدُّ القرآن الكريم مرجعاً مهماً من مرجعيات الشاعر بصورة عامة، يلجأ إليه ليتزوَّد منه كثيراً من تقنيات الأسلوب والصورة والألفاظ، ومن ثمَّ فإنَّ ظهور القرآن في النصوص الإبداعيَّة، وتغلغله فيها أمرٌ يكاد لا يستثنى منه أي ديوان شعر عربي، منذ نزوله حتى الآن مع اختلاف نسبة تكثيفه في هذا الديوان أو ذاك.

وهذا الأمر ساعد المتلقي على تفهّم خلفيَّة النص المرسَل ؛ بوصف القرآن مرجعاً عاماً للمسلمين، وأتاح للشاعر تشكيل صورة منه بما يتوافق وتلك الخلفيَّة، مع احترازه من تجاوز المتلقي أو المرجع نفسه، وبما يحقق الإبداع وإشراك المتلقي في اتساع أبعاد النص المنتج.

ومثَّلت (علويات)[1] الشيخ صالح الكواز الحلي، وهي قصائده في رثاء الحسين بن علي، وبقيَّة الشهداء عليهم السلام [2] منعطفاً مهماً في توظيف الشاعر لآي القرآن الكريم بما يجلب انتباه المتلقي، ويثير فيه الإعجاب والتأمل، فقد كانت القرآنية مهيمنة على نصوصه، مستغلاً إياها في تشكيل صوره، وتحريكها بفعالية عالية، فهو يربط بين النصوص القرآنية أحداثاً وشخوصاً وقصصاً، وما جرى في واقعة الطف الأليمة، وهذه السمة وما شابهها من التضمينات الأخرى رصدها جامع ديوانه الشيخ محمد علي اليعقوبي، حين وصفه بقوله: " نجده يمتاز على شعر غيره ممن عاصره أو تقدَّم عليه أو تأخر عنه فيما أودعه من التلميح بل التصريح على الأغلب إلى حوادث تاريخية وقصص نبويَّة وأمثال سائرة ليتخلَّص منها إلى فاجعة الطف مما يحوج القارئ إلى الإلمام بكثير من القضايا والوقائع ومراجعة الكتب التاريخية، .."[3].

وكان الاتكاء على القرآن الكريم أحداثاً وشخوصاً وقصصاً هو الأبرز من حيث التوظيف، والأوضح الذي عمد إليه الشاعر في علوياته، وجاء البحث ليكشف عن أبعاد هذه الظاهرة في ضوء خطة كانت ثوابتها متكونة من تمهيد تناولنا فيه نقطتين، الأولى: تعريف موجز بحياة الشاعر صالح الكواز الحلي ومنزلته الأدبية، والثانية: تناولنا فيها مفهوم القرآنية وأسباب تبنيه دون غيره من الاصطلاحات القريبة إليه كـ(أثر القرآن) أو (التناص القرآني)، وأعقب التمهيد مبحثان، تضمن المبحث الأول البنائية القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي، وأوضحنا فيه طبيعة توظيف الشاعر القرآنية على مستوى القصيدة وأثرها في بنائها الفني.

أما الثاني فتناولنا فيه التقنيات القرآنية في العلويات، وكانت تقنيتين، الأولى: القرآنية المباشرة غير المحورة، والثانية: القرآنية المباشرة المحورة[4].

وأشفع المبحثان بخاتمة ضمَّت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

وأخيراً نحمد الله على توفيقه لاختيار هذا البحث، وإعانتنا لإتمامه على خير وجهة ارتأيناها، واستطعنا إنجازها، وحسبنا اننا بشر قاصرون (وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم).

التمهيد:

١ـ شيء من حياة الشيخ صالح الكواز الحلي ومنزلته الأدبية:

الكواز هو أبو المهدي صالح بن مهدي بن حمزة آل نوح من قبيلة الخضيرات إحدى عشائر شمَّر المعروفة في نجد والعراق[٥]، وشهرته بالكواز لأنها كانت مهنة أبيه، إذ كان يعتاش على بيع الكيزان والجرار والأواني الخزفية[٦]، وكانت ولادته في الحلة سنة ١٢٣٣هـ الموافق ١٨٤٦ م[٧]، ونشأ فيها وترعرع لذلك لقب بالحلي.

اشتهر صالح الكواز بتدينه، وما تبع ذلك من ورع وتقوى وعبادة، حتى إنه كان يقيم الجماعة في أحد مساجد الحلة مع وثوق الناس بالائتمام به[٨]، مما يعني ذلك السمعة الطيبة والأخلاق الإسلامية التي تمتع بها أهَّلته لأن يكون رجل دين بارز فضلاً عن كونه شاعراً ملتزماً بخطه الإسلامي.

أما ثقافته فتخبرنا المصادر أنه على جانب عظيم من الفضل والتضلع في علمي النحو والأدب[٩]، فقد درس علوم العربية والشريعة الإسلامية على يد الشيخ علي العذاري والشيخ حسن الفلوجي والسيد مهدي داود[١٠]، ومن أشهر أساتذته أيضاً السيد مهدي القزويني الذي له مدائح فيه[١١]، وفضلاً عن ذلك فإن المطالع في ديوانه يلمس ثقافة واضطلاعا غير قليل على علوم العربية والتاريخ والمنطق والفقه والعقائد بشكل واضح، ولعلَّ هذه العلوم كانت من مستكملات رجل الدين والأدب وبخاصة إذا عرفنا عنه الضيق المادي الذي نعزوه ليس فقط إلى نفسه الأبيَّة وتعففه عما في أيدي الناس[١٢] وإنما إلى انشغاله بالتعلم وربما التعليم أيضاً وهذا واقع عقلاً ومقبول منطقاً من حيث استعمال المساجد للتدريس وتعليم وهو أمر معروف في تلك الحقبة التي عاشها الشاعر، ومن ثمَّ فإنَّ ما ذهب إليه صاحب كتاب أعيان الشيعة من أن الشيخ صالح كأخيه الشيخ حمادي سليقي النظم يقول فيعرب ولا معرفة له بالنحو[١٣] لا أساس لها من الصحة، وربما اختلط عليه الأمر فوصف الأخوين بوصف واحد[١٤].

وإذا ما نظرنا إلى ما قاله معاصره السيد حيدر الحلي رجل الدين والأدب في حقه لتبين لنا منزلة شاعرنا وما كان يتمتع به من مواهب وإبداع، فقد قال عنه في تصديره إحدى قصائد المترجم في كتابه (دمية القصر) المخطوط ما نصه: " أطول الشعراء باعاً في الشعر وأثقبهم فكراً في انتقاء لئالي النظم والنثر خطيب مجمعة الأدباء والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء "، وقال عنه أيضاً في الكتاب المذكور وهو في صدر التقديم لإحدى قصائده: " فريد الدهر وواحد العصر الذي سجدت لعظيم بلاغته جباه أقلامه واعترفت بفصاحته فضلاء عصره وأيامه وفاق بترصيع نظامه وتطريز كلامه أرباب الأدب من ذوي الرتب ومن راية في النظم على كل راي أديب راجح الشيخ صالح الحلي "[١٥].

والذي نستشفه من هذا الإطراء الكبير أموراً عدَّة أهمها تقدم الشيخ صالح الكواز الحلي على شعراء زمانه بما امتلك من إمكانيات فنية ولغوية تمتع بها شعره مما أهله لأن يكون فريد دهره وواحد عصره، والأمر الآخر هو اعتراف أهل زمانه ليس بشاعريته فحسب وإنما بخطابته وفصاحته وتقدمه في هذا المضمار أيضاً، ولعلَّ هذه الأمور أو الأوصاف لا تنطبق على شخصيَّة أميَّة بقدر ما تنطبق على شخصيَّة لامعة بالشعر والخطابة ومشهورة بالعلم والفضل.

ومهما يكن من أمر فإن للمترجم صلات مع باقي شعراء عصره البارزين من أمثال السيد حيدر الحلي وعبد الباقي العمري وعبد الغفار الأخرس فضلاً عن اشتهار قصائده وبخاصة (العلويات) في المحافل الحسينية وإنشاد الخطباء لها في المناسبات الدينية، وكانت منابر بغداد والحلة والنجف وكربلاء والبصرة تصدح بها[١٦].

وكان الشاعر معدوداً من المكثرين، إلا أنَّ ديوانه لم يصل إلينا، والذي بقي منه جمعه الشيخ محمد علي اليعقوبي وأصدره في ديوانٍ وسمه بـ (ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي)، وقد وقع في ألف وخمسمائة بيت شعري، فضلاً عن قيامه بترجمة وافية له[١٧].

أما وفاته – رحمه الله – فأشارت المصادر إلى أنها في سنة ١٢٩١هـ وقيل ١٢٩٠ هـ الموافق ١٩٠٣ م في الحلة، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن هناك[١٨]، وأقيم له مجلس عزاء مهيب يليق بهذه الشخصية الحسينية ورثاه جمع من شعراء عصره كان في مقدمتهم السيد حيدر الحلي الذي رثاه بقصيدة طويلة ملؤها الأسى والتأسف لفقده، وأشاد فيها بالسيرة الحسنة والأخلاق الحميدة مع إشادته بحسن شعره واشتهاره فنراه يقول[١٩]:

ثكل أم القريض فيك عظيم ... ولأم الصلاح أعظم ثكلا
قد لعمري أفنيت عمرك نسكا ... وشحنت الزمان فرضاً ونفلاً
إن تعش عاطلاً فكم لك نظم ... بات جيد الزمان فيه محلى
ولك السائرات شرقاً وغرباً ... جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا
كم قرعن الأسماع بيتاً فبيتاً ... فأفضن العيون سجلاً فسجلا

وهكذا نتبين منزلة الشيخ صالح الكواز الحلي الأخلاقية والدينية والمنزلة الشعرية المرموقة التي نالها في عصره، وأشاد بها معاصروه، فكان بحق " رجل المبدأ والعقيدة في حياته وشعره "[٢٠].

٢ـ مفهوم القرآنيـــة:

من المفاهيم الإجرائية الجديدة على الساحة النقدية مفهوم (القرآنية)، وقد اجترحه أحد الباحثين الأجلاء[٢١]، وعرَّفه بقوله: " آلية من الآليات التي يتوسل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤى والأنساق، بنية وإيقاعاً، بحسب سياق القرآن الكريم "[٢٢]

وجاء اجتراحه هذا بعد أن وجد فيه دلالة أوفى من غيره من المصطلحات النقدية المستعملة التي من أبرزها وأشهرها (أثر القرآن)، وكذلك مصطلح (التناص القرآني)، فقد اعترض على الأول بقوله: " سعى نقادنا القدامى وجملة من النقاد المحدثين إلى تمييز الأخذ من القرآن الكريم والإفادة منه بمصطلحات تدل عليه، كما اختلف القدامى في تلك الاصطلاحات، فبعضهم ميَّزه بـ (الاقتباس) أو (التضمين) في حين أدخله بعضهم في خانة (السرقة) كـ (أبي محمد عبد الله بن يحيى المعروف بابن كناسة ت ٢٠٧ هـ) الذي ألَّف كتاباً بعنوان (سرقات الكميت من القرآن وغيره)[٢٣]، وجرياً على ذاتية التمييز تلك سعينا لاجتراح مصطلح (القرآنية) لتمييز عملية الأخذ والإفادة من القرآن من سواها "[٢٤].

وهذا الأمر واضح من تعريف البلاغيين، فقولهم في الاقتباس بأنه " تضمين الكلام نظماً كان أم نثراً شيئاً من القرآن والحديث لا على أنه منه، أي على طريقة أن ذلك الشيء من القرآن والحديث، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه، كما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا "[٢٥].

ومن خلال التعريف يتضح تداخل أمرين، الأول: الاقتباس والتضمين، والثاني: جعل الحديث النبوي اقتباساً أو تضميناً متداخلاً مع القرآن الكريم، وهذا ما حاول الباحث الابتعاد عنه باجتراحه مصطلح القرآنية ذي الخصوصية الواضحة من لفظ المصطلح.

أما فيما يتعلق بابن كناسة، وجعله الأخذ من القرآن سرقة يعاب عليها الشاعر، فهذه مسألة نادرة في هذا الباب، ولعلَّ مرجعها موقف فقهي ديني، فإننا نجد من العلماء أو الفقهاء من أباحه (أي الاقتباس)، وقيَّده بعض منهم، وكرَّهه ثالث، وحرمه آخر، وقد " اشتهر عن المالكيَّة تحريمه وتشديد النكير على فاعله "[٢٦]، ولعلَّ هذا الأمر وراء تسمية ابن كناسة الاقتباس والتضمين القرآني بالسرقة، فالسرقة تعني الأخذ على اختلاف وجوهه من القبول أو الرفض أو الاستهجان أو الطعن وغيرها.

أما اعتراضه على المصطلح الآخر وهو (التناص القرآني) فعلله بقوله: " يدل مصطلح (التناص) على ثنائية مفاهيمية من جهة (الآخذ والمأخوذ)، الأمر الذي يحدث لبساً عند بعض المتلقين لو أضفناه إلى القرآن، إذ يدلل على أن المأخوذ هو القرآن، كما يصح أن يكون الآخذ أيضاً، ولاستحالة الاتفاق مع الفرض الثاني، أعرضنا عن هذا الاصطلاح، وأن نستبدل به مصطلحاً جديداً "[٢٧].

إنَّ هذه الفروق الدقيقة في استعمال المصطلح أو ذاك هي بلا شك وليدة العلمية الصارمة والبحث المعمق في فهم تلك الاصطلاحات، وبيان الفوارق الدلالية فيما بينها، نعم إنَّ إطلاق المصطلح مهم، ولكن الأهم منه التطابق الفعلي والحقيقي مع الظاهرة التي أطلق عليها أكثر من غيره، والأهم من ذلك كله استعمال المصطلح في حقله الذي انطلق منه ليأخذ مكانه الطبيعي في الحياة والانتشار، والا تعرض للإهمال والنسيان.

ومن هنا جاء استعمالنا لهذا المصطلح، فضلاً عن آليات تناوله البنائية والتقنية وكيفياتها التي عززها مجترح المصطلح بأنموذج تطبيقي على ما ذهب إليه، ونحن بدورنا انتقينا أنموذجاً آخر يختلف عصراً، ومن ثمَّ يختلف بناء وتقنية، لنعزز به حياة المصطلح وانتشاره من جهة، ويحقق كشفاً جديداً مضافاً لأنموذجنا التطبيقي عليه من جهة أخرى.

المبحث الأول: بنائية (القرآنية) في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي:

لا ريب في أن أي نص إبداعي يحمل في جذوره كثيراً من النصوص الأدبية والمعرفية التي سبقته، أو التي عاصرته مع اختلاف هيمنة أو سيادة هذا النص أو ذاك على نتاجه، مما يعني تأثير ذلك النص على الشاعر واستحضاره في شعوره أكبر وأقوى من النصوص الأخرى.

إنَّ هذه التأثرية تتم عند الشاعر بقصد أو من دون قصد للإفادة مما هو متوافر لديه من مصادر ثقافية متنوعة، تعينه على تشكيل نصه الإبداعي باللغة.

ويعد القرآن الكريم واحداً من أكبر وأهم تلك المصادر التي يتوسل الشاعر بها في صياغة نصه الإبداعي، وإخراجه، مستفيداً منه في الأسلوب والبناء والموضوع والفكرة، ولا ننكر اختلاف الشعراء في طرائق ذلك التوسل فضلاً عن مدى كثافته في النصوص الشعرية.

وإذا ما دققنا النظر في (علويات) الشيخ صالح الكواز الحلي، فإننا نجدها مترعة بالقرآنية، فقد وظَّف الشاعر القرآن في خدمة قضيته الحسينية، وكان ينظر إلى القرآن من خلال قضيته تلك، لذا كانت القرآنية مهيمنة على نصوصه، ومن ثمَّ لم تتنافس معها نصوص إبداعية أخرى، ويبدو أنَّ الشاعر وجد في الحسين عليه السلام وأهل بيته وما جرى عليهم في تلك الواقعة أمراً لا يماثله أو يقارنه إلا ما وجد في القرآن وحواه من نماذج سامية يمكن التمثل بها، وإنَّ هذه القصدية والإلحاح الواضحين عند قراءة العلويات تدفعنا الى القول بان الشاعر كان يرى في الحسين القرآن، وفي القرآن الحسين، ولا غرو ان آمن الشاعر بهذا الاعتقاد وترسخ في ضميره ووجدانه، وبخاصة إذا علمنا مقولة الإمام علي عليه السلام: (أنا القرآن الناطق)[٢٨]، فيتضح لنا أبعاد تعامل الشاعر مع النص القرآني، فالحسين عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقي ليس فقط لأبيه، بل لجده أيضاً[٢٩]، ومن ثم فهو الامتداد الحقيقي أيضاً لرسالة السماء؛ وكذلك آمن الشيعة بأئمتهم الاثني عشر من حيث تمثلهم بالحجج الإلهية على الخلق أجمعين، والقرآن حجة على الخلق أيضاً.

إنَّ رؤية الشيعة والشاعر أحدهم في الحسين عليه السلام وموقفه يوم عاشوراء على أنه موقف قلَّ نظيره إن لم ينعدم في تاريخ الإنسانية، فالذي قدمه الحسين عليه السلام باستشهاده أحيى سنن الإله وشرائعه التي أنزلها على أنبيائه جميعاً، ومن ثمَّ كان الحسين عليه السلام ملخصاً لفحوى ما جاؤوا به، وبعثوا من أجله.

إنَّ هذا الفهم لطبيعة الاعتقاد عند الشاعر تجعلنا لا نستغرب او نتعجب مما جاء في أشعاره، فالشاعر ينطلق من اعتقاد من أول القصيدة ليعود إلى اعتقاد آخر في نهايتها ليستكمل حلقة الالتزام الفكري والعقائدي بصورة شعرية.

وتراوحت تبعاً لذلك كثافة القرآنية من أول القصيدة إلى وسطها ومن ثمَّ نهايتها، ومن تلك العلويات المشحونة بالقرآنية في بدايتها ووسطها وخاتمتها قصيدته التي يبدؤها بقوله [٣٠]:

لي حزن يعقوب لا ينفك ذا لهب ... لصرع نصب عيني لا الدم الكذبِ
وغلمة من بني عدنان أرسلها ... للجد والدها في الحرب لا اللعب
ومعشر راودتهم عن نفوسهم ... بيض الضبا غير بيض الخرد العرب
فانعموا بنفوس لا عديل لها ... حتى أسيلت على الخرصان والقضب
فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل ... أعضاؤها لا إلى القمصان والأهب

لقد استقطب الشاعر انتباه المتلقي منذ انطلاقته النصية حين عمد إلى أخذ عينات موضوعية من سورة يوسف عليه السلام وربطها بصور موضوعية أخرى حدثت في واقعة الطف، وبدأ بتشبيه حزنه بحزن يعقوب على يوسف عليهما السلام، حين جاء أخوته إلى أبيهم على قميصه بدم كذب ليأكدوا مصرعه على يد الذئب، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [٣١]، وهذا المقطع القصصي وظفه الشاعر بصورة لطيفة حين قرنه بنفسه، فحزنه ذو لهب متجدد، وسببه مصرع سالت

به دماء حقيقية وليس كالذي حدث مع يعقوب عليه السلام والجامع بين الصورتين (الحزن)، وعمد في البيت الثاني إلى أخذ عينة أخرى من سورة يوسف، إذ قال:

وغلمة من بني عدنان أرسلها ... للجد والدها في الحرب لا اللعب

وأشار بلفظة (الغلمة) إلى ريعان شبابهم وقوتهم وقد أرسلهم والدهم كناية عن الحسين عليه السلام إلى الحرب لا اللعب، وهذا الحدث قابل إرسال يعقوب عليه السلام ولده يوسف مع إخوته ليرتع ويلعب، وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية على لسان إخوة يوسف مخاطبين أباهم بشأنه: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٣٢].

والمفارقة بين الموقفين، موقف الحسين عليه السلام وإرساله أولاده وإخوانه إلى الحرب، وبين إرسال يعقوب عليه السلام ليوسف وإخوته ليلعبوا ويصطادوا، وشتان ما بين اللعب والحرب، والجامع بين الصورتين (الإرسال).

ثم يعمد في البيت الثالث إلى أخذ عينة أخرى، فقال:

ومعشر راودتهم عن نفوسهم ... بيض الضبا غير بيض الخرد العرب

وهنا يقابل بين أصحاب الحسين عليه السلام ومراودتهم السيوف يوم الطف، وبين مراودة زليخا امرأة العزيز ليوسف عليه السلام، وكادت أن تهمَّ به ويهمَّ بها كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ..﴾ [٣٣] والجامع بين الصورتين (المراودة).

ثم يقول [٣٤]:

فانعموا بنفوس لا عديل لها ... حتى أسيلت على الخرصان والقضب
فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل ... أعضاؤها لا إلى القمصان و الأهب

فهو يشير في البيت الثاني إلى الآية القرآنية من سورة يوسف: ﴿.... إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٣٥]، وهذه الصورة وظفها الشاعر لإظهار شجاعة أصحاب الحسين عليه السلام حين جعل قدَّ أعضائهم ولم يقل قمصانهم أو أهبهم من الإمام مما يدلل على المقابلة الحقيقية للموت وعدم مهابتهم له حتى صرعوا على أرض كربلاء، أما في قصة يوسف عليه السلام فكان قد القميص قضية تعلقت بها براءة يوسف من عدمها، والجامع بين الصورتين (القد).

إنَّ هذا التوظيف للعينات المنتقاة من سورة يوسف عليه السلام من لدن الشاعر كان وراءه أمران:

الأول: استغلال معرفة شريحة كبيرة من المتلقين لهذه القصة بتفاصيلها مما يسهل عملية انتقاء بعض تلك التفاصيل وبخاصة البارز منها.

الثاني: إدراك الشاعر المفارقة الكبيرة بين هذه العينات وما يقابلها من أحداث وقعت في الطف، مما يثير مشاعر المتلقين وأذهانهم، ويخلف صدمة المفارقة بإنتاجه معنى جديداً يمكن أن نطلق عليه

المعنى المعكوس الموازي للنص القرآني، وسواء أكان المتلقي اعتيادي الثقافة أو على قدر كبير منها فإن الشاعر حقق مبتغاه باستعماله ذلك الأسلوب.

ومهما يكن من أمر فإنَّ الشاعر يتبع أبياته المتقدمة بقوله[٣٦]:

كل رأى ضرَّ أيوب فما ركضت ... رجل له غير حوض الكوثر العذب

فهو يلجأ إلى أخذ عينة من قصة أيوب عليه السلام المبثوثة في القرآن ليوظفها في تجسيد مشاعره تجاه الحسين عليه السلام وأصحابه وما جرى لهم في واقعة الطف، فموقف أيوب عليه السلام الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[٣٧]، فأيوب حين مسَّه الشيطان بضر دعا ربَّه ليذهب عنه هذا الضرَّ فاستجاب لدعائه اللهَ تعالى فوفر له مغتسلاً بارداً وشراباً، إن هذا الموقف الحميم لم يكن مع الحسين عليه السلام وأصحابه، فلما أصابهم الضرّ لم يدعوا كما دعا أيوب ليكشف عنهم الضر، وإنما وجدوا في ضرهم هذا تقرباً من الله، وفي سبيله.

ولا ريب في أن هذه العينة المنتقاة من قصة أيوب لربما لم يطَّلع عليها كثير من المتلقين مما يثير في أذهانهم مجموعة من التساؤلات أكثر مما يثار في أنفسهم الإعجاب والتأمل، وبهذا فالنص سيكون بحاجة إلى قارئ متفحص للقصص القرآني الديني ليتمكن من فهم النص والاستمتاع في قراءته.

ثمَّ يأخذ الشاعر عينات قرآنية أخرى، وهذه المرَّة من قصَّة موسى عليه السلام فيوظفها في أحوال الحسين عليه السلام في يوم الطف، فهو يقول[٣٨]:

وآنسين من الهيجاء نار وغى ... في جانب الطف ترمي الشهب بالشهب
فيموهوا وفي الإيمان بيض ضبا ... وما لهم غير نصر الله من إرب
تهش فيها على آساد معركة ... هشَّ الكليم على الأغنام للعشب

فالمقابلة واضحة في البيت الأول مع الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[٣٩]، وشتان ما بين النارين من الاستئناس والتقرب، وشتَّان أيضاً بين هش الكليم على أغنامه وذلك في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[٤٠]، وبين هش الحسين وأصحابه في واقعة الطف بسيوفهم المشهورة على أعدائهم.

ويتبع هذه القرآنية بقرآنية أخرى، فنجده يقول بعد هذه الأبيات[٤١]:

ومبتليـــن بنهـــر مـــا لـــوارده ... مـن الـشهـادة غيـر البعـد والحجـب
فلـــن تبُـــل ولا في غرفـــة أبـــداً ... منـه غليـــل فـواد بالظمـــا عطـــب
حتـى قـضوا فغـدا كـــل بمـصرعه ... سكينـــة وسـط تابـوت مـن الكثـــب

فليبك طالوت حزناً للبقية من قد نال داود فيه أعظم الغلب

فالشاعر يشير إلى قصة طالوت وأصحابه عندما ابتلاهم الله تعالى بنهر، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [٤٢].

فهذه القصة تشابهت أحداثها مع أحداث واقعة الطف من حيث ابتلاء الله للحسين عليه السلام وأصحابه بنهر، والنهر هنا الثبات على العقيدة والتضحية من أجل الدين ونصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا ريب في انهم نصروه وقضوا صرعى وكان كل منهم سكينة وسط تابوت من الكثب، وهذا التشبيه أيضاً كان إحدى علامات طالوت وقدومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [٤٣]، ثمَّ يدعو الشاعر (طالوت) إلى الحزن على البقية من آل محمد والعترة الطاهرة إشارة إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وراح ينظر إلى عماته وأخواته وهنَّ على تلك الحالة بعد قتل الحسين عليه السلام ومن معه، وقد صور الشاعر هذا الأمر بطريقة قرآنية فقال [٤٤]:

يرنو إلى (الناشرات) الدمع طاوية أضلاعهن على جمر من النوب
و (العاديات) من الفسطاط ضابحة و (الموريات) زناد الحزن في لهب
و (المرسلات) من الأجفان عبرتها و (النازعات) برود في يد السلب
و (الذاريات) تراباً فوق أرؤسها حزناً لكل صريع بالعرا ترب

فالألفاظ (العاديات، المرسلات، النازعات، الذاريات) هي أسماء سور قرآنية فضلاً عن (الناشرات، الموريات)[٤٥] التي جاءت في سياق السور ذاتها، وقد جاءت كلها في إطار القسم الإلهي الذي يؤكد أنَّ وعد الله واقع لا محالة في يوم ترجف فيه الراجفة، ولكن الإنسان كنود كافر بنعم الله وبذلك اليوم، ومن هنا نلمح التقارب الدلالي في البنية المعمقة للنص وهو أنَّ الذي حدث مع نساء الوحي والرسالة في واقعة الطف على يد هؤلاء الظالمين لا يمر دون عقاب إلهي، ويوم العقاب الذي ترجف الراجفة فيه واقع بهم لا محالة. على أن من الواضح في البنية السطحية للنص تعامل الشاعر مع هذه الألفاظ بمعناها الظاهري من دون مرجعياتها القرآنية، ولكننا نميل إلى البنية المعمقة، لأنَّ تقنيات الشاعر في الأداء، وبخاصة في تعامله مع المرجعية القرآنية تجعلنا قول ذلك.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ الشاعر ينتقي أنموذجاً نسائياً من واقعة الطف وهو (أم الرضيع) ليقابله بأنموذجين نسائيين من القرآن الكريم؛ وورد الأنموذج الأول إشارياً في القرآن وهو (أم إسماعيل)[٤٦]، أما تفاصيله التي اعتمدها الشاعر فكانت مرجعياتها سنيَّة متمثلة بأحاديث الرسول

محمدﷺ[٤٧]، أما الثاني الذي وردت تفاصيله في القرآن الكريم فكان (أم الكليم)[٤٨] كناية عن (أم موسى)، فنراه يقول[٤٩]:

وربَّ مرضعة منهنَّ قد نظرت ... رضيعها فاحص الرجلين في الترب
تشوط عنه وتأتيه مكابدة ... من حاله و ظماها أعظم الكرب
فقل (بهاجر) (إسماعيل) أحزنها ... متى تشط عنه من حر الظما تؤب
وما حكتها ولا (أم الكليم) أسى ... غداة في اليم ألقته من الطلب

فالشاعر يصف حال النساء الثلاث، وموقفهنَّ من أولادهنَّ ومشاعرهنَّ الحزينة عليهم، ولكن الأحداث تختلف مع كل واحدة منهنَّ، فهو يقول:

هذي إليها ابنها قد عاد مرتضعاً ... وهذه قد سقي بالبارد العذب

فهو يصور النهاية السعيدة للنبيين الوليدين، ولكن الأحداث مع أم الرضيع لم تكن كذلك، فقال مبيناً ذلك:

فأين هاتان ممن قد قضى عطشاً ... رضيعها ونأى عنها ولم يؤب
بل آبَ مذ آبَ مقتولاً ومنتهلاً ... من نحره بدم كالغيث منسكب

ثمَّ يوضح طبيعة المشاركة بينها وبين تلك النساء يقول:

شاركنها بعموم الجنس وانفردت ... عنهنَّ فيما تخص النوع من نسب

فالشاعر يحاول من بداية القصيدة أن يجعل هوَّة دلاليَّة معكوسة بين القرآنية وما جرى في واقعة الطف، وقد نجح في ذلك، وأثار المتلقي فكراً وشعوراً، وأحدث في نفسه صدمة المعنى المعكوس بصورة ملفتة.

ويتخذ صالح الكواز الحلي من الطرح القرآني رمزاً امتدادياً للمعادين لرسالة محمدﷺ المتمثل بـ (حمالة الحطب)، فنراه يقول[٥٠]:

وصبية من بني الزهراء مربقة ... بالحبل بين بني حمالة الحطب

فهؤلاء المعادون للامتداد الرسالي المتمثل بالصبية من بني الزهراء عليهم السلام هم الامتداد لبني حمالة الحطب المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد﴾[٥١].

ثمَّ يشير إلى عمق امتداد الرسالي لبني الزهراء في القرآن الكريم، فنراه يسترسل قائلاً:

ليت الألى أطعموا المسكين قوتهم ... وتاليه و هم في غاية السغب
حتى أتى (هل أتى) في مدح فضلهم ... من الإله لهم في أشرف الكتب

فسورة (الإنسان) التي ابتدأها الله تعالى بقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ...﴾[٥٢] قد نزلت في البيت العلوي، وفيها يطعمون المسكين وتالييه اليتيم والأسير ولم يدخل في جَوفهم طعام قط مدة ثلاثة أيام، فأثابهم الله تعالى على ذلك بإنزاله سورة (الإنسان) أو (هل أتى) في حقهم وبيان إكرامه لهم، فاستغل الشاعر هذا الأمر في بيان ما حلَّ بأولادهم وأحفادهم على يد أعدائهم المتمثلين ببني حمالة الحطب، وبيَّن الفرق الامتداديِ بصورة قرآنية، وهذه الصورة المصطنعة بأسلوب المقارنة تبعث المتلقي على الحزن والبكاء وأيضاً تبعثه على الغضب والثورة على من فعل مثل هذه الأفعال الشنيعة بأهل بيت الرسالة، وقبيل نهاية قصيدته يوضح سبب قتل الحسين عليه السلام ومن معه في واقعة الطف بضرب مثالين قرآنيين، فنراه يقول[٥٣]:

والقاتلين لساداتٍ لهم حسداً ... على علا الشرف الوضاح و الحسب
والفضل آفة أهليَّة ويوسف في ... غيابة الجب لولا الفضل لم يغب
وصفوة الله لم يسجد له حسداً ... إبليس لمّا رأى من أشرف الرتب

فالسبب الحسد الذي أضمره هؤلاء للحسين عليه السلام لما امتلك من فضل منَّ الله به عليه كما منَّ على يوسف عليه السلام وصفوة الله كناية عن آدم عليه السلام، فكان دليله دامغاً وحجة منطقية مستوحاة من القرآن الكريم، ولا ريب في ان هذين المثالين معروفان لدى المتلقي، فاستغلَّ الشاعر هذا الأمر في إتيانه دليلاً على ما ذهب إليه ؛ وفي ختام قصيدته يخاطب سادته من بني الهادي متوسلاً بهم بقوله[٥٤]:

يا سادتي يا بني الهادي ومن لهم ... بثي وحزني إذا ما ضاق دهري بي

ثمَّ يتسلسل في دعائه وتوسله وبيان منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى، وهذه الرؤى ذات مرجعيات سنيَّة (أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأفعاله) فضلاً عمّا أثر من أحاديث الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وتؤكد علو شأنهم ومنزلتهم السامية عند الله تعالى، وكلامه المتقدم مستوحى من قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥٥].

وهكذا يتضح اعتماد الشاعر في بناء قصيدته على القرآنية من بداية قصيدته حتى نهايتها مما ينبئ عن وعي وقصدية بهذه البنائية، فضلاً عن تنوع استثماره القرآني فوجدنا النص الموازي المعاكس للنص القرآني، ووجدنا الرمز، وضرب المثال، وأيضاً الدعاء، وهذه الآليات اعتمدها الشاعر في صياغة قصيدة تختلف بناءً وموضوعاً ولغة عن القصيدة العربية المعروفة بمكونات بنائها الفني، مما ينبئ عن اتجاه جديد في تطور القصيدة العمودية وإن كنا لا نعدم اعتماد كثير من القصائد على القرآنية ولكن ليس بهذا الكيف وكذلك النوع والأداء، وهذا ما يحسب للشاعر صالح الكواز الحلي.

ومهما يكن من أمر فقد استغلَّ شاعرنا قرآنية مرجعها قصة موسى عليه السلام، وقد مرَّ أنموذج منها، ومن تلك النماذج قوله في إحدى مقدمات علوياته وتحديداً البيت الثالث منها قوله[٥٦]:

فتخال موسى في انبجاس محاجري ... مستسقياً للقوم ماء جفوني

فالقرآن الكريم يؤكد هذه القصة بالقول: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[٥٧]، ولا ريب في انَّ اتكاء الشاعر على القرآنية في تشكيل صورة جديدة متلونة الأبعاد عميقة الرؤى تجلب نظر المتلقي وتثير فيه لذة الإبداع هي آلية أخرى يعتمدها الشاعر. ويعيد الشاعر إنتاج الصورة القرآنية المتقدمة ولكن بأبعاد جديدة وذلك في قوله مبيناً أثر قتل الحسين في موسى عليهما السلام[٥٨]:

كلمت قلب (كليم الله) فانبجست عيناه دمعاً دماً كالغيث منهمعا

وكذلك نراه في قوله مشبهاً وقوع الحسين على أرض معركة الطف، ورفع رأسه على الرمح بصورة قرآنية تدعو إلى ألإعجاب والاندهاش، كقوله[٥٩]:

كأنَّ جسمك موسى مذ هوى صعقاً وإنَّ رأسك (روح الله) مذ رفعا

فصدر البيت يرجع بنا إلى قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾[٦٠] أما العجز فمرجعه إلى قوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾[٦١]، على أن مثل هكذا صور دقيقة الأبعاد تحتاج إلى متأمل ومتفحص حتى يدرك طبيعة التقارب والتشابه بين طرفي التشبيه ومدى التباعد المعمق في هذا التقارب الظاهري، وعليه فمتلقي هذه الصورة يعجب بها ومن ثمَّ يذهب ذهنه ليرصد طبيعة تحركها في داخله وما يثيره هذا التحرك من انفعال وما يجسده من شعور.

ويعمد الشاعر إلى ذكر أقوام ضرب بهم المثل في القرآن وهم قوم (ثمود) وقوم (تبع) فجعلهم امتداداً رمزياً للذين قتلوا الحسين عليه السلام وذلك في قوله[٦٢]:

وتتبعت أشقى ثمود وتبعٍ وبنت على تأسيس كل لعين

ويتبع هذا القول بمثال قرآني على عظم فضل الزهراء (عليها السلام) ووليدها الحسين عليه السلام بعد أن ذكر أشقى ثمود ومهَّد للمستمع بقوله[٦٣]:

ما كان ناقة صالح وفصيلها بالفضل عند الله إلا دوني

فتعامل الشاعر مع النص القرآني على أساس الرمزية وضرب المثال، فقدسية ناقة صالح وفصيلها الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[٦٤] لم يكن بأفضل من الزهراء (عليها السلام) ووليدها الحسين الذي قتلوه ولم يراعوا حرمة انتسابه إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، ويمكن توضيح البنية المعمقة التي نستوضحها من أبيات الشاعر بمخطط دلالي:

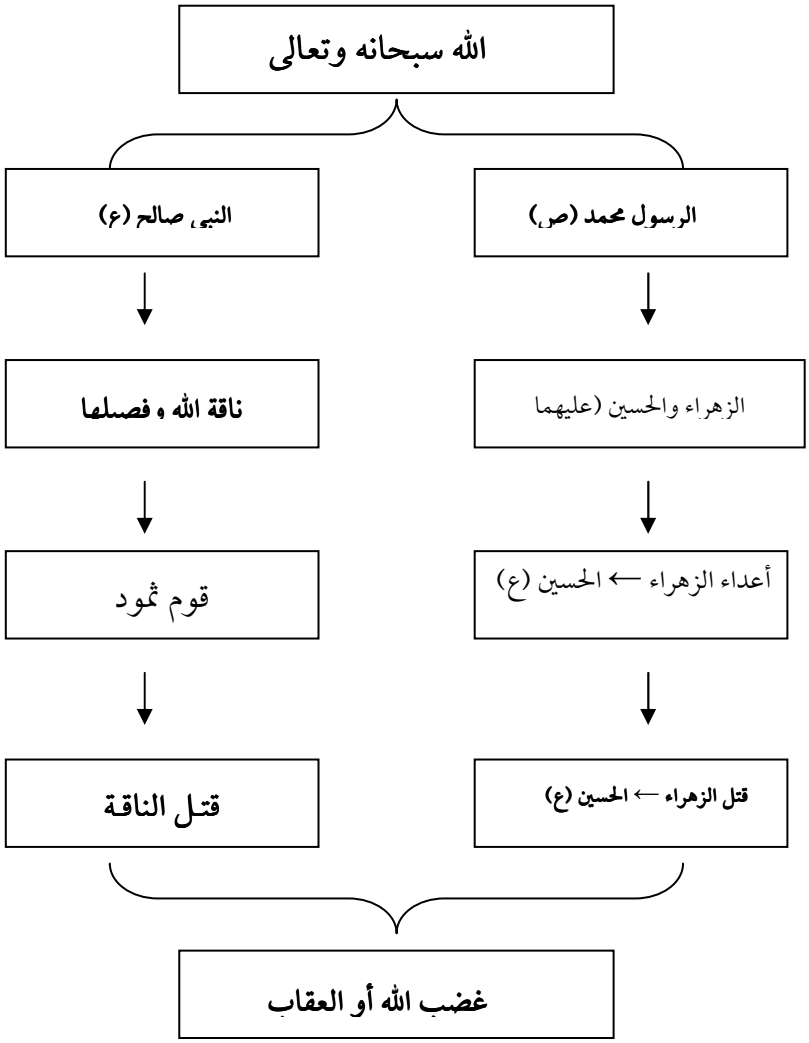
الله سبحانه وتعالى
النبي صالح (ع)
الرسول محمد (ص)
ناقة الله و فصلها
الزهراء والحسين (عليهما
قوم ثمود
أعداء الزهراء ← الحسين (ع)
قتل الناقة
قتل الزهراء ← الحسين (ع)
غضب الله أو العقاب

وتجدر الإشارة إلى استعمال الأسماء (ثمود، تبع، عاد...) من لدن بعض الشعراء القدامى[٦٥] ليضرب بهم المثل في عدم البقاء وحتمية الموت على بني الإنسان مهما شادوا أو عمّروا فلا بدّ أن يأتي اليوم الذي لا مهرب منه ولا محيص، ولكننا نجد شاعرنا صالح الكواز الحلي قد تعامل مع هذه المسميات تعاملاً جديداً اختلف عمّا تعاور الشعراء عليه، وهذا الأمر يبدو لنا جديداً بعض الشيء، مما يمكن أن نحسبه خصيصة تميّز بها الشاعر الحلي.

المبحث الثاني: تقنيات القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي:

مما لا شك فيه هو اختلاف سبل الإفادة والتعامل مع القرآنية على صعيد احتلالها جزءاً ما في بنية النص، فهي أيضاً تمثل لبنة من لبناته المهمة التي لا يمكن تجاوزها، وتبعاً لذلك يمكن تحديد تقنيات القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي بتقنيتين هما:

أولاً: القرآنية المباشرة غير المحوَّرة:

ويمكن تعريفها بأنها أخذ مباشر من القرآن الكريم من دون أن يحور الشاعر لفظاً أو دلالة منه، وهو ما عرف بـ (الاقتباس المباشر)[٦٦]، يلجأ إليه الشاعر – في الغالب – ليدعم ما ذهب إليه، وليقرّب ما ابتعد، وليوضح ما أغمض من صوره.

على أنَّ هذه التقنية مما يسهل رصدها في النصوص الشعرية واكتشاف مرجعيتها، وبخاصة على " المتلقين ذوي الثقافة المحدودة فضلاً على تهوين عملية فك الشفرة النصية وإجراء المقاربة الدلالية بين النص الجديد (الآخذ) والنص القديم (المأخوذ) لتكون عملية إبلاغ النص واستقباله هينة لينة على المتلقين "[٦٧].

من الشواهد الإجرائية في العلويات قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[٦٨]، فقد وظّف الشاعر (النبأ العظيم) في شعره مخاطباً فيه الإمام علي عليه السلام وهو ما عرف عند الشيعة خاصة هذا اللقب[٦٩]، فقال[٧٠]:

يـا أيهـا النبـأ العظيـم إليـك فـي ... ابنـاك منـي أعظـم الأنبـاءِ

ومن الاقتباس النصي يختار الشاعر الآية الكريمة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[٧١]، فيقول متأثراً بواقعة الحسين عليه السلام في العاشر من المحرَّم[٧٢]:

ولتذهـل اليـوم مـنكم كـل مرضعـة ... فطفلـه مـن دمـا أوداجـه رضعـا

فيشبه يوم استشهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه بيوم القيامة الذي أشار إليه القرآن الكريم لهوله وعظمته تذهل كل مرضعة عن رضيعها.

ومن القرآنية النصيَّة المباشرة قوله عز وجل في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[٧٣]، وظف الشاعر (خلصوا نجياً) في قوله[٧٤]:

وقفـوا معـي حتـى إذا مـا استيأسـوا ... خلـصوا نجيـاً بعـد مـا تركـوني

ومن التقنية المباشرة غير المحورة تتضح في قوله (عز وجل): ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾[٧٥] في قول الشاعر[٧٦]:

حتى أتى (هل أتى) في مدح فضلهم ... من الإله لهم في أشرف الكتب

ومن الشواهد الأخرى على هذه التقنية ما ورد في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[٧٧]، فاستعار الشاعر لفظة (سجّين) ووظفها في قوله[٧٨]:

تلك الرزايا الباعثات لمهجتي ... ما ليس يبعثه لظى سجّينِ

وفيما يأتي جدول بمواضع القرآنية المباشرة غير المحورة في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي:

جدول القرآنية المباشرة غير المحورة في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي

النص المأخوذ (القرآن الكريم)	النص الآخذ (البيت الشعري)	رقم الصفحة في الديوان	تسلسل البيت في الصفحة
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص ٢٣)	**لم أنس إذ تركك المدينة وارداً ... لا ماء مدين بل نجيع دماء**	١٧	٤
﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ (النبأ ١ - ٢)	**يا أيها النبأ العظيم إليك في ... ابناك مني أعظم الأنباء**	١٧	٨
﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (يوسف ٢٦)	**فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل ... أعضاؤها لا إلى القمصان والأهب**	٢٤	٧
﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً فَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾	**يرنو إلى الناشرات الدمع طاوية ... أضلاعهنَّ على جمر من النوب**	٢٥	٧

(المرسلات (٢ – ٣)			
﴿والعادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قدحًا﴾ (العاديات ١ – ٢)	والعاديات من الفسطاط ضابحة و الموريات زناد الحزن في لهب	٢٥	٨
﴿والمرسلاتِ عرفاً﴾ (المرسلات ١) ﴿والنازعاتِ غرقاً﴾ (النازعات ١)	والمرسلات من الأجفان عبرتها والنازعات برودا في يد السلب	٢٥	٩
﴿والذاريات ذروا﴾ (الذاريات ١)	والذاريات تراباً فوق أرؤسها حزناً لكل صريع بالعرا ترب	٢٥	١٠
﴿امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسَد ٤ – ٥)	وصبية من بني الزهراء مربقة بالحبل بين بني حمالة الحطب	٢٦	٣
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ (الإنسَان ١)	حتى أتى (هل أتى) في مدح فضلهم من الإله لهم في أشرف الكتب	٢٦	٦
﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ (يوسف ١٠)	والفضل آفة أهليَّة ويوسف في غيابة الجب لولا الفضل لم يغب	٢٧	٣
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف ١٢)	يا سادتي يا بني الهادي ومن لهم بثي وحزني إذا ما ضاق دهري بي	٢٧	٦
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (الحج ٢)	ولتذهل اليوم منكم كل مرضعة فطفله من دما أوداجه رضعا	٣٢	١٥
﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾	وقفوا معي حتى إذا ما استيأسوا خلصوا نجياً بعد ما تركوني	٤٦	٤

(يوسف ٨٠)			
﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين ٧)	تلك الرزايا الباعثات لمهجتي ما ليس يبعثه لظى سجين	٤٦	١١

ثانياً: القرآنية المباشرة المحوَّرة:

يمكن تعريف هذه التقنية بأنها أخذ من القرآن الكريم مع تحويره لفظياً أو دلالياً تبعاً لحاجة الشاعر، وهو ما عرف بـ (الاقتباس غير المباشر، أو الإشاري)[٧٩] وفي هذه التقنية مجال أرحب للشاعر في صوغ أفكاره ومشاعره ومقاربتها بالقرآنية، فضلاً عن إمكانية التحرك إيقاعياً بصورة أكبر مما في القرآنية المباشرة غير المحوَّرة، وتبعاً لطريقة التحوير وصياغتها يكمن إبداع الشاعر أو إخفاقه.

ومن الشواهد على القرآنية المباشرة المحوَّرة في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[٨٠]، فأخذ الشاعر (شرعة ومنهاجاً) ووظفها في قوله[٨١]:

إنْ لم تسدوا الفضا نقعا فلم تجدوا ... إلى العلا لكم من منهج شرعا

ويستعير الشاعر أسماء بعض السور، ويحورها لتتلاءم مع ما يطرحه من تصوير، فنراه يأخذ اسم (المدثر) و (المزمل) وهما اسمان لسورتين قرآنيتين معروفتين، ويوظفهما بصورة لا تخلو من إبداع، فهو يقول واصفاً شهداء الطف عليهم السلام[٨٢]:

(مدَّثرين) بكربلا سلب القنا ... (مزملين) على الربى بدماء

ونراه يحور قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[٨٣] بصورة لطيفة عندما قال:

وإن سراج العيش حال انطفاؤها ... فقد أشعلت نار المشيب ذبالها

ونرى الشاعر يوظف مجموعة من الآيات متمثلة بقصة النبي يونس عليه السلام الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾[٨٥] فهو يعمد إلى هذه القصة ويقوم بتحوير النص القرآني بما يتلاءم والصورة التي رسمها لشهداء الطف وهم على أرضها مجدَّلين، واستغرقت منه أربعة أبيات، فنراه يقول فيها[٨٦]:

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا ... نصباً بيوم بالردى مقرون
حتى إذا التقمتهم حوت القضا ... وهي الأماني دون خير أمين
نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها ... كالنون ينبذ بالعرا ذا النون
فتخال كلاً ثم يونس فوقه ... شجر القنا بدلاً عن اليقطين

وهذا التصوير لا ريب في أنَّه يدل على إمكانية فنية، وكذلك لغوية مكنته من هذا التصوير الذي يعجب المتلقي بتقابلاته المصطنعة.

ونجد له نصاً آخر لم يبتعد عن النص القرآني كثيراً، ولربما اضطره الوزن إلى ذلك، وهو قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾[٨٧] فأخذه أخذاً لا يخلو من طرافة، إذ قال[٨٨]:

قد كان موسى والمنيَّة إذ دنت ... جاءته ماشية على استحياء

وفيما يأتي جدول بمواضع القرآنية المباشرة المحورة في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي:

جدول القرآنية المباشرة المحورة في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي

النص المأخوذ (القرآن الكريم)	النص الآخذ (البيت الشعري)	رقم الصفحة في الديوان	تسلسل البيت في الصفحة
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص ٢٤)	**قد كان موسى والمنيَّة إذ دنت ... جاءته ماشية على استحياء**	١٧	٥
﴿وخرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ (الأعراف ١٤٣)	**فهناك خرَّ وكل عضو قد غدا ... منه الكليم مكلم الأحشاء**	١٧	٧
﴿يَا أَيُّهَا المدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثّر ١ – ٢) ﴿يَا أَيُّهَا المزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (المزمل ١ – ٢)	**مدثرين بكربلاء سلب القنا ... مزملين على الربى بدماء**	١٨	٣
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء ١٥٧)	**كأنَّ عليه ألقي الشبح الذي ... تشكل فيه شبه عيسى لصالب**	٢٣	٣
﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف ١٨)	**لي حزن يعقوب لا ينفك ذا لهب ... لصرع نصب عيني لا الدم الكذب**	٢٤	٣
﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ	**وغلمة من بني عدنان أرسلها**	٢٤	٤

لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف ١٢)	للجد والدها في الحرب لا اللعب		
﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ (يوسف ٢٣)	ومعشر راودتهم عن نفوسهم بيض الضبا غير بيض الخرد العرب	٢٤	٥
﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص ٤٢)	كل رأى ضرَّ أيوب فما ركضت رجل له غير حوض الكوثر العذب	٢٤	٨
﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه ١٨)	تهش فيها على آساد معركة هش الكليم على الأغنام للعشب	٢٤	١٢
﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ (البقرة ٢٤٩)	ومبتلين بنهر ما لوارده من الشهادة غير البعد والحجب	٢٥	٢
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة ٢٤٨)	حتى قضوا فغدا كل بمصرعه سكينة وسط تابوت من الكثب	٢٥	٤
﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ (القصص ٧)	وما حكتها ولا (أم الكليم) أسى غداة في اليم ألقته من الطلب	٢٥	١٤
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء ٦١)	وصفوة الله لم يسجد له حسداً إبليس لما رأى من أشرف الرتب	٢٧	٤
﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة ٩٣)	وتلكم شبهة قامت بها عصب على قلوبهم الشيطان قد طبعا	٣٠	٩
﴿وخرَّ موسى صَعِقاً﴾ (الأعراف ١٤٣)	كأنَّ جسمك موسى مذ هوى صعقا وإنَّ رأسك روح الله مذ رفعا	٣١	٨

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء ١٥٧ – ١٥٨)			
﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء ٦٩)	٣١	ونار فقدك في قلب الخليل بها نيران نمرود عنه الله قد دفعا	١٢
﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (الأعراف ١٦٠)	٣١	كلمت قلب كليم الله فانبجست عيناه دمعاً دما كالغيث منهمعا	١٣
﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء ١٥٨)	٣١	ولو رآك بأرض الطف منفرداً عيسى لما اختار أو ينجو ويرتفعا	١٤
﴿لِّكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ **(المائدة ٥)**	٣٢	إن لم تسدوا الفضا نقعاً فلم تجدوا إلى العلا لكم من منهج شرعا	١٢
﴿واشتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ **(مريم ٤)**	٣٨	وإن سراج العيش حان انطفاؤها فقد أشعلت نار المشيب ذبالها	٨
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف ١٨)	٤٠	وقوض بالصبر الجميل فتى به فقدن حسان المكرمات جمالها	٣
﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (القارعة ٦ – ٩)	٤١	وما ضرَّ ميزاني ثقال جرائمي إذا كنت فيها مستخفاً ثقالها	١٧
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة ٦)	٤٣	فكأنَّ الرياح منه استعارت يوم عاد عدوا فأضحت رماما	١١
﴿أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ	٤٥	فتخال موسى في انبجاس محاجري مستسقياً للقوم ماء جفوني	٩

﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف ١٦٠)			
﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ (يوسف ٧٢)	فكان يوسف في الديار محكم وكأنني بصواعه اتهموني	٤٦	٥
﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ (الصافات ١٣٩ – ١٤٦)	ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا نصباً بيوم بالردى مقرون حتى إذا التقمتهم حوت القضا وهي الأماني دون خير أمين نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها كالنون ينبذ بالعرا ذا النون فتخال كلاً ثمَّ يونس فوقه شجر القنا بدلاً عن اليقطين	٤٧	٦ ٧ ٨ ٩
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (الشمس ١١ – ١٢) ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ (ق ١٤)	وتتبعت أشقى ثمود وتبع وبنت على تأسيس كل لعين	٤٧	١٥
﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (الشمس ١٣)	ما كان ناقة صالح وفصيلها بالفضل عند الله إلا دوني	٤٨	٨

الخاتمة:

وفي نهاية المطاف نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي على النحو الآتي:

١. القرآنية من المفاهيم الإجرائية الجديدة على الساحة النقدية، ولعلّ مكمن الجدة فيه رصد تحرك القرآنية على مستوى بناء القصيدة الفني، أو الرؤى والأنساق، وهذا الأمر ما لم يلتفت إليه كثير ممن خاضوا في هذا المضمار.

٢. كانت البنائية القرآنية في علويات الشيخ صالح الكواز الحلي واضحة بينة كشفت عن استثمار أمثل من لدن الشاعر.

٣. استطاع الشاعر أن ينشئ نصاً موازياً للقرآنية يقوم عليها، ولكنه يجري بعكس اتجاهها مما ينبئ عن قصدية في تشكيل القصيدة على هذا النحو، فيتعدى ذلك مجرد الاقتباس إلى ما هو أبعد منه، وهو ما اصطلحنا عليه (النص الموازي المعاكس).

٤. تنوعت الآليات القرآنية في العلويات على مستوى البناء، فمنها النص الموازي المعاكس الذي ألمحنا إليه، ومنها الرمز، وضرب المثل، والدعاء، وابتكار الصورة، مما يشير إلى إمكانيات فنية كبيرة للشاعر في استثمار تلك القرآنية في تصوير واقعة الطف أحداثاً وشخوصاً ومواقفاً.

٥. كان لتنوع الآليات القرآنية واستثمارها في بناء القصيدة أثره في تشكيل جديد للقصيدة اختلف عمّا هو معروف في بنائها المعتاد، الأمر الذي نعده ملمحاً أو اتجاهاً تفرَّد به الشاعر الحلي.

٦. كان ضرب المثل بالأقوام البائدة كـ (عاد، وثمود، وتبع) في موضوع الرثاء طريقاً اتخذه الشعراء القدامى، أما شاعرنا فقد تعامل معها تعاملاً اختلف عما تعاوروا عليه، إذ ضخَّ فيه روحاً جديدة، مكنه منها ما طرحه القرآن الكريم وما طرحته واقعة الطف من تجليات شعورية وفكرية عند الشاعر.

٧. كانت القرآنية المباشرة غير المحورة في العلويات أقل من القرآنية المباشرة المحورة مما يكشف عن تعامل الشاعر مع القرآن على أساس حركي أكثر مما هو سكوني، وهذا يتقابل مع ما حركته في داخله واقعة الطف فكراً وشعوراً وأنتج لنا هذه القرآنية التي يمكن أن نطلق عليها أنها قرآنية طفيَّة أو حسينيَّة.

وأخيراً، نحمد الله العلي القدير على حسن معونته لإتمام هذا البحث، الذي قصدنا به القربة منه، وإظهاراً لإمكانيات شاعر حسيني غيَّبته الأيام عن ذاكرة البحث والدراسة، فوجدنا أنفسنا مدينين له بالوفاء وحسن الذكر.

هوامش البحث:

١. نعت الدكتور علي كاظم المصلاوي هذه القصائد بـ (الطفيات) نسبة إلى الطف على وفق رؤية نقدية مؤسسة لهذا المصطلح وذلك في بحثه الموسوم بـ (طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي ؛ دراسة موضوعية تحليلية).

٢. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ١٦.

٣. م. ن: ٨.

٤. أشار الدكتور مشتاق عباس معن مجترح مصطلح (القرآنية) إلى تقنية ثالثة وهي القرآنية غير المباشرة المحوَّرة، وهو ما لم يتوافر في أنموذجه التطبيقي، وكذلك لم يتواجد في أنموذجنا (العلويات). ينظر: تأصيل النص: ١٨٣.

٥. البابليات: ٢ / ٨٧، و ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤.

٦. أدب الطف: ٧ / ٢١٤ – ٢١٥، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٥.

٧. البابليات: ٢ / ٨٧، ومشاهير شعراء الشيعة: ٢ / ٣١٦، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤.

٨. ينظر: مثير الأحزان: ٢٨٠، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٦.
٩. ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤.
١٠. معجم الشعراء العراقيين: ١٨٠.
١١. ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٥١، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٩٨.
١٢. م. ن: ٥.
١٣. ينظر: أعيان الشيعة: ١١/٤٠٤.
١٤. ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤.
١٥. م. ن: ٧ – ٨.
١٦. ينظر م. ن: ٨، ١٢ – ١٣.
١٧. م. ن: ١٣ – ١٤.
١٨. البابليات: ٢ / ٨٧، وشعراء الحلة: ٣ / ١٦١، ومعارف الرجال: ٣٧٦، ومشاهير شعراء الشيعة: ٢ / ٣١٦، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤.
١٩. ديوان السيد حيدر الحلي: ٢ / ١٣٧.
٢٠. طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي ؛ دراسة موضوعية تحليلية: ٨.
٢١. هو الدكتور مشتاق عباس معن في كتابه: تأصيل النص: ١٦٨ – ١٨٨.
٢٢. تأصيل النص: ١٧٠.
٢٣. ابن كناسة هو ابو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي من أهل الكوفة انتقل إلى بغداد وأقام بها ؛ اخذ عن جلة الكوفيين، ولقي رواة الشعراء و فصحاء بني أسد، وكان شاعرا وله من الكتب: الأنواء، ومعاني الشعر، و سرقات الكميت من القرآن وغيره.ولد سنة ١٢٣ هـ وتوفي ٢٠٧هـ.تنظر ترجمته في: الفهرست: ١/١٠٥.
٢٤. تأصيل النص: ١٦٩.
٢٥. مختصر المعاني: ٤٥٠، والإيضاح: ٦ / ١٣٧.
٢٦. الإتقان في علوم القرآن: ١ / ١١.
٢٧. تأصيل النص: ١٦٩.
٢٨. ينابيع المودة لذوي القربى: ١ / ٢١٤.
٢٩. تنظر الأحاديث النبوية في: ينابيع المودة لذوي القربى: ١ / ١١، ٤٥٥، ٤٦٢، و ٢ / ٣٨.
٣٠. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٤.
٣١. يوسف: ١٨.
٣٢. يوسف: ١٢.
٣٣. يوسف ٢٣.
٣٤. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٤.
٣٥. يوسف: ٢٦.

٣٦. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٤.
٣٧. ص: ٤١، ٤٢.
٣٨. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٤.
٣٩. القصص: ٢٩.
٤٠. ص: ١٨.
٤١. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٥.
٤٢. البقرة: ٢٤٩.
٤٣. البقرة: ٢٤٨.
٤٤. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٥.
٤٥. الناشرات في قوله تعالى من سورة المرسلات (الآية ٣): ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾، أما الموريات ففي قوله تعالى من سورة العاديات الآية ٢: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾.
٤٦. قال تعالى في سورة إبراهيم الآية ٣٧ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.
٤٧. ينظر على سبيل المثال لا الحصر: قصص الأنبياء: ٢٠٣ – ٢٠٥.
٤٨. القصص ١٠ – ١٣.
٤٩. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٥.
٥٠. م. ن: ٢٦.
٥١. المسد: ٤ – ٥.
٥٢. الإنسان: ١.
٥٣. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٧.
٥٤. م. ن: ٢٧.
٥٥. يوسف: ١٢٤.
٥٦. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤٥.
٥٧. الأعراف: ١٦٠.
٥٨. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٣١.
٥٩. م. ن: ٣١.
٦٠. الأعراف: ١٤٣.
٦١. النساء: ١٥٧ – ١٥٨.
٦٢. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤٧.
٦٣. م. ن: ٤٨.

٦٤. الشمس: ١١ – ١٥.
٦٥. من القدماء ممن نجد عنده هذه الطريقة وهي معروفة في الرثاء الأسود بن يعفر النهشلي في قصيدته التي مطلعها:

نام الخلي وما أحس رقادي والهم محتضر لدي وسادي

ينظر: ديوانه: ٢٥.

ونجدها أيضاً عند عدي بن زيد العبادي في قصيدته التي يبدؤها:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود

ينظر: ديوانه: ١٢٢.

ونجدها عند أبي العتاهية في قصيدته التي يبدؤها:

المنايا تجوس كل البلاد والمنايا تفني جميع العباد

ينظر: أبو العتاهية أشعاره وأخباره: ١١٢.

٦٦. ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: ١٠٨.
٦٧. تأصيل النص: ١٨٢.
٦٨. النبأ: ٢٠١.
٦٩. الميزان في تفسير القرآن: ١٦٣/٢٠.
٧٠. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ١٧.
٧١. الحج: ٢٢.
٧٢. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي:
٧٣. يوسف: ٨٠.
٧٤. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤٦.
٧٥. الإنسان: ١.
٧٦. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٦.
٧٧. المطففين: ٧.
٧٨. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤٦.
٧٩. ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: ١٠٨.
٨٠. المائدة: ٥.
٨١. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٣٢.
٨٢. م. ن: ١٨.
٨٣. مريم: ٤.
٨٤. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٣٨.
٨٥. الصافات: ١٣٩ – ١٤٦.
٨٦. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٤٧.
٨٧. القصص: ٢٤.

٨٨. ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ١٨.

ثبت المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**.
- **أبو العتاهية أشعاره وأخباره**، تحقيق: د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٩٥١م.
- **الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، د. منجد مصطفى بهجت، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – بغداد، ١٩٨٨م. د.ط.
- **أدب الطف، أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر**، جواد شبر، ط١، مؤسسة التاريخ، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
- **أعيان الشيعة**، السيد محسن الأمين العاملي، تحـ: حسن الأمين، ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **الإيضاح في علوم البلاغة**، للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل – بيروت، د. ت.
- **البابليات**، محمد علي اليعقوبي، ط٢، دار البيان، مصر، ١٩٥١ م.
- **تأصيل النص قراءة في ايديولوجيا التناص**، د. مشتاق عباس معن، ط١، دار الكتب، صنعاء، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- **ديوان الأسود بن يعفر**، صنعه د. نوري حمودي القيسي، مطبعة الجمهورية – بغداد، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- **ديوان السيد حيدر الحلي**، تحـ: علي الخاقاني، ط٤، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- **ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي**، عني بجمعه وشرحه وترجمة أعلامه وسرد الحوادث التاريخية المذكورة فيه: محمد علي اليعقوبي، ط١، منشورات مكتبة ومطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٤ هـ.
- **ديوان عدي بن زيد العبادي**، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.

شعراء الحلة، علي الخاقاني، ط٢، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي دراسة موضوعية تحليلية، د. علي كاظم محمد علي المصلاوي، مجلة جامعة كربلاء - المجلد الخامس - العدد الرابع - إنساني - كانون الأول -٢٠٠٧م.

- **الفهرست**، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ت ٣٨٥هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، د.ط.

- **قصص الأنبياء**، لابي الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ـ ٧٧٤هـ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط١، دار التاليف، مصر، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
- **مثير الأحزان**، الشيخ شريف الجواهري، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، مطبعة عبد الله أفندي، القاهرة، ١٣٠٧هـ، د.ط.

مشاهير شعراء الشيعة، عبد الحسين الشيشتري، ط١، ستارة، قم، ١٤٢١ هـ.

- **معارف الرجال في تراجم العلماء و الأدباء**، الشيخ محمد حرز الدين، تعليق حسين حرز الدين، مطبعة الولاية، قم، د.ت.ط.
- **معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع**، جعفر صادق حمودي التميمي، ط١، بغداد، ١٩٩١ م.
- **الميزان في تفسير القرآن**، محمد حسين الطباطبائي، ط٣، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤.
- **ينابيع المودة لذوي القربى**، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي تـ ١٢٩٤هـ، تح: سيد علي جمال اشرف الحسيني، ط٢، دار الاسوة للطباعة و النشر، ١٤١٦ هـ.

قصيدة المتنبي [على قدر أهل العزم...]

نقد وتحليل

أ.م.د إسماعيل خلباص حمادي

قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة واسط

قصيدة المتنبي (على قدر أهل العزم...)

نقد وتحليل

أ.م.د إسماعيل خلباص حمادي

المقدمة

هذا بحث تناولت فيه نقد وتحليل قصيدة المتنبي ((على قدر أهل العزم...)) لأنها تمثل واحدة من قصائد النضج الفني في مرحلته الثانية آذ بدا فيها واضحاً تمكنه من أدواته الشعرية، في الوقت الذي تعبر عن روح الشاعر وتطلعاته السياسية ومجده الذي رأى صورته المتحققة في الممدوح بعد أن لم يحالفه الحظ في تحقيق ما يصبو إليه.

وبإمكان الباحث في مثل هذه القصيدة أن يجد متسعاً للبحث والتحليل لأنها زاخرة بقيم شعرية عالية المستوى تشكلت بها صيغ وأساليب تفيض بالإمكانات التي وفرتها اللغة العربية للشعراء لان ينهلوا منها كل ظواهر الإبداع والتفرد.

القصيدة تدفع بقارئها لان يعيد النظر بها أكثر من مرة فيجد في كل مرة شيئاً لم يكتشفه من قبل وعلى هذا يمكن ان يكون فيها أكثر من مجال للبحث والتحليل والنقد ولا ادعي انني أتيت على كل ما يقال فيها ولكنها محاولة، مجرد محاولة علها ان تساهم ولو بقدر في إيجاد سبيل من السبل الممكنة في تحليل النصوص الإبداعية.

أولاً: القصيدة

على قدر اهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك مالا تدعيه الضراغم

يفـــدي أتم الطـــير عمـــراً ســـلاحه ... نـــسور الفـــلا احـــداثها والقـــشاعم
ومـــا ضـــرها خلـــق بغـــير مخالـــب ... وقـــد خلقـــت اســـيافه والقـــوائم
هـــل الحـــدث الحمـــراء تعـــرف لونهـــا ... وتعلـــم أي الـــساقيين الغمـــائم
ســـقتها الغمـــام الغـــر قبـــل نزولـــه ... فلمـــا دنـــا منهـــا ســـقتها الجمـــاجم
بناهـــا فـــأعلى والقنـــا يقـــرع القنـــا ... ومـــوج المنايـــا حولهـــا مـــتلاطم
وكـــأن بهـــا مثـــل الجنـــون فأصـــبحت ... ومـــن جثـــث القتلـــى عليهـــا تمـــائم
طريـــدة دهـــر ســـاقها فرددتهـــا ... علـــى الـــدين بـــالخطى والـــدهر راغـــم
تفيـــت الليـــالي كـــل شـــيء أخذتـــه ... وهـــن لمـــا ياخـــذن منـــك غـــوارم
إذا كـــان مـــا تنويـــه فعـــلاً مـــضارعا ... مـــضى قبـــل ان تلقـــى عليـــه الجـــوازم
وكيـــف ترجـــي الـــروم والـــروس هـــدمها ... وذا الطعـــن اســـاس لهـــا ودعـــائم
وقـــد حاكموهـــا والمنايـــا حـــواكم ... فمـــا مـــات مظلـــوم ولا عـــاش ظـــالم
اتـــوك يجـــرون الحديـــد كأنمـــا ... ســـروا بجيـــاد مـــالهن قـــوائم
إذا برقـــوا لم تعـــرف البـــيض مـــنهم ... ثيـــابهم مـــن مثلـــها والعمـــائم
خميس بـشرق الأرض والغـرب زحفـه ... وفي اذن الجـــوزاء منـــه زمـــازم
تجمـــع فيـــه كـــل لـــسن وامـــه ... فمـــا يفهـــم الحـــداث الا التراجـــم
فللـــه وقـــت ذوب الغـــش نـــاره ... فلـــم بيـــق الا صـــارم او ضـــبارم
تقطـــع مـــا لا يقطـــع الـــدرع والقنـــا ... وفـــر مـــن الفرســـان مـــن لا يـــصادم
وقفـــت ومـــا في المـــوت شـــك لواقـــف ... كأنـــك في جفـــن الـــردى وهـــو نـــائم
تمـــر بـــك الأبطـــال كلمـــى هزيمـــة ... ووجهـــك وضـــاح وثغـــرك باســـم
تجـــاوزت مقـــدار الـــشجاعة والنهـــى ... إلى قـــول قـــوم أنـــت بالغيـــب عـــالم
ممـــت جنـــاحيهم علـــى القلـــب ضـــمة ... تمـــوت الخـــوافي تحتهـــا والقـــوادم
بـــضرب اتـــى الهامـــات والنـــصر غائـــب ... وصـــار الى اللبـــات والنـــصر قـــادم
حقـــرت الرديني ـــات حتـــى طرحتهـــا ... وحتـــى كـــأن الـــسيف للـــرمح شـــاتم
ومـــن طلـــب الفـــتح الجليـــل فانمـــا ... مفاتيحـــة البـــيض الخفـــاف الـــصوارم
نثـــرتهم فـــوق الاحيـــدب كلـــه ... كمـــا نثـــرت فـــوق العـــروس الـــدراهم
تـــدوس بـــل الخيـــل الوكـــور علـــى الـــذرى ... وقـــد كثـــرت حـــول الوكـــور المطـــاعم
تظـــن فـــراخ الفـــتح انـــك زرتهـــا ... باماتهـــا وهـــي العتـــاق الـــصلادم
اذا زلفـــت مـــشيتها ببطونهـــا ... كمـــا تمـــشي في الـــصعيد الاراقـــم
أفي كـــل يـــوم ذا الدمـــستق مقـــدم ... قفـــاه علـــى الاقـــدام للوجـــه لائـــم
اينكـــر ريـــح الليـــث حتـــى يذوقـــه ... وقـــد عرفـــت ريـــح الليـــوث البهـــائم
وقـــد فجعتـــه بابنـــه وابـــن صـــهره ... وبالـــصهر حمـــلات الامـــير الغواشـــم
مـضى يـشكر الاصـحاب في فوتـه الظبـى ... لمـــا شـــغلها هـــامهم والمعاصـــم
ويفهـــم صـــوت المـــشرفية فـــيهم ... علـــى أن أصـــوات الـــسيوف اعـــاجم

يسر بما أعطاك لا عن جهالة ... ولكن مغنوماً نجا منك غانم
ولست مليكا هازماً لنظيره ... ولكنك التوحيد للشرك هازم
تشرف عدنان به لا ربيعة ... وتفتخر الدنيا به لا العواصم
لك الحمد في الدر الذي لي لفظه ... فانك معطيه واني ناظم
واني لتعدو بي عطاياك في الوغى ... فلا انا مذموم ولا انا نادم
على كل طيار اليها برجله ... اذا وقعت في مسمعيه الغماغم
الا ايها السيف الذي ليس مغمداً ... ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم
هنيئاً لضرب الهمام المجد والعلى ... وراجيك والاسلام انك سالم
ولم لا يقي الرحمن حديك ما وقى ... وتفليقه هام العدى بك دائم[1]

ثانياً: الشاعر[2]

ابو الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي من اصل عربي ولد في الكوفة، كان ابوه سقاء بالكوفة، والمرجح ان امه ماتت وهو طفل فقامت جدته مقام الام.

نشأ في الكوفة احد مواطن الحضارة العباسية، اشتهر بقوة الذاكرة وشدة الذكاء والنباهة والجد في النظر الى الحياة والمقدرة على نظم الشعر.

بعد ان استولى القرامطة على الكوفة فر الى السماوة ومكث فيها سنتين اختلط خلالها بالبدو حتى تمكن من اللغة العربية، ثم عاد الى الكوفة ٣١٥هـ واتصل باحد اعيانها ابي الفضل الكوفي.

قدم المتنبي بغداد مع ابيه وسرعان ما هجر العاصمة قاصداً الشام متنقلاً بين باديتها وحاضرتها وحافظاً الكثير من فصيح اللغة وغريبها من اشعار الجاهليه، بلغ اللاذقية في اواخر سنة ٣٢١هـ ثم انتقل الى السماوة فدعا البدو الى اتباعه في ثورته واتسمت ثورته بصبغة علوية فقبض عليه والي البلدة وسجنه ثم اطلقه ثم ثار مرة اخرى وسجن سنتين واخذ عليه العهد واطلق سراحه.

بين سنة ٩٣٧ -٩٣٩ م طاف الشاعر بلاد الشام الى ان استقر عند سيف الدولة الحمداني بعد ان قدمه ابو العشائر وكان الحمداني عربياً محبا للأدب لذا نال الشاعر لديه حظوة كبيرة وصحبه في بعض غزواته و حملاته على الروم وقد لاقت نفسيته احسن ملائمة مع نفسية الأمير سيف الدولة فكانت تلك الحقبة اطيب حقبة في حياة المتنبي وكثر حساده فرموه بالوشايات وهو يقاومهم بعنف وكبرياء حتى نغصوا عليه العيش وقد لاحظ في آخر عهده عند سيف الدولة جفوة من الأمير وانحرافاً اذ جرت في حضرته مناضره بين الشاعر وابن خالويه ادت الى المهاترة والغضب وضرب ابن خالويه المتنبي وقد غادر على اثرها حلب وفيه الم وحزن كبير، رغم توجهه الى مصر بعد ان طلبه كافور الاخشيدي من امير الرملة وفرح كافور فوعده بولايه طمعاً في ابقائه بالقرب منه وراى المتنبي في ذلك الوعد تحقيقاً لاحلامه، ويبدو ان احلامه باءت بالفشل اذ كان يطمح الى الامارة السياسية التي ظل يلتمسها عند سيف الدولة في حلب فلما لم ينلها رحل في طلبها.. لكن هذه المرحلة الى كافور

١ ينظر ديوان المتنبي ٤٠١.

الاخشيدي في مصر وسرعان ما اكتشف زيفه، وعندما سنحت له الفرصه بالهرب هرب وهجاه هجاء مراً[٣]، وراح يضرب في الآفاق قاصداً العراق متنقلاً بينه وبين بلاد فارس، وعند عودته الى العراق تعرض له فاتك بن جهل الاسدي وقتله وتناثر ديوانه ٣٥٤ هـ بعد حياة حافلة بالطموح والفشل.

لم يكن شعره سوى عبارة عن نفثات روحية وصورة صادقة لاحواله المختلفة ((مرآة تمثل في قوة او ضعف شخصية الشاعر وبيئته وعصره. وهو من هذه الناحية متصل بزمانه ومكانه))[٤] فكان ديوانه من اشد الدواوين ابرازاً لشخصية صاحبه وقد بلغ به الولع بالتحدث عن نفسه حداً جعله لا ينساها في غزل أو فخر أو وصف أو مدح أو... ولو كانت العادة فيه ان يتضاءل المادح ليرفع من قدر ممدوحه.

قال شعره وهو يتقلب بين الامل والالم وقد غلب عليه الانفعال، بل كان لا يتاتى له الابداع الا حين يشب به أمل واقع أو يضطرم صدره غيظ صاخب لانه كان شغوفاً بالمجد وطامح للسيادة.

وفي هذا البحث يهمنا من شعر المتنبي ما كان بعد اتصاله بسيف الدولة لان قصيدته موضع البحث مدح بها سيف الدولة، نلمس فيها قلبه المظطرب جراء الصراع الشديد وقد أكد هذا المعنى ريتشاردز اذ قال ان الشاعر ((لا يوصل شعوراً غير شعوره ولا يشعر بنفس الطريقة التي يشعر بها غيره))[٥] فكانت هذه القصيدة صدى للقوة التي يؤمن بها واشاره لذلك الانتصار الذي يحلم به على الاعداء، وهي قصيدة حماسية توحي ابياتها وكأن الشاعر كان مشاركاً في المعركة ذاتها[٦]، وذلك متأت من خلال بصيرته النفاذة القادرة على خلق الصور الخيالية التي تكشف عن ادق ما يحدث في ساحة المعركة ويأتي هذا فيما يبدوا من ((اتحاد الشعور العميق بالتفكير العميق.. الدقيق في الملاحظة مع القدرة على التفكير في تحديد الاشياء المرئية..))[٧] فتعرض الى أدق تفاصيل المعركة بدءاً من تكليف سيف الدولة الجيش وانتهاء بالنصر على الاعداء.

وقد خاطب سيف الدولة باسمه أو بضمير المخاطب ((ت أو ك)) في (٢٨) ثمانية وعشرين بيتاً من أصل (٤٦) ستة واربعين بيتاً وما تبقى موزعه بين الجيش (٧) بسعة أبيات والقلعة (٤) أربعة أبيات وما هو مشترك بين سيف الدولة والقلعة (٣) ثلاثة ابيات و(٤) أربعة ابيات في الحكمة. ليس من شك أن الابيات جميعها تدخل صورها واخيلتها في موضوع واحد يعبر عن اعجاب المتنبي بشخصية الممدوح وشجاعته، ولذلك جاءت القصيدة أنشودة انتصار وزهو ورجولة وقوة استطاع من خلال ان ينقل ملحمة عربية قادها سيف الدولة ضد الروم بلغة تصويرية تعتمد الخيال الخلاق

---

٢ ينظر تاريخ الادب العربي ٥٩٤- ٦٤١
وينظر ايضاً امراء الشعر العربي ٣٢١- ٣٦٢.
(٣) ينظر الصبح المنبي ١- ١١٣،
وفيات الأعيان ١- ٦٤
العمدة ١٠ — ٤٥
(٤) في الأدب الجاهلي ٣٥٣.
(٥) مختارات نقدية ٢١.
(٤) ينظر أمراء الشعر العربي ٣٣٣..
(٥) صناعة الأدب ١٨٥.
(٦) التقديم والتأخير ٧٩.

وبأسلوب استغل فيه كثيرا من إمكانيات اللغة العربية للتعبير عن الحدث بشكل دقيق ومقصدية عالية بدءاً بالحرف ومروراً بالتراكيب والجمل والأبيات وبنية القصيدة كلها، وهكذا يكون الأدب فهو ليس تعبيراً عن المضامين وحسب بل يساهم كل ما في القصيدة لخلق الفهم المؤثر لتلك المضامين لدى المتلقي. فاذا تدبرنا مطلع القصيد ممثلا قي (البيت الأول والبيت الثاني) وجدنا فيهما اشارة واضحة ومقصودة تتناغم مع القصيدة كلها فقد وظف فيهما الحروف وخلخلة كيان الجملة العربية والوزن المختار والبناء لقافية القصيدة.

فالكلمة الاولى فيها حرف الجر (على) فهي أولا تدل على العلو والرفعة والهيمنة على الموقف واقتدار الممدوح عليه (حرف الجر على.. يستعمل للاستعلاء كثيراً.. وفيها معنى الجبروت والقوة) فضلا عن ان الحرف الاول (العين) وهو من حروف الحلق الستة التي تملء الحنجرة بفخامتها وحاجتها الى جهد كبير في النطق لتكون صوتاً قوياً مدوياً منبهاً ذاك اذا علمنا ان المتنبي كان ينشد شعره في حضرة الممدوح وجمعاً كبيرا من الحضور فهو يحرص على ان ينطلق فمه بما يتناسب واصله البدوي لاننا نجد الالفاظ في صوت الرجل (ونغمه وفي جرسه ولهجته)[٨] ولهذا تلا هذه الكلمة بـ(قدر) التي أولها حرف القاف المعروف بصلابته وتفجره في اثناء النطق فضلاً عن انه يرمز الى القوة ولهذا نجد كثيراً من الألفاظ التي تدل على القوة يكون هذا الحرف من الحروف المتقدمة أو الموجودة فيها (قوة، قطع، قص...).

ثم نجد هذا التقديم والتأخير للجار والمجرور على الجملة الفعلية (تاتي العزائم) بترك المتلقي مترقبا بشوق ماذا سياتي بعد (على قدر اهل العزم) فتاتيه الجملة الفعلية المشار اليها اذ الغاية من ذلك ((احداث انفعال شعوري في نفس المتلقي لغرض الإثارة))[٩]، ثم سرعان ما عدل عن هذا السياق لان يبدا في عجز البيت بالفعل و لكن هذه المرة بتاخير الفاعل ليخلق به الحال نفسها. و هنا يتضح لنا هذه القدرة العالية على التلاعب بجمل و مفردات و اساليب اللغة ليوفربها قدرة عالية ترمي الى دهشة المتلقي.

ولنا ان نرى تلك المقابلة التي استغل فيها الجناس و الطباق في البيتين الاول والثاني بطريقة فلسفية تعتمد على حقيقة مسلم بها وفي الوقت نفسه تساعد في خلق التنغيم الموسيقي الذي تمخضت عنه تلك الصورة اللفظية الجميلة المفلسفة من بديهية حياتية.

اما الوزن و القافية فالوزن لم أت بجديد اذا قلت ان البحور الطويلة توفر قدرا كافيا من المعاني و فيها حرية اكبر للشاعر فضلا عن انها تلمح من بعيد الى ان الممدوح على قدر من الرفعة و العلو و توافر الخصال الكثيرة دفعة لاختيار قالب واسع يفي بالغرض.

اما القافية تمثلت في ميزان صرفي رائع و معبر (فاعل) و اننا لنجد كل جزء منها مقصودا لغاية زد على ذلك ان ما يقارب نص ابيات القصيدة(اقصد في هذا الميزان الصرفي) من حروف الحلق المشار اليها واكثرها الهمزة لان ((التناسب من حيث الجوهر مبدا اساسي في كل انواع الفن و

(٧) الوساطة ١٩.
(٨) التقديم والتاخير ١٢٨.

اشكاله))[١٠] ، ثم انها مكسورة و بعد الحرف المكسور حرف الميم المضموم و كأن المتنبي راى القلعة أولا مكسورة ذليلة بيد الأعداء ثم رفعها سيف الدولة بالانتصار والتحرير فضلا عن ان حرف الميم (لكونه شفوي) قادر على التعايش مع حروف العربيةكافة وفي ذلك حرية واسعة للشاعر دون ان يوثر ذلك على التنغيم الموسيقي للمفردات المكونة للقافية و قد ساعد على تحقيق هذه الغاية وجود حرف اللين (الالف) اذ جاء سابقا للحروف المجاورة لحرف الميم لان الكلام ((اصوات محلها من الاسماع محل النواظر من الابصار))[١١] .

و قد شكلت المفردات التي ختمت بها الأبيات في اكثر من ٧٠ ٪ منها دلالة واضحة على عظمة المعاني التي يتحدث عنها لان تأثير القافية((لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوتي و انما نجده وثيق الصلة بالنظم الصرفية و النحوية والأسلوبية و حتى بمعجم الشعر و كلماته))[١٢] .

لذا جاء اغلبها جمعا (المكارم، العظائم.. الخضارم...) يستثنى من ذلك ابيات قليلة عوض فيها اسم الفاعل لتناسبه مع الميزان الصرفي المذكور ليحقق الانسجام اذ ان الكلمات (تستقي دلالتها من السياق الذي ترد فيه وعن طريق مجاورتها)[١٣] .

وكأن الشاعر على عجلة من امره اذ سرعان ما اندفع الى بيان خصوصية المعركة التي تمثل فيها همة الممدوح سبباً مهما في الانتصار فمقاييس الحروب التقليدية ترجح كفة العدو لامتلاكه الجيش الجرار الذي سيصفه بعد قليل امام جيش لامارة وهي جزء من بلاد العروبة والاسلام فضلاً عن عدم تساوي الامكانات المؤهلة للحرب من عدة وعتاد ومحاربين واستعدادات الى غير ذلك مما يتأثر بحجم الدولة وتمرس جيشها في الحروب الى آخره، ومما عوض عن ذلك كله العزيمة التي يمتلكها القائد والاصرار على الانتصار والايمان بالمبادئ التي يسعى الى تجسيدها في ارض الواقع، كل ذلك يكون تعويضاً عن ما يمكن ان يسمى نقصاً ولذلك كان البيت الثالث (يكلف سيف الدولة.....) مع ان جيوشاً سابقة عجزت عن ذلك، وما فعل ذلك الا لانه يرى في كل مقاتل في جيشه كأنه هو (ويطلب عند....) وفعلاً كما اراد ففي البيت (يفدي....) و(وماضرها.....) معنى اولياً ينم عن مستوى القتل في صفوف الاعداء الى الحد الذي يستطيع النسر الحدث والكبير على حد سواء من ايجاد ما يكفيه من الطعام اثر الهجوم على الاعداء ويفترض امرا غير ممكن تحقيقه في الواقع معتمدا الخيال في ان لو خلقت هذه النسور بلا مخالب فان عيشها ممكن اشارة الى كثرة القتلى في صنوف الاعداء مؤيدا هذا المعنى في الابيات (٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢) معتمدا على صور معبرة عن ذلك ؛اولها عدم قدرة القلعة – موضع المعركة – على التميز بين الوانها المكتسبة، أ هي بسبب الامطار وغزارتها ام بسبب تلك الجماحم واصفا اياها بالحمراء ليلصق هذا اللون بها ويجعلهما متلازمين في الوقت الذي يعطي اولوية للساقي الثاني (الجماجم)، مؤكدا القدرة على البناء والدفاع في ان معا ((بناها فاعلى..)) ليجد المتلقي في هذا البيت لما احتواه من مفردات بحروف معينة (القاف التي نوهنا عنها سابقا) قدرة عالية على البيان (القنا- تقرع- القنا) لان الكلمات تحمل زيادة عن معناها

(١٠) مفهوم الشعر ٤٢٥.
(١١) الوساطة ٤١٢.
(١٢) نظرية البنائية في النقد ١٢٠، ١١٩.
(١٣) خمسة مداخل الى النقد الادبي ٢٤١.

الدقيق ((القيمة المؤثرة في ذاتها قيمة النغمة والتي نراها مفروضة تلقائيا لانها رنانة بالفكرة، وبالأفكار التي تولد تنتج حتى من تكوينها نفسه موسيقاها الخاصة وايقاعاتها))[١٤] معززا ذلك بالمجاز ليخلق ذلك الانحراف في الاستخدام اللغوي لاغراض بلاغية قادرة على دهشة المتلقي اذ جعل للمنايا امواجا كانها امواج بحر هائج تتلاطم الامواج فيه.

ثم استل صورة طالما ترددت في واقع الحياة انذاك تلك التمائم التي تعلق في رقبة من مسه الجنون وتمائم المعركة(الجثث) خير مناسب للذي مسه الجنون (القلعة) نفسها وتخفف من جنونها مشخصا إياها لان التشخيص هو بقايا (الروحانية ولذلك يخلع المشاعر او الصفات البشرية على الطبيعة الجامدة)[١٥] يستقدم هذه الصورة لانها اكثر تأثيراً والفت انتباهاً للمتلقي وان تدل على شئ انما تدل على ان لديه (خزين من الصور الحسية المكدسة في الذاكرة، وعندما يكون محكوماً بهدف فني، يقدر ان يرابط بينها في انماط جديدة))[١٦] والا ما علاقة القلعة بالمجنون ؟! ليس هذا فقط وانما تجده يندفع الى ما هو غريب وبعيد (اذا كان ما تنويه.....) هذه في اصلها قاعدة نحوية وظفها لايضاح قدرة سيف الدولة على عقد العزم وتحقيق ما ينوي فعله ولهذا لم تستطع – في هذا البيت – حروف الجزم والنفي ان تفعل شيئاً فضلاً عن ان هذا البيت يوحي بفراسة الممدوح وكأنه يعلم مسبقاً ان ماينويه متحقق لامحالة.

ويجد في التعجب الذي افاده الاستفهام الانكاري (وكيف تجرى....) سبيلاً الى اثبات بناء القلعة واستمراريته وعدم قدرة الروم على ازالته واضعاً في البيت الذي يليه (وقد حكموها.....) مفارقة غريبة جميلة وهي ان القلعة والروم خصمان الاول مظلوم والثاني ظالم وشاء القدر ان يكون الحاكم بينهما (المنايا) فكان الحكم عادلاً السلامة من الهدم والتحرير للمظلوم والهلاك والاندحار والابادة والخذلان للظالم!!

ثم اراد ان يقدم الدليل على الافعال التي قام بها جيش سيف الدولة لتتضح شجاعته وبسالته فلجأ الى تصوير جيش الاعدا بعدسة قادرة على كشف كل مصادر القوة ودلائل جبروتها فهو جيش جرار له من العدة والعدد الذي يوحي للناظرين بان الخيول المستخدمة فيه كانها بلا قوائم ولايستطيع الرأئي ان يميز بين اسلحة المقاتلين وثيابهم وخوذهم ((أتوك يجرون..)) و ((اذا برقوا..)) و ((خميس بشرق..)) و ((وتجمع فيه كل لسن)).ولعل المتنبي نفذ الى طريقة غير مباشرة في بيان الشجاعة المشار اليها فالذي ينتصر على القوي اقوى منه و مصادر القوة تلك قد تكون تقليدية على احتمال وقد تكون غير تقليدية على احتمال اخر وقد تكون الامرين معا مضافا لها شجاعة القائد وتخطيطه للمعركة وهذا الارجح لان الابيات التي تلتها كشفت عن تلك الارجحية فالتعجب في ((لله وقت..)) فكان سبك النار للاسلحة والمقاتلين كشف عن زيف السلاح وزيف الرجال في جيش الروم ومتانة واصالة السلاح ورباطة جأش الرجال في جيش سيف الدولة، مؤكدا هذا المعنى في ((تقطع ما لايقطع الدرع..)) و ((فر من الفرسان..))هذا مايكشف ماهو تقليدي او غير تقليدي

(١٤) بناء الصورة الفنية ١٠٤.
(١٥) الصورة الشعرية ١٢٣.
(١٦) موسوعة المصطلح النقدي ١٧.

في التفوق بقي القائد وخططه وشجاعته فقد خصص لها المتنبي اكثر من هذا بكثير من((وقفت وما في الموت...الى تمر بك الابطال.. الى تجاوزت مقدار الشجاعة... الى ضمت جناحيهم (الذي يكشف عن الخطة الموضوعة في المعركة) الى بضرب اتى الهامات... الى حقرت الردينيات (الذي يكشف عن شجاعة اللقاء للفرسان ومعه من طلب الفتح الليل فكانت النتيجة ((نثرتهم.. وتدوس بك...و تظن فراخ الفتح... اينكر ريح الليث.. وقد فجعته.. مضى يشكر.. ويفهم صوت المشرفية ويسر بما اعطاك...))مصورا الدمستق رمزا للشرك وسيف الدولة رمزا للتوحيد لينتصر التوحيد على الشرك((ولست مليكا...)) وهذا البيت يكشف تمسك المنتصرين بمبادىء مكنتهم من الثبات والدفاع على عكس أعدائهم فانهم فروا لمجرد ان وجدوا حراة النار تلفح وجوههم وأخذ بعضهم يتقي ببعض بل بعضهم يفرح بان يفديه غيره. وخص بذلك قادتهم فكان نصره مثار شرف لكل العرب ومثار فخر لكل الدنيا ((تشرف عدنان..)) خاتما القصيدة بانها در انت السبب فيه وليس لي فضل سوى نظمه فانت الذي توحي بهذه مشيرا الى ما يقدمه له من عطايا ولك الحمد.. واني لتعدو... مقدما له التهنئة في هذا الانتصار بعد توجيه الخطاب اليه ((الا ايها السيف... هنيئا لضرب الهام)) وثم المح اليه ان سيف الدولة هو سيف الله الذي يصول على الاعداء فكيف لايحفظه ولاينصره ؟! ((ولم لايقى..)).

هذه القصيدة تمثل خير تمثيل قصائد المتنبي في المرحلة الثانية التي تتسم بالشاعرية المكتملة وقد تمكن فيها من امتلاك كل مقومات الشعرية فضلاً عن وجود سبب مهم للالهام الشعري الصادق والمعبر عن المعاني التي تتوق لها نفس المتنبي القوية الطموحة الى النصر والتفوق وهو في احضان رعاية سيف الدولة الحمداني الذي وجد فيه خير عوض عن ما فقده من اماني كان يحلم في شبابه ان يحققها، فجاءت القصيدة اولاً ذات بناء محكم استغل فيها كثيراً من امكانات اللغة العربية فنحن اذا استثنينا البيتين الاول والثاني - ولو انهما يجسدان حكمة تتناسب والغرض وتمثلان مقدمة منطقية له- نجد ما تبقى منها بني لبنة بعد لبنة بدءاً من تكليف سيف الدولة الجيش مروراً بذكر القلعة وزمان حدوث المعركة وتفاصيل ما يحدث والجيوش المشتركة فيها والحال الذي تم فيه الانتصار ومؤهلات ذلك الانتصار وما خلفته المعركة من اثار في الميدان ومن دروس بليغة مقدماً التهنئة في اخر المطاف بهذا النصر ونكاد لا نجد بيتاً وضع في غير محله بل كلمة وضعت في غير محلها بدراية واثقة معبرة عن تلك القدرة على البناء.

سارت القصيدة وفق تسلسلها المنطقي وكأنما الى حد بعيد ان ما يتلو من الاحداث نتيجة لسبب او لاسباب تقدمت ولهذا لم يجر على طريقة العرب الاوائل في وضع المقدمات التي لاعلاقة لها بالموضوع وانما كان دخوله مباشراً وتناوله لموضوع ينم عن اتضاح صورة القصيدة في ذهنه اولا، ولم اقصد بذلك انه خطط لها بان تكون هكذا وانما اعني ان قدرته افضت لذلك بقصد او بغير قصد وهذا يعني ان التمرس في ميدان الشعر وصل الى امده او ذروته فكان سيره باقدام تجد مكانها في الطريق يعينه في ذلك معجم شعري واسع تمثل جزالة اللفظ ذخيرة أمنت له مفردات مناسبة للغرض كلها يومئ بالقوة والجبروت والزهو والشجاعة والنصر والاقدام و..... لذا تماسكت القصيدة لفظاً وصياغة واساليب. جمله قصيرة لكنها رصينة معبرة عن معانٍ تفيض عن قوالبها وتفتح آفاقا واسعة

امام القراء مع انها تمثل في اغلبها حقائق عامة كانت وما زالت موضع فهم للمتبصر بها ومعرفة مدياتها فدفعها خياله الخصب الى ان تلبس ثوباً جديداً فخلق السيوف والقوائم لتعوض عن مخالب الطيور الجارحة امر غير ممكن في الواقع ولكن خياله وصل الفكرة (كثرة القتلى) على اروع ما تكون (البيت ٦) والامواج امر يقع في المرئي الملاحظ المعاش لكثير من الناس لكنه يوظف بيان حال البناء والدفاع عن القلعة (البيت ٩) على ان موج منايا بهذا الانزياح البعيد يخلق هزة ودهشة تصطدم المتلقي لتوافق حدوث الفعلين بناها و فاعلى بل بوجود حرف العطف الفاء الذي يفيد الترتيب بلا مهله او تراخٍ ثم نقل ممارسة كانت سائدة آنذاك التمائم وعلاقتها بالجنون لتحول الى ميدان المعركة فذلك فعلاً يحتاج الى بصيرة نفاذة قادرة على استقدام كل ما يقع في غير الممكن لان يحول بالصياغة الشعرية الى امر ممكن ثم لاحظ الحاكم (المنايا) والمحكوم له (المظلوم) القلعة والمحكوم عليه (الظالم الروم) وعلاقة ذلك بفعلين يؤشران قدرة عالية في الاختيار بل دقيقة جداً (مات، عاش) بهذا التضاد الذي يمثل امراً حتمياً.(البيت ١٦).

واذا اردت ان تجد كل الصفات بلا استثناء لجيش قوي مؤهل للنصر تقرأ الابيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) الجيش، الحديد الخيول بلا قوائم ! مقرونة بالفعل لم تعرف خميس، الشرق، الغرب، الزحف، الزمازم، اذن الجوزاء! تجمع، اكثر من لغة- اكثر من امه – مما يستدعي وجود مترجمين ! فماذا كانت النتيجة هل هو النصر الجواب لا الهزيمة! ذوب الغش – لم يبق الا صارم او ضبارم – تقطع مالا يقطع الدرع فر من الفرسان ممزوجاً مع وقوف سيف الدولة في مكان آمن (جفن الردى) ! في اثناء نومه.ومرور الابطال، الجرحى المهزومين ووجهه وضاح وثغره باسم ! كانه واثق من النصر وهذا الوثوق هو تجاوز لمقدار الشجاعة – بل الى قول قوم انت بالغيب عالم !! ثم لنتبصر في هذه الصورة التي تُعد غاية في القسوة لكنها قسوة معبرة ؛ قسوة ان تمسك بطير فتذوب ريشه تحت يديك ليموت موضع القيادة (القلب) لكنها معبرة لان الطير هنا ليس بطير وانما أخذ منه شكله الذي يناسب شكل الخميس المتقدم (الجيش) في نظام تقدمه وفق السياقات العسكرية التقليدية القديمة مقدمة- ميمنة- القلب– ميسرة – خاتمة. فكان النتيجة النصر بوقت يساوي وقفة نزول السيف من هامة الرأس الى أعالي الصدور وانت ترى بين القباب والقوم مسافة قصيرة ! ممجداً دور السيف لان اختبار الشجاعة الحق فأنه السلاح الذي يستخدم والخصمان متقاربان وقد فضل ذلك اكثر من مره (حقرت الردينيات... ومن طلب الفتح الجليل). وعند المقارنه بين عدد الابيات التي وظفت لوصف جيش الروم المتقدمة الذكر وبين الابيات التي تدل على مرارة الهزيمة وصورها الشنيعة المغمسة بالمواقف المضحكة على حال هؤلاء تجد تفوقاً في عدد الابيات المخصصة للهزيمة من ٢٠-٣٩ أي عشرون بيتاً مقابل اربعة من ابيات مع اعترافنا المسبق بقدرة الاربعة على التعبير عن مؤهلات النصر العدد والعدة (التقليدية).

ويبدو لي انه احتاج لهذا العدد الكبير ٢٠ عشرين بيتا للأسباب الآتية:

١. لان القصيدة معدة لإيضاح تلك الهزيمة بجيش الروم.

٢. تداخلت معان اخرى ضرورية في إيضاح الهزيمة ولها علاقة مباشرة بهذا كذكر شجاعة سيف الدولة وحاجة المتنبي لرسم صورة تفصيلية مجسمة عن الميدان وماحصل به بدءا بالتلاقي مرورا بكثرة القتلى وهزيمة القادة قبل المقاتلين الذي آل في النهاية لان ينتصر سيف الدولة على الدمستق أو لان ينتصر التوحيد على الشرك

٣. اندفع المتنبي لتقليب المعنى على اكثرمن وجه مرة يحتاج فيها الى العقبان مرة و مرة الى الليوث ومرة لتغليب السيف وفعله ومرة للمقارنة بينه وبين الرماح وعلاقة ذلك بشجاعة الفارس لا بعدد الفرسان.

ثم ختم القصيدة لان يعترف بان مانظم ليس بقدرة المتنبي وتفوقه وانما ما كان هو بالهام سيف الدولة مقدماً التهنئة على صورة رائعة خلط فيها بين السيف الذي فضله كما اسلفنا وسيف الدولة لاشتراكهما في اللفظ والفعل والموقف (ألا أيها السيف.....) مرمزاً إلى إن ذلك بتعزيز ونصر من الله (الرحمن...لانك تمثل (الاسلام) ليغلق الباب امام اي تأويل لافعال سيف الدولة يقع فيما هو شخصي ويفتح الباب امام اي تأويل انه مجند لخير الإسلام،

رفع راية الحق التي ارادها الرحمن ان تعلو.

الخاتمة

قصيدة المتنبي (على قدر أهل العزم ...) قصيدة مدح وحماسة لرمز من رموز القوة التي كان يحلم بها وما يزال الشاعر ـ آنذاك ـ ((سيف الدولة)) وقد كانت زاخرة بالإشارات والعلامات التي تجسد هذه القوة بدءا بالحروف مرورا بالكلمات و الأبيات والتراكيب والجمل والأبيات وبنية النص بكامله.

والناقد المحلل لهذه القصيدة يجد فيها قدرة عالية على الإبداع والتمكن والتفرد والتمرس الذي تميزت فيه قصائده في المرحلة الثانية- كما اشرنا- في أحضان ملهمها سيف الدولة واجتياز المتنبي المسافة الكافية في ترصين القدرة تلك وتثبيتها واحتواء كل مقومات الشعرية المبدعة.

ويخيل للقاريء ان القدرة تلك تضعنا في تصور المشاركة الفعلية في المعركة بصدقها الفني في اقل تقدير فكانت القصيدة مشاهد تفوق الواقع بكثير لكنها تجلوه لان يتضح كما اراد له الشاعر بدقة اكبر بكثير من دقة فرشة الرسام.

القصيدة لوحة فنية أتاحت لها اللغة بامكاناتها كافة لتتحول الى ترجمة صادقة ومعبرة ليتغنى بها المنتصر أنشودة زهو وانتصار مزقت العدو وأعطته درسا ابلغ دروس التاريخ وأكثرها مضاءً تجرع مرارتها من اراد بالعرب والمسلمين سوءاً وتكون فعلا بطوليا يمكن الاقتداء به في التاريخ أيا كان زمانه.

المصادر

١- أمراء الشعر العربي، انيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ١٩٨٧.

٢- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧- ١٩٨٧.

٣- تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية.
٤- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد احمد عيسى العادي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦.
٥- جرس الالفاظ، د.ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات ١٩٥.
٦- خمسة مداخل الى النقد الادبي، ويلبرس سكوت، ترجمة وتعليق د.عناد غزوان وجعفر صادق.وزارة الثقافة والاعلام – دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
٧- ديوان المتنبي بشرح العكبري ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٨م.
٨- صناعة الادب سكوت جيمس، ترجمة هاشم الهنداوي، سلسلة المائة كتاب، وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية بغداد.
٩- الصبح المنبى، البديعي، تحقيق مصطفى السقا و محمد قباوة و عبد زيادة، دار المعارف – مصر ١٩٦٣.
١٠- الصورة الشعرية سي- دي لويس ترجمة دكتور احمد نصيف الجنابي منشورات وزارة الثقافة والاعلام سلسلة الكتب المترجمة بغداد ١٩٨٢.
١١- في الادب الجاهلي د.طه حسين، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٧.
١٢- العمدة، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، السعادة –مصر ط٢- ١٩٥٥.
١٣- مختارات نقدية من الادب الغربي الحديث، محمد شاهين، دار الشؤون الثقافية العامة، افاق عربية، بغداد ط١٩٩١، ١.
١٤- مفهوم الشعر د.جابر احمد عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم ١٩٨٢.
١٥- موسوعة المصطلح النقدي ر. ل بريت، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة دار الرشيد للنشر، سلسلة الكتب المترجمة ٧١.
١٦- نظرية البنائية، د.صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد ١٩٨٧.
١٧ - الوساطة بين المتنبي وخصومة، الجرجاني، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، عيسى الحلبي ١٩٦٦.
١٨- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د.احسان عباس، مطبعة دار الثقافة، بيروت، د.ت.

أهمية علم الأصوات
في تعليل مسائل النحو

م. عباس علي إسماعيل د خالد عباس حسين السياب م. عبد الأمير كاظم عيسى

جامعة كربلاء – كلية التربية جامعة كربلاء – قسم اللغة العربية

أهمية علم الأصوات
في تعليل مسائل النحو

د خالد عباس حسين السياب
م. عباس علي إسماعيل
م. عبد الأمير كاظم عيسى

المقدمة

لعلَّ من الأمور المتعارف عليها عن منهج النحوي العربي القديم أنه كان لا يدع مسألة نحوية تمرّ إلا بعد أن يوجهها، ويعللّها بما يناسب المذهب النحوي الذي يؤمن به، وهذا أمر طبيعي؛ لأن من طبيعة الإنسان أن يسأل عن السبب ويستقصي العلة؛ ولهذا نظن أنَّ البحث عن العلة والسؤال عنها قد وجد منذ اخذ النحاة يبحثون في مسائل النحو.

ولكن النحاة قد أسرفوا في القول بالعلة إلى الحد الذي جعلهم أحيانا ينسون أنَّ العرب نطقوا على سجيتهم، وأنَّ اللغة مجموعة من العادات الكلامية يمارسها الإنسان في مرحلة الطفولة المبكرة.

وهذه المغالاة في القول بالعلة، جعلت احدهم يسأل الخليل عن العلل التي يعتل بها في النحو، هل أخذها عن العرب أم اخترعها من نفسه، فأجاب بقوله « إنَّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها علله، وان لم يتقل ذلك عنها، وعلّلت أنا بما عندي انه علة، لما عللته منه، فإنْ أكن أصبت العلَّة، فهو الذي التمست، فإن سنحت لغيري علَّة لما علَّلته من النحو، هي أليق مما ذكرت بالمعلول، فليأت بها »[1]

وبحثنا هذا يتناول العوامل الصوتية التي استعملها علماء العربية القدامى في دراسة موضوعات النحو. وقد قصرنا جهدنا على دراسة علل: المجاورة، والشيوع، و السهولة، والتقاء الساكنين؛

بوصفها أكثر العلل التي استعملها النحاة في تفسير مسائل النحو، مستفيدين مما توصل إليه علم اللغة الحديث من نتائج دراسته الخصائص العامة للغات، ولاسيما موضوع المقاطع الصوتية.

والبحث بعد هذا يأتي دعوة إلى أساتذة النحو في أن يفيدوا من علم الأصوات، وهم يلقون محاضراتهم على طلابهم.

علماء العربية وعلم الأصوات

لقد درس علماء العربية من النحاة والقرّاء علم الأصوات، ولكنَّ النحاة قد سبقوا القراء في هذا المجال، بمعنى أنَّ علم الأصوات كان في بدايته من اهتمام واختصاص النحاة، ثم أصبح فيما بعد من اختصاص المشتغلين في مجال القراءات القرآنية[١]، وآية ذلك أنَّ كتاب سيبويه – وهو أول كتاب نحوي وصل إلينا – كانت الدراسة الصوتية مبثوثة في ثناياه، بل أننا نجد سيبويه يخصص الجزء الرابع من مؤلفه للحديث عن موضوعات هذا العلم.

ونحن نظنُّ أنَّ نحاة البصرة الأوائل: عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (ت١٢٧ هـ)، وعيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ)، وأبا عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) هم أول من عرض لهذه الدراسة، فوضعوا ملاحظات واصطلاحات أعانت الخليل على النهوض بأعباء هذه الدراسة الفتية، فكانت نواة علم الأصوات الذي بناه، وثبت دعائمه الخليل بما ورثه عن أسلافه وما زاده هو بفضل ذكائه وفطنته. كل ذلك جعل الدارسين المحدثين يعدونه رائد الدراسة الصوتية عند العرب، والواضع الأول لأصولها.[٣]

وعلى أية حال، فإنَّ أصول وأبحاث علم الأصوات لم تستقر إلا على يد ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)؛ فقد اتصفت الدراسات الصوتية عنده بالدقة وقوة الملاحظة وصحة الأحكام، وكان لكتابيه: الخصائص، وسر صناعة الأعراب الأثر الكبير في توجيه الدراسة الصوتية العربية وجهتها الصحيحة[٤].

وكثيرون هم الذين تحدثوا عن علم الأصوات من علماء العربية القدامى، و لا نغالي إذا قلنا: انه لا يكاد يخلو كتاب من كتب العربية القديمة، إلا وفيه قليل أو كثير يتصل بموضوعات هذا العلم، بل إننا نزعم أنَّ كل الكتب العربية اللغوية القديمة فيها حديث يتعلق بالدراسات الصوتية.

ولكنَّ الذين خدموا علم الأصوات، وأضافوا إليه جديدا كانوا قلة قليلة، وهم أربعة لغويين: الخليل، وسيبويه، والفرّاء، وابن جني. هؤلاء رواد البحث الصوتي عند العرب. وأما من جاء بعدهم فلم يأتوا بشيء ذي بال، لا لأن من جاء بعدهم لا يمتلكون العقلية التي تؤهلهم للخوض في هذا المجال، ولكنهم كانوا مصابين بما يمكن أن نسميه (مرض تقديس الشخصيات)، فأهل البصرة كانوا يرددون آراء الخليل وسيبويه، وأهل الكوفة يرددون آراء الفراء، وكأن على هؤلاء أن يقولوا، وعلى من جاء بعدهم أن يتأولوا، ويحسنوا التعليل، إن لم يكن تأويل أو تعليل الخليل أو سيبويه أو الفراء للمسألة كافيا. يقول الدكتور مهدي المخزومي « كان حسبهم أن يقول الخليل شيئا، فيتناولوه على انه قضية مسلمٌ بها...»[٥].

قلنا قبل قليل: إنَّ كل الكتب العربية اللغوية القديمة فيها قليل أو كثير يتصل بعلم الأصوات، وهذا يدل على اهتمام اللغويين العرب القدامى بدراسة الأصوات. واغلب الظن أن من أهم

الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك هو اتصال علم الأصوات الوثيق بعلم القرآن الكريم، فضلا عن العلاقة الوثيقة بين علم الأصوات من جهة وعلمي النحو والصرف من جهة أخرى[٦]؛ إذ يعد علم الأصوات مقدمة ضرورية لدراسة هذين العلمين، والعلاقة بينهما علاقة أخذ وعطاء، بل أنَّ العلاقة بين علم الأصوات من جهة، وعلمي النحو الصرف من جهة أخرى كالعلاقة بين مادة البناء والبناء نفسه.

ويقسم الدارسون المحدثون دراسة الصوت اللغوي على قسمين، قسم يسمى علم الأصوات العام، والقسم الآخر يسمى علم الأصوات التشكيلي [٧]. وعلماء العربية القدامى قد ركزوا جل اهتمامهم على دراسة موضوعات علم الأصوات العام، وأما ما يخص علم الأصوات التشكيلي، فقد ضربوا الصمت إزاءه، اللهم إلا إشارات تتعلق بظاهرة التنغيم [٨] وردت في بعض الكتب العربية القديمة، مثل معاني القرآن للفراء [٩]، وكتابي ابن جني الخصائص والمحتسب [١٠].

ولقد خلط الدكتور هادي نهر في احد كتبه بين موضوعي التنغيم والنبر، فأورد أمثلة من التنغيم، وأدخلها في باب النبر، وذكر أنَّ اللغويين العرب القدامى قد تنبهوا إلى ظاهرة النبر، وان النبر عندهم عنصر من عناصر تحديد المعنى [١١]. ونحن بدورنا نردد ما ذكره الأستاذ الفاضل، ونقول: نعم إن لموضوع النبر صلة قوية بموضوع الدلالة، غير أن اللغويين العرب لم يفطنوا لهذه الصلة، بل أنَّهم ما تحدثوا عن موضوع النبر، وليس في الكتب العربية القديمة إشارات تؤيد ما ذهب إليه هذا الباحث، وكل ما وصل إلينا عنهم أنهم كانوا أحيانًا يستعملون مصطلح النبر للدلالة على الهمز [١٢].

أهميَّة علم الأصوات

يشهد العالم – اليوم – تطوراً ملحوظاً في مختلف صنوف المعرفة، ولاسيما علم الأصوات، وأضحت قنوات الاتصال بين الشعوب سهلة يسيرة، حتى وصفوا العالم بأنه عبارة عن قرية صغيرة. وعلى الرغم من ذلك كله، فإنَّ الدراسات الصوتية في العراق ما تزال متخلفة؛ لأسباب معروفة.

ومن مظاهر تخلف هذه الدراسات في بلدنا أنَّ بعض دراسي العربية، من طلاب الجامعات وغيرهم، يجهلون ابسط المسائل التي تتصل بموضوعات هذا العلم؛ فهم مثلا لا يفرقون بين الهمزة والألف، وعندهم أنَّ الألف والهمزة اسمان لشيء واحد، وعندهم أن الألف حرف ساكن، إلى غير ذلك من المسائل التي يجهلونها. وأما الذين اتصلوا بموضوعات هذا العلم عن بعد، فيعدونه ترفا علميا، وقد أحسن الدكتور محمود السعران، حين وصف هؤلاء بقوله « أما التخصص في هذا العلم، فهو في رأيهم كالانصراف إلى جمع التحف الغريبة والطرف النادرة انصرافا لا يقصد من ورائه إلا إشباع لذة التملك، وإلا المباهاة والمفاخرة »[١٣].

وقد تنبه الدارسون المحدثون إلى هذه النظرة الخاطئة، وبينوا أن علم الأصوات هو الحجر الأساس لأية دراسة لغوية، فدعا بعضهم إلى تقديم الدراسة الصوتية على الدراسة النحوية والصرفية، وتوظيف الدراسات الصوتية في خدمة الدراسات النحوية والصرفية لأيَّة لغة، لكي يفهم الباحث أسرار تلك اللغة وخصائصها وظواهرها، ومن ثمَّ تكون دراسته لتلك اللغة دراسة علمية صحيحة، لا تقوم على الافتراض، وتستطيع أن تصمد طويلا أمام البحث العلمي. [١٤].

وهذا الضرب من الدراسات يتيح للدارس أن يقف على طبائع الأصوات وخصائصها، حين تتألف في كلمات، ويسهم إسهاماً كبيراً في تفهمنا لطبيعة اللغة [١٥]. ذلك أن هذه الدراسات تبين لنا أنَّ اللغة ليست كالقوانين الطبيعية ثابتة لا تتغير، وإنما هي تخضع للقواعد المطردة. وتبين لنا حقيقة أخرى هي أن هناك صورا من الاستعمال اللغوي تخالف القياس العام، أو القواعد المألوفة التي استقرت عند الدارسين، على أنها تمثل العربية الفصحى، وان هذه الصور مع مخالفتها لما نسميه باللغة النموذجية، إلا أنها تعد فصيحة.

ومن المعروف أن دراسة المقاطع من موضوعات علم الأصوات التشكيلي، ومعرفتنا لأنواع المقاطع المستعملة في اللغة العربية يسهل علينا الحكم على نسج الكلمة العربية، ومعرفة وما هو من ألفاظها، وما هو دخيل عليها، فالكلمة التي تتكون من مقطع من النوع الثاني ومقطعين من النوع الثالث ليست عربية، وكذلك الكلمة التي تتكون من مقطع من النوع الثالث ومقطعين من النوع الثاني ليست عربية [١٦].

يزاد على ذلك أنَّ الميل لنسج خاص من المقاطع قد يكون سببا في نشأة الكثير من الظواهر اللغوية، بل قد يكون السبب الرئيس في اختلاف لهجات اللغة الواحدة، من ذلك مثلا أن أهل الحجاز يقولون: بير، وان التميميين يقولون: بئر، وهذا يعني بطريقة المقاطع ان كلمة (بير) الحجازية تتكون من مقطع مفتوح زائداً مقطع مغلق، تتحول عند التميميين إلى مقطعين مغلقين، ومعنى ذلك أن لهجة تميم تميل إلى المقاطع المغلقة؛ لأن المقاطع المغلقة لا تتطلب التأني في النطق [١٧].

ويمكن للبحث العلمي في مجال الأصوات أن يجيب على كثير من الأسئلة التي تتصل بنحو اللغة العربية الفصحى وصرفها، أو تلك التي تتعلق باللهجات العربية القديمة أو القراءات القرآنية. هذا إلى أنَّ الدراسات الدلالية قد لا تكون مثمرة، ما لم تركز على دراسة الصور الصوتية و التنغيمية [١٨].

ونحن التزاما بموضوع البحث سندرس العوامل الصوتية التي استعملها النحاة في تفسير قضايا النحو، وسنكتفي بدراسة علل: المجاورة، والشيوع، والسهولة، والتقاء الساكنين، تاركين لغيرنا الأطناب فيما أوجزنا فيه القول، بل وسد النقص الحاصل فيه بدراسة ظواهر أخرى كالأتباع وموسيقى الكلام.

المجاورة:

لاحظ النحاة، وبخاصة نحاة الكوفة أنَّ لإعراب بعض الكلمات تأثيرا في إعراب البعض، إذ قد تجاور كلمة كلمةً أخرى، وتؤثر فيها، وبنوا على هذا التأثر ظاهرة صوتية، أطلقوا عليها اسم الجوار؛ فقد اتفق النحاة جميعا على أنَّ عامل الجزم في فعل الشرط هو الأداة، ولكنهم اختلفوا في جازم جواب الشرط، إذ ذهب الكوفيون إلى أنَّ جواب الشرط كان من حقه أن يكون مرفوعا، وإنما جزم لمجاورته فعل الشرط [١٩].

ومن الدلالة التي استدل بها أصحاب هذه المدرسة على صحة دعواهم أن جواب الشرط إذا تقدم على فعل الشرط لم ينجزم، وكذلك الحال لو اقترن الجواب بالفاء، وذلك لزوال تأثير المجاورة حينئذ [٢٠].

واختلف البصريون في جازم جواب الشرط على أربعة آراء، فالخليل يرى أن جواب الشرط مجزوم بفعل الشرط وأداته[٢١]، وسيبويه يرى أن جواب الشرط مجزوم بالأداة، وقال أبو عثمان المازني: إن جواب الشرط مبني على الوقف[٢٢].

وأما الدكتور مهدي المخزومي فقد ارجع جزم جواب الشرط إلى الوظيفة اللغوية التي تؤديها أدوات الشرط، فذكر أن الجزم في صيغة (يفعل) بعد هذه الأدوات إنما يحصل لبيان حال جدت لهذه الصيغة، فالصيغة المرفوعة تحتمل الحال والاستقبال، والصيغة المنصوبة تدل على الاستقبال، في حين أن صيغة (يفعل) بعد أدوات الشرط لا تدل على الزمان، لأنَّ مؤدى الشرط تعليق الجواب على الشرط، ولا شيء غيره، فلا دلالة له على الزمان، وليس هناك إشعار بمثل هذه الدلالة، فحركوا آخر هذه الصيغة بالسكون تمييزاً عن حالة الرفع والنصب.[٢٣].

ولا يقتصر وجود ظاهرة المجاورة على الأفعال التي يجازى بها، بل أنَّنا نلاحظ اثر هذه الظاهرة في الأسماء أيضا. ومما يدخل في باب الجوار في الأسماء قول العرب: (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خربٍ)، بجر (خرب)، والوجه الرفع، وهو كلام أكثر العرب، لأن (خَرِب) نعت لـ (جُحر) المرفوع، وإنما جر لمجاورته لـ (ضبٍّ) [٢٤]؛ ولذلك عدّه سيبويه مما جرى نعتا عَلى غير وجه الكلام، وهو عنده وعند البصريين مخالف للقياس [٢٥].

ومن الشواهد الشعرية في ذلك، قول امرىء القيس:

كأن ثبيرا في عرانين وبله كبيرُ أناسٍ في بجاد مزمل

فخفض (مزمل) مع انه وصف (كبير) المرفوع، لما جاورته (بجاد) المخفوض [٢٦].

ومما يدخل في باب الجوار في الأسماء أيضا ما جر لمجاورة المجرور في التوكيد كقولهم:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

بجر (كل) مع أنها توكيد لـ(ذوي) المنصوب على المفعولية، والتوكيد يتبع المؤكد في اعرابه، فكان حقه النصب، ولكنه جر لمجاورته المجرور بالإضافة (الزوجات)[٢٧]

ولقد وسّع الكوفيون من دائرة تطبيق هذه الظاهرة، فأجازوا الجر بالمجاورة في عطف النسق، ومثلوا لذلك بأمثلة شعرية وقرآنية [٢٨].

وقد ردَّ أبو البركات الأنباري هذا الرأي المعزو إلى الكوفيين، وفنَّد حججهم [٢٩]، وكان على حق فيما ذهب إليه؛ ذلك أن الخفض على الجوار لا يحسن في المعطوف؛ «لأن حرف العطف حاجز بين الأسمين، ومبطل للمجاورة »[٣٠]. وزاد ابن هشام جواز الجر بالمجاورة في عطف البيان، وحجته في ذلك أنَّ عطف البيان كالنعت والتوكيد في مجاورة المتبوع [٣١].

وأنكر الجر بالمجاورة مطلقا كل من ابن جني والسيرافي، وتأولا أمثلته تأويلا يخرجها من بابها [٣٢]. مخالفين في ذلك جمهور نحاة البصرة الذين قصروا أثر هذه الظاهرة على أمثلة معينة في الأسماء هي في نظرهم مخالفة للقياس.

ومع أن الدكتور مهدي المخزومي في كتابه مدرسة الكوفة [٣٣]، قد امتدح البصريين، لأنهم قصروا تأثير هذه الظاهرة على أمثلة معينة لا يقاس عليها، إلا إننا نراه لا يلتزم بما قاله البصريون، بل إننا نراه يعين نحاة الكوفة على التوسع في القول بهذه الظاهرة، وذلك بذكر أمثلة أخرى، ادخلها

في باب الجوار، ولم يقل بها الكوفيون، ففي كتابه (في النحو العربي قواعد وتطبيق)[٣٤] ذهب إلى أن الضمة والكسرة والفتحة في آخر الصفة المشبهة في نحو: هذا رجل كريم أبوه، ومررت برجل كريم أبوه، ورأيت رجلا كريما أبوه، هي حركات جاءت إتباعا لحركة ما قبلها للمجاورة، لا حركات إعراب. وفي موضع آخر من هذا الكتاب ذكر أن رفع النعت السببي (كريم) في نحو قولنا: زارنا رجل كريم خلقه على «توهم انه نعت لرجل لمجاورته إياه، وهو في حقيقته صفة لما بعده، ولكنه جاوره، فتبعه في إعرابه »[٣٥].

الشيوع وكثرة الاستعمال:

هي نظرية صوتية، نادى بها بعض الدارسين المحدثين من أمثال Vilhem Thomson، ومفادها ان الأصوات التي يكثر تداولها ودورانها في الكلام، تكون أكثر عرضة للتغيير من غيرها [٣٦]. وقد أحس علماء العربية المتقدمون من أمثال سيبويه والفراء بصحة هذا العامل الصوتي، فحاولوا تطبيقه في تفسير كثير من مسائل النحو، مثل حذف ياء المتكلم مع المنادى، وترخيم المنادى، وحذف التنوين. فقد بين النحاة أن المنادى إذ اسند إلى ياء المتكلم فيه خمسة أوجه، وان أفصح هذه الأوجه هو حذف الياء، وإبقاء الكسر دالا عليه [٣٧]. وقد فسر سيبويه هذا الحذف بكثرة النداء في كلامهم[٣٨]. على أن هذه الياء إذا اتصلت في غير المنادى، فلا يجوز بها إلا إثبات، فيقال: يا ابن أخي، ويا صاحب غلامي، ويخرج عن هذا الحكم لفظان، وهما: أمّ وعمّ مع ابن وابنه؛ إذ أجازوا فيهما وجوها أخر، ومن هذه الوجوه: حذف الياء، فنقول: يا ابن أم ويا ابن عم، وعللوا ذلك بكثرة استعمال هذين اللفظين في كلامهم [٣٩].

وذكروا أن المنادى نوع من أنواع المفعول به، منصوب بفعل محذوف حذفا لازما لكثرة الاستعمال، ولدلالة حرف النداء عليه، وإفادته فائدته، ومعنى ذلك أن قولك (يا زيدُ) أصله (يا أدعو زيداً)[٤٠]. وقول النحاة إن أداة النداء تقوم مقام الفعل هو رأي غير مقبول في الدراسات اللغوية الحديثة، وذلك لسببين، أحدهما: أنَّ أدوات النداء ليس لها وظيفة سوى رفع الصوت ومده؛ لتنبيه المخاطب و المنادى، والآخر أن النداء ليس جملة فعلية، وإنما هو مركب لفظي بمنزلة أسماء الأصوات [٤١].

وقالوا: إن المنادى المفرد الموصوف بـ(ابن) إن كان غير علم، نحو (يا غلام ابن زيد)، أو فصل عن صفته بفاصل، نحو: (يا زيد الفاضل بن عمرو)، أو كان غير مضاف إلى علم، نحو (يا زيد ابن أخينا)، أو وصف بغير (ابن)، نحو: (يا زيد الكريم)، وجب ضمه . ولم يجز فتحه واستثنوا من ذلك في جواز الفتح، نحو (يا فلان ابن فلان) و (يا ضل ابن ضل) و(يا سيد ابن سيد) و (يا فاضل ابن فاضل)، ما أشبهه من المدح، وسبب هذا الفتح هو كثرة الاستعمال كالعلم [٤٢].

والترخيم من الظواهر اللغوية التي تمتاز بها العربية، ومعناه حذف آخر المنادى، لأسباب لعل أهمها التخفيف [٤٣]. وقد اتفق النحاة على جواز ترخيم المنادى، واشترطوا لذلك شروطا، ومن هذه الشروط أن يكون المنادى معرفة وإنما اختصت المعرفة بالترخيم لأن المعارف يكثر نداؤها، والشيء إذا كثر استعماله أصابه التغيير [٤٤]. وهذه المسألة قد نبه عليها سيبويه في غير موضع من كتابه، إذ ذكر أنهم رخموا حارث ومالك وعامر، لأنهم استعملوها كثيراً في الشعر، وأكثروا

التسمية بها، فقالوا: يا حارِ ويا مال ويا عامِ[٤٥]. وجاء في موضع آخر من كتابه «قد قالوا، يا صاحِ، وهم يريدون: يا صاحب، وذلك لكثرة استعمالهم هذا الحرف، فحذفوا »[٤٦].

وذهب الفراء إلى أنَّ الأصل في النداء أن يقال: يا زيداه كالندبة، فيكون الاسم واقعًا بين صوتي مد، وهما (يا) في أول الاسم، والألف في آخره، إلا أنَّه قد كثُر في كلامهم، فاستغنوا بالصوت الأول، وهو (يا) عن الثاني، وهو (الألف) في آخره[٤٧]. وقد تعقَّب أبو البركات الأنباري هذا الرأي، وردَّه، وقاله عنه هو « مجرد دعوى تفتقر إلى دليل »[٤٨].

واختلف البصريون والكوفيون في نداء ما فيه الألف واللام، فذهب الكوفيون إلى أنَّه يجوز نداءه، فيقال: يا الرجل، ويا الغلام، ومنع ذلك البصريون، واستثنوا من ذلك لفظ الجلالة (الله)، فأجازوا نداءه مع أنَّ فيه ألف ولام، وعلَّلوا ذلك بأنَّ هذه الكلمة كثر استعمالها في كلام العرب، ولا يقاس عليها غيرها[٤٩].

والقياس عند النحاة أنَّ الأفعال لا تجر، وذلك لاستحالة الإضافة إليها، بيد أنَّ العرب قد أضافت أشياء إلى الأفعال، منها أنَّها أضافت إليها (ذو)، فقالت: (اذهب بذي تسلمُ)، ومعناها اذهب والله يسلمك، وقد علَّل الزجاجي إضافة (ذي) إلى الفعل بأنَّ هذه اللفظة جرت في كلامهم مجرى المثل، وأنَّ الأمثال يحتمل فيها ما لا يحتمل في غيرها [٥٠].

ومن المعروف لدى الدارسين أنَّ البصريين عدّوا فعل ألأمر قسمًا من أقسام الفعل، وأما الكوفيون فعندهم أنَّ فعل ألأمر مقتطع من الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، وآية ذلك أنَّهم كانوا يذهبون إلى أنَّ الأصل في نحو: قم واقعد: لتقم، ولتقعد، وأنَّهم حذفوا لام الطلب في هذين الفعلين وغيرهما حذفًا مستمرًا، وفسروا ذلك بكثرة استعمال الأمر في كلامهم، وجريه على ألسنتهم[٥١]، وتابع الكوفيين على هذا الرأي كل من أبي الحسن الأخفش[٥٢]، وابن هشام الأنصاري[٥٣]، لكنَّ البصريين قد ردّوا هذا الرأي، لأنَّ فعل الأمر عندهم مبني وليس معربًا[٥٤].

وذكر النحاة أنَّه لا يجوز إثبات التنوين في العلم الموصوف بـ (ابن) المضاف إلى علم، نحو: جاءني زيدُ بن عمرو، وذلك لكثرة استعمال (ابن) بين علمين وصفًا، فطلبوا التخفيف لفظًا بحذف التنوين من موصوفه، وخطًّا بحذف همزة (ابن)، فإن لم يكن (ابن) بين علمين، نحو: جاءني كريمٌ ابن كريمٍ، أو زيدٌ ابن أخينا، لم يحذف التنوين لفظًا، وتثبت الهمزة خطًّا، لأنَّه لم يكثر استعماله كثرة إضافته إلى العلم، وكذا إذا لم يقع (ابن) صفة، نحو: زيدٌ ابنُ عمرٍو، لقلَّة استعماله أيضًا[٥٥].

وبعلَّة كثرة الاستعمال فسَّر سيبويه إضمار الفعل بعد (أما)، وحذف الخبر بعد (لولا)، وإسكان لام الأمر إذا كان قبلها فاء أو واو[٥٦].

السهولة وكراهية الاستثقال:

يميل الإنسان بالسليقة والفطرة إلى استبدال السهل من أصوات لغته بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر[٥٧]، وقد آمن اللغويون العرب القدامى بصحة هذه العلَّة، واستعانوا بها في توجيه بعض المسائل النحوية، والعادات النطقيَّة التي كانت سائدة في اللهجات العربية القديمة، حتى جعلوا من قاعدة التسهيل والتيسير، وكراهية التثقيل مسوغًا للخروج عمّا تعارفوا عليه من قواعد.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ النحويين القدامى قد أشاروا إلى هذه العلَّة في طيات مؤلفاتهم إشارات مبهمة غامضة[٥٨]، وليس بي حاجة إلى القول: إنَّ هذا الرأي لا يؤيده الواقع، ونظرة عجلى في كتب النحويين القدامى، مع قليل من التأمل فيما ورد فيها من أمثلة تخصُّ هذه الظاهرة، يتضح لنا عدم صحة هذا الزعم.

ونحن واجدون في حالات بناء الفعل الماضي خير مثال نستدل به على إدراك النحويين القدامى حقيقة ثنائية التخفيف والتثقيل، وفهمهم هذه الثنائية في معالجتهم قضايا النحو واللغة، فالفعل الماضي في بعض حالاته يبنى على الفتح، وفي حالات أخرى يبنى على السكون، وإنَّما اختاروا بناء نحو: كتبَ، وذهبَتْ على الفتح، لأنَّ الفتحة أخفُّ الحركات مع كون الفعل ثقيلاً، بسبب دلالته على شيئين، هما: الحدث والزمان، فلو أنَّه بني على الضم لاجتمع فيه ثقيلان، فطلبوا في نطقهم التخفف من أحد الثقيلين، فجاءوا به مفتوحاً[٥٩].

وعلَّلوا بناءه على السكون، إذا دخل عليه ضمير رفع متحرك، بأنَّه لو بقي على حاله لتوالت أربعة مقاطع مفتوحة، والعربية تنفر من توالي ثلاثة مقاطع مفتوحة فيما هو كالكلمة الواحدة، فيلجأ المتكلم العربي في هذه الحال إلى اختصار المقطعين الثاني والثالث من الفعل – وكلاهما من النوع الأول – إلى مقطع واحد من النوع الثالث، وقد عبَّر النحويون القدامى عن هذه الحقيقة، حين قرروا أنَّ اللسان العربي يكره اجتماع أربعة أحرف متوالية التحريك فيما هو كالكلمة الواحدة[٦٠]، بيد أنَّ العربية أباحت لنفسها توالي أربعة مقاطع مغلقة فيما هو كالكلمة الواحدة، إذ نستطيع أن نقول: استفهمْتم [٦١]، وكذلك لا ترى من ضير في اجتماع أربعة مقاطع مفتوحة في الفعل، على أن يكون المقطع الأخير أحد ضمائر النصب، نحو: منعكَ، ونصرنا.

وهذا الرأي الذي ذكرناه بخصوص الأفعال الماضية الصحيحة عند اتصالها بالضمير المتحرك المرفوع نستطيع تطبيقه أيضاً على الأفعال المعتدلة الوسط، مثل: طال، وباع، غير أنَّ هذين الفعلين وأمثالهما، يمران بأربع مراحل عند الإسناد إلى أحد ضمائر الرفع، فطال وباع أصلهما: طول وبيع، وعند الإسناد إلى أحد ضمائر الرفع (ت) يصبحان: طولْتُ وبيعتُ، وفي هذه المرحلة نرى وقوع الواو والياء بين صوتين صائتين: الواو بين الفتحة والضمة، والياء بين الفتحة والكسرة، ولهذا نلاحظ في المرحلة الرابعة ميل كل من الواو والياء إلى الاختفاء، وإلغاء الصائت الذي قبل الواو أو الياء (الفتحة)، وجعل حركة الواو أو الياء مكانه[٦٢].

ويذكر المحدثون أنَّ سبب هذا الحذف هو أنَّ العربيَّة تكره الاحتفاظ بصوت مزدوج في مقطع مغلق، وبعبارة أخرى أنَّ اللسان العربي يكره النطق بالصوامت الضعيفة (الياء والواو) مع صوت من جنسهما كالواو مع الضمة، والياء مع الكسرة[٦٣].

ومما تنطبق عليه علة السهولة بناء بعض الأسماء والحروف على غير السكون، فقد اتفق النحاة على أنَّ الأصل في البناء هو السكون، وأنَّ الحركة فرع في المبني، وأنَّه لا يبنى على حركة إلا لموجب[٦٤]، وبيَّنوا أنَّ الموجب في بناء (أينَ، وكيفَ، وثم، وسوف، وإنَّ، وهؤلاء، وأمسِ) على الحركة هو التقاء الساكنين[٦٥]، فكان عليهم أن يجعلوها مبنيَّة على الكسر، إلا أنَّهم فضَّلوا بناء

(أينَ، وكيفَ، وليتَ) على الفتحة دون الكسرة طلبًا للخفَّة، وفرارًا من الجمع بين الياء والكسرة[٦٦].

ويرى ابن عصفور أنَّ الإتباع الحركي قد يكون السبب في بنائها على الفتح[٦٧]، ولا تعارض بين الرأيين، لأنَّ الإتباع الحركي لون من ألوان التخفيف، فهو يحقق للمتكلم السهولة والسرعة في نطق الأصوات اللغوية، ويخلصه من ثقل انتقال اللسان من الضم إلى الكسر أو الفتح في الحركات المتوالية.

وأيًّا كان السبب في بناء (أينَ، وكيفَ، وليتَ) على الفتح، فإنَّ ما يثير الاستغراب هنا حقًّا أنَّ النحاة ذكروا أنَّ الأفصح في (حيثُ) أن تبنى على الضم، مع أنَّها وردت في اللهجات العربية القديمة بالصور الثلاث: الضم، والفتح، والكسر[٦٨]، وكان القياس يقضي ترجيح الفتح على الضم، لأنَّها مثل (أينَ، وكيفَ، وليت)، ولهذا السبب اختلفوا في توجيه علَّة الضم فيها، إذ ذهب الفراء إلى أنَّهم ضموها لأنها تدل على محذوف، مثل: قبلُ وبعدُ[٦٩]، وذهب هشام بن معاوية الضرير(ت ٢٠٩ هـ) إلى أنَّها ضمت لأنَّ أصلها (حوْثُ)، فلما قلبوا واوها ياءً ضموا آخرها[٧٠]، ولنا رأي في بناء (حيثُ) على الضم سنذكره عند الحديث عن علَّة التقاء الساكنين.

وفسَّروا بناء (ثمَّ) على الفتح بالاستثقال من اجتماع الكسرة والضمة[٧١]، وبمثل ذلك علَّلوا بناء (سوفَ) على الفتح، إذ ذكروا أنَّ الفاء في سوف قبلها واو، فكرهوا كسرها للواو قبلها، « والكسرة قريبة من الواو لقرب الواو من الياء الذي هو من الكسرة »[٧٢].

وأما (إنَّ) فاختير فيها الفتح كراهية أن تجتمع كسرتان من غير فصل قوي، إذ ليس بين النون المتحركة والهمزة المكسورة إلا حرف ساكن، وهو حاجز غير حصين[٧٣].

وكان ينتظر من النحاة أن يفضلوا الفتح على الكسر في بناء (جيْر) ولاسيما أنها وردت بالصورتين في الكلام العربي[٧٤]، إلا أنهم رجحوا بناءه على أصل حركة التقاء الساكنين، ولم يعنوا بعامل الخفَّة فيه، كما كان ذلك في كيفَ وأينَ، ويبدو أنَّ السبب في ذلك هو قلة استعمال (جيرِ) في اللسان العربي.

وعلَّلوا بناء (هؤلاءِ) على الكسر بأنَّه ليس فيه ما يستنكر من اجتماع الياء والكسرة، ولوجود الألف قبل الحرف الأخير، « والألف نهاية من الخفة، والبعد عن الثقل، فلا يكون للكسرة تأثير وكلفة على اللسان معه »[٧٥]، وبمثل هذا التفسير فسَّروا بناء (أمسِ) على الكسر[٧٦]، ونحن نظنُّ أنَّ وقوع الألف قبل الحرف الأخير في هؤلاءِ هو السبب في بنائها على الكسر دون الفتح، والهدف من ذلك هو تجنب النطق بمجموعة أصوات متحدة الطابع ومتواصلة، وقد فعلوا مثل هذا في جمع المؤنث السالم، حين نصبوه بالكسرة بدلاً عن الفتحة، فأحدثوا مخالفة بإبدال الفتحة القصيرة كسرة قصيرة لمجاورتها لفتحة طويلة[٧٧].

ويدخل في هذا الباب تعليلهم رفع الفاعل ونصب المفعول به، فقد ذكروا أنَّ الفاعل في الكلام أقلّ من المفعول، فلكل فعل فاعل واحد، على حين قد يكون للفعل الواحد مفعولان أو أكثر، فأعطوا الضمة – وهي صوت ثقيل – للفاعل، وجعلوا الفتحة – وهي صوت خفيف – للمفعول به، حتى يقل في كلامهم ما يستثقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون[٧٨]، وبهذه العلة فسَّروا فتح

حروف المضارعة في الثلاثي، وضمها في الرباعي[٧٩]، ومثل ذلك ذهابهم إلى أنَّ الواو والياء قد أسكنا في نحو: يغزو ويرمي في حال الرفع بأنه استثقال للضمة فيهما، وحركا في حال النصب، نحو: لن يغزو، ولن يرميَ لخفة الفتحة فيهما[٨٠].

ويدخل في هذا الباب تفسيرهم تخصيص الجزم والسكون بالأفعال، وتخصيص الجر بالأسماء بأنَّ الأفعال أثقل من الأسماء، قال الزجاجي « إنما جزمت الأفعال لثقلها، فخففت بالجزم، لأنه حذف، وإنَّ الأسماء أحمل للخفض لخفتها، ليعتدل الكلام بتخفيف الثقيل، وإلزام بعض الثقيل للخفيف »[٨١]، ولهذا السبب لا نراهم يصوغون فعلاً خماسيًا، كما صاغوا الاسم، نحو: سفرجل، وصهصَلِق[٨٢]، ولهذا السبب أيضًا لم يدخل التنوين على الأفعال، واختصَّ بالأسماء[٨٣].

وكان لعلتي التخفيف والتثقيل نصيب في موضوع العدد، فقد ذكر النحاة مثلاً أنَّ التاء في ثلاثة إلى تسعة في المركب العددي، تثبت إن كان المعدود مذكرًا، وتحذف إن كان المعدود مؤنثًا، وأما تاء (عشرة) في هذا المركب فتجري بالعكس من ذلك، إذ تسقط في المعدود المذكر، وتثبت في المعدود المؤنث، فيقال مثلاً: عندي ثلاثة عشر رجلاً، وجاءت تسع عشرة امرأة، وفسَّروا ذلك بكراهة اجتماع علامتي تأنيث من جنس واحد[٨٤].

ونختم الحديث عن ثنائية التخفيف والتثقيل بحقيقة ذكرها الخليل، واستعان بها في تفسير نصب المنادى ورفعه، وهذه الحقيقة هي أنَّ الكلام إذا طال ثقل، ولهذا يلجأ المتكلم العربي إلى استعمال الفتحة بدلاً من الضمة في نصب المنادى المضاف، والمنادى الشبيه بالمضاف، وما يسمونه النكرة غير المقصودة؛ بوصفها الحركة الخفيفة التي يهرع إليها العرب إذا أرادوا التخلص من الثقل، جاء في كتاب سيبويه على لسان الخليل بأنَّهم: « نصبوا المضاف، نحو: يا عبد الله، ويا أخانا، والنكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحًا، حين طال الكلام، كما نصبوا هو قبلك، وهو بعدك، ورفعوا المفرد، كما رفعوا قبلُ وبعدُ...»[٨٥]، وأما غير الخليل من النحاة فلم يحالفهم التوفيق في تفسير هذه المسألة[٨٦].

وقد استعار الدكتور مهدي المخزومي هذا الذي ذكره الخليل، ففسر به فتح الجزء الأول من المركب، نحو: أحد عشر، وخمسة عشر، ونحو صباحَ مساءَ، وبينَ بينَ، وشذرَ مذرَ، وفتح الحرف الذي يليه الهاء في التأنيث كفاطمة وكاتبة وأمثالهما، وجوازهم فتح المنادى المفرد الموصوف بـ (ابن) بعده علم، نحو: يا زيدَ بنَ سعيد[٨٧].

التقاء الساكنين:

من الظواهر النطقية الممتنعة في حال الوصل في العربية، وتحصل في الكلمة الواحدة، وبين الكلمتين، حين يتجاور صوتان صامتان يخلوان من الحركة، فيلجأ الناطق العربي في هذه الحال إلى التخلص منها بوسيلة من الوسائل المتاحة في لغته.

ولقد ذهب اللغويون العرب إلى أنَّ الأصل في حركة التقاء الساكنين هي الكسرة[٨٨]، ونحن نرى أنَّ التوفيق لم يحالفهم في هذا التحديد، إذ لا نرى مبررًا مقنعًا يدعو إلى ذلك، وإذا كان لا بدَّ من تحديد حركة اتصال ساكن بساكن، فإنَّ من المفترض سلفًا أنْ يختاروا الفتحة؛ بوصفها الحركة التي

يستريح إليها العرب، إذا أرادوا التخلص من الثقل، وإلا فإنَّ التعويل على الكسرة لتفادي موقعية التقاء الساكنين كمن يهرب من ثقل، فيقع في ثقل آخر.

ومع أنَّ علماء العربية القدامى قد اتفقوا على أنَّ الأصل في التخلص من التقاء الساكنين أن يكون بالكسر، وطبقوا ذلك على أمثلة من نحو: أمسِ، وهؤلاءِ، وجيرِ، إلا أننا نراهم أحيانًا يختارون الفتحة دون الكسرة طلبًا للخفة، ويمكن أن نلاحظ ذلك في فتحهم نون (من) في قولهم (من الله)، واختيارهم الفتح في بناء (كيفَ، وأينَ)[٨٩]، وفي صنف ثالث من الامثلة نراهم يفضلون الضمة على غيرها، وذلك في الحالات التي تؤدي إلى حصول ما يسمى ظاهرة الإتباع الحركي، كالذي نجده في ضم ذال (منذُ)، ولام (قل) في قوله تعالى: (قل انظروا)[٩٠]، فالذال في منذ ضمت إتباعاً لضمة الميم، واللام في (قل) ضمت إتباعاً لضمة الظاء[٩١].

وأما ما يخرج عن الحالين السابقين، أعني: طلب الخفة، والإتباع الحركي، فإنَّ تحديد حركة تفادي التقاء الساكنين فيه يعتمد على تأثير الصوت الصامت في الحركة التي تليه، ومن ذلك تأثير الصوامت المفخمة في نطق الكسرات، بحيث تغير اتجاهاتها إلى أن تصير ضمات[٩٢].

ولوحظ أنَّ الأصوات الحلقية بوجه عام تميل إلى أن تكون أصوات المد المجاورة لها فتحات[٩٣]، ومن هذا القبيل تأثير الصوامت الشفوية في أصوات المد، وونزوعها بوجه عام إلى أن يكون ما بعدها ضمة في العربية[٩٤].

ولعلَّ تحريكهم ميم الجمع بالضم تخلصًا من التقاء الساكنين في نحو قوله تعالى: ((كتب عليكم الصيامُ))[٩٥]، وقوله تعالى: ((لهم البشرى))[٩٦] دليلاً قويًا على صحة هذه الملاحظة، وقد فسر جان كانتينيو هذا التأثير بأنَّ الصوت الشفوي (الميم) يميل في أثناء النطق به إلى أنْ تكون الشفتان مستديرتين، فكان أن أثّرت هذه الاستدارة في نطق أصوات المد المجاورة لها، أو قربتها من الضمة[٩٧].

وقد يكون لهذا الذي ذكرناه علاقة وثيقة في ترجيح النحاة الضم على الكسر، والفتح في بناء (حيث) لعلمنا أن عضلة اللسان تؤدي مهمة أساسية في إصدار صوتي الثاء والواو، إذ يتم إصدار صوت الثاء من ملامسة طرف اللسان للأسنان العليا، فإذا ترك اللسان الأسنان العليا، وارتفع نحو الحنك الأعلى، صدر صوت الضمة [٩٨].

وبناءً على ما تقدَّم نستطيع أنْ نقول أنَّ حركة التخلص من التقاء الساكنين في العربية: الفتحة أو الكسرة أو الضمة، وأنَّ هناك ثلاثة عوامل تتحكم في اختيار هذه الحركة، وهي: طلب الخفة، والإتباع الحركي، وإيثار بعض الحروف لحركة معينة.

وقد تحدث اللغويون العرب عن مواضع التقاء الساكنين في العربية، وذكروا طرق التخلص منها، وأشبعوها بحثًا ودرسًا وتمثيلاً[٩٩]، وكانوا في دراستهم هذه الظاهرة قد أصابوا في بعض المواضع، ووقعوا في أخطاء وهنات في مواضع أخرى، ونحن هنا سنوجز القول في أهم الأوهام التي وقعوا فيها، وهم يدرسون هذه العلة، مستفيدين من الملاحظات التي توصل إليها علم اللغة الحديث، فقد ذكر اللغويون العرب القدامى أنَّ الأصل في المبنى أنْ يبنى على السكون، وفسروا بناء نحو (هؤلاء، والآن، وأيّان، وحذامِ، وقطامِ) على الحركة بعلة التقاء الساكنين[١٠٠]، وعندهم أنَّ النون في المثنى والجمع، نحو: مسلمانِ ومسلمونَ في الأصل ساكنة، إلا أنَّها حركت لاجتماع الساكنين، الألف

والواو مع النون[١٠١]، وبمثل ذلك فسروا تحريك النون في الأفعال الخمسة (تفعلان ويفعلان وتفعلون ويفعلون وتفعلين)، وهذه النون عندهم في الأصل ساكنة[١٠٢].

والحقيقة أنه لا وجود لما يسمى التقاء الساكنين في هذه الأمثلة التي ذكرناها، والتي أدخلها القدماء في هذا الباب « وقد وقع النحويون في هذا الوهم بسبب الخط العربي »[١٠٣]، فعدوا الحركات الطويلة (الألف والياء والواو) حروفًا ساكنة، وتصوروا وجود فتحة قبل الألف، وكسرة قبل الياء، وضمة قبل الواو.

ولعلَّ السبب الذي دفعهم إلى تحريك الساكن في الأمثلة التي ذكرناها هو أنَّ عدم التحريك سيضعنا أمام ما يسمى النوع الرابع من المقاطع، وهذا المقطع لا وجود له في نهايات الكلمات العربية إلا في حال الوقف[١٠٤]، والكلمات التي استشهدنا بها جميعًا كانت في حال الوصل، وإلا فإنَّ « التقاء الساكنين يغتفر في حالة الوقف مطلقًا »[١٠٥].

ويبدو أن رفض العربي النطق بمقطع طويل مغلق في نهاية الكلمة هو الذي جعل البصريين يذهبون إلى أنَّ نون التوكيد الخفيفة لا تقع بعد ألف الاثنين[١٠٦]، وهذه الحقيقة نفسها هي التي تفسر لنا تحويل الصائت الطويل إلى صائت قصير في الفعل المعتل الوسط عند جزمه، فيقال: لم يخفْ، ولم يبعْ، ولم يقل بدلاً من لم يخاف، ولم يبيع، ولم يقول[١٠٧]، ويمكن تطبيق هذا الملحظ الصوتي أيضًا في تعليل تحويل الصائت الطويل إلى صائت قصير في الفعل الماضي المعتل الآخر عند إسناده إلى تاء التأنيث الساكنة، فيقال مثلاً في سعى ودعا وقضى عند الإسناد إلى تاء التأنيث الساكنة: سعتْ، ودعَتْ، وقضَتْ.

ويجوز أنْ يأتي النوع الرابع من المقاطع في العربية في غير أواخر الكلمات، أي في وسط الكلمة وبدايتها[١٠٨]، فعند النحاة جميعًا أنَّ مجيء نون التوكيد الثقيلة بعد ألف الاثنين، نحو: (اضربانِّ يا زيدان) جائز مستساغ، وإن أدّى ذلك – بحسب رأيهم – إلى التقاء الساكنين[١٠٩]، وكذلك وقوع نون التوكيد الثقيلة بعد الفعل المسند إلى نون جماعة الإناث، بعد الإتيان بألف فاصلة النونين، نحو: (اضربنانِّ يا هندات)[١١٠]، ومثل ذلك قولهم: شابَّة، والضالّين، وادهامِّ[١١١]، وهذه هي الحالة التي عبَّر عنها اللغويون العرب بـ (التقاء الساكنين على حدهما)، وهي أن يكون الصوت الأول حركة طويلة، والثاني مشدَّدًا[١١٢].

وكان بعض العرب من تميم وعكل يستثقلون النطق بهذا المقطع، فيحولونه إلى مقطعين شائعين شيوعًا قويًا في الكلام العربي، أحدهما من النوع الأول، والآخر من النوع الثالث، عن طريق تغيير الألف إلى همزة مفتوحة، فيقولون: دأَبَة، وشأَبَة[١١٣]، وقيل لامرأة من تميم: ما أذهب أسنانك ؟ فقالت: (أكل الحأّر، وشرب القأّر)[١١٤].

واحتمل رضي الدين الاسترابادي أنْ يكون السعي إلى المبالغة في تحقيق الهمز هو العامل الأساسي في إبدالهم الألف بهمزة مفتوحة، جاء في شرح الشافية: « ويجوز أن يقال: إنَّ قلب الألف في نحو دابَّة همزة ليس للفرار من التقاء الساكنين، بل هو كما في العألم، والبأز...»[١١٥]، وإلى هذا الرأي ذهب الدكتور غالب المطلبي[١١٦].

وعلى أيَّة حال، فإنَّ هذه الظاهرة قد امتدَّ أثرها إلى القراءات القرآنية، فقد روي عن أيوب السختياني أنَّه قرأ قوله تعالى: ((ولا الضألّين))[١١٧] بهمزة مفتوحة بدلاً من الألف[١١٨]، وكذا فعل أبو عثمان عمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ) في قراءته لقوله تعالى: ((فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن))[١١٩]، بجعل الألف في (جان) همزة مفتوحة[١٢٠].

الخاتمة:

درسنا فيما مضى العوامل الصوتية التي استعملها اللغويون العرب القدامى في دراسة موضوعات النحو، وقد قصرنا جهدنا على دراسة علل: المجاورة، والشيوع، والسهولة، والتقاء الساكنين، بوصفها أكثر العلل التي استعملها النحاة في تفسير ما يدخل في باب النحو، ورغبة منا في أنْ نترك لغيرنا إكمال هذا الموضوع، وسد النقص الحاصل فيه.

وقد اتضح لنا أنَّ علماء العربيَّة القدامى قد عنوا بدراسة الأصوات منذ وقت مبكر من نشأة الدراسات النحوية، ولكنَّ من المؤسف حقًّا أنَّهم ركَّزوا جل اهتمامهم على دراسة موضوعات علم الأصوات العام، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّ الذين جاءوا بعد الخليل وسيبويه والفراء وابن جني لم يأتوا بشيء ذي قيمة في هذا المجال، لأنَّهم كانوا مصابين بما يمكن أن نسميه (مرض تقديس الشخصيات).

وكان السر في اهتمام اللغويين العرب القدامى بدراسة الأصوات هو اتصال علم الأصوات الوثيق بعلم قراءة القرآن الكريم، فضلاً عن العلاقة الوثيقة بين علم الأصوات من جهة، وعلمي النحو والصرف من جهة أخرى، وهي علاقة تجعلنا نؤكد على ضرورة توظيف الدراسة الصوتية في خدمة الدراستين النحوية والصرفية، ثمَّ إنَّ هذا الضرب من الدراسات يبين لنا حقيقة أخرى وهي أنَّ هنالك صورًا من الاستعمال اللغوي تخالف القياس العام، أو القواعد المألوفة التي استقرَّت عند الدارسين على أنَّها تمثل العربيَّة الفصحى، وأنَّ هذه الصور مع مخالفتها لما نسميه اللغة النموذجية، إلا أنَّها تعد فصيحة.

وقد لاحظ النحاة أنَّ لإعراب بعض الكلمات تأثيرًا في إعراب البعض، إذ قد تجاور كلمة كلمة أخرى، وتؤثر فيها، وبنوا على هذا التأثر ظاهرة صوتية، أطلقوا عليها اسم الجوار، وفي ضوء هذه الظاهرة فسَّروا جازم جواب الشرط، ومسائل أخر خرجت عن القواعد التي تعارفوا عليها، وتدخل في أبواب النعت والتوكيد والعطف، وهناك عامل صوتي آخر آمن النحاة بصحته، وحاولوا تطبيقه في تفسير كثير من مسائل النحو، ولاسيما تلك القضايا التي تتصل بموضوعات النداء، وفعل الأمر، والتنوين، وهذا العامل هو الشيوع وكثرة الاستعمال.

وكانت علَّة السهولة وكراهية الاستثقال من العلل التي استعانوا بها في توجيه بعض المسائل النحوية والعادات النطقية التي كانت سائدة في اللهجات العربية القديمة، فجعلوا من قاعدة التسهيل، وكراهية التثقيل مسوغًا للخروج على قوانين التركيب المعياري.

ومن المسائل التي فسرت في ضوء هذه الثنائية: معظم حالات بناء الفعل الماضي، وبناء بعض الأسماء والحروف على الفتحة أو الكسرة بدلاً من السكون، وتخصيص الجزم والسكون بالأفعال والجر بالأسماء، ومسائل أخر تتصل بموضوعي العدد والنداء.

وقد تبيَّن لنا من دراستنا لعلَّة التقاء الساكنين أنَّ هناك موضعًا واحدًا يغتفر فيه التقاء الساكنين، وهو حال الوقف ليس غير، وأنَّ حركة التقاء الساكنين في العربية هي الفتحة، أو الكسرة، أو الضمة، وأنَّ هناك ثلاثة عوامل تتحكم في اختيار هذه الحركة، هي: طلب الخفة، والإتباع الحركي، وإيثار بعض الحروف لحركة معينة.

وقد وقع اللغويون العرب في دراستهم هذه الظاهرة في بعض الأغلاط والأوهام، ولعلَّ مصدر هذه الأوهام أنَّهم عدّوا الحركات الطويلة (الألف والواو والياء) حروفًا ساكنة، فضلاً عن عدم معرفتهم بموضوع المقاطع الصوتية.

الهوامش:

١. الإيضاح في علل النحو: ٦٦.
٢. ينظر / التطور النحوي للغة العربية: ٥.
٣. ينظر / مدرسة الكوفة: ١٦٨، نشأة دراسة حروف المعاني وتطورها: ٢٣.
٤. أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ١٧٦.
٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومناهجه: ١٤٧.
٦. ينظر / نشأة دراسة حروف المعاني وتطورها: ٢٣.
٧. ينظر / فقه اللغة العربية وخصائصها: ٣٥، أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ١٨٩.
٨. يمكن تعريف التنغيم بأنه ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام، أو التغييرات التي تطرأ على درجة الصوت في الكلام المتصل؛ بسبب اهتزاز الأوتار الصوتية. ينظر / مناهج البحث في اللغة: ١٦٤، وعلم اللغة (محمود السعران): ٢١٠.
٩. ينظر / المنهج الصوتي للنحو العربي في معاني القرآن للفراء، د. محمد كاظم البكاء، مجلة المورد: ١٠٩ – ١١٠، العدد الرابع، المجلد السابع عشر، سنة ١٩٨٨ م.
١٠. ينظر / ابن جني النحوي: ١١٧.
١١. ينظر / علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: ٧٣ – ٧٤.
١٢. ينظر / الظواهر الصوتية عند الكوفيين في ضوء علم اللغة الحديث: ٥٨.
١٣. علم اللغة، د. محمود السعران: ١٣٢.
١٤. ينظر / مدرسة الكوفة: ١٦٦ – ١٦٧.
١٥. ينظر / الظواهر الصوتية عند الكوفيين: المقدمة: أ.
١٦. الأصوات اللغوية: ١١٧.
١٧. ينظر / لهجة تميم: ٢٠١ – ٢٠٤.
١٨. ينظر / علم اللغة، د. محمود السعران: ١٣٣ – ١٣٤، ومناهج البحث في اللغة: ١٦٤.
١٩. ينظر / شرح التسهيل: ٣ / ٣٩٧، وحاشية الصبان: ٤ / ٢٣.
٢٠. ينظر / الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢ / ٣٠٣، ٣٦٣ – ٣٦٤.
٢١. ينظر / الكتاب: ٣ / ٧٢.
٢٢. ينظر / شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٩١ – ٩٢.

٢٣. في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣٩٩.
٢٤. شرح التسهيل: ٣ / ١٦٩، وشرح شذور الذهب: ٣٣٠.
٢٥. ينظر / الكتاب: ١ / ٥٠٠، والإنصاف: ٢ / ٣٥٨.
٢٦. ينظر / شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٩٢.
٢٧. ينظر / شرح شذور الذهب: ٣٣١، وهمع الهوامع: ٢ / ٤٤٠ – ٤٤١.
٢٨. ينظر / الإنصاف: ٢ / ٣٥٣.
٢٩. المصدر نفسه: ٢ / ٣٥٦ – ٣٥٨.
٣٠. شرح شذور الذهب: ٣٣١.
٣١. ينظر / المصدر نفسه: ٣٣٢، وهمع الهوامع: ٢ / ٤٤١.
٣٢. ينظر / همع الهوامع: ٢ / ٤٤١.
٣٣. ينظر / مدرسة الكوفة: ٣٠١.
٣٤. في النحو العربي قواعد وتطبيق: ٢٦.
٣٥. المرجع نفسه: ١٨٨.
٣٦. الأصوات اللغوية: ١٧٧.
٣٧. ينظر / شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٩٩ – ١٠٢، وهمع الهوامع: ٢ / ٤٣٨
٣٨. ينظر / الكتاب: ٢ / ٢١٣.
٣٩. ينظر / شرح جمل الزجاجي: ٢ / ١٠٤، وهمع الهوامع: ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩
٤٠. ينظر / شرح التسهيل: ٣ / ٢٤٢، وشرح الرضي على الكافية: ١ / ٣٤٦، وحاشية الصبان: ٣ / ٢٠٨.
٤١. ينظر / في النحو العربي نقد وتوجيه: ٣٠٢، ٣١١.
٤٢. ينظر / شرح التسهيل: ٣ / ٢٥٠ – ٢٥١، وهمع الهوامع: ٢ / ٤١.
٤٣. ينظر / الإنصاف: ١ / ٢١٩، وشرح جمل الزجاجي: ٢ / ١١٣.
٤٤. ينظر / أوضح المسالك: ٤ / ٥٥.
٤٥. ينظر / الكتاب: ٢ / ٢٥٨.
٤٦. المصدر نفسه: ٤ / ٢٦٥.
٤٧. الإنصاف: ١ / ٢٠٠.
٤٨. المصدر نفسه: ١ / ٤٠٢.
٤٩. المصدر نفسه: ١ / ٢٠٨ – ٢١١.
٥٠. ينظر / الإيضاح في علل النحو: ١١٢ – ١١٨.
٥١. ينظر / شرح القصائد السبع لأبي بكر الأنباري: ١٨، ٣٨، وإيضاح الوقف والابتداء: ١ / ٢٢٣.
٥٢. منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية: ٤٠٢.
٥٣. مغني اللبيب: ١ / ٢٢٧.

٥٤. ينظر / الإنصاف: ٢ / ٣٠٩، وارتشاف الضرب: ٢ / ٦٧٤.
٥٥. ينظر / شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٤٤٨، وشرح الرضي على الكافية: ٢ / ٤٨٢ – ٤٨٣.
٥٦. ينظر / الكتاب: ١ / ٣٥٢، ٢ / ١٢٨، ٤ / ٢٦٤.
٥٧. ينظر / الأصوات اللغوية: ١٧٤ – ١٧٥، ولحن العامة والتطور اللغوي: ٤٤، والمعجم المفصل في فقه اللغة: ١٣٠.
٥٨. ينظر / الأصوات اللغوية: ١٧٦.
٥٩. ينظر / شرح الرضي على الكافية: ٤ / ١٤، وأوضح المسالك: ١/٣٦.
٦٠. الإيضاح في علل النحو: ٧٥، وشرح جمل الزجاجي: ١/١٦٣، وحاشية الصبان: ١ / ٨٧.
٦١. ينظر / الأصوات اللغوية: ٦٤.
٦٢. ينظر / همع الهوامع: ١ / ١٩٣ – ١٩٤.
٦٣. ينظر / العربية الفصحى: ٤٦، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٥٧ – ٥٩.
٦٤. ارتشاف الضرب: ٢ / ٦٧٣، وهمع الهوامع: ١ / ٧٣.
٦٥. ينظر / المقتصد: ١٢٥ – ١٢٦، ١٣٢ – ١٣٣، وشرح جمل الزجاجي: ٢ / ٣٣٦ – ٣٣٧.
٦٦. ينظر / المقتصد: ١٣٤، ١٣٩، وشرح الرضي على الكافية: ٣ / ٢٠٢.
٦٧. ينظر / شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٣٣٧.
٦٨. ينظر / شرح الشافية: ٤ / ٢٤٧، ومغني اللبيب: ١ / ١٣١، وهمع الهوامع: ٢ / ١٥٢.
٦٩. ينظر / مجالس ثعلب: ٢ / ٥٥٨.
٧٠. المصدر نفسه: ٢ / ٥٥٨، ولسان العرب: ١ / ٨٦١.
٧١. ينظر / المقتصد: ١٣٩، ومنهج السيرافي في شرح كتاب سيبويه: ١٥٦.
٧٢. المقتصد: ١٣٩.
٧٣. ينظر / المصدر نفسه: ١٣٨.
٧٤. ينظر / مغني اللبيب: ١ / ١٢٠، وهمع الهوامع: ٢ / ٤٠٧.
٧٥. المقتصد: ١٣٩ – ١٤٠.
٧٦. ينظر / المصدر نفسه: ١٤٠.
٧٧. ينظر / العربية الفصحى: ٤٨.
٧٨. ينظر / شرح جمل الزجاجي: ١ / ١٦٢، وهمع الهوامع: ١ / ٧٥.
٧٩. ينظر / شرح الرضي على الكافية: ٤ / ١٩.
٨٠. ينظر / المقتصد: ١٨١.

٨١. الإيضاح في علل النحو: ١٠٦.
٨٢. المقتصد: ١٦٨.
٨٣. الإيضاح في علل النحو: ٩٧.
٨٤. ينظر / همع الهوامع: ٣ / ٢٢٠، ومنهج السيرافي في شرح كتاب سيبويه: ١٣١.
٨٥. الكتاب: ٢ / ١٨٤.
٨٦. ينظر / شرح التسهيل: ٣ / ٢٤٢، وشرح الرضي على الكافية: ١ / ٣٤٦، وحاشية الصبان: ٣ / ٢٠٨.
٨٧. ينظر / في النحو العربي نقد وتوجيه: ٨١، ٣٠٧ – ٣٠٨.
٨٨. ينظر / شرح جمل الزجاجي: ٢ / ٣٣٢، وارتشاف الضرب: ٢ / ٧٢٠، وهمع الهوامع: ٣ / ٣٧٢.
٨٩. ينظر / الكتاب: ٤ / ٢٦٦.
٩٠. يونس: ١٠١.
٩١. ينظر / الكتاب: ٤ / ٢٦٥، والمقتصد: ١٤٨، والإنصاف: ١ / ٢٣٧.
٩٢. ينظر / دراسة الصوت اللغوي: ٣٢٩، ودراسة في أصوات المد العربية: ٥١.
٩٣. ينظر / دراسة في أصوات المد العربية: ٢٨٢.
٩٤. دروس في علم أصوات العربية: ١٨٢.
٩٥. البقرة: ١٨٣.
٩٦. يونس: ٦٤.
٩٧. دروس في علم أصوات العربية: ١٨٣.
٩٨. ينظر / دراسة الصوت اللغوي: ٢٦٩.
٩٩. ينظر / الكتاب: ٤ / ٢٦٥ – ٢٦٩، ٢٧٠ – ٢٧١، وشرح الشافية: ٢ / ٢١٠ – ٢٥٠، وهمع الهوامع: ٣٧٠ – ٣٧٤، وارتشاف الضرب: ٢ / ٧١٧ – ٧٢٨.
١٠٠. ينظر / المقتصد: ١٢٥ – ١٢٦، والإنصاف: ٢ / ٣٠١، وشرح الجمل: ٢ / ٣٣٦ – ٣٣٧.
١٠١. ينظر / شرح الشافية: ٢ / ٢٢٥، وهمع الهوامع: ١ / ١٦٠، وحاشية الصبان: ١ / ١٣٦.
١٠٢. ينظر / الإيضاح في علل النحو: ٧٤، وهمع الهوامع: ١ / ١٧١ – ١٧٢.
١٠٣. المعجم المفصل في فقه اللغة: ٥٠.
١٠٤. ينظر / الأصوات اللغوية: ١١٤، ولحن العامة: ٥٠.
١٠٥. شرح الشافية: ٢ / ٢١٠.
١٠٦. ينظر / الإنصاف: ٢ / ٢٨١، وهمع الهوامع: ٤ / ١١٠.
١٠٧. ينظر / الكتاب: ٤ / ٢٧٠ – ٢٧١.
١٠٨. ينظر / العربية الفصحى: ٤٤، والأصوات اللغوية: ١١٤.

١٠٩. ينظر / شرح الشافية: ٢ / ٢١٣.
١١٠. ينظر / همع الهوامع: ٢ / ٥١٥.
١١١. ينظر / شرح الشافية: ٢ / ٢١٢، ٢٤٧، وارتشاف الضرب: ٢/٧١٨.
١١٢. ارتشاف الضرب: ٢ / ٧١٧، وحاشية الصبان: ١ / ٩٨.
١١٣. ينظر / شرح الشافية: ٢ / ٢٤٨.
١١٤. ارتشاف الضرب: ٢ / ٧١٧.
١١٥. شرح الشافية: ٢ / ٢٥٠.
١١٦. ينظر / لهجة تميم: ٨٦.
١١٧. الفاتحة: ٧.
١١٨. ينظر / البحر المحيط: ١ / ٣٠.
١١٩. الرحمن: ٣٩.
١٢٠. ينظر / البحر المحيط: ١ / ٣٠.

روافد البحث:

١. القرآن الكريم.
٢. أبحاث ونصوص في فقه اللغة، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨ م.
٣. ابن جني النحوي، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار النذير، بغداد، ١٩٦٩ م.
٤. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ)، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، ط١، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٨ م.
٥. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، ط٣، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦١ م.
٦. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٥ م.
٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ م)، ط٥، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٧ م.
٨. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٣ م.
٩. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط٥، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١ م.
١٠. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠ م.
١١. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تصحيح وتعليق الدكتور رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، مطبعة المجد، ١٩٨٢ م.

١٢. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان، (ت ١٢٠٦ هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م.
١٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٦ م.
١٤. دراسة الصوت اللغوي، الدكتور أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦ م.
١٥. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينيو، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٧٧ م.
١٦. شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م.
١٧. شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ)، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، مديرية دار الكتب – جامعة الموصل، ١٩٨٠ م، و ١٩٨٢ م.
١٨. شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ)، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق، طهران، ١٩٧٨ م.
١٩. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٨ هـ.
٢٠. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٧، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٧ م.
٢١. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق الدكتور عبد السلام محمد هارون، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠ م.
٢٢. الظواهر الصوتية عند الكوفيين في ضوء علم اللغة الحديث، عباس علي إسماعيل، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٩٩٩ م.
٢٣. العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، هنري فليش، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦ م.
٢٤. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، الدكتور هادي نهر، ط١، دار الأمل، الأردن، ٢٠٠٧ م.
٢٥. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الدكتور محمود السعران، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢ م.
٢٦. فقه اللغة العربية وخصائصها، الدكتور إميل بديع يعقوب، ط٢، دار الكتب، الموصل، ١٩٩٩ م.
٢٧. في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، الدكتور غالب المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٤ م.
٢٨. في النحو العربي قواعد وتطبيق، الدكتور مهدي المخزومي، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٦ م.

٢٩. في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي المخزومي، ط١، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، ١٩٦٤ م.
٣٠. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور عبد الصبور شاهين، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦ م.
٣١. الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بـ (سيبويه) (ت ١٨٠ هـ)، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ م.
٣٢. لحن العامة والتطور اللغوي، الدكتور رمضان عبد التواب، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧ م.
٣٣. لسان العرب (الجزء الأول)، ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ م.
٣٤. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، الدكتور غالب المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٨ م.
٣٥. مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ)، تحقيق الدكتور عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠ م.
٣٦. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، الدكتور مهدي المخزومي، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٨ م.
٣٧. المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس معن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١ م.
٣٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.
٣٩. المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٨٢ م.
٤٠. مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمام حسان، مكتبة الإنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٥٥ م.
٤١. منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية، الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ودار التربية، بغداد، ١٩٧٥ م.
٤٢. منهج السيرافي في شرح كتاب سيبويه، الدكتور محمد عبد المطلب البكاء، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠ م.
٤٣. المنهج الصوتي للنحو العربي في معاني القرآن للفراء، الدكتور محمد كاظم البكاء، مجلة المورد، المجلد السابع عشر، العدد الرابع، سنة ١٩٨٨ م.
٤٤. نشأة دراسة حروف المعاني وتطورها، الدكتور هادي عطية مطر الهلالي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥ م.
٤٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ م.

الجذر [ض ر ب]

بين الدلالة المعجمية والاستعمال القرآني

د. حميد عبد الحمزة عبيد الفتلي

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الجذر (ض ر ب)

بين الدلالة المعجمية والاستعمال القرآني

د. حميد عبد الحمزة عبيد الفتلي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

وبعد؛

فاللغة العربية ذات التراث الخصب ما زالت ينبوعًا متدفقًا للعلم والمعرفة لمن أراد أن يضرب بسهم فيها، والألفاظ دلائل على المعاني، والعمل المعجمي يعد واحدًا من روافد اللغة التي تمدها باللفظ وبنيته واشتقاقاته، فضلًا عن المعاني التي يدل عليها كل لفظ من هذه الألفاظ.

إنَّ الدلالة المعجمية واحدة من أنواع الدلالة التي تناولها اللغويون، ونصوا عليها في دراساتهم، ومعناها الوصول إلى المعاني الحقيقية للألفاظ، على أنَّه يمكن للمعجمي أن يتناول بعد تتبع المعنى الحقيقي للفظ المعاني المجازية إن وجدت، وهذا ما يعرف لدى الدلاليين بالدلالة الإضافية، ولدى البلاغيين بالمعنى المجازي للفظ.

والقرآن الكريم المعجز في ظاهره وباطنه كثيرًا ما يشير إلى الاستعمالات المجازية للألفاظ فضلًا عن الاستعمال الحقيقي.

وسنحاول في هذا البحث تتبع الجذر (ض ر ب) موضحين معناه الحقيقي في المعجم، كما نشير إلى بعض المعاني المجازية التي نص عليها المعجميون، ثمَّ نشير إلى الاستعمال القرآني لهذا الجذر محاولين الربط بين الدلالتين، أو قل بين الاستعمالين مردفين ذلك كله بآي من الذكر الحكيم لتثبيت المعنى وترسيخه مستعينين بما تيسَّر لنا من التفاسير، وقد أسميناه (الجذر (ض ر ب) بين الدلالة المعجمية والاستعمال القرآني) سائلين المولى أن يوفقنا في عملنا هذا خدمة للغة الضاد، ولغة القرآن

المجيد، إنه ولي كل نعمة ومنتهى كل شكر، وإليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، ومن الله التوفيق.

٥ / رمضان / ١٤٢٨ هـ

التحليل الصوتي للجذر (ض ر ب)؛ المخرج والصفة:

الضاد:

« الضاد من الأصوات العسيرة على النطق، ومن الحروف التي تميز لغة العرب وتختص بها »[١].

واختلف علماء العربية في تحديد مخرج الضاد، فذهب الخليل(١٧٥هـ) إلى أنَّ « الضاد شجرية لأنَّ مبدأها من شجر الفم »[٢]، ووصف سيبويه(١٨٠هـ) مخرجه، فقال: « من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد »[٣]، وقال المبرد في وصفه: « ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر »[٤]، والشدق: جانب الفم، بكسر الشين وفتحها[٥]، وإلى هذا المعنى ذهب ابن جني في تحديد مخرجه[٦].

وقد حصل إبدال بين الضاد والظاء، وهو من فعل العامة، قال الفيومي(٧٧٠هـ): « والعامة تجعلها ظاءً، فتخرجها من طرف اللسان وبين الثنايا »[٧].

أما صفته فقد اختلف فيها العلماء كذلك، فهو من الأصوات الرخوة عند علماء العربية وعلماء التجويد[٨].

ووصفه مكي بن أبي طالب(٤٣٧هـ) بأنه صوت مجهور مستطيل مطبق[٩]، على أنَّ هذا الصوت لم يعد يسمع على تلك الصفة التي حددها علماء العربية له، بل صار على ألسنة بعضهم دالًا مفخمة كما هو في مصر، وصار على ألسنة آخرين صوتًا لا يختلف عن الظاء في شيء كما في العراق[١٠].

الراء:

حدد ابن جني(٣٩٢هـ) مخرج الراء، فقال: « ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلًا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء »[١١]، وهو صوت لثوي مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، وعدَّه سيبويه شديدًا وأنه يتفرد بصفة التكرير[١٢].

الباء:

قال سيبويه: « ومما بين الشفتين مخرج الباء... »[١٣]، وهو صوت شفوي شديد[١٤].

الدلالة المعجمية للجذر:

عند تتبع هذا الجذر في المعجم العربي، وبيان معانيه بقطع النظر عن اختلاف صيغه، نجد له معانيَ كثيرة في المعجم، فأوَّل ما يطالعنا منها المعنى الحقيقي، أو الدلالة المعجمية، وقد أشار إليها صاحب القاموس، قال: « ضربه يضربه وهو ضارب وضريب وضروب، وضربَ ومضرب كثيرة، ومضروب وضريب والمضرَب ما ضرب به »[١٥]، وضربه بسيف أوَ غيره[١٦]، وقال الراغب(٥٠٢هـ): « الضرب إيقاع شيء على شيء كضرب الشيء باليد والعصا والسيف »[١٧].

على أنَّ المعجميين لم يغفلوا على سبيل التوسع كثيراً من الدلالات والمعاني الإضافية لهذا الجذر، فقد أشاروا إليها، ومثَّلوا لها.

الجذر (ض ر ب) ودلالاته في القرآن الكريم:

ورد الجذر (ضرب) في القرآن ويحمل دلالات عدَّة، توزعت بين دلالات حقيقية، أو ما تعرف لدى الدلاليين بالدلالة الحسيَّة أو المركزية، أو الأساسية، أو الدلالة المعجميَّة[١٨].

وهناك دلالات تحمل المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو التضميني، وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص[١٩]، وهو ما يمكن أن يطلق عليه المعنى المجازي للفظة.

وفيما يأتي عرض للاستعمالات القرآنية لهذا الجذر ودلالاته:

١ـ الدلالة الحقيقية أو الحسية:

ورد الجذر (ضرب) بدلالاته الحسية أو الحقيقية كثيراً في القرآن الكريم، وجاء في كثير من الآيات تحمل هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٢٠].

نزلت هذه الآية يوم بدر، وقد اختلَف المفسرون فيَ الخطَاب في (اضربوا)، فمنهم من ذهب إلى أن الخطاب موجه إلى الملائكة، ومنهم من قال أنَّه موجه إلى المسلمين، وهذا الرأي هو المختار عند أكثر المفسرين.

ثمَّ اختلفوا في المراد من ﴿فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾، فمن قائل: المراد بالأعناق: الذات، وإنَّ (فوق) بمعنى (على)، ومن قائل: المراد: الرؤوس، وإنَّ ﴿فوق الأعناق وكل بنان﴾ كناية عن حث المسلمين على الشدة في قتال المشركين[٢١].

ومثله من السورة نفسها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٢٢]، فإنَّ المراد بهذه الآية خصوص كفار قريش يوم بدر، ويجوز أن يكون الضرب على حقيقته وإنَ لم يشاهد بالحس[٢٣].

ويجوز أن يكون المقصود بضرب الوجوه والأقفية كناية عما يقاسيه الكفار من العذاب عند الموت[٢٤].

والمعنى الأول أولى لأنه وصف لحال الملائكة والمسلمين والتحامهم مع الكفارونصرهم عليهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[٢٥]، أي « ضربه فانفلق فكانَ كل فرق كَالطوَد العَظيم كالجبل المتين الثابت في مقَره فدخلوا في شعابها »[٢٦].

ومن هنا يتبيَّن المعنى الحقيقي للفعل (اضرب) الذي ورد بصيغة فعل الأمر، وهو أمر حقيقي فلما دعا موسى ربه أوحى الله إليه ﴿أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر فمضى موسى وأصحابه حتى قطعوا البحر﴾[٢٧].

وكقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢٨] وكقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[٢٩] وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[٣٠] وغيرها مما ورد في كتاب الله من معنى حقيقي لهذا الجذر بقطع النظر عن اختلاف الصيغ التي ورد بها، فتارة في الماضي، وأخرى في المستقبل، وثالثة في الأمر أو المصدر.

٢ – الدلالات الإضافية أو المجازيَّة:

أ – بمعنى (مثل):

شارك المعجميون المفسرين في الإشارة إلى هذا المعنى، فقالوا: « الضرب: المثل والشبيه، وجمعه ضروب، وهو الضريب، وجمعه ضرباء، وفي حديث ابن عبد العزيز: إذا ذهب هذا وضرباؤه، هم الأمثال والنظراء، أحدهم ضريب، واضرب لهم مثلًا لذكر لهم، ومثل لهم »[٣١].

ولم يأت هذا الجذر دالًا على هذا المعنى في كتاب الله إلا وهو مردف بلفظ (مثل)، واشتقاقاته إلا قليلًا.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٣٢]، ضرب الله مثلًا أي اعتمد مثلًا ووضعه، و (كلمةً) منصوبة بفعل مضمر أي جعله كلمة طيبة كشجرة طيبة [٣٣]، فنلحظ من الآية أن ضرب له معنيان (اعتمد وجعل)، فإنَّ الله يمثل ليكون ذلك أسلوبًا حيًا من أساليب تمثل الفكرة بطريقة حية موحية لأنَّ الناس يتمثلون المحسوسات بأكثر ما يتمثلون المعقولات مما يجعل من التشابه في المدلول بين المحسوس والمعقول، وهذا ما درج عليه القرآن في أكثر من موضع مع أكثر من فكرة [٣٤].

على حين يصرح بعض المفسرين بأنَّ معنى (يضرب) يمثل كما جاء ذلك في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[٣٥]، قال: « نزلت لما ضرب تعالى المثلين للمنافقين، فقال الكفار: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، أو لما ذكر الذباب والعنكبوت فطعنوا فيه، فبيَّن سبحانه أن ذلك ليس مما يستنكر، لأن في التمثيل كشف عن المعنى وإدناء المتوهم من المشاهد، ولذلك كثرت الأمثال في الكتب السماوية وكلام البلغاء لكل أمر بحسب حاله عظمًا وحقارة »[٣٦].

فـ (يضرب) في الآية الكريمة خرج من دلالته الحقيقية إلى دلالة معنوية أخرى وهي (يمثل) وقد نزلت ردًا على الكفرة والمنافقين الذين قالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت ؟ فنزل قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا)) لتوضيح الحق لعباده المؤمنين وفي التمثل فوائد كثيرة تكشف عن المعنى وزيادة الإيضاح وإزالة الوهم وترسيخ الحقيقة[٣٧].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣٨].

قيل في معنى ضرب هذا المثل قولان: أحدهما، إنَّه مثل ضربه الله في من يؤمل الخير من جهته وفي من لا يؤمل.

والآخر: إنَّه مثل الكافر والمؤمن، ووجه التقابل في (ضرب) المثل بهذين الرجلين، إنه على تقدير: ومن هو بخلاف صفته يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم في تدبير الأمور بالحق، وهذا زيادة في ضرب المثل من الله تعالى، فإنه يقول: إنَّ الرجلين إذا كان أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو الذي لا يسمع شيئا ولا يبصر ولا يعقل، وهو مع ذلك كلٌّ على مولاه أي وليه، أينما يوجهه لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل مع كونه على صراط مستقيم، والمراد أنهما لا يستويان قط[٣٩].

وقد يرد الفعل (ضرب) بصيغة الأمر حاملًا معنى المثل أي (مثل) كما في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[٤٠]، فالخطاب موجه منه تعالى إلى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي: «واضرب يا رسول الله لهم أي لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان مثلًا رجلين مؤمنًا وكافرًا جعلنا لأحدهما جنتين وإنما أتى بالتثنية دلالة في الزيادة»[٤١].

والآية الكريمة تجسيد لموقف المستكبرين من المستضعفين[٤٢]، وغالبًا ما يأتي هذا الجذر إذا كان دالًا على المثل مردفًا بكلمة (مثل) واشتقاقاتها كما قدمنا، لكنه قد يرد خلوا من ذلك، وتفهم الدلالة من السياق، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[٤٣]، أي: «يضرب المثل للحق والباطل»[٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[٤٥]، فـ(ضرب) المسند إلى واو الجماعة في الآية الكريمة بمعنى (مثلوا)، ويفهم ذلك من السياق كما نص عليه المفسرون، جاء في مجمع البيان: «ما ضربوه لك إلا جدلًا، أي ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوك به ويخاصموك ويدفعوك به عن الحق؛ لأن المتجادلين لا بدَّ أن يكون أحدهما مبطلًا بخلاف المتناظرين؛ لأنَّ المناظرة قد تكون بين المحقين»[٤٦].

وذكر بعض المفسرين أنَّ (ضرب) هنا بمعنى (بيَّن وأوضح)، وهذا القول لا يبعد عن قول الآخرين في دلالة الفعل على التمثيل، قال بعد ذكر الآية الكريمة: «أي ما بيَّنوا هذا العنوان والمثل لك إلا ليخاصموك ويدفعوك عن الحق»[٤٧].

وهكذا تبيَّن من الآيات السابقة مجيء الجذر (ضرب) بمعنى (مثل)، وهذه الدلالة كثيرة الورود في القرآن الكريم.

ب- بمعنى (سعى):

من الدلالات الإضافية الأخرى للجذر (ضرب) دلالته على معنى (سعى)، وهذه الدلالة نصَّ عليها اللغويون في معجماتهم، ولم تكن خاصة بالقرآن الكريم، جاء في القاموس: «ضربت الطير تضرب ذهبت تبتغي الرزق»[٤٨].

فإنَّ الضرب بمعنى السعي كان خاصًا بالطير كما يبدو من نص القاموس، لكن حصل فيه تطور دلالي فأصبح يخص الطير وغيره، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه الانتقال الدلالي من الخاص إلى العام، جاء في المفردات: «الضرب في الأرض الذهاب فيها»[٤٩].

وورود هذا المعنى في غير آية من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٥٠).

فورد المصدر (ضربًا) في الآية الكريمة بمعنى (سعيًا ومشيًا وذهابًا)، قال الطبرسي: « لا يستطيعون ضربًا أي ذهابًا وتصرفًا في الأرض، وقيل لمنع أنفسهم من التصرف في التجارة أي ألزموا أنفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره، وليس معناه أنهم لا يقدرون عليه »(٥١).

وقد يفرق بعض المفسرين بين المعاني تفريقًا دقيقًا، فيذهب أحدهم إلى أنَّ (ضرب) له معنى سافر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٥٢)، قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم سافرتم للغزو في سبيل الله فتبينوا﴾(٥٣).

على حين يمكن الجمع بين المعنيين كما نص على ذلك أحد المفسرين وهو يفسر هذه الآية الكريمة، قال: « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله، سافرتم وذهبتم للغزو »(٥٣).

ونصَّ صاحب الميزان على أن الضرب هنا هو « السير في الأرض والمسافرة وتقييده لسبيل الله يدل على أن المراد به هو الخروج للجهاد »(٥٤).

وإطلاق (السير) يحتمل الذهاب المسافرة والخروج وغير ذلك من المعاني، فتحصل أن المقصود بـ (ضربتم) في الآية الكريمة لا المعنى الحقيقي وإنما معان غيرها انحصرت بـ (ذهبتم أو سافرتم أو سعيتم)، وهذه المعاني متقاربة الدلالة على اختلاف ألفاظها بين المفسرين.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾(٥٥)، والمعنى أنكم إذ سرتم في الأرض وسافرتم فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة، فضرب بمعنى سافر بدلالة قصر الصلاة، إذ لا تقصر الصلاة إلا في السفر، فدلَّ الجذر (ضرب) على معنى (سافر) لا غير، وأشار كثير من المفسرين إلى ذلك (٥٦).

ت – بمعنى (جعل):

وتتصرف دلالة الفعل (ضرب) إلى معنى جديد آخر وهو (جعل)، ورد هذا المعنى بصيغة الأمر في الخطاب الموجه منه تعالى إلى سيدنا موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾(٥٧): ﴿أن أسر بعبادى أى سر بهم ليلًا من أرض مصر فاجعل لهم طريقًا فى البحر يبسًا﴾ أي يابسًا من قولهم: ضرب له في ماله سهمًا أو ضرب اللبن أي عمله (٥٨)، على حين نصَّ بعض المفسرين على أن معنى اضرب في الآية الكريمة بمعنى (ابنِ)، قال: ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوك إلى الله لا يجيبونه ﴿أن أسر بعبادى﴾ ليلًا من مصر (فاضرب) اجعل أو ابنِ لهم بالضرب بعصاك ﴿طريقًا فى البحر يبسًا﴾ يابسًا (٥٩).

على حين حاول صاحب التبيان أن يحافظ على المعنى الحقيقي للفعل من دون أن يصرفه إلى المعنى المجازي وهو يفسر الآية الكريمة، قال: « والمعنى: اضرب بعصاك البحر تجعل طريقا، فكأنه قيل: اجعل طريقًا بالضرب بالعصا، فعداه إلى الطريق لما دخله هذا المعنى، فكأنه قد ضرب الطريق كضربه الدينار »[٦٠].

لكنَّ الدلالة الإضافية للفعل لا يمكن إغفالها وإن حاول المفسر ذلك.

ث – بمعنى(أبلى أو سلط أو منع):

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[٦١]، قال أحد المفسرين: « فضربنا على آذانهم في الكهف يعني بالقوم كما يقول القائل لآخر ضربك الله بالفالج بمعنى أبلاك الله به، وقيل منعناهم أن يسمعوا »[٦٢].

ونصَّ الشيخ الطبرسي(٥٤٩هـ) على المعنى المجازي لهذا الفعل بعد أن أشار إلى معناه الحقيقي مقررًا أنَّ ذلك ضرب من البلاغة في كلام العرب، ثمَّ عرض الشواهد التي تؤيد هذا المعنى، قال وهو يفسر الآية الكريمة: « والضرب معروف ومعنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم، وهو من الكلام البالغ في الفصاحة، يقال: ضربه الله بالفالج إذا ابتلاه الله به، قال قطرب هو كقول العرب: ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه من التصرف، قال الأسود بن يعفر وكان ضريرا:

ومن الحوادث لا أبالك أنني ضربت على الأرض بالأسداد والخرب »[٦٣]

وقد قرر عدد غير قليل من المفسرين هذه المعاني للفعل (ضرب) الذي ورد في الآية الكريمة، إذ توزعت معاني هذا الفعل بين منع[٦٤]، أي منعناهم من سماع الأصوات وأنمناهم[٦٥]، وبمعنى جعلنا عليهم حجابًا[٦٦].

وهذه المعاني كلها يجمعها معنى النوم وهو المستفاد من الآية الكريمة، فإنَّ الضرب على الأذن كناية عن الإنسان إذا نام لا يسمع شيئًا.

ج – بمعنى (أعرض أو أهمل):

وقد يرد الفعل (ضرب) بمعنى (أعرض)، أو (أهمل)، جاء في اللسان قولهم: « نضرب صفحًا بمعنى نهمل »[٦٧].

ووردت هذه الدلالة للفعل في سورة الزخرف، قال تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾[٦٨]، أي نعرض عنكم إعراضًا ونترككم، « والذكر هنا القرآن أي أفنترك عنكم الوحي صفحًا فلا نأمركم ولا ننهاكم لأنكم أسرفتم في كفركم، وهذا استفهام إنكار »[٦٩].

فانتقلت دلالة الفعل من معناها الحقيقي إلى معنى جديد، وهو الترك والإعراض والانصراف عن الكفار ومناقشتهم.

على أنه يمكن الربط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للفعل، فالمناسبة بين الدلالتين واحدة كما قرر غير واحد من المفسرين في شرح الآية الكريمة، فقد يقال: « ضربت عنه أضربت عنه تركته وأمسكت عنه صفحًا »[٧٠].

وهذه هي الدلالة الإضافية أو المعنى المجازي للفعل، ثمَّ يبين المعنى الحقيقي وهو الأصل لهذا المعنى الجديد، قال: « وأصله من ضرب الحيوان على صفحة وجهه ليميل عن طريقه إلى ما يراد به، ثم استعمل في كل شيء للتحريف عن الطريق »[٧١] فتحصل لهذا الفعل في الآية الكريمة معنى حقيقيًا وآخر مجازيًا، وهو الإعراض أو الانصراف أو التحول، وهذه دلالة إضافية أخرى للفعل (ضرب) جاء بها القرآن الكريم.

ح – بمعنى (وضع):

ومن المعاني التي يدل عليها الفعل (ضرب) معنى (وضع أو لبس أو ألقى)، ووردت هذه المعاني في الخطاب الموجه إلى النساء لمّا أمرهم الله تعالى بعدم إبداء زينتهن وحفظ فروجهن، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾[٧٢]، « فكانت النسوة يرمين أذيال الخمار خلف ياقة الثوب، فيظهرن جزءًا من الصدر والرقبة »[٧٣]، فـ « أمرن بإلقائها على جيوبهن لأنها لو كانت واسعة تبدو منها نحورهن وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة، فأمرن بسدلها من قدامهن حتى تغطيها، ويجوز أن يكون المراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها.... وضربها بالخمار على الجيب وضعها عليه، كقولك: ضربت بيدي على الحائط »[٧٤]، فمعنى يضربن في الآية الكريمة يضعن أو يلقين[٧٥].

خ – بمعنى أقيم أو حيل:

ونفهم هذه الدلالة من سياق الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾[٧٦]، والسور: الحائط بين الجنة والنار[٧٧]، وقيل: « هو السور الذي ببيت المقدس الشرقي »[٧٨]، فضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور أي حائط حال بين شق الجنة وشق النار، لذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه، باطن السور أو الباب هو الشق الذي يلي الجنة فيه الرحمة أي الجنة، وظاهره ما ظهر لأهل النار[٧٩].

وصرح غير واحد من المفسرين بالدلالة الإضافية أو المعنى المجازي للفعل (ضرب) الذي ورد في الآية الكريمة بصيغة البناء لغير الفاعل محاولة منهم في جعل مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي لهذا الفعل في هذه الآية، قال: « ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ وقد ضرب بين المؤمنين وبينهم وحيل بينهم بحائط بين الجنة والنار، ولما كان البناء مما يحتاج إلى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب مثل قولهم: ضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرقة »[٨٠].

فدلالة الفعل (ضرب) على الحيلولة أو الإقامة أو البعد دلالة جديدة أفادتها الآية الكريمة، وقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) هذا المعنى في خطبة له، منها: (وسابقوا إلى مغفرة ربكم قبل أن يفصل بسور باطنه الرحمة وظاهره العذاب، فتنادون فلا يسمع نداءكم، وتضجون فلا يحفل بضجيجكم)[٨١].

د – بمعنى (فرض):

وتطالعنا دلالة جديدة للفعل (ضرب) المبني للمجهول، وهو (فُرِضَ) أو (وضع) في آيتين كريمتين من كتاب الله المجيد، الأولى في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ

خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[٨٢].

قال الشيخ الطبرسي في معرض تأويله هذه الآية: « أي فرضت ووضعت عليهم الذلة وألزموها من قولهم ضرب الإمام الجزية على أهل الذمة، وضرب الأمير على عبيده الخراج، وقيل ضربت عليهم الذلة أي حلوا بمنزلة الذل والمسكنة مأخوذ من ضرب القباب، قال الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل »[٨٣]

وقد يكون معنى (ضرب) في الآية (جعل) وهو غير بعيد عن المعنى الأول كما أشار إلى ذلك المفسرون، فـ « ضربت عليهم الذلة أي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما أن من ضربت عليه القبة يكون فيها، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطبق على الحائط فيلزمه »[٨٤]، فهو استعارة بالكناية[٨٥].

ما الآية الثانية التي اشتملت على هذا المعنى فهي قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٨٦].

إذ المعنى « أثبتت عليهم الذلة وأنزلتَ بهمً وجعلت محيطة بهم، وهو استعارة من ضرب القباب والخيم... وقيل معناه ألزموا الذلة فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبة على عبده أي ألزمها إياه... وقيل معناه فرضت عليهم الجزية »[٨٧].

كان هذا عرضًا لأهم الدلالات للفعل (ضرب) واشتقاقاته التي وردت في القرآن الكريم، وأقوال المفسرين في ذلك.

ومن المناسب أن نذكر بعد ذلك أهم الدلالات الإضافية التي نصَّ عليها بعض المعجميين ولم ترد في القرآن الكريم إتمامًا للبحث، واستكمالًا للفائدة، وهي غير قليلة أيضًا نذكر على سبيل المثال أهمها:

١- بمعنى (أمسك):

قال الفيروزآبادي: « ضرب... على يديه أمسك في الأرض »[٨٨].

٢- بمعنى (خلط):

« ضرب... الشيء بالشيء خلطه كضرَّبه »[٨٩]، وضربت الشاة بلون كذا، أي خولطت، ولذلك قال اللغويون: الجوزاء من الغنم التي ضربت وسطها ببياض من أعلاها إلى أسفلها [٩٠].

٣- بمعنى (بعّد):

«ضرب.... الدهر بيننا بمعنى بعَّد، قال ذو الرمة:

فإن تضرب الأيام يا ميُّ بيننا فلا ناشر سرًا ولا متغير»[٩١]

٤- بمعنى (جبُنَ):

« ضرب.... بذقنه الأرض جبن وخاف »[٩٢].

٥- بمعنى (مضى):

« الضرب.... الزمان مضى »[٩٣].

٦- بمعنى (اكتسب):

« وهو يضرب المجد يكتسبه ويطلبه »[٩٤]، يقال فلان يضرب المجد أي يكسبه ويطلبه، قال الكميت:

رحب الفناء، اضطراب المجد رغبته والمجد أنفع مضروب لمضطرب[٩٥]

٧- بمعنى (جاد):

« وضربت يده: جاد ضربها »[٩٦].

٨- بمعنى (لدغ):

« وضربت العقرب تضرب ضربًا: لدغت »[٩٧].

٩- بمعنى (الألم):

« أو ضرب الجرح ضربانًا وضربه العرق إذ آلمه.. »[٩٨].

١٠- بمعنى (الركوب):

« وفي الحديث لا تضرب أكباد الإبل إلا إلى ثلاثة مساجد، أي لا تركب، ولا يسار عليها »[٩٩].

١١- بمعنى (أقام وارتحل):

وترد لفظة (ضرب) بمعنى أقام وذهب فهي من الأضداد، قال ابن منظور: « ضرب بنفسه الأرض ضربًا: أقام، فهو ضد »[١٠٠]، وفي الحديث: حتى ضرب الناس بعطن أي رويت إبلهم حتى بركت وأقامت مكانها[١٠١].

١٢- بمعنى (النفور):

وضرب البعير في جهازه أي نفر، فلم يزل يلتبط وينزو حتى طوَّح عنه كل ما عليه من أداته وحمله[١٠٢].

١٣- بمعنى (الكف):

« وضرب علي يده: كفَّه عن الشيء »[١٠٣]، ويقال ضربت فلانًا عن فلان أي كففته عنه فأضرب عنه إضرابًا إذا كفَّ، وأضرب فلان عن الأمر فهو مضروب إذا كفَّه، وأنشد:

أصبحت عن طلب المعيشة مضربًا كما وثقت بأن مالك مالي [١٠٣]

الخاتمة:

تبيَّن من تتبعنا الجذر (ضرب) في المعجم وفي القرآن الكريم أنه يحمل معاني متنوعة تكاد تكون متضادة أحيانًا، انفرد القرآن الكريم بذكر قسم منها، وقد أشرنا إلى ذلك كله في البحث.

نأمل أن يأخذ هذا البحث المتواضع مكانه بين البحوث، ولاسيما أنَّه قد تشرَّف ببحث الدلالة القرآنية التي قيل فيها كثير من الآراء، وتناولها الباحثون في بحوثهم ودراساتهم.

وأخيرًا نسأل الله أن يوفقنا لخدمة العربية وعلومها، وخدمة القرآن الكريم، إنَّه على كل شيء قدير...

هوامش البحث:

١. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١١٤.
٢. العين: ١ / ٥٨.
٣. الكتاب: ٤ / ٤٣٣.
٤. المقتضب: ١ / ١٩٣.
٥. أقرب الموارد: ١ / ٥٧٧ مادة (شدق).
٦. سر صناعة الإعراب: ١ / ٤٧.
٧. المصباح المنير: ٢ / ٥٥٧ (ضاد).
٨. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٥.
٩. الرعاية: ١٥٨، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٥.
١٠. دروس في علم أصوات العربية: ٨٧.
١١. سر الصناعة: ١ / ٤٧.
١٢. ينظر / الكتاب: ٤ / ٤٣٥، وسر الصناعة: ١ / ٤٧، .أثر القراءات في الأصوات: ٢٢٨.
١٣. الكتاب: ٤ / ٤٣٣.
١٤. سر الصناعة: ١ / ٦٠.
١٥. ينظر / القاموس المحيط واللسان وتاج العروس: مادة ضرب.
١٦. ينظر / المصباح المنير والمنجد مادة (ضرب).
١٧. المفردات في غريب القرآن: (ضرب).
١٨. علم الدلالة (أحمد مختار عمر): ٣٧.
١٩. نفسه.
٢٠. الأنفال: ١٢.
٢١. ينظر / مجمع البيان: ٣ / ٦٥١، والكاشف: ٣ / ٤٥٩.
٢٢. الأنفال: ٥٠.
٢٣. الكاشف: ٣ / ٤٩٥.
٢٤. مجمع البيان: ٣ / ٦٨١.
٢٥. الشعراء: ٦٣.
٢٦. تفسير الصافي (للفيض الكاشاني): ٤ / ٣٨.
٢٧. تفسير نور الثقلين (الشيخ الحويزي): ٢ / ٣١٧.
٢٨. البقرة: ٧٣.
٢٩. محمد ٤.
٣٠. الصافات: ٩٣.
٣١. القاموس: ١ / ٦٥، واللسان مادة (ضرب).
٣٢. إبراهيم: ٢٤.

٣٣. جوامع الجامع (الطبرسي): ٢ / ٢٤٧.
٣٤. من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله: ١٣ / ٨٥.
٣٥. البقرة: ٢٦.
٣٦. الوجيز: ١ / ٨٩.
٣٧. التفسير الجديد: ١ / ٥٤.
٣٨. النحل: ٧٦.
٣٩. التبيان: ٦ / ٣٥٧.
٤٠. الكهف: ٣٢.
٤١. تقريب القرآن: ١٥ / ١٣٩.
٤٢. الأمثل: ٩ / ١٦٧.
٤٣. الرعد: ١٧.
٤٤. التبيان: ٦ / ٢٣٨.
٤٥. الزخرف: ٥٨.
٤٦. ينظر / مجمع البيان: ٥ / ٥٢، الكاشف: ٦ / ٥٥٥، وكنز الدقائق: ١٢ / ٨٢.
٤٧. مقتنيات الدرر: ١٠ / ٦٠.
٤٨. ينظر الآيات: الروم: ٢٨، يس: ٧٨، الزمر: ٢٩، الزخرف: ١٧، التحريم: ١٠، ١١، العنكبوت: ٤٣ وغيرها.
٤٩. القاموس: مادة ضرب.
٥٠. المفردات: ٣٠٦.
٥١. البقرة: ٢٧٣.
٥٢. مجمع البيان: ١ / ٣٢.
٥٣. لنساء: ٩٤.
٥٤. الوجيز: ١ / ٣٣٤، والكاشف: ٢ / ٤٠٩.
٥٥. كنز الدقائق: ٣ / ٥٠٨.
٥٦. الميزان: ٥ / ٤٠.
٥٧. النساء: ١٠١.
٥٨. ينظر / مختصر مجمع البيان: ١ / ٣٣١، ومن هدى القرآن: ٢ / ١٦٨، ومن وحي القرآن: ٧ / ٣٠٥، والميزان: ٥ / ٦٢، ومقتنيات الدرر: ٣ / ١٦٨.
٥٩. طه: ٧٧.
٦٠. جوامع الجامع: ٢ / ٤٣٠، والمعين: ٢ / ٨٢٢.
٦١. تفسير شبر: ١ / ٣١٦.
٦٢. التبيان: ٧ / ١٩٣.
٦٣. الكهف: ١١.

٦٤. التبيان: ٧ / ١٣.
٦٥. مجمع البيان: ٣ / ٤٥٠.
٦٦. ينظر / تفسير الصافي: ٣ / ٢٣٤.
٦٧. ينظر / البرهان: ٣ / ٤٥٨، وتقريب القرآن: ١٥ / ١١٦، والكاشف: ٥ / ١٠٤.
٦٨. ينظر / الميزان: ١٣ / ٢٦٥، والجديد: ٤ / ٢٣٦.
٦٩. اللسان مادة ضرب.
٧٠. الزخرف: ٥.
٧١. مختصر مجمع البيان: ٣ / ٢٣٣.
٧٢. من هدي القرآن: ١٢ / ٤٢٥.
٧٣. نفسه: ١٢ / ٤٢٥، وينظر / الأمثل: ١٦ / ١٢.
٧٤. النور: ٣١.
٧٥. تفسير الإمام الحسن العسكري: ١١ / ٦٣.
٧٦. جوامع الجامع: ٣ / ١٠٣.
٧٧. ينظر / الميزان: ١٥ / ١٢٠.
٧٨. الحديد: ١٣.
٧٩. ينظر / تفسير ابن كثير: ٤ / ٣٣١، والدر المنثور: ٦ / ١٧٣.
٨٠. ينظر / جوامع الجامع: ٤ / ٦٥٥.
٨١. مقتنيات الدرر: ١١ / ٤٨، والمنير: ٨ / ١٢.
٨٢. نور الثقلين: ٥ / ٢٤١.
٨٣. البقرة: ٦١.
٨٤. ينظر / مجمع البيان: ١ / ١٢١، و الجوهر الثمين: ١ / ١٠٣.
٨٥. جوامع الجامع: ١ / ٤٩.
٨٦. ينظر / مقتنيات الدرر: ١ / ١٨٢.
٨٧. آل عمران: ١١٢.
٨٨. مجمع البيان: ١ / ٤٨٧، وينظر / جوامع الجامع: ١ / ١٩٦، وتفسير الصافي: ١ / ٣٤٣، والجديد: ٢ / ١٢٥.
٨٩. ينظر / القاموس المحيط ولسان العرب: مادة (ضرب).
٩٠. ينظر / القاموس: مادة (ضرب).
٩١. ينظر / لسان العرب: مادة (ضرب).
٩٢. ينظر / لسان العرب والمصباح المنير وأقرب الموارد: مادة (ضرب).
٩٣. ينظر / القاموس وتاج العروس وأقرب الموارد: مادة (ضرب).
٩٤. ينظر / القاموس والمصباح المنير: مادة (ضرب).
٩٥. ينظر / القاموس واللسان وأقرب الموارد: مادة (ضرب).

٩٦. ينظر / لسان العرب: مادة (ضرب).
٩٧. ينظر / اللسان وأقرب الموارد: مادة (ضرب).
٩٨. ينظر / لسان العرب: مادة (ضرب).
٩٩. ينظر / القاموس وتاج العروس وأقرب الموارد: مادة (ضرب).
١٠٠. ينظر / لسان العرب: مادة (ضرب).
١٠١. المصدر نفسه.
١٠٢. المصدر نفسه.
١٠٣. المصدر نفسه.
١٠٤. المصدر نفسه.
١٠٥. المصدر نفسه.
١٠٦. ينظر / اللسان وأقرب الموارد: مادة (ضرب).

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ط١، القاهرة، ١٩٨٧.
- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، مكتبة المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٣ ﻫ.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، بيروت، مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ.
- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، طهران، ١٤١٥ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد المرتضى الزبيدي، تحـ. عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٧٢ م.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تحـ. أحمد حبيب قصير العاملي، قم، المكتب الإعلامي الإسلامي، ١٤٠٩ هـ.
- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- تفسير الإمام الحسن العسكري، تحـ. مدرسة الإمام المهدي، ط١، قم، ١٤٠٩ هـ.
- التفسير الجديد، محمد السبزواري النجفي، بيروت، دار المعارف للمطبوعات، ١٤٠٢ هـ.
- تفسير شبر، العلاّمة السيد عبد الله شبر، مؤسسة دار الهجرة، ط٧، ١٤٢٥ هـ.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، دار المرتضى، مشهد.
- تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العدوي الحويزي، قم.
- تقريب القرآن إلى الأذهان، محمد الحسيني الشيرازي، كؤسسة الرفاء، بيروت، ١٤٠٠ هـ.
- جوامع الجامع، الطبرسي، طهران، ١٤١٢ هـ.
- الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، السيد عبد الله شبر، الكويت، ١٤٠٧ هـ.
- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، مطبعة الفتح، دار المعرفة، جدة، ١٣٦٥ هـ.

- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦ م.
- دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي، نشر مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٦٦ م.
- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحـ. د. حسن هنداوي، دمشق، ١٩٨٥ م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١، الكويت، ١٩٨٢ م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحـ. د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، عالم الكتب.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، نشر الشيخ نصر الموريني، إيران.
- الكاشف، محمد جواد مغنية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٠ هـ.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحـ. عبد السلام هارون، ط٢.
- كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمر المشهدي، طهران.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- مختصر مجمع البيان في تفسير القرآن، محمد باقر الناصري، قم، ١٤١٣ هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقري الفيومي، ط٣، المطبعة الأميرية، مصر.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- المعين، نور الدين محمد بن مرتضى الكاشاني، قم.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٣ هـ.
- المقتضب، أبو العباس المبرد، تحـ. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، السيد علي الحائري، طهران.
- المنير، محمد الكرمي، قم، ١٤٠٢.
- من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي، دار الهدى، ١٤٠٦ هـ.
- من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٥ هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، طهران، ١٣٩٧ هـ.
- الوجيز في تفسير القرآن العزيز، علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي، قم، ١٤١٣ هـ.

المواقف النقدية لأحمد بن فارس[٣٩٥هـ]

في

[[معجم مقاييس اللغة]]

الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري

الدكتور حيدر جبار عيدان

المواقف النقدية لأحمد بن فارس(٣٩٥هـ) في((معجم مقاييس اللغة))

أ.د. عبد الكاظم محسن الياسري
د. حيدر جبار عيدان

مقدمة:

العالم اللغوي أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب من أعلام اللغة والنحو والفقه والحديث في القرن الرابع الهجري. وقد وصلت شهرته في الآفاق و كذلك اشتهر بمؤلفاته في شتى صنوف المعرفة المتعلقة باللغة والأدب والفقه والحديث.

وكذلك شُهر ابن فارس أيضاً بآرائه اللغوية المتميزة في عصره ؛ وعرف بكثرة مصنفاته فهو أول مؤلف لكتاب بعنوان(الصاحبي في فقه اللغة)وهو من الأعلام اللغويين الذين وضعوا أكثر من عمل معجمي، ومن أشهر المعجمات التي وضعها معجماه: المقاييس في اللغة، والمجمل في اللغة. وقد نال(المقاييس)شهرة واسعة لدى الدارسين قديماً وحديثاً. ولعل سبب شهرة هذا المعجم أنه وضع تطبيقاً لنظريتين عُرف بهما ابن فارس وهما: نظرية الأصول والمقاييس بالنسبة للمواد الثنائية والثلاثية، ونظرية النحت للمواد الرباعية والخماسية الأصول. وأما معجمه المجمل في اللغة فقد وضع لغاية معجمية خالصة تتمثل بترتيب الألفاظ ثم ذكر معانيها مجملة.

وسنقتصر في بحثنا على مواقف ابن فارس النقدية في معجمه ((معجم مقاييس اللغة)) مع إشارة بسيطة بما يتطلبه المقام الى ((المجمل في اللغة))، مع التركيز على نقده لعالمين جليلين هما الخليل الفؤاهيدي وابن دريد لإكثار ابن فارس الإشارة إليهما في نقده.

وقد أتيح لابن فارس أن ينظر نظرة ثاقبة في الأعمال اللغوية التي سبقته ـ وهي كثيرة ـ غير أنه استصفى منها أعمالاً خمسة جعلها مصادر رئيسة لمعجمه المقاييس، وكل ما عداها فروع. وهذه الخمسة هي: (معجم العين)للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، وكتابا أبي عبيد القاسم بن

سلاّم الهروي(ت٢٢٤هـ) (غريب الحديث)و(مصنف الغريب)، وكتاب ابن السّكّيت (ت٢٤٤هـ) (المنطق)، وكتاب أبي بكر بن دريد (ت٣٢١هـ) (الجمهرة)[١].

والناظر المتفحّص في المقاييس يجد أن الكم الأكبر من مادته: ألفاظاً ومعاني مستقاة من مصدريه الرئيسين: العين والجمهرة، فقد أكثر ابن فارس من النقل عنهما واقتباس ما ورد فيهما، بحيث تبدو البقية كأنها بالفعل مصادر ثانوية. ولا تكاد تخلو صفحة من المقاييس من ذكر للخليل وابن دريد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن جعل بعض الدارسين ابن فارس من المعدودين على المذهب الكوفي (البغدادي)[٢]، غير أنه لم يُظهر تعصباً لهذا المذهب على المذهب المنافس (البصري). ويتضح عدم تعصبه في إعجابه الشديد بإمام العربية وعالمها الأول اللغوي البصري الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد تأثر به ونقل عنه. وكذلك الحال بالنسبة إلى ابن دريد البصري، غير أن هذا الإعجاب والتأثير لم يمنعا ابن فارس من نقد العين والجمهرة في المواطن التي يراها ابن فارس معارضة لمواقفه اللغوية. ولعلنا منذ الآن نطمئن على حقيقة أن التعصب المذهبي لم يكن الدافع لابن فارس في مآخذه ومن ثم نقده للعين والجمهرة.

ـ النقد في معجم مقاييس اللغة:

يبدو لنا أن هذه الظاهرة تعد لسيقة بفكرة الأصول التي نفذها ابن فارس في المقاييس فعن هذه الفكرة صدرت اغلب أحكام ابن فارس النقدية التي يمكن أن نقسمها مما تلمسناه ووجدناه في معجم مقاييس اللغة على أربعة أقسام هي: ((**نقد المادة اللغوية، ونقد الألفاظ وتفسيرها، ونقد اللغويين، ونقد الشعر**)).

اتبع ابن فارس مناهج متعددة في التعامل مع المواد اللغوية التي تلقاها عن شيوخه. ويلخص بعض الدارسين منهج ابن فارس في النقد اللغوي في ثلاثة أمور: أولاها: إصدار الحكم بالضعف، وثانيها: المقارنة المجردة، وثالثها المقارنة مع الترجيح.[٣]

ويرى بعض الباحثين أن هناك نضجا نقديا في المقاييس[٤] ويحتج على ذلك بأمثلة منها ما أورده ابن فارس في مادة (توخ)، إذ يقول: ((تاخت الإصبع مثل ثاخت))، ويضيف ((ذُكر في كتاب الخليل حرفٌ أُراه تصحيفاً، قال: تاخت الإصبع في الشيء الرخو، وإنما هو بالثاء ثاخت)).[٥] وعند العودة الى (ثوخ) في معجم مقاييس اللغة نرى أن ابن فارس يرى أن: ((الثاء والواو والخاء ليس أصلاً)) ؛ وبيّن أن سبب ذلك ((لأن قولهم ثاخت الإصبع إنما هي مبدلة من ساخت، وربما قالوا بالتاء: تاخت)).[٦]

---

(١)معجم مقاييس اللغة ١/٣- ٥، المعاجم اللغوية العربية ٨٥- ٩٠، علم الدلالة والمعجم العربي ١٢١، المصادر الأدبية واللغوية ٣٤٧- ٣٥٧.
(٢)بغية الوعاة١/٣٥٢.
(٣)العلامة اللغوي ابن فارس ١٦٥.
(٤)العلامة اللغوي ابن فارس ١٦٥، المعجم العربي٢/ ٤٤٨، المعجمات العربية ـ نقد وتقويم ـ ٣٦.
(٥)معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٥٧.
(٦)معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٩٦.

١ـ نقد المادة اللغوية:

مما لاشك فيه ان النقد اللغوي، هو تمييز جيد الكلام من ردئيه، وصحيحه من فاسده من حيث الوحدات الصوتية والبنية الصرفية والتراكيب النحوية ودلالة الألفاظ واستعمال الجذور وإهمالها٠ والصلة واضحة بين المعنى اللغوي للنقد والمعنى الاصطلاحي فكلاهما تمييز٠

وقد كشفت ظاهرة النقد في المقاييس عن إمكانية علمية واضحة تميز بها ابن فارس فيما لم تكن قدراته بهذا المستوى من النضج في المجمل، فقد تعرض ابن فارس الى نقد المواد اللغوية برمتها في المقاييس وهي ميزة انفرد بها عن المجمل وهو واضح في قوله ((الباء والياء والظاء **كلمة ما اعرفها في صحيح كلام العرب** ولو انهم ذكروها ما كان لإثباتها وجه قالوا: البَيْظُ: ماء العجل))[٧] ولم نر هذا النقد الموجه الى المادة في المجمل، اذ كان المصنف يتناول مواده اللغوية بدون شك فيها، مثلما ترى في قوله في نفس المادة ((البَيْظُ: ماء الفحل))[٨] ويبدو ان سلطان مقياسه القديم في صحة الكلام الذي قام عليه المجمل لم يزل قائما في المقاييس فلم يستطع إغفال فيه، الأمر الذي حد احيانا من حريته في نقد المواد او الألفاظ وفقا لمقياسه الجديد كما ترى في قوله مثلا((التاء والواو واللام **كلمة ما احسبها صحيحة** لكنها قد رويت قالوا التولة جنس من السحر..))[٩] فهو يشك في هذه المادة لكنه يورد مفرداتها لأنها وصلت اليه رواية فلم يكن له بد من ذلك، اما في المجمل فقد عرض هذه المادة دون أي شك فيها [١٠] ونقد ابن فارس بعض الألفاظ في المقاييس فيما لم يفعل ذلك عندما اوردها في المجمل مثلما ترى في قوله في الاول ((فاما الصير، وهو شيء يقال له الصِّحْنَاة **فلا أحسبه عربيا ولا احسب العرب عرفته وقد ذكره اهل اللغة ولا معنى له**))[١١] وقد وصل شكه ببعض معاني الألفاظ الى عدم ذكرها أصلا في المقاييس يدل على ذلك اشارته الى الشك فيها في المجمل مثلا في قوله ((ويقال: دهق ـ وفيه نظر ـ ان الرثمة المطر الضعيف))[١٢] وكان يرجح في المقاييس هذا الرأي على ذلك فضلا عن تعليل هذا الترجيح احيانا، يلاحظ ذلك في قوله ((والظعينة: مما يقال فيه، فقال قوم هي المرأة وقال اخرون: الظعائن: الهوادج، كان فيها نساء او لم يكن **وهذا اصح القولين لأنه من ادوات الرحيل**))[١٣] فجاء ترجيحه لهذا المعنى بسبب اتفاقه مع المعنى الأصلي لمادة (ظعن) الذي يدل على الشخوص من مكان الى مكان.

وقد وجه نقده إليها برمتها في قوله ((الجيم والنون والهاء **ليس أصلاً، ولا هو عندي من كلام العرب**، إلا أنّ ناساً زعموا أنّ الجُنَهَ الخيرزانُ))[١٤] و ((الخاء والثاء **ليس أصلاً ولا فرعاً صحيحاً يُعَرَّج عليه**، ولكنّا نذكُر ما يذكرونه. يقولون: الخُثّ ما أُوخِفَ من أخْثاء البقر وطُلِي به شيءٌ،

(٧) معجم مقاييس اللغة (بيظ) ١/٣٢٧.
(٨) مجمل اللغة (بيظ) ١/٣٢٧
(٩) معجم مقاييس اللغة (تول) ١/٣٥٩.
(١٠) مجمل اللغة (تول)١/٣٤٠
(١١) معجم مقاييس اللغة (صير) ٣/٣٢٦ والمجمل ٣/٢٥٣.
(١٢) المجمل (رثم) ٢/٤٦٤.
(١٣) معجم مقاييس اللغة (ظعن) ٣/٤٦٥.
(١٤) معجم مقاييس اللغة (جنه)١/٤٨٢

وليس هذا بشيء، ويقال الخُثُّ: غُثَاء السَّيل إذا تركَه السيلُ فيبس واسوَدَّ))[١٥] وقوله ((الضاد والغين والزاء **ليس بأصلٍ صحيح، إلاّ أن يأتي به شِعْر**، غير أنَّ الخليل ذكر أنَّ الضّغْز من السَّباع: السَّيِّىء الخُلُق، والله أعلم بالصَّواب))[١٦]. وقوله ((الحاء والنون والراء كلمةٌ واحدة، **لولا أنها جاءت في الحديث لما كان لِذِكرِها وجه**، وذلك أنَّ النون في كلام العرب لا تكاد تجيء بعدها راء؛ والذي جاء في الحديث: «لَو صَلَّيْتُم حتى تَصيروا كالحنائر» فيقال إنَّها القسيّ، الواحد حَنِيرة، وممكن أن يكون الراء كالملصقة بالكلمة، ويرجع إلى ما ذكرناه من حنيت الشيءَ وحنوْته))[١٧].

يتضح من هذه المواد ومن غيرها التي رفضها ابن فارس ان بعضها يحتوي على الفاظ شك بعربيتها أو شك بقلة ائتلاف بعض الحروف فيها وبعضها الاخر ضم كلمات منفردة لا قياس لها او لم يوثقها شاهد فصيح.

٢ ـ نقد الألفاظ وتفسيرها

كان ابن فارس ((يتحرى الألفاظ الصحيحة ويجتنب المشوبة ولذلك كان ينص على كل أصل من أصوله التي يرتضيها بالصحة وما لا يرتضيه بالضعف أو الشذوذ أو غيرهما))[١٨].

و كان ابن فارس يضع مقاييسه في المقام الأول عندما ينقد تفسير لفظة أو يرجح قولا على اخر، وأعلن عن ذلك صراحة قائلا ((...**وإذا اختلفت الأقاويل نُظِرَ إلى أقربها من قياس الباب فأُخِذَ به**))[١٩]

ففي قوله ((الحاء والدال والميم أصلٌ واحد، وهو اشتداد الحرّ. يقال احتدم النهار: اشتدّ حَرُّه، واحتدم الحرّ، واحْتَدَمَتِ النار؛ وللنار حَدَمَةٌ، وهو شدّتها، ويقال صوت التهابها. قال الخليل: أحْدَمَتِ الشمسُ (الشيءَ) فاحتدم، واحتَدَمَ صدْرُه غيظاً؛ فأمّا احتدام الدّم فقال قوم: اشتدت حُمْرَتُه حتى يسودَّ، **والصحيح أن يشتدّ حرُّه**. قال الفرّاء: قِدْرٌ حُدَمَةٌ، إذا كانت سريعةَ الغَلْي، وهي ضدّ الصَّلُود))[٢٠] وقوله مرجحا احد رأيين، قال ابن فارس((الشين والياء والطاء أصلٌ يدلُّ على ذَهاب الشيء، إمّا احتراقًا وإما غَيْرَ ذلك. فالشَّيْط من شاط الشيءُ، إذا احترق، يقال شيَّطت اللَّحم، ويقولون: شيَّطَه إذا دَخَّنه ولم يُنْضِجْه، **والأوّل أصحُّ وأقيَس**))[٢١].

واستحسن تفسير بعض الشواهد في قوله ((الجيم والميم والحاء أصلٌ واحد مطّرد، وهو ذَهاب الشَّيء قُدُماً بغَلَبةٍ وقُوَّة.....، فأمّا قولُه تعالى﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (التوبة٥٧) فإنَّه أراد يَسْعَون،

(١٥) معجم مقاييس اللغة (خث)١٥٨/٢
(١٦) معجم مقاييس اللغة (ضغز)٣٦٥/٣ وينظر: العين ٣٦٢/٤(ضغز)
(١٧) معجم مقاييس اللغة (حنر) ١١٠/٢
(١٨) المعجم العربي ٤٥٨/٢.
(١٩) معجم مقاييس اللغة (شن)١٧٦/٣
(٢٠) معجم مقاييس اللغة (حدم)٣٤/٢ وينظر: العين ١٨٧/٣- ١٨٨
(٢١) معجم مقاييس اللغة (شيط)٢٣٤/٣

وهو ذاك))[٢٢]. وغلط من فسر قول النابغة فقال ((العين والهاء والنون أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على لِينٍ وسُهولة وقِلَّة غذاءٍ في الشيء..... فأمَّا قولهم إنَّ العاهن: الحابس، وإنشادهم للنابغة:

أقول لها لمَّا ونت وتخاذلت أجِدّي فما دون الجَبَا لك عاهنُ

فهو عندنا غلطٌ، وإنّما معناه على موضعِ القياس الذي قسناه: أنّ ما دون الجَبا ممكن غير ممنوع، أي السَّبيل إليه سهل، ويكون «ما» في معنى اسم))[٢٣].

وإذا ما تعددت الآراء في تفسير كلمة في شاهد اختار احدها معللا ذلك ففي قوله ((الدال والسين والحرف المعتل أصلٌ واحد يدلُّ على خَفاءٍ وسَتْر.... فأمّا قوله تعالى﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس١٠)، فإنّ أهلِ العلمِ قالوا: الأصل دسَّسَها، كأنَّه أخفاها، وذلك أنّ السَّمْحَ ذا الضّيافة يَنزِل بكلّ براز، وبكل يفَاعٍ لِيَنْتابه الضّيفَانُ، والبَخيلُ لا ينزلُ إلاَّ في هَبْطَةٍ أو غامض، فيقول الله تعالى﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس١٠) أي أخفاها، أو أغْمَضَها؛ **وهذا هو المعوَّل عليه**، غير أنّ بعض أهلِ العلمِ قال: دَسّاها، أي أغواها وأغراها بالقَبيح))[٢٤]

وعدّ ابن فارس بعض الكلامِ من المشكل الذي لم يهتد الى معناه في قوله ((**وممّا يُشكِل عندي معناه** قولُهم: هَبْهُ فعلَ كذا، وهَبْني فَعَلْته، وظننتُ أنَّ هذا من باب وهب لأنَّ اللفظة على هذا تدلّ، وهو على ذلك مُشكِل))[٢٥]

٣ـ نقده للغويين

نقد ابن فارس في المقاييس بعض اللغويين، والناظر في ملاحظاته النقدية الموجهة إليهم يلمس فيها القوة في محاججتهم والجرأة في تغليطهم مع احترامه وتقديسه لهم، فهو حين يصل الى واحد منهم يذكر بعده عبارة ـ رحمه الله ـ وهي دلالة واضحة على عناية واحترام لمقام العلماء، يصفها الدكتور حسين نصار بان فيها صراحة وادب في أغلب الأحيان[٢٦] فقد رمى بعض ما جاء به الخليلِ بالضعف واتهم ابن دريد بالتدليسِ في قوله ((العين والزاء والقاف ليس فيه كلام أصيل، لكنَّ الخليلَ ذكر أنّ العَزْق: عِلاج الشَّيء في عسر. ورجلٌ متعزّق: فيه شِدَّة خُلُق؛ ويقولون: إن المِعْزقَةَ: آلةٌ من آلات الحَرْث،... **وكلُّ هذا في الضَّعفِ قريبٌ بعضه من بعض**. وأعجبُ منه اللغة اليمانية التي يدلِسُها أبو بكر محمدُ بن الحسنِ الدُّريدي رحمه الله، وقولُه: إنّ العزيق مطمئنٌّ من الأرض، لغةٌ يَمانية))[٢٧] وقال عن ابن دريد ((فأمّا(الجيم والغين معجمة) فلا أصل لها في الكلام، والذي قاله ابن دريد في الجَغْب ـ إنّه ذُو الشَّغَبِ، **فجنسٌ من الإبْدال يولّدهُ ابنُ دريد ويستعمِلُه**)) [٢٨]

(٢٢) معجم مقاييس اللغة (جمح)١/٤٧٦
(٢٣) معجم مقاييس اللغة (عهن)٤/١٧٥
(٢٤) معجم مقاييس اللغة (دسوا)٢/٢٧٧
(٢٥) معجم مقاييس اللغة (هب)٦/٥.
(٢٦) المعجم العربي ٢/٤٥٨.
(٢٧) معجم مقاييس اللغة (عزق) ٤/٣٠٦ وينظر: العين ١/١٣٢(عزق) والجمهرة ٢/٨١٥(عزق)
(٢٨) معجم مقاييس اللغة (جغب)١/٤٦٤

ونقد الكسائي ايضا، فقال مصرحا باسمه ((التاء والراء قريبٌ من الذي قبلَه، وفيه من اللغة الأصلية كلمةٌ واحدة، وهو قولهم بَدَنٌ ذو تَرَارَةٍ، إذا كانَ ذا سِمَنٍ وبِضَاعة، وأمّا التَّراتِرُفالأمورُ العِظام، وليست (أصلاً)، لأنّ الراء مبدلةٌ من لامٍ. وقولهم تَرَّتِ النَّواةُ مِن مِرْضاحِها تَتِرُّ، فهذا قريبٌ مما قبلَه؛ وكذلك الخيط الذي يُسمّى «التُّر» وهو الذي يمدُّه البانِي، فلا يكاد مِثْلُه يصحّ، وكذلك قولهم إن الأُتْرُور الغلامُ الصغير. **ولولا وجدانا ذلك في كُتُبهم لكان الإعراضُ عنه أصوبَ، وكيف يصحُّ شيءٌ يكونُ شاهدُه مثلَ هذا الشِّعر:**

أعــوذ باللّهِ وبالأمير من عَامِلِ الشُّرطَةِ وَالأتْرُورِ

ومثلُه ما حُكِي عن الكسائيّ: تَرّ الرّجلُ عن بِلاَدِهِ: تَباعَدَ، وَأَتَرَّهُ القَضاءُ: أبعَدَه.))[٢٩].

وكذلك نقد الكسائي بقوله ((قال الكسائي: ثمغة الجبل: اعلاه، بالثاء. قال الفراء: والذي سمعت انا نمغة))[٣٠].

هذه أمثلة لما فيه من الجرأة في رده لآراء علماء اللغة، وسنعرج على من نقدهم ابن فارس بعد ان نقف على موقفه من الخليل وابن دريد اللذين أخذا مكانا كبيرا في نقده في معجم مقاييس اللغة، وهذا بلا ريب جاء من كثرة نقله عنهما.

ـ أبرز العلماء الذين نقدهم ابن فارس في معجم مقاييس اللغة

نقد ابن فارس مجموعة من علماء اللغة[٣١] ووقف منهم مواقف نقدية و لعل ابرزهم:

أ ـ الخليل وابن دريد

نقل عنهما نسبة كبيرة من مواده اللغوية في المقاييس، وقبل الولوج الى نقد ابن فارس لهما ينبغي الوقوف قليلا على موقف ابن فارس منها ومن كتابيهما فنقول، ان ابن فارس جعل (العين) المنسوب إلى الخليل على رأس مصادره الخمسة للمقاييس. ويظهر هذا جلياً في عبارته التي صدّر بها مصادره الخمسة إذ يقول: ((فأعلاها وأشرفها...)) [٣٢] وهذا يدلنا على مكانة الخليل وكتابه العين عند ابن فارس الذي استصفى من كل كتب اللغة خمسة، وجعل العين ذروة سنام هذه الخمسة.

ومن الجدير بالذكر أن عدداً من اللغويين والدارسين من قدامى ومحدثين قد شككوا في نسبة العين إلى الخليل، ولهم في ذلك ثلاثة مذهب:

أ) إنكار نسبة العين إلى الخليل

ب) إقرار نسبة العين إلى الخليل

ج) ومذهب ثالث يرى أن الخطة والمنهج هما للخليل، وأما حشو المادة فهو لغيره، وعزا عدد من الدارسين حشو المعجم إلى الليث بن المظفر. [٣٣]

---

(٢٩) معجم مقاييس اللغة (تر)١/٣٣٧- ٣٣٨.

(٣٠) معجم مقاييس اللغة (ثمغ) ١/٣٨٩.

(٣١) المعجم العربي ٢/٤٦٠.

(٣٢)معجم مقاييس اللغة ١/٣.

(٣٣)المزهر في علوم اللغة، ١/٧٧ وانظر: مقدمة الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية) أحمد عبد الغفور عطار، ص ١/٦١، وما بعدها. ترتيب الأبنية في مدرسة العين: ١- الثنائي/ المضاعف والمطابق، ٢- الثلاثي الصحيح، ٣- الثلاثي المعتل،

ويحسب الباحثان ان أحمد بن فارس يقر بنسبة العين إلى الخليل ؛ إذ يذكر العين وسلسلة سند رواته إلى الخليل. وعلى الرغم من ذلك فقد وجه ابن فارس أحياناً نقداً شديداً للعين.

ويمكن ان يرى أثر العين في ترتيب المقاييس، ومن المعلوم أن ترتيب العين يقوم على ثلاثة أسس:

١. الترتيب المخرجي للحروف.
٢. ترتيب الأبنية(وهي ستة أنواع).
٣. نظام التقاليب.

وعلى الرغم من اتخاذ ابن فارس الترتيب الألفبائي للحروف، إلا أنه اقتبس من العين ترتيب الأبنية وإن خالف الخليل في جعل الأبنية ثلاثة أقسام: الثنائي المضاعف والمطابق، والثلاثي،[٣٤] وما زاد على الثلاثي (ويشمل الرباعي والخماسي).

ومن المفيد ان نذكر أن ابن دريد اتخذ الترتيب الألفبائي للحروف ؛ غير أن الأبنية عنده ستة أنواع تشبه تقسيم الخليل مع اختلافات يسيرة، وأبقى صاحب الجمهرة على نظام التقاليب. ويرى بعض الدارسين المحدثين اتفاقاً كبيراً في الترتيب في الجمهرة والمقاييس على أن ابن فارس طرح نظام التقاليب ولم يعتدّ به.

وقد اقتفى ابن فارس أثر ابن دريد في الترتيب المعجمي المعتمد على الترتيب الألفبائي للحروف- حسب أوائل الكلمات- ، والترتيب البنائي وإن اختلفا في عدد الأبنية التي جعلها ابن دريد ستة- كما في مدرسة العين- ، وجعلها ابن فارس ثلاثة وفقاً لنظرته اللغوية للألفاظ العربية وأصولها، وقد طرح ابن فارس نظام التقليبات الخليلي الذي اقتفاه ابن دريد.

وربما يجد الدارس المطالع للمعجمات العربية القديمة أن معجم ابن فارس معجم مقاييس اللغة يمكن أن يشكل مدرسة قائمة بذاتها ويتبعه في ذلك معجمه الآخر (المجمل) إلى حد ما، إلا أن أحد دارسي المعجمات من المحدثين جعل معجم مقاييس اللغة و مجمل اللغة ضمن مدرسة الجمهرة مع الإشارة إلى أوجه الفرق بين الجمهرة وبين كل من المقاييس والمجمل. وعلى الرغم من ذلك فقد كان المقاييس أقرب إلى العين منه إلى الجمهرة[٣٥].

ويرى بعض الدارسين المحدثين ((أنّ ابن فارس اقتفى أثر الخليل وابن دريد في ترتيب المواد بالنسبة لحروفها التالية شريطة أن يكون التالي متأخراً عن سابقه في ترتيب الهجاء))[٣٦]. ومن ذلك أن حرف السين(باب السين) يبدأ بالكلمات التي يكون الحرف التالي للسين في الترتيب الهجائي هو الذي يبدأ به ابن فارس.

فنجد الكلمات التالية: في المضاعف المطابق: سع، سغ، سف، سك، سل، سم، سن، سب، ستّ، سجّ، سحّ، سدّ، سر، وفي الثلاثي: سطع، سطل، سطم، سطن،...إلخ.

٤- اللفيف، ٥- الرباعي، ٦- الخماسي. ويلاحظ أن الثلاثي ثلاثة أنواع في حين أنه نوع واحد عند ابن فارس. ويلاحظ أيضاً أن العين جعل الرباعي باباً مستقلاً، والخماسي باباً مستقلاً، بينما جعل ابن فارس كلا م الرباعي والخماسي واحداً اسماه: ما زاد على الثلاثي، وهو الذي طبق عليه نظريته في النحت.

(٣٤)المعجم العربي، ٢/٤٤٥.

(٣٥) العلامة ابن فارس ١٢٥.

(٣٦) المعجم العربي، ٢/ ٤٣٦- ٤٣٩، وانظر: العلامة ابن فارس، ١٢٥.

وحين ينتهي ابن فارس إلى حرف الياء أو أي حرف قبل الياء مما تتألف منه المواد المستعملة يعود فيقدم الألفاظ التي يكون الحرف التالي للسين هو الألف ثم الباء ثم التاء...إلى ما قبل السين..

ويرى هؤلاء الدارسون أن هذا الترتيب يناسب منهجي العين والجمهرة، وسبب ذلك أن هذه الترتيب كان ضرورياً للخليل وابن دريد لأنهما يجمعان التقاليب في موضع واحد؛ فتأتي تآليف كل حرف فيما سبقه من أبواب[٣٧].

وقد أقر ابن فارس بفضل الخليل في عملية استنباط الأصول والمقاييس، وكذلك أقر بأن الخليل هو الذي مهد الطريق إلى اكتشاف نظرية النحت. ومن المعلوم أن المقاييس كتاب لغوي في ثوب معجمي، وقد تجاوز فيه ابن فارس مجرد جمع المواد اللغوية وترتيبها إلى تحليلها واستنباط أصولها ومقاييسها. وهو يعترف بإمامه الخليل في ذلك كله. ففي مادة(جذو) وهي: ((أصل يدل على الانتصاب، يقال: جذوت على أطراف أصابعي؛ إذا قمت))[٣٨]. ينقل ابن فارس عن الخليل قوله: ((يقال: جذا يَجْذُو، مثل جثا يجثو، إلا أن جذا أدل على اللزوم))[٣٩]. ثم يأتي تعليق ابن فارس المؤيد لقول الخليل، بل إن قول الخليل هو الدليل على صحة ما استنبطه ابن فارس، قال: ((وهذا الذي قاله الخليل دليل لنا في بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام، والخليل عندنا في هذا المعنى إمام))[٤٠].

وكثيراً ما يذكر ابن فارس أقوال الخليل تأييدا لما يستنبطه من أصول ومقاييس؛ كقوله في مادة(أخر): ((وهذا قياس أخذناه من الخليل))[٤١]، وفي مادة(عق): ((وهذا الذي أصله الخليل رحمه الله صحيح))[٤٢]، وفي مادة (عبر): ((والذي قاله الخليل صحيح يدل على صحة القياس الذي ذكرناه))[٤٣] وعلى هذه الشاكلة تجد كثيرا منها في معجم مقاييس اللغة.

والخليل عند ابن فارس ثقة فيما يروى عنه حتى لو خالفت الرواية موقف ابن فارس نفسه، أو كانت الرواية مثيرة للشك؛ ففي مادة (خنب) وهي أصل واحد يدل على لين ورخاوة، يقول ابن فارس: ((وحكى بعضهم عن الخليل أنه قال: هو خنأب؛ مكسورة الخاء شديدة النون مهموزة))[٤٤]، ويتبع ابن فارس ذلك بتعليقه((وهذا إن صح عن الخليل، فالخليل ثقة، وإلا فهو ما ذكرناه من غير همز))[٤٥].

و عول ابن فارس في شرح الألفاظ وتفسيرها كثيرا على الخليل من بين اللغويين القدامى، بل إنه يقدم أقوال الخليل على سائر اللغويين غالبا. ولعل هذا التقديم مشروط- لدى ابن فارس – بما

(٣٧)معجم مقاييس اللغة ينظر المواد في ١/ ٤٣٩- ٤٤٠.
(٣٨) معجم مقاييس اللغة (جذو)١/٧٠
(٣٩)معجم مقاييس اللغة (جذو)١/٧٠ وينظر: العين ١٧١/٦ (جذو)
(٤٠)معجم مقاييس اللغة (حذو)١/٤٣٩- ٤٤٠
(٤١)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣- ٤.
(٤٢)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٠٨، وانظر المواد: خدع، ٢/ ١٦١، سطن، ١/٧١.
(٤٣)معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٢١- ٢٢٢.
(٤٤)معجم مقاييس اللغة (خنب)٢/٢٢١.
(٤٥)معجم مقاييس اللغة (خنب)٢/٢٢١.

يؤيد ما استنبطه من الأصول والمقاييس، فها هو ذا ابن فارس يورد تفسيرا لغويا دقيقا للخليل تعليقا على لهجة عربية، ففي مادة (بقى) وهو أصل يدل على الدوام؛ ينقل قول الخليل كيفية تصريف المادة في لغة طيّئ، فهم يقولون: ((بقى يبقى، وكذلك لغتهم في كل مكسور ما قبلها، يجعلونها ألفاً؛ نحو بقى ورضا، وإنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء فيفتحون ما قبل الياء، فتنقلب الياء ألفاً.)) (٤٦)

وعول كذلك على شرح الخليل وتفسيره في إقراره بالتفسير الاشتقاقي لمادة(بحر)؛ إذ يذهب الخليل إلى أن البحر سُمّي بحراً ((لاستبحاره وهو انبساطه وسعته..)). (٤٧)

وكذلك في اقتباسه ما ذكره الخليل مصوباً به ما أخطأ فيه الناس من رواية لفظة. ففي مادة (يمّ) وهي: ((كلمة تدل على قصد الشيء وتعمده وقصده))، ينقل عن الخليل قوله: تيمَّمْت فلاناً بسهمي ورمحي، إذا قصدته دون سواه، وأنشد قول الشاعر:

يَمّمْتـه الـرمْحَ شـزراً ثـم قلـت لـه هـذي البـسالةُ لا لِعْـبُ الزحـاليق

ويبدو أن بعض الرواة قال: أمَّمْتُه. ولذلك عقب ابن فارس بقول الخليل مبيناً وجه الخطأ في هذه الرواية: ((ومن قال في هذا البيت: أمَّمْتُه فقد أخطأ؛ لأنه قال: شَزْراً، ولا يكون الشزر إلا من ناحية، وهو لم يقصد أمامه فيقول: أمَّمْتُه.)) (٤٨)

تأسيسا على ذلك نرى ابن فارس ينقل عن الخليل معاني المادة وشروحها والتعليق عليها، غير أنه في كثير منها يكثر الاقتباس والنقل عن الخليل من دون تعليل أو تعليق أو تعقيب. ومن أمثلة ذلك ما ورد من مادة(بوع) وهو أصل واحد هو امتداد الشيء، فقد قال الخليل: ((البَوْع والباع لغتان، ولكنّهم يسمّون البَوْع: الخِلْقة. فأما بسط الباع في الكرم ونحوه فلا يقولون إلا كريم الباع))(٤٩).

١. الخليل: .موقف ابن فارس النقدي من الخليل.:

لم يمنع إعجاب ابن فارس بالخليل، وإقراره بإمامته في اللغة وتوثيقه، من توجيه النقد إلى أقواله، ومخالفته، والتشكيك بصحة ما ورد عنه أحياناً.

ونحسب ان ذلك يعود الى أن ابن فارس كان صاحب نظر لغوي، فكان يحكم بعدم الصحة وعدم الصواب لكل ما كان يخالف موقفه اللغوي حتى لو كان مروياً عن إمام اللغويين الخليل بن أحمد.

تناول ابن فارس الخليل **متفقا معه أو مخالفا أو منزها له**، وربما فضل ابن فارس قولا لاحد اللغويين ـ لحجة يمتلكها ـ على قول الخليل(٥٠).

(٤٦)معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٤٦. وينظر: العين ٥/٢٣٠(بقى)
(٤٧)معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٠١. وينظر: العين ٣/٢١٩ (بحر)
(٤٨)معجم مقاييس اللغة(يم) ٦/١٥٢- ١٥٣.
(٤٩)معجم مقاييس اللغة جذر ١/٣١٨، صعد ٣/٢٨٧، طفو ٣/٤١٤، ضبَّ، ٣/٤٦٤، كنوا ٥/١٣٩.
(٥٠) معجم مقاييس اللغة (برك) ١/٢٢٩

ففي قوله ((العين والفاء والحرف المعتلّ أصلان يدلُّ أحدهما على تركِ الشيء، والآخر على طَلَبِه، .... قال الخليل: وكلُّ من استحقَّ عُقوبةً فتركتَه فقد عفوتَ عنه، يقال عفا عنه يعفُو عَفْواً، **وهذا الذي قاله الخليل صحيح**))[٥١] وخالفه في قوله ((الحاء والنون والباء أصلٌ واحدٌ يدلّ على الذي دلّ عليه ما قبله، وهو الاعوجاج في الشيء. فالمُحَنَّبُ: الفرسُ البعيدُ ما بين الرِّجلين من غير فَحَجٍ، وذلك مدحٌ؛ ويقال إنّ الحَنَب اعوجاجٌ في السّاقين، قال الخليل في تحنيب الخيل إنه إنما يوصف بالشّدّة ـ **وليس في ذلك اعوجاجٌ، وهذا خلافُ ما قاله أهلُ اللغة**))[٥٢]. فقد رفض قول الخليل لا لأنه مخالف لقول اهل اللغة فحسب، ولكن لعدم اتفاقه مع مقياسه ايضا، ويبدو انه لم يستحسن تفسير الخليل لكلمة (الصرف) في قوله ((قال الخليل: الصَّرف فَضْلُ الدّرهم على الدّرهم في القِيمة، **ومعنى الصَّرف عندنا أنَّه شيءٌ صُرِف إلى شيء**، كأنَّ الدّينارَ صُرِف إلى الدراهم، أي رُجِع إليها، إذا أخذتَ بدلَه))[٥٣] فقد فسر (الصرف) بما ينسجم مع الاصل المعنوي لهذه المادة الذي يدل على رجع الشيء.

ويبدو أن ابن فارس يعزو كثيرا من الأقوال التي لا توافق موقفه مما ينسبه إلى الخليل ليس للخليل مباشرةً، بل ينسبه إلى ما يسميه ((الكتاب الذي للخليل)) أو((الكتاب المنسوب إلى الخليل))[٥٤]. ونظن أن أقسى عبارة نقدية وجهها ابن فارس إلى ما رُوي عن الخليل قوله في مادة (عك): ((...وقد ذكر عن الخليل... أن العكنكع: الذكر الخبيث من السّعالى، وأنشد:

كأنّهـــا وهـــو إذا اســـتبّا معـــاً غـــولٌ تُـــداهي شَرِســـاً عكنكعـــا))

ويختم ابن فارس بالتعليق على هذه المادة، وهذا المعنى بقوله: ((**وأرى أن كتاب الخليل إنما تطامن قليلاً عند أهلِ العلمِ لمثل هذه الحكايات**))[٥٥].

ولكنه يقف موقفاً مغايراً من بعض الروايات المخالفة، فيبدي شكه في نسبتها إلى الخليل، ومن أمثلة ذلك فيما يروي عن الخليل ما أشار إليه من أن معنى من معاني مادة(ترك)؛ وهي في الأصل ((التخلية عن الشيء)) قد وردت في الكتاب المنسوب إلى الخليل تحت عبارة: ((..يقال تركتُ الحبل شديداً.)) ويرى ابن فارس أن هذه المعنى ليس للخليل بقوله: ((**وما أحسب هذا من كلام الخليل**))[٥٦].

وهناك نصٌّ في معجم مقاييس اللغة يثير الريبة حول وضع الخليل لكتاب العين ففي مادة(شجذ) ذكر ابن فارس أنها ((كلمة واحدة)) ثم قال((وأما نسختي من كتاب العين للخليل، ففيها أن ش ج

(٥١) معجم مقاييس اللغة (عفو) ٤/٥٦.
(٥٢) معجم مقاييس اللغة (جنب) ٢/١٠٨
(٥٣) معجم مقاييس اللغة (صرف) ٣/٣٤٣
(٥٤)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٩- ١٢.
(٥٥)معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٤٦.
(٥٦)معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٦.

ذ مهمل، ولا أدري أهي سَقَطٌ في السماع، أم خفيت الكلمة على مؤلف الكتاب. والكلمة صحيحة))[٥٧] وكذلك نجده يذكر الشيء نفسه في بعض المواد اللغوية[٥٨].

وقوله (مؤلف الكتاب) ولم يقل(الخليل) يفتح الباب أمام المتشككين الذين ذهبوا إلى أن الخطة والمنهج كانا للخليل، وأما حشو المادة فكان لتلامذة الخليل. وقد خصّ بعض الدارسين اسم (الليث بن المظفر) بالذكر.

ويقف الباحثان موقف المتحير المتعجب من موقف ابن فارس هذا، فهوّ يقر سلفاً بنسبة العين للخليل، وقد ورد هذا في مقدمته للمقاييس، ثم يشكك من هذه النسبة. ولعل في موقف ابن فارس هذا إجابة أو تفسيراً لورود مواد لغوية أو تفسيرات عديدة مخالفة لآراء ابن فارس في اللغة، ولذلك لجأ إلى التشكيك بهذه الأقوال و الآراء فنسبها مرةً إلى (الكتاب الذي للخليل) أو ما إلى ذلك من عبارات. أو قد يقول: ((إن صحّ)) أو ((إن صحتّ)) أو((إن كان صحيحاً)) فإن كانت لا تخالف موقفه قبلها. وأما إن خالفت رأيه أبدى تشككاً فيها.

على أن ابن فارس لم يكن يشك بكل ما روي عن الخليل مما ذكر أنه ورد((في الكتاب الذي للخليل))[٥٩].

وقد وصل شك ابن فارس في عدد كبير من المواد التي نقلت عن الخليل، وكان يرى أن كثيرا منها ليست أصولاً ولا يقاس عليها، ففي مادة(دظّ) وهي عنده((**ليست أصلاً يعوّل عليه ولا ينقاس منه**))، ينقل عن الرواة ((عن الخليل أن الدظّ الشّلّ ؛ يقال دظظناهم إذا شللناهم))[٦٠].

ولما كان ابن فارس لا يرى المادة أصلاً مقيساً فقد أعقب قول الخليل بتعليقه التالي: ((وليس ذا بشيء)). وهذا يعني رفض ما نقل عن الخليل، والشك فيما روي عنه من معنى[٦١]ومن مظاهر الشك فيما نُقل عن الخليل وذكر في كتابه(أي العين) ما ورد في مادة(غرب)، وهو أصل صحيح، من أنه((إذا أمعنت الكلاب في طلب الصيد قيل: غربّت)). ويعقب ابن فارس على هذا بقوله: ((إذا أمعنت الكلاب في طلب الصيد قيل: ((غرّبت)). ويردف هذا القول بقوله: ((وفيه نظر)). ولعل هذه العبارة تدّل على شك ابن فارس. وقد يصل الأمر إلى حد أنه لم ينكر هذه الرواية.[٦٢] وقريب من هذا ما أورده ابن فارس وقدم له بقوله: ((زعم الخليل)). ولا ندري إن كان هذا يعني رفض الرواية أو إنكارها، أو أنها تعني ما خصّ به الخليل ولم يرد عند غيره ؛ فقد تكون بمعنى فسّر أو وضّح. وربما لا تحمل كلمة((زعم)) تشكيكاً في الرواية. والذي يحملنا على هذا التفسير عدم تصويب ابن فارس لكثير من الروايات التي نقلت عن الخليل. ففي مادة(عدل) ورد لفظ(عَدَولية) في

(٥٧)معجم مقاييس اللغة انظر المواد: عهب ١٦٦/٤، وعهم ١٧٤/٤.
(٥٨)معجم مقاييس اللغة انظر المواد: بزر ٢٤٦/١، ترك ٣٦٤/١، توخ ٣٥٧/١.
(٥٩)معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٥٧، وانظر مادة ردخ ٥٠٨/٢.
(٦٠) معجم مقاييس اللغة (دظ) ٨٥/٢
(٦١)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٢٠- ٤٢٢.
(٦٢)معجم مقاييس اللغة ٢٤٧/٤، وانظر: مادة عرس، ٤/ ٢٦١- ٢٦٣، ومادة كدى ١٦٧/٥.

قوله ((يقال لضرب من السفن عَدَوْلية..على أن الخليل زعم أنها منسوبة إلى موضع يقال له: عَدَوْلى))[٦٣].

وربما يشك ابن فارس فيما يروى عن الخليل، بل إنه يرى الخليل أعلى رتبة من ((أن يصحح مثل هذا))، كما ورد في مادة(عضم). ويرى ابن فارس أنّ ورود كلمات مروية عن الخليل ((**غلط من الرواة عنه**)) وأنّ ما ذُكر((**كله كلام**))، وهو ((**لا أصل له**)). غير أنه يذكر هذه الروايات تعريفاً لها لا إقراراً بما ورد فيها. [٦٤]

و يقدم ابن فارس احيانا تفسيرا أو شرحا للفظة غريبة راداً في ما يقدمه تفسيراً روي عن الخليل، ففي مادة(عجم) ذهب الخليل إلى أن حروف المعجم هي الحروف المقطعة؛ لأنها أعجمية. وكتاب معجم، وتعجيمه: تنقيطه كي تستبين عُجمته ويَضِح)). ويؤول ابن فارس قول الخليل بقوله ((وأظن أن الخليل أراد بالأعجمية أنها ما دامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم، فهي أعجمية لأنها لا تدل على شيء)). ويرى ابن فارس أن الخليل إن ((**كان هذا أراد فله وجه، وإلا فما أدري أي شيء أردا بالأعجمية**؟)).ثم يعرض ابن فارس وجهة نظره فيقول: ((**والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم حروف الخط المعجم**، وهو الخط العربي، لأنّا لا نعلم خطّاً من الخطوط يُعْجَم هذا الإعجام حتى يدل على المعاني الكثيرة. فأما أنه إعجام الخط بالأشكال فهو عندنا يدخل في باب العضّ على الشيء لأنه فيه، فسمي إعجاماً لأنه تأثير فيه يدل على المعنى)).[٦٥]

إن من منهج ابن فارس حين يفتتح مواده أن يذكر إن كانت المادة صحيحة أو غير ذلك. ولكنه في عدد كبير من المواد الصحيحة يذكر مقاييسها. ثم يعرض بعد ذلك إلى ما شذّ عن الأصول الصحيحة. والشاذّ عند ابن فارس كثير، وهو يروي هذا الشاذ عن العلماء السابقين ومنهم الخليل، ويلاحظ أن ما شذ يعني به اتفاق حروف لفظة مع الأصل الصحيح، ولكن المعنى مختلف عن معنى الأصل. وروى ابن فارس عدداً من مثل هذه الألفاظ عن الخليل كقوله في مادة (مهى) وهي أصل صحيح يدل على إمهال وإرخاء، ثم ينقل لفظة شاذة عن هذا المعنى عن الخليل: ((أن المهاء ممدود: عيب وأودٌ يكون في القدح)). غير أنه يستدرك فيقول: ((ويحتمل أن يكون من الباب أيضاً؛ فإن ذلك يقرب من الإرخاء ونحوه))[٦٦].

ويستدرك ابن فارس على الخليل فيذكر ألفاظاً لم ترد في كتاب الخليل على الرغم من أنها معروفة ومستعملة. وقد صرح ابن فارس بذلك في مادة(عكش)، وهي من المواد المهملة في كتاب الخليل بأنه ((قد يشذ عن العالم الباب من الأبواب، والكلام أكثر من ذلك.))[٦٧]وفي مادة (عيق) ((لم يذكر الخليل منه شيئاً، وهو صحيح، يقولون العيقة: ساحل البحر)). [٦٨]

---

(٦٣)معجم مقاييس اللغة ١٤٨/٣.
(٦٤)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٠- ٢٤١.
(٦٥)معجم مقاييس اللغة (عجم) ٤/٢٤٠- ٢٤١.
(٦٦)معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٠٨.
(٦٧)معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٩٨، وانظر مادة: عدب، ٢٥٢/٤.
(٦٨)معجم مقاييس اللغة ٣٧٠/١، وانظر المواد ثعم ١/ ٣٧٧، وثغم ١/ ٣٧٩- ٣٨٠.

ويقرن ابن فارس في بعض استدراكاته الجمهرة لابن دريد بالعين. كما ورد في مادة (ثب) ؛ إذ يقول ((كلمة ليست في الكتابين، وإن صحت فهي تدل على تناهي الشيء)). ويلاحظ أن ابن فارس ينعت العين والجمهرة بالكتابين. [٦٩] وهناك كثير من الامثلة في معجم مقاييس اللغة لا تخرج عما قلناه يمكن الرجوع اليها والتأمل فيها لبيان وجهة نظر ابن فارس النقدية التي يوجهها الى الخليل بن احمد الفراهيدي.

٢. ابن دريد: موقف ابن فارس النقدي من ابن دريد.

لا يخفى على مطالعي معجم مقاييس اللغة أن يروا المواقف النقدية لابن فارس على ابن دريد الذي يأتي ثانياً بعد الخليل. فقد رفض ابن فارس كثيرا مما جاء به ابن دريد لا سيما الألفاظ التي لم تتفق مع ما يضعه من أصول لمقاييسه ففي قوله ((فأمّا أبو بكر فإنّه ذكر ما أرجو أن يكون صحيحاً، **وأُراه قد أملاه كما ذكره حِفْظاً**، فقال: جَعِمَ يَجْعَم جَعَماً، إذا لم يشتَهِ الطَّعام ـ قال: وأحسبه من الأضداد، لأنَّهُم ربما سَمَّوا الرّجُل النَّهِم جَعِماً ـ قال: ويقال جَعِمَ فهو مجعُومٌ إذا لم يشتَهِ أيضاً، هذا قول أبي بكر، **واللغاتُ لا تجيء بأحْسَب وأظن. فأمّا قوله جَعِمْتُ البعير مثل كَعَمْتُه فلعلّه قياس في باب الإبدال، استَحْسَنَه فجعله لغةً، والله أعلمُ بصحته**))[٧٠] وقد وصف ما جاء به ابن دريد بأنه عجيب [٧١] وهفوات [٧٢] وطرائف[٧٣] ورماه بالتوليد أحيانا[٧٤] والتدليس أحيانا اخرى[٧٥] ومن أمثلة ذلك أنْ وجّه ابن فارس تهمة توليد الألفاظ إلى ابن دريد في مادة(جغب)[٧٦] إذ يقول عنها: ((...فلا أصل لها في الكلام والذي قاله ابن دريد في الجَغْب إنه ذو الشَّغَب))، ويعقب ابن فارس على قول ابن دريد بقوله عن هذا المعنى: ((**فجنس من الإبدال يولده ابن دريد ويستعمله**))[٧٧]. ووجّه ابن فارس أيضاً عبارة: ((أعاجيب ابن دريد)) تعليقاً على مادة (خزف) التي قال ابن فارس عنها إنها ((ليس بشيء)). ويرى أن الخزف ((هذا معروف، ولسنا ندري أعربي هو أم لا؟)) وأما ابن دريد فقد ذكر أن ((الخزْف الخطر باليد عند المشي)). وهذا المعنى يراه ابن فارس((من أعاجيب ابن دريد)).[٧٨] وكذلك نجد التدليس في المواد التي تخالف قياس ابن فارس ففي مادة(عزق) يرى ابن فارس أنها ليس فيها كلام أصل رغم ما رُوي عن الخليل من أنها مستعملة في الكلام في أكثر من معنى، غير أن ابن فارس علق عليها جميعاً بقوله: ((**وكل هذا في الضعف قريب بعضه من بعض**)) ثم أتبع ذلك بتوجيه إصبع الاتهام إلى ابن دريد إذ يقول: ((**وأعجب منه**

(٦٩)معجم مقاييس اللغة ٢/ ٥٠٨.
(٧٠) معجم مقاييس اللغة (جعم) ١/ ٤٦١.
(٧١) معجم مقاييس اللغة (خزف)٢/ ١٧٧
(٧٢) معجم مقاييس اللغة (عدك)٤/ ٢٤٦
(٧٣) معجم مقاييس اللغة هوب) ١٧/٦
(٧٤) معجم مقاييس اللغة (جغب)١/ ٤٦٤
(٧٥) معجم مقاييس اللغة (عزف) ٤/ ٣٠٧
(٧٦)معجم مقاييس اللغة انظر مادة ثبن، ١/ ٤٠١.
(٧٧) معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٦٤، وانظر مادة جلخ، ١/ ٤٧٠.
(٧٨)معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٧٧.

اللغة اليمانية التي يدلسها أبو بكر محمد بن الحسن الدريدي رحمه الله، وقوله: إن العزيق مطمئن من الأرض، لغة يمانية، ولا نقول لأئمتنا إلا جميلاً. (٧٩)

ومن الأوصاف التي يذكرها ابن فارس لابن دريد (الهفوات) وان ما يذكره ابن دريد ليس بشيء؛ كالذي ذكره تعليقاً على مادة(عدك): ((**ليس إلا كلمة من هفوات ابن دريد**، قال: العدك: ضربُ الصوف بالمِطرَقة)). (٨٠) ولو تأملنا في العودة الى الجمهرة نرى أن ابن فارس قد تجنّى على ما ذكره، ابن دريد، فقد ورد في الجمهرة النص التالي: ((والعدك لغة يمانية زعموا وهو ضرب الصوف بالمطرقة)). (٨١)

الحق ان ابن فارس كان يحرف القول عن مواضعه ولم يكن أمينا في نقله عن ابن دريد، إذ لا وجه لتخطئة ما ذكره ابن دريد خاصةً أن ابن فارس – رحمه الله- حذف نسبة الكلمة إلى اللغة اليمانية، وحذف قول ابن دريد ((زعموا)). (٨٢)

والظاهر أن ابن فارس قد اتخذ من كلمة(زعم) لاتهام ابن دريد في عدد من المواد التي تشكك بصحتها، على أن ابن فارس قد استخدم (زعم) أيضاً في مواد يراها صحيحة، ففي مادة (فدغ) يقول: ((زعم ابن دريد أن الفدْغ: الشَّدْخ، وذكر الحديث)) إذاً تَفْدغ قريش رأسي، ويعقب ابن فارس على هذا الحديث بقوله ((وهذا صحيح)). (٨٣)

وذهب ابن فارس أكثر من ذلك في تغليط ابن دريد في بعض المواد، فقد ذكر في مادة(فصح): ((أصل يدل على خلوص في شيءٍ ونقاء من الشوب)). وفي كتاب ابن دريد: ((أفصح العربي إفصاحاً، وفصُح العجمي فصاحةً إذا تكلم بالعربية، **وأُراه غلطاً**، والقول هو الأول))(٨٤). وراح يتتبع في بعض المواضع لينقض كلام ابن دريد، ففي مادة (قفى) وهي: ((أصل صحيح يدلُّ على إتباع شيء لشيء))، ثم ينقل عن ابن دريد قوله: ((يقال: فلان قِفْوتي: أي تهمتي. وقفوتي خِيرتي. قال: فكأنه من الأضداد)). ويعقب ابن فارس بنفي استنتاج ابن دريد إذ يقول: ((وهذا الذي قاله فإن المعنى فيه إذا اتهمه: قفاه أي تبعه يطلب سيئة عنده، وإذا كان خِيرته قفاه أيضاً؛ أي تبعه يرجو خيره. **وليس ذلك عندنا من طريقة الأضداد في شيء**))(٨٥). وهذا النص يكشف لنا عن تباري اللغوي في اثبات أونفي استنتاجا لغويا ما.

ولو تأملنا في بعض ما يراه ابن فارس وجدناه يرد بعض الألفاظ التي يذكرها ابن دريد ويصفها بأنها ((ليس فيها شيء يصح))، ولم ترو إلا عن طريق ابن دريد؛ نحو مادة(قلط) التي يصفها بقوله: ((**ليس فيه شيء يصح**))، ثم يذكر قول ابن دريد: ((رجلٌ قلاطٌ: قصير)). (٨٦) وأنكر ابن

(٧٩)الجمهرة، ٦/٣، معجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٦- ٣٠٧.
(٨٠)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٤٦.
(٨١)الجمهرة، ٢/ ٢٨٠.
(٨٢)معجم مقاييس اللغة انظر المواد: نتك ٣٨٨/٥، قشب، ٥/ ٩٠ن كحم، ٥/ ١٦٤، كدع، ٥/ ١٦٥.
(٨٣)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٨٢.
(٨٤)معجم مقاييس اللغة ٤/ ٥٠٧، وانظر مادة: مجل، ٥/ ٢٩٩، وقارن الجمهرة، ١١١/٢.
(٨٥)معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٢٢- ١١٣.
(٨٦)معجم مقاييس اللغة ٥/ ٢١.

فارس على ابن دريد بعض الالفاظ التي لم ترد عن شيوخه ففي (معت)قال ابن فارس ((قال أبو بكر(أي ابن دريد): المعْت: الدلك، ومعت الأديم: دلكته، وهو عند الخليل مهمل))[٨٧]. وراح ابعد من ذلك في ذكره لألفاظ قد تبدو غريبة بعض الشيء عن ابن فارس ذكرها ابن دريد ففي (ولذ) ((الولْذ: سرعةٌ في المشي والحركة، وولذ يلذ)). وعزا ابن فارس هذه المادة إلى ما سماه (غرائب ابن دريد). [٨٨]

ولكنه رجح أقواله عندما اعتقد بصحتها، من ذلك عندما ينقض ابن فارس موقفه من اللغات اليمانية بالاستشهاد ببعض أقوال ابن دريد حول هذه الألفاظ فيؤيده ويقره عليها. ففي مادة(عَنَكَ) يروي عن ابن دريد قوله ((عنكْتُ الباب وأعنكته، أي أغلقته، لغة يمانية)). ولهذه المادة أصلان كما استنبط ابن فارس، وقد لحظ أن هذا المعنى ينسجم مع الأصل الثاني فيقول معقباً على قول ابن دريد: ((**وهذا يصّحح ما ذكرناه من قياس الأصل الثاني**))[٨٩]. وكذلك في مادة (جرم) يؤيد فيها ابن دريد[٩٠]. وكذلك ينفي ابن فارس نسبة ألفاظ معينة إلى العربية، مستنداً في حكمه هذا على ما ذكره ابن دريد، نحو مادة(هرو) التي يقول فيها ابن فارس: وهو باب((لم يوضع على قياس وأصول، وكلمه متبانية))، ثم ينقل عن ابن دريد قوله: ((الهَرْوُ لا أصل له في العربية إلا أن أبا مالك جاء بحرف أنكره أهل اللغة، قال: هروت اللحم، أنضجته، وإنّما هو هرأته))[٩١]

وتأسيسا على ذلك فقد أكثر ابن فارس الاقتباس والنقل من ابن دريد غير أنه يلاحظ أن ابن فارس يمحص ما ينقل عن ابن دريد **فيؤيده ويقره إذ انسجم ما يذكره ابن دريد مع مقاييسه، ولكنه يرفض وينكر مالا ينسجم مع مقاييسه**. إذ إن تأصيل ابن فارس يوافق ما أصّله ابن دريد من أصول اعتمدها. كما في مادة(ردح) التي يقول فيها: ((أصّل فيه ابن دريد أصلاً، قال: أصله تراكم الشيء بعضه على بعض))[٩٢]. ويرى ابن فارس أن ((الذي قاله ابن دريد صحيح، وأكثر الباب موضوع عليه)).

وعول ابن فارس على معان ذكرها ابن دريد ويقرها ابن فارس وله فيها موقفان:

أ) ذكرها دون تعليق أو تعقيب نحو قوله في مادة(جسم) وهو: ((يدل على تجمع الشيء، فالجسم كل شخص مدرك، كذا قال ابن دريد)).

ب) ففيه يجعل قول ابن دريد أصح من أقوال غيره؛ إذا اختلف اللغويون في ذكر معاني مادة من المواد، ففي مادة(جرم) يرجح ابن فارس قول ابن دريد على أقوال غيره، فيقول: ((وأما قولهم لصاحب الصوت: إنه لحسن الجِرم، فقال قوم: الصوت يقال له الجِرم.ثم يضيف قول ابن دريد

(٨٧)معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٣٥.
(٨٨)الجمهرة، ٢/ ٣١٨، معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٤٣.
(٨٩)معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٦٥، وانظر مادة: عجس، ٤/ ٢٣٥. وانظر: مقدمة مجمل اللغة، ١/ ٣٧.
(٩٠) معجم مقاييس اللغة (جرم)١/ ٤٤٦
(٩١)معجم مقاييس اللغة ٦/ ٤٨.
(٩٢)معجم مقاييس اللغة (ردح) ٣/ ٢٠٥ ومادة: ظهر، ٣/ ٤٧٢- ٤٧٣، وعجس، ٤/ ٢٥٣.

مرجحاً له ؛ فيقول: ((وأصح من ذلك قول أبي بكر بن دريد: إن معناه حَسَنُ خروج الصوت من الجرم))[٩٣].

والقارئ لمعجم مقاييس اللغة يجد ان ابن فارس لم يتحرج من إبداء الشك في كثير مما نقله عن ابن دريد. وربما يتجاوز ابن فارس مجرد الشك ونقد المادة أو نقد اللفظة إلى نقد منهج ابن دريد في ذكرها. ففي مادة(جعم)، وهي ((أصلان: الكبَر، والحرص على الأكل)) ؛ وهذا ما استنبطه ابن فارس من أقوال الخليل، غير أنه أورد قول ابن دريد وقدم له بقوله: ((فإنه ذكر ما أرجو أن يكون صحيحاً، وأراه قد أملاه كما ذكره حفظاً، فقال: جعِم يَجْعَم جعماً ؛ إذا لم يشته الطعام ؛ قال: وأحسبه من الأضداد ؛ لأنهم ربما سمّوا الرجل النهم جَعِما)). ويعقب ابن فارس على قول ابن دريد قائلاً: ((**هذا قول أبي بكر، واللغات لا تجيء بأحسب وأظن**. فأما قوله: جعِمت البعير مثل كعمته، فلعله قياس في باب الإبدال استحسنه فجعله لغة، والله أعلم بصحته)).[٩٤]

ومن الأمثلة الكثيرة التي اتهم فيها ابن فارس ابن دريد بصنعها ما ذكره في مادة (ثبن) وهي عند ابن فارس((أصل واحد، وهو وعاء من الأوعية)) وروى عن ابن دريد قوله ((المثبنة: كيس تتخذ فيه المرأة المرآة وأداتها)). وقدم ابن فارس لقول ابن دريد بالتعليق التالي: ((**وقال ابن دريد قياساً ما أحسبه إلا مصنوعاً**)). ثم ختم المادة بقوله: ((وزعم(أي ابن دريد) أنها لغة يمانية)).[٩٥]

ويلاحظ الباحث المتفحص لمعجم مقاييس اللغة أن ابن فارس قد بالغ أحياناً في توجيه أصابع الاتهام والنقد القاسي إلى ابن دريد فيما يتعلق بالالفاظ اليمانية. ففي مادة(جفز) يقول ابن فارس: ((لا يصلح أن يكون كلاماً إلا كالذي يأتي به ابن دريد من أن الجَفْز السرعة، **وما أدري ما أقول**)).[٩٦] وعند مراجعة النص في كتاب الجمهرة نجده يقول ((الجفز السرعة في المشي لغة يمانية لا أدري ما صحتها)).[٩٧]

والحق ان ما اتهم به ابن دريد يحتاج إلى مراجعة ؛ فإن ما ذكره ابن دريد يرد دعوى ابن فارس واتهامه، فإذا كان ابن فارس يشك بصحة هذه المادة، فإن كلام ابن دريد لا يخرج عن هذا المعنى. ومن أوضح الأمثلة على عدم دقة ابن فارس في توجيه النقد لابن دريد ما أورده ابن فارس في مادة(ثحج) فقد ذكر عن ابن دريد أن معنى قولهم: ثحجه برجله إذا ضربه بها هي ((كلمة زعم أنها لَمهْرة بن حَيْدان)). ويرى ابن فارس في تعقيبه على هذا التعبير ومعناه أن ابن دريد قد أبعد ((شاهده ما استطاع)). ولكن بمقابلة ذلك بما ورد في الجمهرة نجد ابن دريد يقول هي ((لغة مرغوب عنها لمهرة بن حيدان...)) [٩٨]

---

(٩٣)معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٤٥- ٤٤٦.
(٩٤)الجمهرة، ٢/١٠٣، معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٦١- ٤٦٢.
(٩٥)معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٠١.
(٩٦)معجم مقاييس اللغة ١/٤٦٤.
(٩٧)الجمهرة، ٢/ ٩٠.
(٩٨)المصدر نفسه، ٢/٣٢، معجم مقاييس اللغة ١/ ٣٧٢.

وقد ذهب بعض الباحثين الى تأويل موقف ابن فارس النقدي هذا من اللغات اليمانية التي رواها عن ابن دريد فذهبوا إلى أن ابن فارس كان لا يعتد باللغة اليمانية أصلاً من الأصول التي يقاس عليها في كلام العرب، ويقصد ابن فارس بكلام العرب العربية الشمالية العدنانية، إذ يُخرج ابن فارس العربية الجنوبية من مقاييسه العربية الصحيحة. (٩٩)

وهناك مواقف نقدية طريفة لابن فارس على الخليل وابن دريد لافتت للنظر هي ان ابن فارس يسكت عن التعليق على اقوال أحد من العالمين (الخليل وابن دريد) إذا اختلف التفسيران وفي هذه الحالة يذكر ابن فارس تفسير كل منهما دون ترجيح واحد على الآخر. فقد ذكر أن في مادة (جنز) كلمة واحدة، ثم قدّم قول ابن دريد: ((جنزت الشيء أجنزه جنزاً، إذا سترته، ومنه اشتقاق الجنازة)). ولكن الخليل يرى أن اشتقاق لفظ الجنازة غير هذا؛ إذ يذكره ابن فارس بقوله ((فأما الخليل فمذهبه غير هذا؛ قال: الجنازة الميت، والشيء الذي ثقل على القوم واغتموا به هو أيضاً جنازة)) (١٠٠).

و يرفض تفسيرَي الخليل وابن دريد إذا اتفقا في معنى، ولكن قد يزيد أحدهما معنى على الآخر. نحو مادة(تلم) فقد أورد ابن فارس في تقديم هذه المادة شكه في صحة بعض معانيها. والغريب أنه قدم تفسير ابن دريد على الرغم من اتفاقه مع تفسير الخليل وهو أن: ((التّلام في قول ابن دريد)) إنه التلاميذ، وأنشد:

كالحماليج بأيدي التلام

ثم أورد تفسير الخليل فقال: ((وفي الكتاب المنسوب إلى الخليل: التَّلَم مَشَقُّ الكِراب بلغة أهل اليمن، وذكر في التلام نحواً مما ذكره ابن دريد)).

ويظهر أن ابن فارس شك في هذه المادة فرأى أنها((**ليس بأصل، ولا فيه كلام صحيح ولا فصيح**)) ؛ ولذلك عقّب على هذه المادة بما لا ينافي ما قدمه، فقال: ((**وما في ذلك شيء يعول عليه**)). ولعل سبب رفض ابن فارس لهذه المادة يعود إلى أحد أمرين أو كليهما؛ فأما أحدهما فهو ما ذكره من ((أن التلميذ ليس من كلام العرب)). وأما الثاني فقد يكون بسبب نسبة لفظ(التلم) الذي ذكره الخليل، إلى لغة اليمن. (١٠١)

وقد يرجح ابن فارس قول ابن دريد على قول الخليل إذا اختلفا، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن فارس في مادة(أخر)وهي: ((أصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدم)). ويعترف ابن فارس أن ((هذا قياس أخذناه عن الخليل، فإنه قال: الآخِر نقيض المتقدم. والأُخُر نقيض القُدُم)). ولكن ابن فارس في إيراده لبعض فروع هذه المادة يقدم رأي ابن دريد على قول الخليل؛ فروى عن ابن دريد قوله: ((الآخِر تالٍ للأول))، ويعقب ابن فارس على قول ابن دريد قائلاً: ((**وهو قريب مما**

(٩٩)المعجم العربي، ٢/ ٤٢٩، وانظر: العلامة ابن فارس ١٥٩- ١٦٠.
(١٠٠)معجم مقاييس اللغة ٤٨٥/١.
(١٠١)معجم مقاييس اللغة ٣٥٣/١. وينظر: العين ١٢٦/٨ (تلم)

مضى ذكره، إلا أن قولنا: قال آخِر الرجلين، وقال الآخِر، **هو لقول ابن دريد أشدّ ملاءمة وأحسن مطابقة**)). (١٠٢)

ج ـ ومن اللغويين الاخرين الذين نقدهم ابن فارس:

١ـ **النظر بن شميل** في قوله ((السين والياء والفاء أصلٌ يدلُّ على امتدادٍ في شيءٍ وطول.... فأمَّا السَّائفة من الأرض فمن هذه أيضاً، لأنَّه الرَّمل الذي يميل في الجَلَد ويمتدُّ معها، قالوا: وهو الذي يقال له العِذاب، قال أبو زياد: السَّائفة من الرّمل ألين ما يكون منه؛ والأوَّل أصحّ، وهو قول النّضر، **لأنّه أقيس وأشْبَه بالأصل الذي ذكرناه**))(١٠٣).

٢ـ **ابن الاعرابي** في قوله ((العين والدال أصلٌ صحيح واحد لا يخلو من العدّ الذي هو الإحصاء، ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشّيء، وإلى هذين المعنيين ترجع فروع الباب كلها... فأمّا عِداد القوس فناسٌ يقولون إنّه صوتها، هكذا يقولون مطلقاً، وأصحُّ (من) ذلك ما قاله ابنُ الأعرابيّ، **أنّ عداد القوس أن تنبِض بها ساعةً بعد ساعة، وهذا أقْيَس**))(١٠٤).

٣ـ **الاصمعي** في قوله ((أبو حاتم عن الأصمعيّ: بَرَقت السَّماء، إذا جاءَتْ ببرقٍ، وكذلك رعدت، وَبَرَق الرّجل ورَعَد. **ولم يعرف الأصمعيُّ أَبْرَقَ وأَرْعَدَ**))(١٠٥).

٤ـ **أبو عبيد** في قوله ((وأمَّا المُهاواة فذكر أبو عمروٍ أنَّها الملاجَّة، وقال أبو عبيد: شدّة السَّير، وأنشد:

فلم تستطع مَيٌّ مُهاواتَنا السُّرَى ولا ليلَ عِيسٍ في البُرِينَ خواضِعِ

والذي قالاه فصيح))(١٠٦).

٥ـ **أبو عمرو الشيباني** في قوله ((العين واللام أصول ثلاثة صحيحة: أحدها تكرُّرٌ أو تكرير،... وبقيت في الباب: اليعاليل، وقد اختلفوا فيها، فقال أبو عبيد: اليعاليل: سحائب بِيضٌ، وقال أبو عمرو: بئرٌ يعاليلُ: صار فيها المطرُ والماء مرّة بعد مرة، قال: وهو من العَلَل،....**وهذا الذي قاله الشَّيبانيّ أصحّ، لأنّه أقْيَس**)) (١٠٧).

وقد يعرض اقوالا للعلماء مرجحا أحدها من غير تصريح باسماء قائليها(١٠٨) وربما اكتفى بالمقارنة المجردة بينها دون ترجيح لاحدها على آخر(١٠٩).

---

(١٠٢)معجم مقاييس اللغة ١/٧٠.
(١٠٣)معجم مقاييس اللغة (سيف) ٣/١٢٢
(١٠٤) معجم مقاييس اللغة (عد) ٤/٣٢
(١٠٥) معجم مقاييس اللغة (برق) ١/٢٢٣
(١٠٦) معجم مقاييس اللغة (هوى)٦/١٦- ١٧
(١٠٧) معجم مقاييس اللغة (عل)٤/١٢، ١٤.
(١٠٨) معجم مقاييس اللغة (أول) ١/١٥٨.
(١٠٩) معجم مقاييس اللغة (سخم) ٣/١٤٥.

د ـ نقد الشعر:

وجه نقده الى بعض الشواهد الشعرية المحتج بها ورماها بالضعف حينا والشك في صحتها أو انها مصنوعة حينا اخر، قال في ((والكلمة الأخرى الرَّزَفُ: الهُزال، وذكر فيه شعرٌ **ما أدري كيف صِحّته**:

أيــا أبــا النَّــضْر تَحَمَّــلْ عَجَفِــي إنْ لم تَحَمَّلْـهُ فقـد جَـاَ رَزَفِـي))(١١٠)

وقوله ايضا ((ومن ذلك الصُّوار، صُوار المِسْك، وقال قوم: هو ريحهُ، وقال قوم: هو وعاؤه؛ وينشِدون بيتاً **وأخلِق به أن يكون مصنوعاً**، والكلمتان صحيحتان:

إذا لاح الــصُّوار ذكــرتُ ليلَــى وأذكرُهــا إذا نَفَــح الــصّوارُ))(١١١)

ولم يكن ابن فارس مطمئنا الى بعض الشواهد الشعرية التي كان يسوقها بعض اللغويين، فتعرض لها بالنقد، ففي قوله ((ويقال في قول القائل ـ **وأظنّه مصنوعاً**:

كــأنَّ ابــن مُزنتهــا جانِحــاً فَــسِيطٌ لــدى الأُفــق مــن خِنْــصرِ

إنّ ابن المُزْنة: الهِلال))(١١٢) و ((يقال ثَمَمْتُ الشيءَ أَثُمُّهُ ثَمّاً، إذا جمعتَه ورَمَمْتَه. ويُنْشَد بيتٌ ـ **والله أعلَم بصحّته**:

ثَمَمْــتُ حَــوائجي ووَدَأْتُ بِــشْراً فبئس مُعَرّسُ الرّكبِ السِّغابِ))(١١٣)

وربما نقد رواية الشاهد الشعري ذاكرا الوجه الصحيح لها(١١٤)

ويبدو انه لم يستطع التخلي عن حسه الفني في تذوق الشعر فنقد بعض الشواهد نقدا أدبيا كما في قوله ((قال عنترة يذكر فَرَساً:

كأنَّــهُ بــازُ دَجْــنٍ فَــوْقَ مَرْقَــبَةٍ جَـلاَ القَطَـا فهـو ضَـارِي سَـمْلَقٍ سَـنِقُ

البازي في الدَّجْن أشدُّ طَلَباً للصّيد؛ ضَارِي سَمْلَق أي مُعتادٌ للصَّيد في السَّملق، وهي الصحراء؛ سَنِق: بَشِمٌ، **وأظنُّ أنا أنَّ وصْفَه إيَّاه بالبَشَمِ ليس بجيِّد**))(١١٥)

و((قال بشر:

رأى دُرة بيــضاء يَحفِــل لوْنَهــا سُــخامٌ كغِربــان البريــرِ مَقــصَّبُ

---

(١١٠) معجم مقاييس اللغة (رزف)٢/٣٨٨

(١١١) معجم مقاييس اللغة (صور)٣/٣٢٠

(١١٢) معجم مقاييس اللغة (مزن)٥/٣١٨

(١١٣) معجم مقاييس اللغة (ثم)١/٣٦٩- ٣٧٠.

(١١٤) معجم مقاييس اللغة (تله)١/٣٥٤

(١١٥) معجم مقاييس اللغة (بزو)١/٢٤٥- ٢٤٦.

المُقصَّب: المجعَّد، وأراد بالدّرّة امرأةً؛ يحفل لونَها (سخام)، يعني الشّعَر، يزيدها بسوادِه بياضاً، **وهذا كأنّه جلاها، وهو من الكلام الحسن جدّاً**))[١١٦].

هذا ما حاولنا أن نجمعه في هذه الاوراق من مواقف نقدية لعالم لغوي جليل اراد منها ان يبين وجهات نظره تجاه المواد اللغوية والألفاظ وعلماء اللغة الذين حالوا جمع المواد اللغوية وبيان معانيها واستعمالاتها في معجمه ليقدمه للقارئ بأبها حلة. راجين من الله العلي القدير ان يوفقنا وان ينفع به طلاب العلم.

خاتمة:

ـ ظهر نقد ابن فارس سلبيا بعض الشيء اذ كان يشك في صحة اللفظ او في تفسيره من غير تعليل لذلك مكتفيا بالقول مثلا (فيه نظر) و (الله اعلم) و (ليس صحيحا) و (ليس بشيء) واذا ما نقل أقوال العلماء في تفسير مفردة ما اقتصر على ذلك فلم يبد رأيا ولم يرجح قولا في الغالب.

ـ كثيرا ما يقتبس وينقل ابن فارس من غير أنه يلاحظ أو يمحص ما ينقل عن ابن دريد فيؤيده ويقره إذ انسجم ما يذكره ابن دريد مع مقاييسه، ولكنه يرفض وينكر مالا ينسجم مع مقاييسه.

ـ اتضح من خلال البحث ان أحمد بن فارس يمتاز ببصرٍ لغويّ نافذ في الدرس اللغوي العربي. ولم يكن يردّد ما كان ينقله أو يرويه عن شيوخه من علماء العربية، فحسب، وإنّما كان يخضع الروايات جميعها للدرس والنقد. وكان يؤيد ويقرّ ما ينسجم ومقاييسه ونظراته اللغوية، وينكر ويرفض ما خرج عنها.

ـ ومن عناصر نقده لما نُقل إليه عن الخليل وابن دريد أن أخضع الروايات والتفسيرات لمبدأ الشك الذي يصل به إلى اليقين؛ فكان يرجح، أو يصوّب، أو ينكر، أو يستدرك ما فات هذه المصادر من أصول وفروع.

المصادر والمراجع

١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين (ت ٩١١هـ)، ط٢، ١٩٧٩، دار الفكر، بيروت.
٢. تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين (١٩٦٤- ١٩٧٦)، الدار المصرية، دار الكاتب العربي.
٣. جمهرة اللغة، ابن دريد، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيد آباد الدكن، ١٣٤٤هـ.
٤. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، للجوهري (٤٠٠هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت(١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).
٥. العلامة اللغوي ابن فارس اللغوي، محمد مصطفى رضوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

(١١٦) معجم مقاييس اللغة (حفل)٢/٨٢.

٦. علم الدلالة والمعجم العربي، د. عبد القادر أبو شريفة و آخرون، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، الاردن ١٩٨٩.
٧. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد١٩٨٠- ١٩٨٦م.
٨. المجمل في اللغة، أحمد بن فارس(٣٩٥هـ) تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت(١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤).
٩. المزهر في علم اللغة، السيوطي عبد الرحمن جلال الدين(٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت.
١٠. المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، د. عز الدين اسماعيل، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م.
١١. المعاجم اللغوية العربية، د. أميل يعقوب، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٨١م.
١٢. المعجمات العربية ـ نقد وتقويم ـ نورية ذاكر العاني، ط١، وزارة الثقافة والاعلام دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩١م.
١٣. المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة،١٩٦٨م.
معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٩..

مفهوم المعنى في التراث النقدي عند العرب

من عصر ما قبل الإسلام
وحتى نهاية عصر عبد القاهر الجرجاني

الدكتور منصور مذكور شلش
كلية الشريعة الاسلامية \جامعة اهل البيت

مفهوم المعنى في التراث النقدي عند العرب

(من عصر ما قبل الإسلام وحتى نهاية عصر عبد القاهر الجرجاني)

د. منصور مذكور شلش

المقدمة:

ان الدراسة الموضوعية المستقصية القائمة على الاستقراء في تاريخ النقد العربي توضح لنا ان النقد العربي بدا فطريا عفويا، اسهمت فيه بواعث فردية وقبلية واجتماعية ودينية وبيئية وفنية، ثم اخذ ابعادا تقوم على القياس والتقعيد والعرض والتحليل والمقارنة والاستنباط، وصولا الى تأصيل نظرية نقدية ذات منهج علمي واضح، كان ثمرة لجهود العلماء العرب من اللغويين والنحاة والشعراء والكتاب والبلاغيين والنقاد وغيرهم كما يرى بعض الباحثين[1].

وبما ان النقد يقوم على اظهار الجوانب الجمالية في الادب عامة بشقيه النثر والشعر، وتوضيح عوامل النضج الفني فيه وتميزها عن غيرها، وتحليل ابعادها والحكم عليها. فان من اهم المقومات التي نظر النقاد اليها في احكامهم على النص الادبي هو (المعنى)، الذي يشكل العماد التي استندت اليه هذه الاحكام.

ومن هنا نرى الادباء من شعراء وكتاب يتبارون في اظهار قدراتهم على تصوير المعاني وتحليلها والابداع فيها.

ولكي نقف على الحكم الدقيق لمفهوم المعنى في التراث النقدي عند العرب. لابد لنا ان نستقرئ ما يمكن الوصول اليه من اقوال واراء وتعليقات لاهم علماء العرب وادبائهم في هذا الاتجاه، منذ الوهلة التي كان الحكم فيها ذوقيا عفوياً، وصولاً الى الحكم القائم على العرض والتحليل والاستنباط[2].

ففي عصر ما قبل الاسلام، كان اكثم بن صيفي اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه ((افصلوا بين كل معنى منقضٍ، وصلوا اذا كان الكلام معجونا ببعض))[3]. وهذا يعني انه يريد منهم ان يبرزوا المعنى بصفته وحدة متكاملة، ذات خصائص محددة.

ويعلق طرفة بن العبد عندما يسمع المسيب بن علس يقول: -

وقد اتاسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرية مكدم[4]

[**الطويل**]

فيقول طرفة بن العبد استنوق الجمل، لان الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة، لا في عنق البعير. ومع ان هذا النقد يقوم على قياس لغوي، الا انه بالنتيجة يقود الى ان الاعتراض جاء بسبب معنى اللفظ (الصيعرية)

وروي ان رسول الله ﷺ لما انشده النابغة الجعدي قوله[٥]:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

[**الطويل**]

قال له أين المظهر يا أبا ليلى؟ قال النابغة: الجنة يا رسول الله. فقال ﷺ: اجل إن شاء الله تعالى. وسؤال رسول ﷺ جاء لان الشاعر بالغ في المعنى، عندما رضي أن يكون المظهر فوق السماء.

والمبالغة فيها خروج المعنى عن حدود المتعارف بين الناس وعندما سئل الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى وكان أستاذه ((لان الحطيئة كان راوية لزهير)) قال ((ما رأيت مثله في تكفيه على أكتاف القوافي، وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحا وذما))[٦]، نلحظ ان الحطيئة في تقييمه لشعر زهير يقسم الشعر على قسمين احدهما النظم ((القوافي وقدرته على الاجادة والتفنن بها)) والاخر هو المعنى.

فالمعنى هو النصف المكمل الذي لا يمكن الاستغناء عنه في الحكم الفني على جودة وابداع الشاعر. فلا يمكن ان يكون الشاعر مجيدا ما لم يتمكن من الاخذ بزمام المعاني امتداحا وذما. مهما بلغ من قدرة على صياغة ونظم القوافي.

وقال الامام علي عليه السلام (ت ٤٠ هـ) في توصيفه للبلاغة والبليغ وحدود ذلك وعلاقته بالمعنى ((البلاغة ايضاح الملتبسات وكشف عوار الجهالات، باسهل ما يكون من العبارات))[٧] وقال ايضا ((ما رايت بليغا قط الا وله في القول ايجاز، وفي المعاني اطالة))[٨]، فالامام علي عليه السلام يرى ان البلاغة تتحقق بايضاح الملتبس من المعنى، والكشف عن المراد من القول، بالعبارة السهلة الموجزة الواضحة، التي لا عسر فيها، وكذلك البليغ هو الذي يعبر عن المعاني الكثيرة بالالفاظ الموجزة القليلة[٩].

وعرف محمد بن الحنفية (رض) (ت ٨١ هـ) البلاغة بقوله: ((البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه باسهل العبارة))[١٠].

ويفسر ابو هلال العسكري هذا الكلام بقوله ((تضطر العقول الى فهمه عبارة عن ايضاح المعنى، وقوله باسهل العبارة تنبيه على تسهيل اللفظ وترك تنقيحه))[١١].

وهذا يعني ان العرب ربطت بين مفهوم البلاغة ووضوح المعنى، وسهولة ماخذه، واخراجه من اللبس والغموض.

ويذكر صاحب الاغاني ان ابن عتيق عاب على عبدالله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين قوله:

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواء عليها ليلها ونهارها[١٢]
تزور امرأ قد يعلم الله انه تجود له كف قليل غرارها

[الطويل]

وذلك لغموض المعنى في هذين البيتين. حتى قال للشاعر ان بيتك هذا يحتاج الى ترجمان يترجم عنه[١٣].

وحينما يفسر ابن المقفع (ت ١٤٢ هـ) البلاغة لسائل يساله ويذكر وجوه البلاغة الكثيرة، وابوابها المتعددة بقوله ((فعامه ما يكون من هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى، والايجاز هو البلاغة))[١٤]احد ان يستغني عنه، بل هو العماد الذي بدونه لا يسمى الكلام بليغا في أي حال من الاحوال.

وهكذا تتاكد النظرة الى المعنى في كل قول من اقوال فصحاء العرب وبلغائهم، يقول كلثوم بن عمرو العتابي (ت ٢٠٨ هـ) في تعريف البليغ من الناس هو ((كل من افهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة))[١٥].

والذي يتبادر الى الذهن من لفظة (افهمك) هو ايصال المعنى الى المتلقي بصورة حسنة، وتوضيح المراد من القول.

بل يذهب العتابي الى ابعد من ذلك، حين يرى ان الالفاظ اجساد والمعاني هي الارواح، وهذه الالفاظ دون المعاني خاوية لا تؤدي غرضا، لهذا اوجب ان تكون مرتبة وفق متطلبات المعنى، حتى تكون ذات اثر في المخاطب من خلال الصورة التي ترسمها ((الالفاظ اجساد، والمعاني ارواح، وانما تراها بعيون القلوب، فاذا قدمت منها مؤخرا، واخرت منها مقدما افسدت الصورة، وغيرت المعنى كما حول راس الى موضع يد، او يد الى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية))[١٦].

ويحذر بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) من التوعر الذي يسلم الكاتب الى التعقيد واستهلاك المعاني، ويشترط لكل معنى شريف ان يلتمس له لفظا شريفا بعيدا عن الفساد والهجنة.

وهو يرى ان اللفظ الشريف يؤدي الى المعنى الشريف، وشرف المعنى ليس كونه للخاصة وبهم شرف، او للعامة وبهم اتضع، وانما مدار الامر كله موافقة الحال ومطابقة المقام ((واياك والتوعر، فان التوعر يسلمك الى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك، ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من اجله ان تكون اسوا حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما، وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما. فكن في ثلاث منازل، فان اولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت، واما عند العامة ان كنت للعامة اردت، والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة. وكذلك ليس يتضع بان يكون من معاني العامة. وانما مدار الشرف واحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال))[١٧].

اما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) فله راي اخر في موضوع علاقة اللفظ بالمعنى يكاد ان يطابق به راي العتابي. فهو يرى الالفاظ بمثابة (المعارض) ((وهو الثوب الذي تجلى فيه الجارية)) والمعاني هي الجواري لذلك دعا الى الابتعاد عن التشدق والتعمق والاغراق في القول والتكلف، وان تكتسي المعاني الفاظا حسنة كريمة، وتلبس اوصافا رقيقة ((انذركم حسن الالفاظ، وحلاوة مخارج الكلام، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا واعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم دلا متعشقا، صار في قلبك احلى ولصدرك املا، والمعاني اذا كسبت الالفاظ الكريمة والبست الاوصاف الرقيقة. تحولت

في العيون عن مقادير صورها، واربت على حقائق اقدارها، بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت. فقد صارت الالفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري))[١٨].

وهو يدعو الى الاعتدال في تخير الالفاظ، وعدم الاغراق في تهذيبها، وان لا يجعل الاديب جل همه وشغله في التخلص الى غرائب المعاني بل ايجاز الكلام وقلة التكلف ((فالقصد في ذلك تجنب السوقي والوحشي، ولا تجعل همك في تهذيب الالفاظ وشغلك في التخلص الى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ، وفي التوسط مجانبة للوعورة))[١٩]. وجملة ما ذهب اليه ان مدار الامر في الخطاب الادبي هو الفهم والافهام. ويتوضح ذلك جليا عندما يقف امام قوله تعالى ((وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم))[٢٠]، فيقول ((لان مدار الامر على البيان والتبيين وعلى الافهام والتفهم وكلما كان اللسان ابين كان احمد، كما انه كلما كان القلب اشد استبانة كان احمد والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل. الا ان المفهم افضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم))[٢١].

ونلحظ مما تقدم ان ادراك أي معنى قائم على ظاهرة الفهم التي هي نتيجة لعوامل كثيرة في مقدمتها ثقافة القارئ، وخبرته والتراكم المعرفي لديه، لان المعنى في حقيقته هو خلاصة فهم فردي ذاتي خالص لما اراد ان يقوله المنتج. ومن ثم فالمعنى هو النتاج الطبيعي لعملية الفهم عند المتلقي.

اما ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فقد نظر الى المعنى من خلال علاقته باللفظ، فاللفظ والمعنى عنده يعرضان للجودة والقبح، ولهذا يقسم الشعر على اربعة اضرب[٢٢].

١. ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول الفرزدق:

في كفه خيزران ريحه عبقٌ ... من كفّ اروع في عرنينه شممُ[٢٣]
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلّم الا حين يبتسمُ

[البسيط]

٢. ضرب منه حسن لفظه وحلا، فاذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى ويستشهد بقول الشاعر:

ولّما قضينا من منى كلّ حاجةٍ ... ومّسح بالاركان من هو ماسحُ[٢٤]
وشدّت على حدب المهارى رحالنا ... ولا ينظر الغادي الذي هو رائحُ
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ... وسالت باعناق المطي الابـاطحُ

[الطويل]

وضرب منه جاد معناه وقصرت الفاظه. ويستشهد بقول لبيد بن ربيعة العامري:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالحُ[٢٥]

[الكامل]

٣. وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الاعشى:

وفوها كأقاحي غذاه دائم الهطلِ ... كما شيب براح با ردٍ من عسل النحلِ[٢٦]

[الهزج]

فهو ينظر الى المعنى بمقدار التزامه بالمقاييس الاخلاقية والاجتماعية، وليس من خلال المعايير الفنية، فالمعنى الجيد عنده هو ما يفيض بالقيم الاخلاقية والاجتماعية وعدا ذلك فلا فائدة منه.

فيما يعتقد ابراهيم بن المدبر (ت ٢٧٩ هـ) ان الكاتب لا يكون كاتبا الا اذا وضع المعنى في موضعه الصحيح والمعبر عما في نفسه، وان يراعي ترتيب المعاني حسب استحقاقها وتسلسلها في الكلام ((فانما يكون الكاتب كاتبا اذا وضع كل معنى في موضعه، وعلق كل لفظة على طبقها من المعنى، فلا يجعل اول ما يبتغي له ان يكتب في اخر كتابه ولا اخره في اوله))[٢٧].

ويذهب ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) في كتابه عيار الشعر الى ضرورة تمخيض المعنى وتهيئته في ذهن الشاعر قبل ان يشرع في بناء قصيدته ويهيئ لهذه المعاني ما يناسبها من الالفاظ ((فاذا اراد الشاعر بناء قصيدته مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، واعد له ما يلبسه اياه من الالفاظ التي تطابقه))[٢٨].

ويعتقد ابن طباطبا ان تكرار المعاني قد يكون محنة يواجهها الشاعر، لان المعاني هي محل القبول، ومقياس التفاضل بين الشعراء. ومن هنا كان على الشاعر ان ياتي بالمعنى الجديد غير المسبوق او يتفوق به على معاني الاخرين. ((والمحنة في شعراء زماننا في اشعارهم اشد منها على من كان قبلهم، لانهم قد سبقوا الى كل معنى بديع ولفظ فصيح... فان اتوا بما يقصر عن معاني اولئك، ولا يربي عليها لم يتلق القبول))[٢٩].

ونظر قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ) الى المعاني نظرة منطقية وذلك في كتابه نقد الشعر فأكثر من التقسيمات واعطاء المعاني النعوت والصفات، وبين ان العلاقة بين المعاني والصورة التي تجيء بها- كالخشب للنجارة، والفضة للصياغة- ورأى ان الجودة في الصياغة وغاية البلوغ في التجويد ((المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة، من انه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة فيها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة، وعلى الشاعر اذا شرع في أي معنى –كان- من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح وغير ذلك من المبادىء الحميدة او الذميمة، ان يتوخى البلوغ في التجويد في ذلك الى الغاية المطلوبة))[٣٠].

ومن النص يتبين لنا ان قدامة اعطى للمعنى اهمية كبيرة وعد الشاعر هو صاحب الحرفة والصناعة، فبمقدار اجادته لفنه يستطيع ان يعبر تعبيراً دقيقاً عن مراده ومقصودهِ وكل ما كان ماهراً كان اكثر قدرة على رسم الصورة المتوخاة والذي اسماه البلوغ في التجويد الى الغاية المطلوبة.

وعندما يوازن ابو القاسم الامدي (ت ٣٧٠ هـ) بين شعر ابي تمام وغيرها من الشعراء، يبين ان من اعرض عن شعره، انما لعدم فهمه معانيه بسبب عدم معرفة التاويل، لدقة المعاني التي قصدها ابو تمام فهو يقول على لسان صاحبه ((انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمه، لدقة معانيه، وقصور فهمه عنه، وفهمه العلماء والنقاد في علم الشعر، واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه))[٣١]

وهو يؤكد ما ذهب اليه النقاد الذين سبقوه في نقد الشعر وبيان منزلته، حينما عدة غرابة المعنى وتعقيد صورته من اخطاء اللفظ والمعنى عند ابي تمام ((حتى صار كثير مما اتى به من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه منها الا مع الكد والفكر وطول التأمل ومنه ما لا يعرف معناه الا بالظن والحدس))[٣٢].

وفي تعريفه للبلاغة يرى الرماني (ت ٣٨٦ هـ) في رسالته النكت في أعجاز القران ان البلاغة لا تتحقق في ايصال المعنى وافهامه فقط بل يشترط ان يكون هذا المعنى في احسن صورة من اللفظ ((وليست البلاغة افهام المعنى لانه قد يفهم المعنى متكلمان احدهما بليغ والأخر عي، ولا البلاغة

ايضاً بتحقيق اللفظ على المعنى، لانه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف. وإنما البلاغة: إيصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ))[٣٣]

وفي بيان اعجاز القران يرى الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) ان الاعجاز في القران وقع في عجيب نظمه، ووضع الالفاظ في مواضعها الصحيحة التي تؤدي الى المعنى الصحيح المؤثر، فاذا تبدلت الالفاظ ووضعت في غير اماكنها المخصوصة فانها تؤدي الى تبديل المعنى وفساده ((عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الاشكل به الذي اذا ابدل مكانه غيره جاء منه اما تبدل المعنى الذي يكون فيه فساد الكلام، واما الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة))[٣٤].

وفي حديثه عن الشعر قارن ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) بين سهولة المعنى وابانته وبين غموضه وعدم وضوحه ((قيل للسيد الا تستعمل الغريب في شعرك فقال: ذلك عي في زماني، وتكلف مني لو قلته وقد رزقت طبعا واتساعا في الكلام، فانا اقول ما يعرفه الصغير والكبير، ولا يحتاج الى تفسير. ثم انشدني[٣٥]:

ايـــا رب انـــي لم ارد بالـــذي بـــه مـدحت عليـا غـير وجهـك فـارحم[٣٦]

[الطويل]

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه، ويستعمله في ابانه ليس كمن قال وهو في زماننا:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم[٣٧].

فاشمت عدوه بنفسه.

ويقول القاضي الجرجاني (ت ٣٩٦ هـ) في وساطته بين المتنبي وخصومه، حين يوازن بين شعره وشعر الاخر في موضوع اتعاب الفكر وكد الخاطر وامعان النظر والتدقيق وصولا الى فهم الصعب من الشعر ((اذا قرع السمع لم يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكد الخاطر والحمل على القريحة فاذا ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة))[٣٨].

وهذا دليل نقدي اخر على ان فهم المعنى له دور كبير في الحكم على الشعر وقبوله من قبل المتلقي وان كان بعد جهد جهيد.

وينقل القاضي عبدالجبار المعتزلي (ت ٤١٥ هـ) عن شيخه ابي هاشم ان مدار فصاحة الكلام يقوم على امرين جزالة اللفظ وحسن المعنى. واشترط حسن المعنى بصفته الاساس الذي تستند اليه الفصاحة، لانه يرى ان الكلام اذا جاء جزلا ركيك المعنى لم يعد فصيحا، وانما يجب الجمع بين الامرين ((قال شيخنا ابو هاشم انما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه. ولابد من اعتبار الامرين، لانه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحا فاذن يجب ان يكون جامعا لهذين الامرين))[٣٩].

ويبين ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) مفهومه للمعنى عندما تحدث عن شروط الفصاحة والبلاغة، اذ يقول ومن شروط الفصاحة والبلاغة ((ان يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج الى فكر في استخراجه وتأمل لفهمه، وسواء كان ذلك الكلام لا يحتاج الى فكر منظوماً او منثوراً))[٤٠].

وقد عاب الخفاجي ابا اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي وغلطه، لانه فرق في المعنى بين الشعر والنثر وزعم ان الحسن من الشعر ما اعطاك معناه بعد كد وطول نظر ومجاهدة وتأمل، إما الحسن من

النثر فهو ما سبق معناه لفظه ويوضح الخفاجي رأيه هذا بشيء من التفصيل فيقول ((وانما احتجنا الى هذا التفصيل لان ابا اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي غلط في هذا الموضع، فزعم ان الحسن من الشعر ما اعطاك معناه بعد مطاولة ومماطلة، والحسن من النثر ما سبق معناه لفظه، ففرق بين النظم والنثر في هذا الحكم، ولا فرق بينهما ولا شبهة تعترض المتأمل في ذلك، والدليل على صحة ما ذهبنا اليه ان قد بينا ان الكلام غير مقصود في نفسه، وانما احتيج اليه ليعبر الناس عن اغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم، فاذا كانت الالفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في اصل الكلام وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً للقطع ويجعل حده كليلاً، ويعمل وعاءً لما يريد ان يحرزه فيقصد الى ان يجعل فيه خروقاً تذهب ما يوعى فيه فأن هذا مما لايعتمده عاقل))[٤١].

وخلاصة رأيه في هذا الموضوع ان المعنى انما وضع من اجل الفهم والافهام وايصال المراد الى المخاطب بأوضح العبارة ((لا يخلو ان يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد افهام ذلك المعنى او لا يريد افهامه، فان كان يريد افهامه فيجب ان يجتهد في بلوغ هذا الغرض بايضاح اللفظ ما امكنه، وان كان لا يريد افهامه فليدع العبارة عنه فهو ابلغ في غرضه))[٤٢].

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) اكثر من افاض في موضوع المعنى وعلاقته باللفظ وتاثيره في المتلقي ودوره في الكشف والتوضيح والبيان. بل انه لا يجيز ان يوصف اللفظ بالفصاحة دون المعنى، لانه يرى ان المزية فيه، وان الالفاظ يجب ان ترتب في النفس حسب المعاني، وكان جل مرماه في نظرية النظم ان يثبت هذه الخاصية وهي ضم الالفاظ وترتيبها حسب معانيها لا كيفما جاءت واتفقت ((وانما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك تقتضي في نظمها اثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو اذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق))[٤٣].

وهو يعترض على قول القائل ان القدماء الذين سبقوه قسموا الفضيلة بين اللفظ والمعنى، وفخموا اللفظ وشرفوه وعظموه. وان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ،

لان هذا الكلام يوهم من يسمعه ان المزية هي في الالفاظ، ويستنتج من ذلك كله انهم قالوا (لفظ متمكن).

و(لفظ قلق ناب) الا بسبب موافقة اللفظ للمعنى واصابته عين المراد والا لما كان متمكنا او قلقا نابيا أي غير موافق لمعناه. ((فان قيل فماذا دعا القدماء الى ان قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا: معنى لطيف ولفظ شريف وفخموا شان اللفظ وعظموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم وحتى قال اهل النظر: ان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ، فاطلقوا كما ترى كلاما يوهم كل من يسمعه ان المزية في حق اللفظ ؟ قيل له: لما كانت المعاني انما تتبين بالألفاظ، وكان لا سبيل للمرتب لها، والجامع شملها الى ان يعلمك ما صنع في ترتيبها بفكره، الا بترتيب الألفاظ في نطقه تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعاني بترتيب الألفاظ ثم بالألفاظ بحذف الترتيب ثم اتبعوا ذلك من الوصف والنعت ما ابان الغرض وكشف عن المراد كقولهم (لفظ متمكن) يريدون انه بموافقة معناه لمعنى ما يليه كالشيء الحاصل في مكان صالح يطمئن فيه (ولفظ قلق ناب) يريدون انه من اجل أن معناه غير موافق لما يليه، كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو لا يستطيع الطمأنينة فيه))[٤٤].

ويشير الجرجاني الى نوع اخر من المعاني وهو المعنى المجازي، اذ ان الكلام الفني الغني بالدلالة متكاثر المعنى، حيث انك تفهم من اللفظ معنى مباشر (معجمي) يفضي بك ذلك المعنى الى معنى اخر هو (معنى المعنى).

ويمثل لذلك بامثلة كثيرة، فمثلا قولك كثير الرماد، نفهم من اللفظ المعنى المباشر وهو (كثير الطبخ) ونفهم من هذا المعنى معنى اخر وهو الاشارة الى الرجل الكريم المضياف ((واذا عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي ان تقول المعنى ومعنى المعنى، نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل اليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى اخر كالذي فسرت لك))[٤٥].

وهذا ما سماه رولان بارت في كتابه الاساطير (نظرية المعنى العمودية) حيث توصل في دراسته للاسطورة الى ان الاسطورة فيها معنى مكثف له مستويان، الاول مباشر والاخر يفهم من هذا المعنى. يقول عنها وليم راي ((تعتمد نظرية المعنى العمودية هذه على الثنائية الوظيفية التي يظهرها كل دال ((اسطوري)) ويمكن للمعنى الناتج من العلاقة المتبادلة بين الدال والمدلول في نظام بارت ان يصبح دالا في علاقة متبادلة للمستوى الثاني ازاء وحدة اخرى للمستوى او مدلول اخر))[٤٦].

والذي يظهر لنا ان من يستقرئ اراء الجرجاني في مؤلفاته المختلفة وكذلك في اهم انجازاته وهي (نظرية النظم) انه يقطع بان المزية وحسن الكلام وبيانه وبلاغته وتاثيره في السامع انما هي للمعنى ((واذا كان كذلك وجب ان تعلم قطعا وضرورة ان تلك المزية في المعنى دون اللفظ))[٤٧].

مما تقدم وبعد هذه الاستنطاقات لنصوص علماء العربية في مفهوم المعنى منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى نهاية عصر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) والتي عدها النقاد مرحلة تبلورت فيها ملامح النظرية النقدية عند العرب وانفصالها ولو بشكل جزئي عن علم البلاغة، مع ان الامر ليس سهلا بل هو من الصعوبة بمكان، حيث تتداخل اراء البلاغيين والنقاد، لان العالم العربي كان عالما جامعا لهذه الفنون، متكلما في افانينها المختلفة.

والذي تبين لنا من البحث ان الغرض الاساس من أي خطاب هو ايصال المعنى (المضمون) الى المخاطب، وان مدار الامر وغايته هو الفهم والافهام وهذا هو مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب[٤٨].

وقد وضع النقاد شروطا كثيرة لجودة المعنى في الخطاب الفني والشعر الجيد. في مقدمتها: ان يكون المعنى في احسن صورة من اللفظ، وان يمكنه الاديب في نفس السامع كتمكنه في نفسه كما انهم اكدوا على قضية مهمة اخرى هي ان عملية الفهم والافهام هي عملية مشتركة بين المخاطِب والمخاطَب، فالاول (المخاطِب) يتوجب عليه ان يطابق بين الفاظه ومعانيه، وان تكون الفاظه (متمكنة) غير قلقة. أي في سياقها الصحيح، وان تكون حسنة شريفة، بعيدة عن التكلف والتعقيد، حتى مثلوا العلاقة بين الالفاظ والمعاني، كعلاقة الاجساد بالارواح او علاقة الجواري بالمعارض.

اما الثاني (المخاطَب). فكلما كان اشد استبانة كان ذلك احمد، وهذا يعني ان النقاد العرب سبقوا الكثير من اصحاب النظريات الحديثة في نظرتهم للمعنى في النص الادبي. فقد وصفوا النص الادبي العالي المضمون (متكاثر المعنى) وهذا الذي سماه المحدثون تعدد مناطق النفوذ داخل النص فالنص الادبي الجيد ((فضاء مثقوب ومساحته مفتوحة... يحتمل اكثر من قراءة، ولكل قراءة منطقة نفوذها داخل النص))[٤٩].

المصادر والمراجع

❖ القران الكريم.

١. الاغاني: لابي فرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ) دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
٢. بيان اعجاز القران: الخطابي حمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ) تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨ في (ثلاث رسائل في اعجاز القران).
٣. البيان والتبيين: ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. مطبعة المدني – مصر.
٤. ثلاث رسائل في اعجاز القران للرماني والخطابي وعبد القادهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ١٩٦٨م.
٥.دلائل الإعجاز: تاليف الامام عبدالقاهر الجرجاني، صححا اصله علامتنا المعقول والمنقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والاستاذ اللغوي المحدث الشيخ محمد محمود التركيزي الشنقيطي ووقف على تصحيح طبعه وعلق علي حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة – بيروت – لبنان.
٦.ديوان السيد الحميري: شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسن الاعلمي. مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان ط١، ١٩٩٩م.
٧. ديوان عبدالله بن قيس الرقيات: تحقيق: محمد يوسف نجم – بيروت، ١٩٥٨.
٨. الرسالة العذراء: ابراهيم بن المدبر (ت ٢٧٩هـ)تحقيق: د. زكي مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية.
٩. سر الفصاحة لابي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدين مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده، الازهر ١٩٦٩م.
١٠. شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: وضعه الامام ابي العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب (ت ٢٩١ هـ) نسخه مصورة عن طبعة دار الكتب سنة (١٩٤٣ – ١٩٤٤م) الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
١١. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، قدم له وشرحه ابراهيم جزيني، منشورات دار القاموس، بيروت ومكتبة النهضة، بغداد.
١٢. شرح ديوان المتنبي: وضعه عبدالرحمن البرقوني. الناشر دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
١٣. شعر يزيد بن الطثرية، صنعه د. حاتم الضامن، مط اسعد بغداد، دار التربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م.
١٤. الشعر والشعراء، ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة، ط١، ١٩٥٨م.
١٥. الصناعتين: تصنيف ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٢م، دار احياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي.

١٦. عيار الشعر: محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) تحقيق وتعليق: الدكتور طه الجابري، والدكتور محمد زغلول الحلبي (١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) القاهرة.
١٧. مجلة شؤون ادبية الامارات، عدد ٧- ٨، السنة الثانية (١٩٨٨- ١٩٨٩م) قراءة مالم يقرا – علي حرب.
١٨. معجم الشعراء: ابو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني(ت ٣٨٤هـ) تحقيق: عبدالستار احمد فراج، مطبعة البابي الحلبي (١٣٧٩هـ ١٩٦٠م).
١٩. المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية: وليم راي، ترجمة: الدكتور يوئيل يوسف عزيز، دار المامون للترجمة والنشر، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
٢٠. المغني في ابواب التوحيد: القاضي عبدالجبار (ت ٤١٥هـ) تحقيق: امين الخولي، القاهرة – ١٩٦٠م.
٢١. مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب: د. منصور مذكور شلش، رسالة دكتوراه – جامعة البصرة.
٢٢. الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري: الحسن بن بشر بن يحيى الامدي (ت ٣٧٠هـ) تحقيق: السيد احمد صقر، دار المعارف – مصر، ط٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
٢٣. الموشح في ماخذ العلماء على الشعراء: محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) القاهرة – جمعية نشر الكتب العربية ١٣٤٣هـ.
٢٤. النظرية النقدية عند العرب: الدكتورة هند طه حسين، دار الرشيد – بغداد ١٩٨١م.
٢٥. نقد الشعر: قدامه بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)، تحقيق وتعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبدالعزيز بن الحسن الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق وشرح علي محمد البجاوي ومحمد ابو لفضل ابراهيم، مطبعة البابي الحلبي ط٢، ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م.

الهوامش:

١. ينظر: النظرية النقدية عند العرب: ص١٥.
٢. لا بد من الإشارة إلى مجموعة من الدراسات التي تخص المعنى مثل: مفهوم المعنى عند الجاحظ: د. ماهر مهدي هلال، مفهوم المعنى: د.عزمي إسلام، نظرية المعنى في النقد العربي: د.مصطفى ناصف، صناعة المعنى وتأويل النص: إعمال الندوة التي نظمها قسم اللغة العربية في جامعة تونس كلية الآداب ١٩٩٢، مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب: رسالة دكتوراه ٢٠٠١ جامعة البصرة: د.منصور مذكور شلش.
٣. الصناعتين: ص٤٤٠.
٤. الموشح: ص٧٦- ٧٧.
٥. ينظر: معجم الشعراء: ص١٩٥.
٦. شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: ص١٥.
٧. الصناعتين: ص٥٢.

٨. المصدر نفسه: ص١٧٤.
٩. مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب: ص٤٧ رسالة دكتوراه. جامعة البصرة (وهي الان كتاب تحت الطبع).
١٠. الصناعتين: ص١٢.
١١. الصناعتين: ص١٢.
١٢. ديوان عبدالله بن قيس الرقيات ص٨٩.
١٣. الأغاني: ٧٠/٥.
١٤. البيان والتبيين: ١١٦/١.
١٥. البيان والتبيين: ١١٣/١.
١٦. الصناعتين: ص١٦٧.
١٧. البيان والتبيين: ١٣٦/١.
١٨. البيان والتبيين: ٢٥٤/١.
١٩. المصدر نفسه: ٢٥٥/١.
٢٠. ابراهيم: الاية ٤.
٢١. البيان والتبيين: ١١/١.
٢٢. ينظر الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص٦٤- ص٦٩
٢٣. ديوانه: ص٥١٢
٢٤. شعر يزيد بن الطثرية: ص٦٤ ويقول المحقق وتنسب لكثير في ديوانه وللمضرب ولكعب ولعقبة بن كعب.
٢٥. شرح ديوان لبيد بن ربيعة ص٣٩٤
٢٦. لم اعثر عليهما في ديوان الأعشى
٢٧. الرسالة العذراء ص١٧
٢٨. عيار الشعر ص١١
٢٩. عيار الشعر: ص١٥.
٣٠. نقد الشعر: ص٦٥، ٦٦
٣١. الموازنة: جـ٢١/١.
٣٢. المصدر نفسه: جـ١٢٥/٢.
٣٣. النكت ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران: ٧٥
٣٤. بيان اعجاز القران: ص٢٩
٣٥. الصناعتين: ص٦١
٣٦. ديوان السيد الحميري: ص١٨٨
٣٧. البيت للمتنبي وعجزه: شيم على الحسب الاغر دلائل. شرح ديوان المتنبي: ٣٧٥/٣.
٣٨. الوساطة: ص١٩.
٣٩. المغني في ابواب التوحيد والعدل: ١٩٧/١٦.
٤٠. سر الفصاحة: ص٢١٢
٤١. المصدر نفسه.
٤٢. سر الفصاحة: ص ٢١٢
٤٣. دلائل الإعجاز: ص٤٠
٤٤. دلائل الأعجاز: ص٥٠- ٥١.
٤٥. دلائل الاعجاز: ص٢٠٣.
٤٦. المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية: ص١٩٤.
٤٧. دلائل الاعجاز: ص٣٠٨.
٤٨. ينظر: مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب: ص٢٠٥، ٢٠٤.
قراءة ما لم يقرأ. مجلة شؤون أدبية الإمارات: ص٦٥.

ما يكتب بالضاد والظاء

لابن فهد الشافعي (٨٤٨ هـ _ ٨٨٥ هـ)

دراسة وتحقيق

أ.م.د حكمت عبيد الخفاجي

عميد كلية الشريعة الإسلامية / جامعة أهل البيت عليهم السلام

ما يكتب بالضاد والظاء لابن فهد الشافعي (٨٤٨هـ _٨٨٥هـ)

دراسة وتحقيق

أ.م.د حكمت عبيد الخفاجي

التمهيد

الجزء الأول: ابن فهد الشافعي (٨٤٨هـ ـ ٨٨٥هـ) حياته وآثاره

اسمه وولادته

هو يحيى بن عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد محيي الدين أبو زكريا[١] بن النجم بن أبي القسم الهاشمي المكي الشافعي، ويعرف كسلفه بابن فهد[٢].

ولد في ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة بمكة[٣].

الدروس التي أخذها

نشأ في مكة المكرمة وبها حفظ القرآن، ودرس الشاطبية، وأربعيَّ النووي، وألفية ابن مالك، ومن المنهاج إلى الرجعة أو الظهار، وأما الذين عرض عليهم فجماعة أولهم جدّه، والشوائطي[٤].

اعتنى به أبوه فأحضره وأسمعه كثيراً من شيوخ بلده والقادمين إليها، واستجاز له جماعة، وممن سمع عليه: أبو الفتح المراغي، والزين الأسيوطي، والبرهان الزمزمي، وحضر مجالس الشيخ شمس الدين السخاوي صاحب كتاب (الضوء اللامع)[٥].

---

(١). هدية العارفين: ١/٧٢٦.
(٢). ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ١٠/ ٢٢٠، ط١ بيروت ٢٠٠٣.
(٣). الأعلام: ٨/١٦١.
(٤). الضوء اللامع: ١٠/ ٢٢٠.
(٥). نفسه.

أسفاره

تحصل للكثير من العلماء أسفار كثيرة؛ لأن السلف الصالح وصّى بها لتفرّج الهم، وطلب الرزق، أو طلب العلم، أو الرواية، أو صحبة ماجد، فقد أُثِر عن السلف أنهم يقطعون الفيافي والقفار لكي يسمعوا حديثا واحدا رواه الرسول (ص و آله)، لذا تجد كل عالم يترجم له يذكر ما حصل له من أسفار، وابن فهد من هؤلاء فقد زار المدينة المنورة والطائف، وبجيلة، وذهب إلى القاهرة واليمن مرتين، وصل في أحدهما إلى زَبيد ثم إلى تعز ثم إلى صنعاء، وفي الثانية إلى عدن، وسمع في جلّها على جماعة، وفي زبيد على الفقيه (عمر المفتي) شيئا من مصنفاته، ورغب بالسفر لراحةِ خاطره[٦].

وتفقه على يد النور الفاكهي وقرأ عليه بالعربية والفرائض، وكان بصيرا بها، وحضر مجالس البرهاني بن ظهيرة وأخيه الفخري، وقرأ على السيد السمهودي في المناسك، وفي النحو على أبي الوقت المرشدي، وفي الميقات على النور الزمزمي، وأبي الفضل بن الإمام الشامي[٧].

صفاته وأقوال العلماء فيه

قال السّخاوي: (كان فاضلا ذكيا فهّامة ساكنا عاقلا صالحا نيّرا سيما الخير عليه لائحة، راغبا في الصلاة والطواف والصيام والبر مع التقلل جدا، كارها مع ذلك بتعاطي الزكوات والصدقات الواصلة لمكة بل تعفف أخيرا عنها فلم يقبلها)[٨].

آثاره

كان – رحمه الله - له ذوق حسن بالشعر بحيث انتخب منه وألف كتابا سمّاه (مجاميع)[٩]، وله كتاب آخر سماه (فوائد) وهو في النكت والغرائب، وله (مختصر أمثال الميداني)، وصنف في التراجم كتابا سماه (الدلائل إلى معرفة الأوائل)[١٠]، وقد نقل عنه الزبيدي في تاج العروس كثيرا[١١]

وفاته

توفّي – رحمه الله – في مكة في النصف من ذي القعدة ليلة الاثنين سنة خمس وثمانين وثمانمائة، وصلى عليه خلق كثير، ودفن بالمعلاة عند قبور أسلافه، وكان قريب الأجل من والده، كما أن ابنته التي لم يعقّب غيرها قريبة الأجل منه (رحمه الله).

هذه المخطوطة

(ما يكتب بالضاد والظاء) لم أجد أحدا ذكرها في مؤلفات ابن فهد الشافعي مع العلم انه ممن ألف في مجال اللغة لكن لم يذكر له هذا المؤلف، ويبدو انه لصغر حجم الرسالة- كماسماها هو – جعلها مغمورة وغير منسوبة له، وقد وجدت في مقدمة الرسالة ما نصه (فهذا كتاب فيه ما يكتب

---

(٦). نفسه ١٠/ ٢٢١.
(٧). الضوء اللامع: ١٠/ ٢٢١، النور السافر ٢٣/١.
(٨). الضوء اللامع٩/٢٢١.
(٩). الأعلام:٨/ ١٦١.
(١٠). الضوء اللامع ٩/٢٢١، الأعلام ١٦١/٨، هدية العارفين: ٧٢٦/١.
(١١).تاج العروس ١/ ٥، ١ / ٢١ – ٢٢، ١ / ٢٩٢، ٢٩٣. وغيرها.

بالضاد والظاء، والمعنى مختلف مأخوذ من كلام العرب، تأليف الفقير إلى الله الغني الشيخ الأديب يحيى بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي سامحه الله تعالى وغفر له، آمين)، فبحثت في كتب التراجم والطبقات لم أجد أحدا له هذا الاسم إلا مؤلف هذا المخطوط، وفي (هدية العارفين)[١٢] لم يذكر سوى مؤلف واحد له، وكل من سمي بابن فهد في كل المؤلفات خشية أن يكون قد التبس الأمر على احدهم فسجلها باسم آخر أيضا اسمه ابن فهد[١٣]، إلا أن السخاوي ذكر له ثلاثة مؤلفات فقط سابقة الذكر.

ومهما يكن من أمر فكل من حقق كتابا أو رسالة في الضاد والظاء لم يأت لذكر هذه الرسالة، أو أشار إليها[١٤].

منهج المخطوط

أما منهجه، فنبدأ بالنظام المتّبع عنده، فقد اتبع (النظام الالفبائي)، والذي سارت عليه أكثر كتب الضاد والظاء، ابتدأ – رحمه الله – بباب الألف، فالباء، ثمّ التاء، إلا انه في باب التاء ذكر اللفظة بالتاء من غير تجردها عن حروف الزيادة، قال ((**التاء:** التظفير إدراك الرجل ما يجب بلوغه إياه، تقول: ظفر فلان بكذا وأظفره الله تعالى، أي: أدركه إياه. والتضفير الإكثار من الضَفْر، معروف تقول: ضفرت الشعر والسير وغيره اضفره ضفرا فانا ضافر والسير مضفور، **التقريظ:** المدح والثناء الحسن، قال: في الصحاح (التقريظ مدح الإنسان وهوحيّ، والتأبين مدحه ميتا، وقولهم فلان يقرظ، صاحبه تقريظا بالظاء والضاد جميعا)، عن أبي زيد (إذا مدحه بباطل أو حق وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه)).

وموضوعه في هذه الرسالة هو ذكر لفظتين، الأولى بالضاد والأخرى بالظاء إلا أن معناهما مختلف قال ذلك في مفتتح كلامه عن مؤلّفه ((فهذا كتاب فيه ما يكتب بالضاد والظاء، والمعنى مختلف مأخوذ من كلام العرب))، إلا انه لم يسر على منهجه الذي حدده من البداية على هذا المنوال، فقد ذكر ألفاظا بالضاد ليس لها نظائر بالظاء، وألفاظا بالظاء ليس لها نظائر بالضاد، مع وجودها في المعجمات العربية، وكتب الضاد والظاء، مثل: ((**البغض:** الإبعاد في السؤم والمغالات، يقال: أبغض في السؤم إذا أبعد، والتبغّض الطائفة من الشيء يقال: تبغّضته إذا جزّأته))، ولم يذكر ما يقابلها بالظاء.

ومثله ((**الظّيان:** الياسمين البري))، ولم يذكر ما يقابلها بالضاد.

ومما يؤخذ عليه أيضا: الإخلال في ترتيب بعض المواد، فقد وضع باب الظاء قبل باب الضاد، والنظام الذي اتبعه يحتّم عليه العكس.

---

(١٢). هدية العارفين: ١/ ٧٢٦.

(١٣). في هدية العارفين: ١/ ١٢٧ – ٤٢٣- ٥٤٨ – ٥٥٩ – ٥٧٨ – ٦٦٦- ٧٢٦، فيها كل من سمي بابن فهد وذكر لمؤلفاته.

(١٤).ما كتبه الدكتور رمضان عبد التواب عند تحقيقه لزينة الفضلاء فقد استقصى كل ما كتب في الضاد والظاء، ومن بعده الدكتور حاتم الضامن، والأستاذ حيدر فخري في رسالته التي هي عن الضاد في الفكر اللغوي وكلهم لم يأتِ على ذكر (ما يكتب بالضاد والظاء) لابن فهد.

وذكره بعض المواد في غير موقعها فقد ذكر ألفاظا ((حظيظ – حضيض – ظلف – ضلل – ظلل – ضاف – ظرر- ضرر- ظير – ظئر – ضير – عظين – فظيظ – فضيض – حظل – حضل – ظنّ – ضنّ)) بين النون والواو، والأولى أن تدرج كل لفظة من هذه الألفاظ تحت مادة من المواد الموجودة في رسالته.

وأرى أن هذا من خطأ النسّاخ، والا فالنظام الذي سار عليه في رسالته يفرض عليه وضع كل لفظة تحت مادة من المواد، وقد يكون ذكر ألفاظه بحسب الشيوع، لكنه بدأ بالألف، فالباء، فالتاء.. وهلم جرا، وهذا الأمر لا يسوغ له هذا الإخلال.

أما الشواهد التي استشهد بها فتراوحت بين، قرآن، وشعر، ورجز.

ومهما يكن من أمر تعد رسالة (**ما يكتب بالضاد والظاء**) من الرسائل المهمة، وان كان المؤلف ذكر ألفاظا هي مذكورة أصلا في مصنفات الضاد والظاء، ولم ينفرد بذكر زائدة عليهم، إلا أن استشهاده بكثير من الشعر الذي ضاعت نسبته، ولم نعثر عليه يدل على سعة حفظه، وجودة ما كتبه، ويتميّز بها هذا المخطوط ؛لأن أكثر من كتب لا يستشهد بالشعر ولا بالقرآن مع كثرة ألفاظه، وكثرة استعماله وهذا مما يؤخذ على من ألّف في هذا المضمار عامة ؛ لأن الألفاظ التي تخطأ بها العامة ومن اجلها صنّفت كتب الضاد والظاء هي نفسها مستعملة في القرآن الكريم.

الجزء الثاني: الضاد في الدراسات اللغوية، وأشهر كتبها

عني علماء اللغة العربية بمعالجة أصوات الحروف، فدرسوا مخارجها وتطورها، وحددوا لها أصول النطق فيها، فتركوا تراثا ضخما من الموروث الصوتي هو الآن موضع عناية وإكبار عند الباحثين.

من هذه الأصوات التي استأثرت عندهم بالبحث والدرس، صوت الضاد ؛ لأنه من أعسر الحروف نطقا، ولاشتباهه بصوت الظاء أو الدال المفخمة أو الذال لذا اشتدت عنايتهم به في مباحث القراءات ؛ لأنه (أمر يقصّر فيه القرّاء والأئمة لصعوبة من لم يدرب فيه)[١٥]، فوضعوا لعلاج هذا الصوت الرسائل والكتب، ونظموا المتون، من القرن الثالث إلى يوم الناس هذا، فنجم عن هذا الصنيع موروث لغوي بارع[١٦].

فصوت الضاد عند سيبويه (١٨٠هـ) يقع في المرتبة الثالثة عشرة من الحروف العربية التسعة والعشرين، إذ يقع بعد حروف وسط اللسان وقبل حرف اللام عند ترتيبه لهذه الأصوات حسب مخارجها، قال (مما بين حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد)[١٧].

أما المبرد (٢٨٥هـ) فيقول (الضاد ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر)[١٨].

---

(١٥). الرعاية: ١٥٨، تثقيف اللسان: ٩١.
(١٦). بغية المرتاد لتصحيح الضاد: مجلة الضاد: ١٨٤.
(١٧). كتاب سيبويه: ٤ / ٤٣٣.
(١٨). المقتضب: ١/ ١٩٣.

وابن جني (٣٩٥هـ) يرى (انك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وان شئت من الجانب الأيسر)[١٩].

وأما ابن الجزري (٨٣٣هـ) فيرى أنها (من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين)[٢٠].

و أما زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) فيرى (أيسرها وهو أكثر وأيسر أو من يمناها وهو قليل وعسير أو منهما وهو اقل وأعسر)[٢١].

ويعدُّ تحديد سيبويه لمخرج الضاد من بين المخارج الصوتية للحروف العربية في غاية الدقّة والتنظيم على الرغم من الامكانات المتواضعة[٢٢].

مصنفات الضاد والظاء[٢٣]:

١_ الفرق بين الضاد والظاء: للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) حققه: محمد حسن آل ياسين ١٩٥٨م.

٢_ كتاب الضاد والظاء: أبو الفرج محمد بن عبيد الله النحوي (ق ٥هـ) حققه: عبد الحسين الفتلي، ١٩٧٩م.

٣_ الظاءات في القران الكريم: لأبي عمرو عثمان الداني (٤٤٤هـ)، حققه: علي حسين البواب ١٩٧٤م.

٤_ الاقتظاء للفرق بين الذال والضاد والطاء: لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (٤٧٠هـ)، حققه: علي حسين البواب، ١٩٨٧م.

٥_ الفرق بين الضاد والظاء: لأبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني (٤٧١هـ)، حققه موسى بناي العليلي ١٩٨٣م.

٦_ كتاب في معرفة الضاد والظاء: أبو الحسن علي بن أي الفرج القيسي الصقلي (٤٥٠هـ تقريبا)، حققه حاتم الضامن، ١٩٨٢م.

٧_ حصر حرف الظاء: أبو الحسن الخولاني المقرئ (حيا سنة٤٨٥هـ)، حققه: حاتم الضامن ١٩٩٠م.

٨_ ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة: أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي (٥٢١هـ)، حققه علي زوين، ١٩٨٥م.

٩_ زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء: لأبي البركات عبد الحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله الانباري (٥٧٧هـ)، حققه رمضان عبد التواب ١٩٧١م.

١٠_ ظاءات القران: لأبي الربيع سليمان بن أبي القاسم التميمي السرقوسي (قبل ٥٩١هـ)، حققه حاتم الضامن ١٩٨٢ م.

---

(١٩). سر صناعة الإعراب: ١/ ٤٧.
(٢٠). النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٠٠.
(٢١). الدقائق المحكمة في شرح المقدمة: ٩.
(٢٢). الضاد في النظام الصوتي العربي: ٢٣.
(٢٣).في هذا الاستقصاء رجعت إلى رسالة الأستاذ: حيدر فخري ميران.

١١_ المختصر في الفرق بين الضاد والظاء: لمحمد بن نشوان بن سعيد الحميري (٦١٠هـ)، حققه محمد حسن آل ياسين، ١٩٦١م.

١٢_ الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد: لجمال الدين محمد بن مالك (٦٧٢هـ)، حققه حسين تورال وطه محسن، ١٩٧٢م.

١٣_ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد: لجمال الدين محمد بن مالك (٦٧٢هـ)، حققه حاتم الضامن **١٩٨٠م.**

١٤_ الارصاد في شرح المرصاد الفارق بين الظاء والضاد: إبراهيم بن عمر الجعبري (٧٣٢هـ) حققه طه محسن.

١٥_ الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء: أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي (٧٤٥هـ) حققه محمد حسن آل ياسين، ١٩٦١م.

١٦_ فصل القضاء في الفرق بين الضاد والظاء: لأحمد عزت بن رشيد البغدادي، وهو مما ألف حديثا، ١٩١٠م.

١٧_ المرشد إلى تمييز الظاء من الضاد: لأحمد حامد الشربتي طبع سنة ١٩٥٧.

منهج التحقيق

قمت بتحقيق هذه المخطوطة با تباع عدد من الخطوات وهي على ما يأتي: -

١- اعتمدت على نص خطي واحد حصلت عليه من مكتبة كاشف الغطاء، وبحثت في مكتبة الحكيم ومكتبة أمير المؤمنين (ع) ولم أجد لها نسخة أخرى.

٢- ألفاظ المخطوطة واضحة وقد كتبت بخط النسخ لذا لم أواجه صعوبة في نقلها إلى الخط القياسي الحديث، وقمت بعد نقلها بضبط الشكل.

٣- ضبط النص القرآني والأحاديث النبوية الواردة في المخطوطة وتخريجها.

٤- قمت بتراجم الأعلام في كتب التراجم والطبقات.

٥- العناية بعلامات الترقيم وتوزيع الفقرات في البدء والانتهاء، وفي الآتي الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط:

الصفحة الأولى من المخطوط

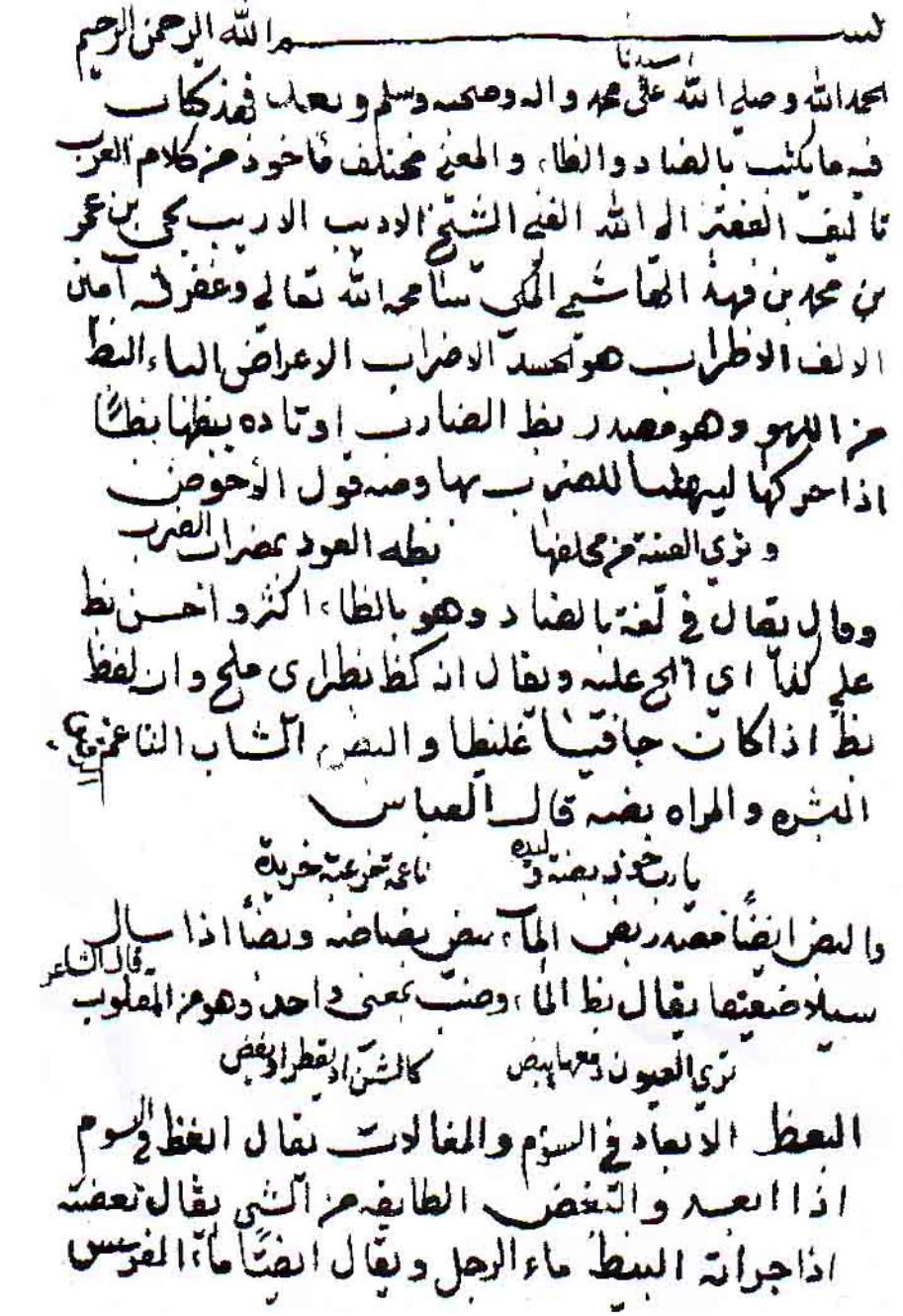

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فهذا كتاب
فيما يكتب بالضاد والظاء والمعنى مختلف مأخوذ من كلام العرب
تأليف العبد الفقير إلى الله الغني الشيخ الأديب الأريب يحيى بن عمر
بن محمد بن فهد الهاشمي المكي سامحه الله تعالى وغفر له آمين
الوظ الاضطراب هو أشد الاضراب الاعتراض الماء النظ
من اللهو وهو مصدر نظ الضارب أو تاده ينظها نظًا
إذا حركها ليهتما للضرب بها وهو قول الأحوص

ونرى العنس من مخافتها نظ العود بضربات القرب

وقال يقال في لغة بالضاد وهو بالظاء أكثر وأحسن نظ
على كذا أي ألح عليه ويقال إن كظ نظ ري ملح وإن لفظ
نظ إذا كان جافيًا غليظًا والنضر الشاب الناعم
البشرة والماء بضه قال العباس

يا رب خذ بضة وليده ناعمة غريرة خريدة

والنض أيضًا مصدر نض الماء ينض بضاضة ونضًا إذا سال
سيلا ضعيفا يقال نظ الماء ونض بمعنى واحد وهو المغلوب قال الشاعر

ترى العيون ونهما نض كالشن إذ قطر أو نفض

النعظ الانبعاث في السوم والمغالاة يقال انغظ في السوم
إذا ابعد والنغض الطائفة من الشيء يقال نغضة
إذا جرأته النغظ ماء الرجل ويقال أيضًا ماء الفرس

الصفحة الأخيرة من المخطوط

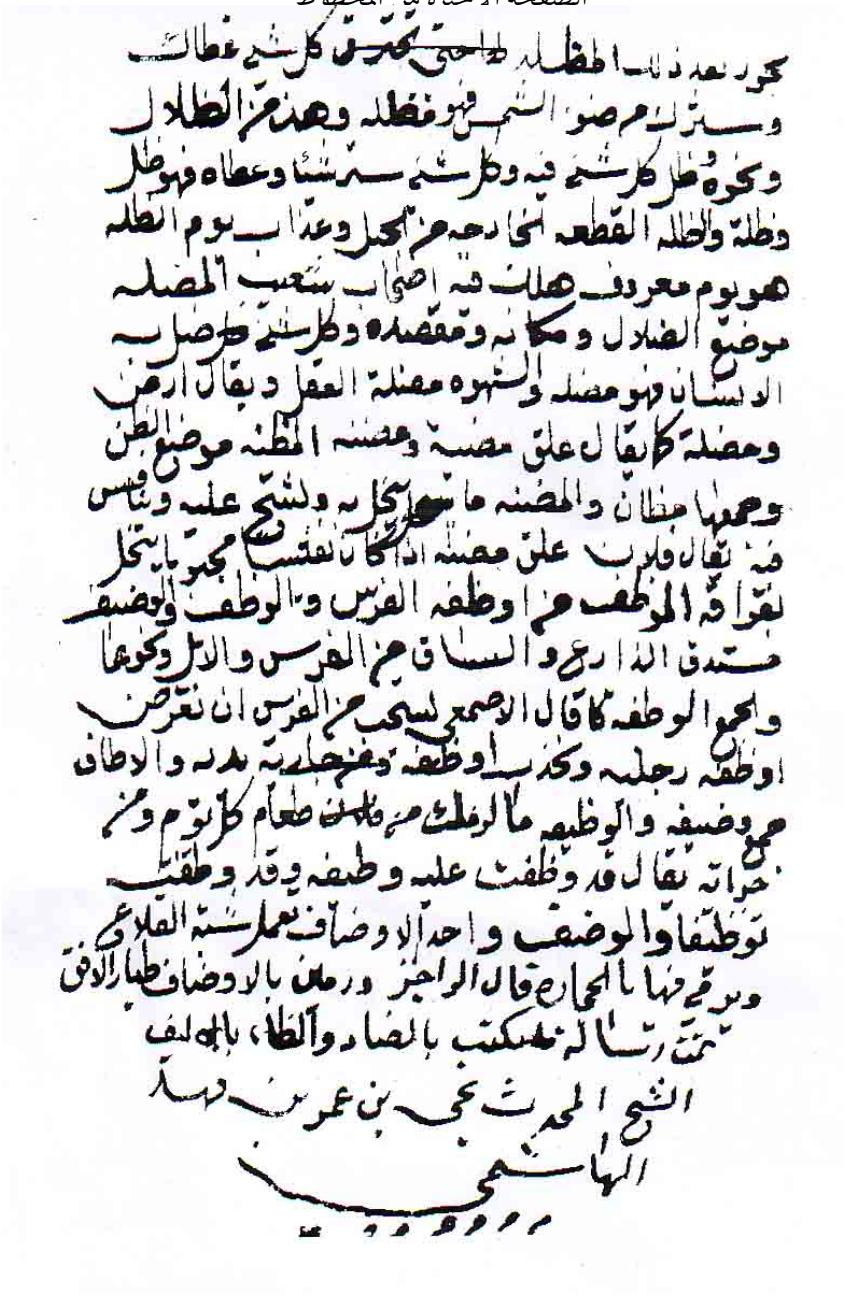

النص المحقق

ما يكتب بالضاد والظاء لابن فهد الشافعي

(٨٤٨هـ _ ٨٨٥هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد

فهذا كتاب فيه ما يكتب بالضاد والظاء، والمعنى مختلف مأخوذ من كلام العرب، تأليف الفقير إلى الله الغني الشيخ الأديب يحيى بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي سامحه الله تعالى وغفر له، آمين.

الألف: الإظراب هو الحسد[٢٤]، الإضراب: الإعراض[٢٥]

الباء: البظّ[٢٦] من اللهو، وهو مصدر بظّ الضارب أوتاده يبظّها بظّا إذا حرّكها ليهيئها للضرب[٢٧] بها، ومنه قول الأحوص: (بحر الرمل)

وترى العُنْيّته من مخلفها بظّه العود بِمضراب الضَرَبْ[٢٨]

وقيل يقال في لغة بالضاد وهو بالظاء أكثر وأحسن. نَظَّ عليهِ كَذا أَيْ ألحّ عليه[٢٩]. ويقال انه كظّ[٣٠] بظّ أي: مُلِحّ، وان لفظ (بَظّ) إذا كان جافيا غليظ، والبضّ[٣١] الشاب الناعم الرقيق البشرة، والمرأة بضّةٌ، قال العباس[٣٢]: (بحر الرجز)

يارب خود بضّةٍ وليدة ناعمةٍ جزوعةٍ خريدة

---

(٢٤) - لم يذكر فيما عثرت عليه من كتب الضاد والظاء شئ عن هذه اللفظة ووجدت ألفاظا مقاربة لها مختلفة المعنى أمثال: الظراب: الحجارة الحادة المضرسة في الجبل، الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني، ٣٠ والمعنى نفسه في الفرق بين الضاد والظاء لابن عباد. وفي كتاب (حصر حرف الظاء) لابي حسن الخولاني يقول: (واما الهمزة فليس فيها شئ) وفي لسان العرب الاظراب: اسناخ الأسنان ٨/ ٢٥٠ (ظرب)، وفي القاموس المحيط ١/ ١٣٢ (ظرب) وفي تاج العروس للزبيدي ١/ ٣٦١ (ظرب): أربع أسنان خلف النواجد

(٢٥) - ينظر: الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني، ٣١ وفيه اضرب الرجل في بيته أي: أقام فيه. والفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد، ٢٦ الاضراب: كفك عن الأمر. وفي كتاب معرفة الضاد والظاء للقيسي الصقلي، ٣٣٣: وأضربت عن هذا الأمر أي أعرضت عنه وفي اللسان ٨/ ٣٨ المعنى نفسه.

(٢٦) - ينظر: الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء للداني، ٥٨ والفرق بين الحروف الخمسة للبطليوسي، ١٦٠ وفي زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء للانباري، ١٠٠. وفي كتاب الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ٢٦.

وفي الفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد: نظّ فلان على الشئ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠

والعوّاد ينظ عوده إذا حرك الأوتار للضرب ولقد ذكرها الصاحب بالنون (نظ) وليس بالباء ويبدو انه تصحيف فات محقق الكتاب.

(٢٧). وفي اللسان: (وقد يقال بالضاد، .... والظاء أكثر وأحسن) ٧ / ١٣٢(بضض).

(٢٨) - ينظر ديوانه ٧٠ جمع وتحقيق عادل سلمان جمال وفي اللسان نسبه الاحوص أيضا.

(٢٩) - ينظر الفرق بين الضاد والظاء للصاحب، ١٤ هكذا ورد فعل (نظ) في هذا الكتاب ولم نعثر له على ذكر في معجمات اللغة مثل اللسان والقاموس والتاج بل وحتى كتاب المحيط للصاحب بن عباد.

(٣٠) - ينظر: الفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد، ٢٩ والاقتضاء للداني، ١٦٨.

(٣١) - ينظر: الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني، ٢٣ وفي العين ١/ ١٦٨ (بض) امرأة بضة مكتنزة اللحم في نصاعه لون، وفي لسان العرب ١/ ٤٢٤ (بضض) البض: أي رقيق الجلد وفي القاموس المحيط ٢/ ٣٣٦ المعنى ذاته وكذا تاج العروس ٥/ ٧ (بض).

(٣٢) - البيت للعباس بن مرداس السلمي في ديوانه ١٥١ وفي لسان العرب (بضض) ١/ ٤٢٤

والبضّ أيضا مصدر بضّ الماء يبضّ بضاضة إذا سال سيلا ضعيفا، يقال: بضّ الماء وضبَّ بمعنى واحد، وهو من المقلوب، قال الشاعر: (بحر السريع)

تـــرى العيـــون دمعهـــا يـــبضّ كالـــشن إذ يقطـــر أو يغـــضّ[٣٣]

البغض[٣٤]: الإبعاد في السؤم والمغالات، يقال: أبغض في السؤم إذا أبعد، والتبغّض الطائفة من الشئ يقال: تبغضته إذا جزّأته.

البيظ[٣٥]: ماء الرجل ويقال أيضا ماء الفرس / ١ قال الشاعر[٣٦]: (بحر السريع)

تـــراه إن صـــخر لـــه عرضـــت يمـــذِ ويخـــرج بعـــده البَيظـــا

والبيض معروف[٣٧] وهو بيض الطير والنمل والجراد ونحو ذلك.

التاء: التظفير[٣٨] إدراك الرجل ما يجب بلوغه إياه، تقول: ظفر فلان بكذا وأظفره الله تعالى، أي: أدركه إياه. والتضفير[٣٩] الإكثار من الضَفْر، معروف، تقول: ضفرت الشعر والسير وغيره اضفره ضفرا فانا ضافر والسير مضفور.

التقريظ[٤٠]: المدح والثناء الحسن، قال: في الصحاح (التقريظ مدح الإنسان وهوحيّ، والتأبين مدحه ميتا، وقولهم فلان يقرّظ، صاحبه تقريظا بالظاء والضاد جميعا)[٤١]، عن أبي زيد[٤٢] (إذا مدحه بباطل أو حق وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه)[٤٣]

التَقْرِيض[٤٤]: الذمُّ والهجو.

---

(٣٣) - لم اهتد الى قائله.

(٣٤) - ينظر: العين ١/ ١٨٠ (بغض)، وفي لسان العرب ١/ ٤٥٣ (بغض)، البغض نقيض الحب وهذا التفسير من باب تفسير الشئ بنقيضه وفي القاموس المحيط ٢/ ٣٣٧ (بغض).

(٣٥) - ينظر الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني، ٣٢، الفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد، ٢٢، وفيه زاد معنيين على ما ذكره صاحب المخطوطة والمعنيان هما نواة البسرة البيضاء وبيض النمل، وفي حياة الحيوان الدميري والبيض كله بالضاد إلا بيض النمل فانه بالظاء ٢/ ٣٦٦، وحصر حرف الظاء للخولاني ٣٦١، والاعتماد ٢٨، والفرق بين الحروف الخمسة ١٨٠.

(٣٦) - البيت لعمرو بن احمد في ديوانه ١١٩، والحيوان للجاحظ ٥/ ٥٧٥، وفي لسان العرب بغير نسبة ١/ ٤٣٨.

(٣٧) - ينظر الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني، ٣٢، والفرق بين الضاد والظاء للصاحب بن عباد، ٢٣، وكتاب في معرفة الضاد والظاء للقيسي الصقلي ٣٣٦ وقد أضاف الصاحب بن عباد معنيين على ما ذكرهما البيض الزبيب الابيض والبيض داء يأخذ الإنسان كالذبحة.

(٣٨) - ينظر الفرق للصاحب، ٢٢، والفرق للزنجاني، ٣٠، والاقتضاء ٩، وزينة الفضلاء ٩٥.

(٣٩) - ينظر: الفرق للزنجاي، ٣٠ والفرق للصاحب، ٢٢، وفي لسان العرب ٨/ ٢٥٠(

(٤٠) - ينظر: الاقتضاء ٧٧ والفرق بين الحروف الخمسة ٢٤٣ والارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء لابي حيان الاندلسي ١٥١ والفرق للصاحب ١١ والفرق للزنجاني ٣٣.

(٤١) - ينظر: الصحاح (قرظ)

(٤٢) - أبو زيد: وهو سعيد بن اوس بن ثابت الأنصاري احد أئمة اللغة والأدب من أهل البصرة وهو من الثقات اللغويين من تصانيفه كتاب (النوادر) و (الهمز) و (المطر) و(اللبأ واللبن) و(لغات القران) توفي ٢١٥ هـ. ينظر في ترجمته: وفياة الأعيان ١/٢٠٧ وتاريخ بغداد ٩ / ٧٧ والأعلام للزركلي ٣/ ٩٢.

(٤٣). جاء في اللسان (أبو زيد: قرّظ فلان فلانا، وهما يتقارظان المدح إذا مدح كل واحد منهما صاحبه، ومثله يتقارضان، بالضاد، وقد قرضه إذا مدحه أو ذمّه، فالتقارظ في المدح والخير خاصة، والتقارض إذا مدحه أو ذمّه، وهما يتقارضان الخير والشر) ٧/٢٤٦(قرض).

(٤٤) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٣٣ وفيه يجعل لفظتي (قريظ وقريض) في المعنى نفسه.

الحاء: الحاظر[٤٥] المانع للشئ والمحظور الممنوع، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً) [الإسراء: ٢٠] أي: ممنوعا، والحِظار: حاجز يكون [بين][٤٦] شيئين، والحاضر[٤٧] ضد الغائب وهو الشاهد المقيم. قال جل ذكره (ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [البقرة: ١٩٦]، وقد حضر القوم الطعام، وهو طعام محضور أي: مشهود والإحضار المصدر من قولك أحضرت الشئ فانا احضره إحضارا إذا كان غائبا، والإحضار[٤٨] أيضا: شدّةُ عدْو الفرس.

الحافظ[٤٩] ضد الناسي، ومنه قولك: (حفظك الله)، أي رعاك الله ولم ينسكَ الحافظ الراعي للشئ / ٢ الحافظ له والتحفظ قلة الغفلة في الكلام والمحافظة المواظبة على الأمور[من الصلوات][٥٠].

والحافِض[٥١] الحاني لكل عود من قوس وغيرها مثل الصوالجة وما أشبهه تقول: حفضت العود أحفضه حِفْضا إذا أحنيته، العود المحفوض المنحني، ومنه قول الشاعر: (بحر الكامل)

حفضت قوس شوحط واسهم من يانع أنعتها بالا قدما[٥٢]

الحظ[٥٣]: البخت والنصيب يقال فلان ذو حظ من جمال وحظ من رزق أي نصيب، ويقال انه لمحظوظ وحضيض[٥٤] بمعنى واحد. وفي القران الكريم (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) [النساء: ١١]

والحض[٥٥]: الحثّ على الأشياء من الخير والشر وفي القران العزيز: (وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) [الماعون: ٣]

الحَظِل[٥٦]: المُقَتِّر للشئ، والحِظْلان[٥٧]: المنع ونحو ذلك.

والحَضِل[٥٨]: الندي من كل شئ المبتلّ يقال بكي حتى خضلت لحيته

---

(٤٥) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢٤، والاقتضاء، ١٤١ وزينة الفضلاء، ٨٣، والاعتماد، ٣٠، وكتاب في معرفة الضاد والظاء للقيسي الصقلي ٣٣٨، وحصر حرف الضاء للخولني المقرئ ٣٦٢ واللسان ٤/ ٢٠٣ (حظر)

(٤٦) - زيادة يقتضيها السياق وكذا ورد في الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني (والحظار حاجز يكون بين شيئين) ٠٢٤

(٤٧) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢٥، لسان العرب ٤/ ١٩٩ (حضر) وتاج العروس ٣/ ١٤٧ (حضر)

(٤٨) - ذكره ابن عباد (والحضار من عدو الفرس) ٠٩

(٤٩) - ينظر: الفرق للزنجاني ٢٦، والفرق لابن عباد، ١٠، والاعتماد ٣٠، وزينة الفضلاء ٨٣ والاقتضاء ١٤١.

(٥٠). زيادة يقتضيها السيلق، وردت في العين إشارة إلى قوله تعالى (حافظوا على الصلوات) ١/٤٠٤(حفظ)

(٥١) - ينظر: الفرق للزنجاني ٢٦، والفرق لابن عباد ١٠.

(٥٢) - لم اهتد إلى قائله.

(٥٣)- ينظر الفرق للزنجاني، ٢٠ والفرق لابن عباد، ٢٩ وحصر حرف الظاء ٣٦٢، زينة الفضلاء ١٤٠ الاقتضاء ١٤٠، تثقيف اللسان للصقلي ٣٠. وفي لسان العرب ٣/ ٢٣٠ (حظ) (والحظ: الجد والبخت).

(٥٤) - في كتاب الفرق للزنجاني ذكر ما نصه (فلان محظوظ وحظيظ بمنى واحد) ٢١ ويبدو إن هذا الخطأ من الناسخ.

(٥٥) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢١، والفرق لابن عباد، ٩، ومعرفة الضاد والظاء، ٣٢٥.

(٥٦) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢١، والفرق لابن عباد، ٢٨، وحصر حرف الظاء، ٣٦٢ والاعتماد، ٣٣. واللسان ٣/ ٢٣١ (حظل).

(٥٧). جاء في اللسان (... ورجل حظول: مضيّق على أهله... ورجل حَظِل و حظّال للمُقتّر الذي يحاسب أهله بما ينفق عليهم، والاسم الحِظلان.. والحَظَلان بالتحريك مشي الغضبان) ١١/١٨٧(حظل).

(٥٨) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢١، وذكر المؤلف (الحَضِل مكان (الحضل) لان الحضل غير موجود باللغة قال صاحب اللسان بعد أن ذكر حضلت النحلة خضلا: فسدت قال الأزهري: حضلت وحظلت بالضاد والظاء ولم يذكر الجوهري (حضل).
انظر ٤/ ١٦٧ واللسان ١١/ ١٥٥.

والحنظل[٥٩]: معروف قال عنترة: (بحر الكامل)

والخيـــلُ عابـــسةُ الوجـــوه كأنمـــا تـسقى فوارسـها نقيعُ الحنظـل[٦٠]

والخضل: نقرةٌ تكون في الصفا يجتمع فيها ماء المطر[٦١]، قال الشاعر: (بحر الكامل)

وتـــرى يخـــضل صـــلدها تقـــر مـــاء الـــسماء كأنهـــا الـــلالاء

الظاء: الظال[٦٢] وهو كالصاير ونحوه ظل فلان قائما وظل متوجعا، وبالقران العظيم (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل: ٥٨]، وكذلك (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) [الشعراء: ٤].

والضّال: ضل[٦٣] المهتدي والضال: الحائرُ عن القصد وقد ضلَت عن الطريق (بفتح اللام وكسرها) إذا حاد ولم يهتد، وفي القران الكريم (قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [الأنعام: ٥٦]، وكذلك (وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٧٧]، قال الشاعر: (بحر الهزج)

أطاعُوا أمرَ جبار فضلّوا وما مِنْ طاعةٍ للظالمينا [٦٤] /٣

الظِراب[٦٥]: الحجارة الحادة المُضْرسة في الجبل، قال الشاعر[٦٦]: (المنسرح)

إنَّ جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسرِ فوقَ الظِّراب

والضرب[٦٧] والمصدر من المضاربة، والضرب: وقوع البعير على الناقة وهو من الإبل بمنزلة النكاح من الآدميين.

الظرار: جمع ظُرَر وهو حجر مُحدّدٌ[٦٨]، وارض مظرة كثيرة الظِرار ومنه قول ابن سهل الشاعر: (بحر الطويل)

رضـوى يـا ابنـة الأرض الـتي أمهـا الربـا وخالاتهـا الظـرّار والهُـضُب القفـر[٦٩]

---

(٥٩) - ينظر الفرق بين الحروف الخمسة ١٧٠ والاقتضاء ١٦٥ وحصر حرف الظاء ٣٦٢.

(٦٠). البيت لعنترة بن شداد في شرح المعلقات السبعة للزوزني: ١٦٢.

(٦١). لم يأتِ في معظم المعجمات ما ذكره المصنف، نعم جاء في أساس البلاغة (وبأرضهم خضيلة وهي الروضة الغَمِقَة) ١١٤(خضل).

(٦٢) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢٢، والفرق لابن عباد، ١٨، تثقيف اللسان، ٣١، وظاءات القران للسر قوسي ٢٦٨، وحصر حرف الظاء، ٣٦٤.

(٦٣) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢٢، الفرق لابن عباد، ١٩، ومعرفة الضاد والظاء ٣٣٢.

(٦٤) - لم اهتد إلى قائله وفي جمهرة اللغة لعبد الله بن رواحة.

(٦٥) - ينظر: الفرق للزنجاني ٣٠ والفرق للصاحب ٢٣، والفرق بين الحروف الخمسة والاقتضاء ٣٢.

(٦٦) - البيت لمعد يكرب ينظر، الفرق للزنجاني، ٣٠، والفرق لابن عباد، ٢٣، البيان والتبيين ٣/ ٢٣١، واللسان ٤/ ٣٦٠ (سرر).

(٦٧) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٣١، والفرق للصاحب، ٢٤، واللسان ٤/ ٥٤٧ (ضرب)

(٦٨) - ينظر: الفرق للصاحب، ١٧، والفرق للزنجاني، ٢١، والاقتضاء ٨٧، مختصر في الفرق بين الضاد والظاء للحميري، ١٠.

(٦٩) - البيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ١٦٣، وتذكرة النحاة ٤٦، وخزانة الأدب ١١/ ٦١.

والضرار[٧٠]: المضارة قال الله تعالى (وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ)[البقرة: ٢٣١]، ومنه الحديث (لا ضرر ولا ضرار)[٧١]، واصله من الضّر[٧٢] وهو سوء الحال في المال والبدن، قال الله عز وجل: (مَسَّنِيَ الضُّرُّ) [الأنبياء: ٨٣]، قال (الشاعر)[٧٣]: (بحر الوافر)

ومـــا إن زال معتـــديًا عليهـــا يطلّقهـــا ويمـــسكها ضـــرارا[٧٤]

الظفرة[٧٥]: جُليدة أو لحمة تخرج من مائق العين يغشي النظر حتى لا ينظر شئ، قال الشاعر: (كامل)

وظفـــرت بمائهـــا في العـــين إنـــسان ناظرهـــا إذا نظـــرا[٧٦]

الضفرة[٧٧]: ضفيرة المرأة وما تعقّدَ في الرمل[٧٨]، ودخل بعضُه في بعض، وهي لغة في التظفير، والتضفير: الإكثار من الضَفْر، والضَفْر: نسج الشعر عريضا.

الظلع[٧٩]: العَرَج تقول ظلع الرجل والبعير يظلع ظلْعا إذا عرج عرجا ضعيفا فهو ظالع، قال الشاعر: (بحر الطويل)

لهـــا أثـــر بالفـــأو عـــافٍ كأنـــه مواضـع ودعٍ مـستبٌّ وظـالعِ[٨٠]

والضلع[٨١]: الجور والميل، تقول ضلع فلان عن الحق إذا حاد وظلم وجار، ويضلع ضلعا فهو ضالع، قال الهذلي[٨٢]: (البسيط)

عبلٌ وكيعٌ ضليعٌ مُقْرَبٌ أرنٌ للمُقرباتِ أمامَ الخيلِ مُغْتَرقُ[٨٣]

والضِلَع: بكسر الضاد وفتح اللام ضلع كل شئ من الحيوان /٤ وغيره وجمعه أضلاع وضلوع، قال الشاعر: (بحر البسيط)

جـسم مـن المـاء ريـان مفاصـله ظافي الضلوع على قلب من الحجر[٨٤]

---

(٧٠) - ينظر: الفرق للصاحب، ١٧، والفرق للزنجاني، ٢١، واللسان ٦ / ١٥٣ (ضرر).
(٧١) - ينظر: سفينة البحار ١/ ٦٥٤.
(٧٢). جاء في العين (الضر والضُر لغتان، فإذا جمعت بين الضرَ والنفع فتحت الضاد، وإذا أفردت الضُرّ ضممت الضاد اذا لم تجعله مصدرا كقولك ضررت ضرًا، هكذا يستعمله العرب) ٢/ ١٠٣٩(ضر).
(٧٣) - زيادة يقتضيها السياق.
(٧٤) - لم اهتد إلى قائله وهو في لسان العرب ٦/ ١٥٣ (ضرر) بلا نسبة وكذلك في أوضح المسالك ٤/ ٢٨٨.
(٧٥) - ينظر: الفرق للصاحب، ٢٢، والفرق للزنجاني، ٣٠، والاقتضاء، ٥٩، زينة الفضلاء ٩٥.
(٧٦)- لم اهتد إلى قائله.
(٧٧)- ينظر: الفرق للصاحب، ٢٢، والفرق للزنجاني، ٣٠، وكتاب في معرفة الضاد والظاء، ٣٣٣. وفي اللسان ٨/ ٧٠ (ضفر)
(٧٨). اللسان: ٤/٥٦٦(ضفر).
(٧٩) ينظر: الفرق للصاحب، ٧، والفرق للزنجاني، ٢٦، واللسان ٨/ ٢٤٥ (ظلع).
(٨٠). البيت من الطويل، وهو لحِق الاسعدي في كتاب الجيم، ٣ / ٦٤، والمعجم المفصّل لشواهد العربية: ٤ / ٤٠٢.
(٨١) - ينظر: الفرق للصاحب، ٧، والفرق للزنجاني، ٢٦- ٢٧، ومعرفة الضاد والظاء، ٣٢٣.
(٨٢). البيت في التهذيب واللسان غير منسوب، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: أشعار الهذليين ١/٤٣.
(٨٣). وهو لسليمان بن يزيد العدوي في تاج العروس ٢٢/ ٣٦٨ (وكع)، وفيه (مفترق)، وبلا نسبة في كتاب الجيم، ١/ ٢٧٩- ٢ / ١٢٢، العين ٢ / ١٨٢.

والظمْآن(٨٥): بإسكان الميم وهمزة الألف: العطشان، والإسم من الظمأ قال الله تعالى (وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى) [طه: ١١٩]، وقال تعالى (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء) [النور: ٣٩]، وقال الشاعر: (بحر الرجز)

فليلُهـــا الظمـــآن ريٌّ ريقُهـــا وللمدنفِ المشتاقِ خمرٌ وسكّرُ(٨٦)

والضَمَان(٨٧): غير مهموز بفتح الميم الكفالة بالشئ، والضامن الزعيم، قال جلّ ذكره: (وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ) [يوسف: ٧٢]، أي ضامن وكفيل.

الظن(٨٨): ضد اليقين وهو حرف شك تقول ظننت بفلان خيرا أي حسبته، قال الله تعالى (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [يونس: ٣٦]، وقال العتابي: (بحر الوافر)

علـى أنـي أظنّـكَ حِلْـتَ عمّـا عهدتَ وليس علمي كاليقين(٨٩)

وقد يجئ الظن في موضع اليقين، وهو من الأضداد قال دريد: (بحر الطويل) **فقلت لهم بالغرض حجّ سراتهم في الفارسيّ المسرّد**(٩٠)

والضن(٩١): مصدر ضن أي بخل، والضِن بكسر الضاد الاسم، قال الله تعالى (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) [التكوير: ٢٤] أي بخيل، قال إسماعيل ابن القسم: (بحر الكامل)

ضـنّتْ علـيّ بفودهـا وصـفائها ومنحتُها ودّي ومحض صفائي(٩٢)

الظّهْرُ(٩٣): خلاف البطن من كلّ شئ، والظَهْر من الأرض ما غلظ وارتفع، والبطن ما رقّ منها ولان، قال المنذر: (بحر الطويل)

فـان تكـن الـدنيا علـيّ تقلّبـتْ بسوء فللدنيا بطونٌ وأظهر(٩٤)

---

(٨٤) لم اهتد الى قائله.

(٨٥) - ينظر: الفرق للصاحب، ٤٠، الاقتضاء، ٩٩، والفرق بين الحروف الخمسة، ٢٤٧، وزينة الفضلاء، ٨٣.

(٨٦) - لم اهتد الى قائله.

(٨٧) - ينظر: كتاب في معرفة الضاد والظاء، ٣٣٥، وكتاب العين ٢/ ١٠٥٤، ولسان العرب ٨/ ٨٩، والقاموس المحيط ٤/ ٢٤٥ – ٢٤٧.

(٨٨) - ينظر: الفرق للصاحب، ١٩، والفرق للزنجاني، ٢٢، الوجوه والنظائر في القران الكريم لهارون بن موسى، ٣٧٤، والاعتماد، ٣١، وظاءات القران للسر قوسي، ٢٧١.

(٨٩) - البيت بلا نسبة في لسان العرب ٨/ ٩٤، ولم أجده في ديوان العتابي.

(٩٠) - البيت لدريد بن الصمه في ديوان ٤٧، ولسان العرب ١٣/ ٢٧٢ (ظنن) والمعجم المفصل في الأضداد ٥/ ٢. وفي هذه المصادر صدر البيت على الاتي:
فقلت لهم ظنوا بألفي مقاتل سراتهم في الفارسي المسرد.

(٩١) - ينظر: الفرق لابن عباد، ١٩، والفرق للزنجاني، ٢٣، ومعرفة الضاد والظاء ٣٣٢.

(٩٢) - لم أجده في ديوانه.

(٩٣) - ينظر: الفرق للصاحب، ١٧- ١٨، والفرق للزنجاني، ٢٩، ومعرفة الضاد والظاء ٣٣٩، والاعتماد ٣٩، والاقتضاء ٧٩، وحصر حرف الظاء ٣٦٥.

(٩٤) - البيت للمنذر بن درهم الكلبي في خزانة الأدب ٢/ ١١٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٣٥ وبلا نسبة في أمالي الزجاجي.

والظهر: الركاب التي تحمل الأثقال في السفر والظهر أيضا /٥ ما غاب عنك تقول: تكلمت عن ذلك بظهر غيب[٩٥].

والضهر[٩٦]: ضهر الجبل، وقيل صخرة في الجبل تكون على غير خِلْقَتِه، قال الشاعر: (بحر المنسرح)

سمـــرت فـــوق ضـــهر المخـــالم علقـه الطـود المنيـف اللطـائف[٩٧]

كذلك بالظاء.

الظّيان[٩٨]: الياسمين البري[٩٩]، قال الشاعر: (بحر المنسرح)

إنّ الريـــاض زحـــاريفٌ مـــضاعفة منهـا الريـاحين والظيـان والـورد[١٠٠]

والضأن[١٠١]: مالك الضأن وراعيها، يقال جاءني الضأنُ، وجمعه الضِّين[١٠٢] كما يقال الغنّام والبقّار والضأّن بالهمزة وإسقاط الياء الغنم البيض، قال الله تعالى: (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣] قال الشاعر: (بحر الطويل)

ومـن حُولـة الأيـام والـدهر أننـا لنـا ضُـأنٌ مقـصورة ولنـا بقـر[١٠٣]

العين: العظ[١٠٤]: تستعمله العرب في حرفين لا يعرف غيرهما احد، عظّتني الحرب وعظّني الزمان إذا اشتد عليه، قال مهلهل: (بحر الطويل)

وعظـتهم الحـرب العـوان بنابهـا فأضـحوا صـريعا لليـدين وللفـم[١٠٥]

ومن ذلك قول الهذلي في صفة صعود الدهر: (بحر الطويل)

سـل الـدهر عـني عظـني الـدهر الم تـر مـيرا مـا يعادلـه صـبر[١٠٦]

---

(٩٥). العين: ٢/١١١٩(ظهر).

(٩٦) - ينظر الفرق للصاحب، ١٨، والفرق للزنجاني، ٢٩، والاقتضاء، ٧٩، والفرق بين الحروف الخمسة، ١٧١، والاعتماد، ٣٩.

(٩٧) - لم اهتد الى قائله.

(٩٨) - ينظر: الاقتضاء، ١٦٥، وزينة الفضلاء، ٩٥، الارتضاء لأبي حيان، ٨٥، وحصر حرف الظاء، ٣٦٤.

(٩٩). جاء في العين (الظيان شيء من العسل، ويجيء في الشعر الظي بلا نون، ولا يشتق منه فعل فتعرف ياؤه) ٢/١١٢٠(ظيي).

(١٠٠) - لم اهتد الى قائله.

(١٠١) - ينظر: الفرق للصاحب، ٢٠.

(١٠٢). جاء في اللسان (و الجمع الضأن و الضأن، والضِّين والضَّين غير مهموزين) ١٣/٣٠٥(ضأن).

(١٠٣). من الطويل بلا نسبة في لسلن العرب، ١١ / ١٨٥ – ١٩١ (حول)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٤٦، والمخصص: ١٢/ ١٤٩، وفيها (غنم).

(١٠٤) - ينظر: الفرق للصاحب ٤- ٥، والزنجاني، ٢٠، وزينة الفضلاء، ١٠٠، والاعتماد، ٤٤، وحصر حرف الظاء ٣٦٧.

(١٠٥) - لمهلهل بن ربيعة ٥/ ٤٣، والشعر والشعراء ١/ ٣٠٥، وشرح المفصل ١/ ٤٦.

قال الفرزدق: (بحر الطويل)

وعـظّ زمـانٍ يـابنَ مـروانَ لم يـدعْ مـن المـالِ إلا مـسحتا أو مجلـف[١٠٧]

العَضّ[١٠٨]: معروف وهو /٦ الكدم، وسدّ أسنانك على الشئ يقال عضِضْتُه بكسر الضاد، والعاض الفاعل، والمفعول به معضوض، وعضيض، والعاضضة ما تضعه لمن عضك، وكل شئ ضاق على شئ فعقره كانت أسنان أو لم تكن فقد عضّه كالقيد والقنّب ونحوه، وفي القران الكريم (عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) [آل عمران: ١١٩].

قال الشاعر: (بحر الكامل)

لمـا رأت مـا سـاءها واغاضـها عـضّتْ أناملـها مـن الغـيظ[١٠٩]

العظب[١١٠]: تحريك الطائر زمكّلاه[١١١]، والعضب[١١٢]: السيف القاطع الباتر.

العظل[١١٣]: الملازمة في السفاد، يقال عاظِل الكلب الكلبة، وكذلك الجراد إذا تراكب، وكلما نَشَب وتلازمَ في سفادِه، تقول: عاظَلَها فعظِلها [أي غلبها][١١٤]، قال السعدي: (بحر الطويل)

كـأنهم عنـد انهـزام خميـسهم سحاب جراد ساقط متعا ظل[١١٥]

والعضل[١١٦]: منع المراة التزويج، قال الله تعالى: (فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) [البقرة: ٢٣٢]، ويقال لمانعها عاضِل، وهي معضولة وكل من منعته عن شئ إرادة أو قهرا فقد عضلته وضيقت عليه فيه، وكذلك كل أمر تحبه، (قال الشاعر)[١١٧]: (بحر الكامل)

وقهـرتهن بمنعـه وحفظـه وعـضلتهن عـن الرجـال المـنكح[١١٨]

---

(١٠٦) - البيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٩٥٧، ولسان العرب ٤/ ٢٥٥.

(١٠٧) - في ديوانه ٢/ ٥٥٦، والخصائص ١/ ٩٩، والخزانة ٢/ ٣٤٧، واللسان ٢/ ٤١.
وعبارة (عظ) تروى بالضاد أيضا. فقد وردت في الخصائص والخزانة بالضاد وذكرها الصاحب في الفرق بالضاد أيضا وذكر فيه (يروى بالظاء على أصله وبالضاد على حد الاستعارة): ٥.

(١٠٨) - ينظر: الفرق للزنجاني، ٢٠، ومعرفة كتابة الضاد والظاء، ٣٢٢.

(١٠٩) - لم اهتد إلى قائله.

(١١٠) - ينظر: الفرق للصاحب، ٨، والفرق للزنجاني، ٣٣، والاقتضاء، ٤٥، والفرق بين الحروف الخمسة، ١٣٥، والاعتماد، ٤٣.

(١١١) - والزمكلي: اصل ذنب الطائر، وفي العين: الزّمكّى.١٢٢٣/٢ (عظب).

(١١٢) - ينظر الفرق للصاحب، ٨، والفرق للزنجاني، ٣٣، ومعرفة الضاد والظاء، ٣٢٤.

(١١٣) - ينظر: الفرق للصاحب، ٦، والفرق للزنجاني، ٢٧، والاقتضاء، ٣٧، والاعتماد، ٤٥.

(١١٤). زيادة من العين، ٢/ ١٢٣٤ (عظل).

(١١٥) - البيت للأعلم بن طرادة السعدي في شرح الشواهد الشافية ٣٢٩، ونوادر ابي زيد ١٨٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٢٣٤.

(١١٦) - ينظر: الفرق للصاحب ٦، والفرق للزنجاني ٢٧، ومعرفة الضاد والظاء، ٣٢٣.

(١١٧) - زيادة يقتضيها السياق.

(١١٨) - لم اهتد إلى قائله.

العظم[١١٩]: معروف وجمعه عظام، والعظام جمع العظيم وهو الكبير الجليل في جميع الأشياء، والعظم أيضا الخشبة الرجل بجميع اداته.

والعضم[١٢٠]: مقبض[١٢١] القوس الذي يقبضه الرامي، وجمعُه عِضَام[١٢٢]، قال الشاعر: (بحر الرمل)

فـــوق الـــسهام ولم يـــرم بهـــا وعلى العضم من القوس قبض[١٢٣]

والعَضْمُ: خشبة ذات أصابع يذرى بها البر، وعظم الفدان العريض الذي في رأسه حديدة يذرى بها الأرض، والعضم: ظهر السلحفاة، والعضم: عسيب البعير وهو ذنبه وجمعه عُضُم.

العظة[١٢٤]: الموعظة وهي التذكرة والتخويف والزجر عن الفعل الردئ، تقول وعظت الرجل أعظه وعظا وموعظة إذا أنت نصحته وخوفته والفاعل لذلك واعظ، والمفعول به موعظ ووعيظ

قال الله تعالى: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥]، والعِضَة[١٢٥]: كل شجرة ذات شوك أرومة تبقى مع الشتاء كالسِدْر والطلح[١٢٦] وأشباه ذلك، وجمعها عِضِين ويجمع على عُضاة، قال الشاعر: (بحر الطويل)

أبـــا الله إلا ان ســـرحة مالـــك على كـل أفنـان العـضاة تـروق[١٢٧]

وقال أمية في الجمع: (مخلّع بسيط)

وادي العقيـــق ســـيلٌ غزيـــرُ عـــضاهةٌ وطلـــعٌ كـــثير[١٢٨]

الغين: الغيظ[١٢٩]: شدة الغضب، تقول اغتاظ الرجل يغتاظ وهو مغتاظ وتغيظ تغيظا فهو متغيظ وفي القران الكريم: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وقال الزبيدي: (بحر الكامل)

متغـيّظ كالليـث بـران في الـوغى بحمـى كـريم ويقتـل الأبطـالا[١٣٠]

---

(١١٩) - ينظر: الفرق للصاحب ٨، الفرق للزنجاني ٢٤، والظاءات في القران الكريم ٣٩- ٤٠، والاقتضاء ٤٦، وحصر حرف الظاء ٣٦٧.

(١٢٠) - ينظر: الفرق للصاحب ٨، والفرق للزنجاني ٢٤، والظاءات في القران الكريم ٣٩- ٤٠، والاقتضاء ٤٦، وحصر حرف الظاء ٣٦٧.

(١٢١) - في العين: المَعْجِس وهو المقبض أيضا العين: ١٢٢٧/٢ (عضم).

(١٢٢) - ذكر الزنجاني في الفرق بين الضاد والظاء ٢٤ جمعا اخر للفظ عضم، وهو (عضم).

(١٢٣) - البيت بلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٤٥٠ (قبض)

(١٢٤) - ينظر: الفرق للصاحب ٢٧، والفرق للزنجاني ٢٠، والظاءات في القران الكريم ٢٧، والاقتضاء ١٦٩، والفرق بين الحروف الخمسة ٢٤٢، وحصر حرف الظاء ٣٦٩.

(١٢٥) - ينظر الفرق للزنجاني ٢٧، ومعرفة الضاد والظاء ٣٢٥.

(١٢٦) - ذكر الزنجاني في الفرق للضاد والظاء (الطلع) ٢٧ والطلع: زهر الشجر والطلح: الموز.

(١٢٧) - البيت لحميد بن ثور في ديوانه ٤١، وأدب الكاتب ٥٢٣، وأساس البلاغة ٩٨٥ والجنى الداني ٤٧٩.

(١٢٨) - بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٥/ ٦٥، وامالي ابن الحاجب ٦٦/٢، وسر صناعة الاعراب ١/ ٤٦٢.

(١٢٩) - ينظر: الفرق للصاحب ١١، والفرق للزنجاني ٣١، ومعرفة الضاد والظاء ٣٣٩، الفرق بين الحروف الخمسة ١٦٦، وزينة الفضلاء ٩٨، والاعتماد ٤٨.

والغيض[١٣١]: نقصان الماء وذهابه إذا هو نضب، تقول غاض الماء يغيض غيضا إذا نقص ونضب، قال الله تعالى (وَغِيضَ الْمَاء) [هود: ٤٤]، أي ذهب، منه (حديث كعب)[١٣٢]، وغاض الكرام غيضا أي ذهبوا / ٨ ويستعمل في الماء الكثير، قال الراجز يذكي جوابا:

وغاض ماء بئرها ثم نضب وخا لف الخراب فيها والقطب[١٣٣]

الفاء: الفظّ[١٣٤]: الرجل المتجهم الغليظ في منطقه ومخاطبته، والاسم من ذلك الفظاظة، قال الله تعالى: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) [آل عمران: ١٥٩]، قال الكندي: (بحر الكامل)

وتراه يوم الروع يقطر بالقَنا فظّاً غليظاً قاتل الأقران[١٣٥]

والفظّ: ماءُ الكَرِش، قال حسان بن نُشْبة: (بحر الطويل)

فكونوا كانف الليث، لا شمّ مَرْغَما ولا نال فظّ الصيد حتى يعفّرا[١٣٦]

الفضّ[١٣٧]: كلّ شئ كسرته تقول فضضت الختم عن الكتاب أفضّهُ فَضّا إذا كسرتُه، وقد انفضّ القوم إذا تفرقوا، وفي القران الكريم: (لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِك) [آل عمران: ١٥٩]، أي تفرّقوا، والفاضّ: الكاسر، والمكسور يقال له المفضوض، فضضت ختامه فتجلت لي غرائبه من الخَبَلِ الجليّ.

الفَيْظُ[١٣٨]: خروج النفس من الجسد، يقال فاظتْ نفس فلان إذا خرجت، وكذلك يقال في كل ذي روح فاضت نفسه تفيض فيضا[١٣٩]، قال الراجز:

تبادر الناس وقالوا عرسُ ففقئتْ عينٌ وفاضتْ نفس[١٤٠]

---

(١٣٠) - لم اهتد إليه.
(١٣١) - ينظر: الفرق للصاحب ١١، والفرق للزنجاني ٣١، معرفة الضاد والظاء ٣٢٩.
(١٣٢) - لم أجد لكعب حديثا في النهاية، وإنما لسطيح و خزيمة وعائشة (و غاضت بحيرة ساوة)، النهاية: ٣ / ٤٠١ (غيض).
(١٣٣) - لم اهتد إلى قائله.
(١٣٤) - ينظر: الفرق للصاحب ١٤، الفرق للزنجاني ٢٣، الاقتضاء ٤٣، والارتضاء ١٤٩، حصر معرفة الظاء ٣٦٨.
(١٣٥) - البيت للمقنع الكندي في خزانة الأدب ٣/ ٣٧٥، والمقاصد النحوية ٤/ ٤١٢.
(١٣٦). البيت لحسان بن نشبة في اللسان ٧/ ٥١١(فظظ).
(١٣٧) - ينظر الفرق للصاحب ١٤، والفرق للزنجاني ٢٣، ومعرفة الضاد والظاء ٣٣٢.
(١٣٨) - ينظر: الفرق للصاحب ١٤- ١٥، الفرق للزنجاني ٣٢، الاقتضاء ٦٧، والفرق بين الحروف الخمسة ١٧٤، والاعتماد ٥٠.
(١٣٩) - في الفرق للزنجاني (فاضت نفسه أي خرجت روحه عن أبي عبيدة والفراء قال وهي لغة بني تميم وأبو زيد مثله) ٣٢.
(١٤٠) - الرجز لدكين بن رجاء الفقيمي، اللسان: ٢٣٨/٧ (فيض) وفي اللسان (تجمّع) مكان (تبادر)، والأصمعي في اللسان أيضا (وطنّ الضرس) مكان (فاضت نفس) ٢٣٩/٧..

والفَيْضُ[١٤١]: زيادة الماء وخروجه من مستقره، وكثرته، تقول: فاض الماء يفيض فيضا[١٤٢]، وكذلك فاض الدمع من العين، وفاض البحر إذا مدّ، وفاض الوادي إذا سال وهو فائض وفيّاض ورجل/٩ أي وهاب جواد، والفيض نيل مصر، قال الأصمعي[١٤٣]: نهر البصرة[١٤٤] يسمى الفيض[١٤٥] ونهر فيّاض أي كثير، وفرس فَيْض أي كثير الجري، وقولهم: (أعطاه غيضا من فيض)[١٤٦]، وفاض صدره بالسرّ، أي أباح به، وفاض اللئام كثروا[١٤٧].

القاف: القارض[١٤٨]: المادح للناس بشعر والثناء الحسن، تقول قرظت فلانا أي مدحته، قال الشاعر: (بحر الكامل)

حتى لو استطاعوا القريظ محبة أهدوا إليك الشعْرَ بالتقريظ[١٤٩]

والقارظ أيضا الجامع، والقرظ جمع قرظة، وهو ورق السّلم[١٥٠]، والدابغ بها قارظ، والمقروظ والقريظ الجلد المدبوغ بالقرظ[١٥١].

القارض[١٥٢]: القاطع للشئ بالناب والمِقراض، وكذلك قرض الفأر الثوب إذا قطعه بأنيابه، والقارض أيضا الناطق بالقريظ أي بالشعر، القارض أيضا: كلّ ما اجتر ذات الخف والظلف، تقول قرض البعير جرته إذا مضغها ثم ردها إلى حلقه، وهو يقرضها قرضا، والجرة: مقروضة يقال لها القريض، والقارض أيضا العادل عن الشئ في مسيره، والقارض المسلف،

قال أبو العتاهية: (بحر المتقارب)

ومن يقرض اليوم شاهقها يغدو يوم يجازي الأهل القرض بالقرض[١٥٣]

والمستقرضُ المستلف، المقرض المتصدق عليه، وقرض الرجل هو وقع فيهم وتناوله لأعراضهم، قال الشاعر: (بحر الوافر)

---

(١٤١) - ينظر: الفرق للصاحب ١٦، والفرق للزنجاني ٣٢، معرفة الضاد والظاء ٣٣٦.

(١٤٢). وردت أدلة تثبت أن تميما تنطق بالضاد في كلمة (فاض) وغيرها من القبائل (بالظاء)، ففي الغريب المصنف: فاظت نفسه تفيظ، مات، وناس من تميم يقولون: فاضت نفسه تفيض المزهر: ٥٦١/١، وعن أبي عبيدة: كل العرب تقول: فاضت نفسه بالضاد، إلا بني ضبة فإنهم يقولون: فاظت نفسه بالظاء، المزهر: ٥٦٢/١، وينظر: اللهجات العربية في التراث: ٢ / ٤٢٥.

(١٤٣) - عبد الملك بن قريب(اسمه عاصم وقد غلب عليه لقبه) بن علي بن اصمع الباهلي أبو سعيد (١٢٢ هـ - ٢١٦ هـ) احد أئمة العلم بالشعر واللغة والأخبار اخذ عن الخليل وابن العلاء واخذ عنه الرياشي والسجستاني له (خلق الإنسان) (المقصور والممدود) (الأضداد) ينظر ترجمته: انباه الرواة ٢/ ١٩٧، بغية الوعاة ٢/ ١١٢، الأعلام ٤/ ١٦٢.

(١٤٤) - ينظر: الفرق للزنجاني ٣٢.

(١٤٥). لسان العرب: ٧ /٢٣٨ (فيض) وفيه أيضا: الفيض: نهر مصر.

(١٤٦) - مجمع الأمثال لأبي احمد بن محمد بن احمد إبراهيم النيسابوري ٢/ ٢٢.

(١٤٧). اللسان: ٧ / ٢٣٨ (فيض).

(١٤٨) - ينظر الفرق للصاحب ١١، الفرق للزنجاني ٣٣، الاقتضاء ٧٧، الفرق بين الحروف الخمسة ٢٤٣، الارتضاء ١٥١.

(١٤٩) - لم اهتد إلى قائله.

(١٥٠) - السّلمة: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها ويسمى ورقها القرظ لها زهرة صفراء فيها صفة خضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء وهي في الصيف تخضر. اللسان ١٢ / ٢٩٦.

(١٥١) - ذكرها الزنجاني ٣٣ (القرض).

(١٥٢) - ينظر الفرق للصاحب ١٢، الفرق للزنجاني ٣٣، معرفة الضاد والظاء ٣٣٠.

(١٥٣) - لم أجده في ديوانه.

ســـتحميني عزيمتـــك القـــوافي وتـروي مـن قوارضـك الحـساما [١٥٤]

وانقـرض / ١٠ القـوم درجـوا ولم يبـقَ مـنهم واحـد. القـريظ: الجلـد المـدبوغ بـالقرظ [١٥٥]، القريض: الشعر، والقريض: جِرّة البعير إذا مضغها ثم ردّها إلى حلقه[١٥٦].

القيظ[١٥٧]: شدّة الحر[١٥٨]، يقال قيظ القوم إذا دخلوا في القيظ، كما يقال صافوا إذا دخلوا في الصيف، [قال الشاعر]: (بحر البسيط)

والقـيظ محـترم والـروح منحـرم والـرأي مختلـف والحتـف مطـرد[١٥٩]

والقيض[١٦٠]: قشر البيض الأعلى[١٦١]، وقد قاض الفرخ البيضة إذا شقّها، وانقاضت البيضة إذا انشقت عن الفرخ، والفرخ ينقاض انقضاضا إذا أراد الخروج من البيضة، والقيض: موافقة الشئ للشئ من الخير والشر كقولك في الدعاء: قيض الله لك خيرا أي وفقه الله لك، ومن الشر كقول الله عز وجل: (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) [الزخرف: ٣٦]، التقييض: أيضا استحمام بالبير بالماء واستفزازها، تقول قيّضت البير إذا فعلت ذلك بها وهي بير مقيضة أي غزيرة كثيرة الماء[١٦٢].

اللام: اللظلظة[١٦٣]: تحريك رأس الحية من شدة اغتياظها، وقد تلظْلظْتُ إذا فعلت ذلك، وحية تتلظلظ من [توقّدها [١٦٤]]وخبثها.

اللَضْلَضَةُ[١٦٥]: تلفّت الدليل في مسيره خوف الضلال، واللضلاض الدليل[١٦٦].

الملظ[١٦٧]: الرمّان البري، يقال نبت من ثمر السبر يسمى الملظّ، والصحيح عند العرب الرمان نفسه[١٦٨].

المضّ[١٦٩]: الألم والحرقة يجدها المرء من قرح أو جراح، أو داء يأخذه فيجد لذلك حرقة، تقول مضني الأمر يمضني مضّا، وكذلك أمضّني[١٧٠]، قال العتابي: (بحر الهزج)

---

(١٥٤) - البيت لصخر الغي في شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٩٢، وفي لسان العرب بلا نسبة ١٠ / ٢٥٠.
(١٥٥). اللسان: ٧ / ٥١٣ (قرظ).
(١٥٦). اللسان: ٧/٢٤٦(قرض).
(١٥٧) - ينظر: الاقتضاء ٦٥، الفرق بين الحروف الخمسة ١٧٢، زينة الفضلاء ٩٩، حصر حرف الظاء ٣٦٩.
(١٥٨). في اللسان: صميم الصيف، ٧ / ٥١٥ (قيظ).
(١٥٩). لم اهتد إلى قائله.
(١٦٠) - ينظر: الفرق للصاحب ١٣، والفرق للزنجاني ٣٢، معرفة الضاد والظاء ٣٣١.
(١٦١). في اللسان: (القيض: قشرة البيضة العليا اليابسة، ..... و القيض: ما تفلّق من قشور البيض) ٧ / ٢٥٣ (قيض).
(١٦٢). اللسان: ٧ / ٢٥٣ – ٢٥٤ (قيض).
(١٦٣) - ينظر: الفرق للصاحب ١٣، والفرق للزنجاني ٢٢، معرفة الضاد والظاء ٣٤١.
(١٦٤). زيادة من اللسان: ٧ / ٥١٩ (لظظ).
(١٦٥) - ينظر: الفرق للصاحب ١٣، الفرق للزنجاني ٢٢.
(١٦٦). اللسان: ٧ / ٥١٩ (لظظ).
(١٦٧) - ينظر: الفرق للصاحب ١٥، الفرق للزنجاني ٢٤، الاقتضاء ٧١، زينة الفضلاء ٩٩، مختصر بين الضاد والظاء للحميري ٢٥.
(١٦٨). في اللسان (المظّ: رمان البرّ أو شجره وهو ينوّر ولا يعقِد، ويأكله النحل فيجود عسلها عليه) ٧ / ٥٢٣ (مظظ).
(١٦٩) - ينظر: الفرق للصاحب ١٥، والفرق للزنجاني ٢٤.
(١٧٠). اللسان: ٧ / ٢٦٣ (مضض).

ولـيس يمـضّني غـير أمـر خطـل وان راقــه مــضّي وإرماضــي[١٧١]

النون: الناظر[١٧٢] المبصر إلى الشئ والناظر /١١ السواد الأصغر الذي فيه إنسانُ العين[١٧٣]، ويقال للعين الناظر، وللمنتظر: ناظر، والناظر الحافظ[١٧٤] وفي القران: (يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) [محمد: ٢٠]، ومن الانتظار[١٧٥]، قوله عز وجل: (فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) [البقرة: ٢٨٠]، وقوله تعالى: (قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الأعراف: ١٤]

والناضر[١٧٦]**:** الناعم من كل شئ، قالَ الله جل اسمه: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) [القيامة: ٢٢]، أي ناعمة، وقال: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) [المطففين: ٢٤]، قال المنذر: (بحر الطويل)

أبــيني لنــا لازال ريــشكِ ناعمــا ولازلـتِ تـرقين غـصن ناضـره رطبـا[١٧٧]

[وقد يبالغ بالناضر][١٧٨]، وقولهم واخضر ناضر كقولهم اصفر فاقع، وابيض ناصع.

النظار[١٧٩]**:** من نظر العين، يقال له الناظِر والنظَار، قال عدي بن زيد: (بحر الرمل)

كغــزال مــرّ شــذوي مهجــه أحـور المقلـتين معمـول النظـار[١٨٠]

والنضار[١٨١]**:** الذهب الأحمر، يقال له النضر، النُضار تعمل منهما الأقداح أيضا، وهي أقداح [من نُضار الخشب له[١٨٢]]حسن ونضارة.

النظير[١٨٣]**:** المثل والمماثل، ونظير الشئ مثله، وحكى أبو عبيدة[١٨٤] (النظر والنظير بمعنى الند والندية)[١٨٥] قال الفرّاء[١٨٦] (تقابل فلان نظيرة قومه ونظورة قومه الذي ينظر إليه منهم ويجمعان

---

(١٧١) - ونسبه في المحتسب إليه ١/ ١٧٥، وفي لسان العرب بلا نسبة ١٠ / ٣٥٠.
(١٧٢) - ينظر: الفرق للزنجاني ٢٩، الاقتضاء ٢٨، تثقيف اللسان ٣٢، الاعتضاد ٥١، حصر حرف الظاء ٣٦٧.
(١٧٣). اللسان: ٥/ ٢٥٣ (نظر)
(١٧٤). اللسان: ٥/٢٥٥ (نظر).
(١٧٥). في اللسان جعله بمعنى الانظار، أي التأخير والإمهال، ٥ / ٢٥٦ (نظر).
(١٧٦) - ينظر: الفرق للزنجاني ٢٩، معرفة الضاد والظاء ٣٣٣، لسان العرب ١٤ / ١٧٨ (نضر) والقاموس المحيط ٢ / ١٤٩.
(١٧٧) - البيت للمنذر بن درهم الكلبي في خزانة الأدب ٢/ ١١٢، وشرح التصريح ١/ ١٧٧، والصاحبي في فقه اللغة ٢٥٥.
(١٧٨). زيادة من اللسان يقتضيها السياق، ٥ / ٢٥٠ (نضر).
(١٧٩) - ينظر: الفرق للزنجاني ٢٩، والاقتضاء ٢٨، تثقيف اللسان ١٣٠، الاعتضاد ٥١، حصر حرف الظاء ٣٦٧.
(١٨٠)- البيت لعدي بن زيد الرقاع في ديوانه ١٣٣، وشعر الشعراء ١/٢٣٥.
(١٨١) - ينظر: معرفة الضاد والظاء ٣٣٣، العين ٣/ ١٨٠٣، لسان العرب: ٥/٢٤٩ – ٢٥٩ والقاموس المحيط ٢/ ٢٣٧.
(١٨٢). (١٨٢). زيادة من اللسان: ٥ / ٢٥٠ (نضر).
(١٨٣) - ينظر: العين ٣/ ١٨٠٩، لسان العرب ١٤ / ١٩٤، الاعتضاد ٥٢، تثقيف
(١٨٤) - أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري (١١٠هـ - ٢٠٩هـ) من أئمة العلم والأدب واللغة مولده ووفاته بالبصرة له (مجاز القران) (أيام العرب) (الخيل) ينظر ترجمته أنباه الرواة ٣/ ٢٧٦، بغية الوعاة ٢/ ٢٩٤، الأعلام ٧/ ٢٧٢.
(١٨٥) - مجاز القران ٢/ ٢٨٢.

على نظايره، والنضير الذهب الأحمر، وكذلك النضر الذهب، ويجمع على أنضر)[١٨٧]، قال الكميت: (بحر الطويل)

ترى السابح الخنذيذ منها كأنّما جرى بين لِيتيهِ إلى الخدّ أنضر[١٨٨]

وبنو النضير: حيّ من خيبر[١٨٩].

الأظلّ[١٩٠]: ما أصاب الأرض من خفّ البعير وهو من الإنسان [بطون أصابعه][١٩١] ومن الفرسِ النعل والحافر وربما / ١٢ زاد السير على البعير والناقة، أو وطّنتْ أجنافها على الأرض خشنة وقد مسيت، يقال ظلت العيس دامية الأظلّ من طول السير، وطول الجيف، وباتت تسري فأصبحت دامية الأظلّ.

والأضلّ[١٩٢]: هي من قولك فلان أضل سبيلا من فلان، وهو أهدى منه سبيلا، قال الله تعالى: (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) [الجاثية: ٢٣]، وهو من الله تعالى عقوبة أي: وَجدَهُ على ضلالة فأضله، وأضلِ فلان فلانا عن الهدى، والشيطان يضل الإنسان عن الخير، وفي القران الكريم (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) [الفرقان: ٢٩]، وكل من تطال به الضلال فهو أضل[١٩٣].

الحظيظ[١٩٤]: منَ الحظّ والجدّ، يقال فلان جديد حظيظ ومحظوظ، والحظ: الجد وجمع القلة أحظّ، والكثرة الحُظُوظ وحِظاظ[١٩٥] على غير قياس فانه جمع أحظّ، وأنت محظوظ فهو جدير مرزوق.

والحضيض[١٩٦]: أسفل الجبل في قرار الوادي، يقال هو بالحضيض الا وهذا إذا كان سافلا في أسفل الأمكنة، الحضيض كالحثيث، وأقاموا بالحضيض وهو قرار الأرض عند سفح الجبل، وجمع الحضيض حُضُض و أحضّة[١٩٧].

ظلف[١٩٨]: وهو ظلف الرقبة، وهو ما يحيط بالرقبة، يقال أخذه بظلف رقبته وبطرف رقبته، وقال قد مر يظلفهم أي: يتبعهم.

---

(١٨٦) - الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (١٤٠هـ - ٢٠٧هـ) ابرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب اخذ النحو عن الكسائي له (الحدود) و (معاني القران) و(الجمع والتثنية في القران) ينظر ترجمته أنباه الرواة ٤/ ٢٥، معجم الأدباء ٢/ ١٨، الأعلام ٨ / ١٤٥.

(١٨٧) - معاني القران ٣/ ١٨٢.

(١٨٨). البيت للكميت في ديوانه: ١/ ١٧٢، اللسان: ٥ / ٢٥٠ (نضر)، تاج العروس: ١٤ / ٢٣٨ (نضر).

(١٨٩). اللسان: ٥ / ٢٥١ (نضر).

(١٩٠) - ينظر: الفرق للصاحب ١٩، الفرق للزنجاني ٢٢، العين ٢/ ١٠١٠، القاموس المحيط ٣/ ٢٢٤ (ضيف)

(١٩١). في اللسان (و أظلّ الإنسان: بطون أصابعه، وهو مما يلي صدر القدم من اصل الإبهام إلى اصل الخنصر، وهو من الإبل باطن المنسم) ٥/ ٥٠٣ (ظلل).

(١٩٢) - ينظر: الفرق للصاحب ١٩، والفرق للزنجاني ٢٢، العين ٣/ ١٠٥١، معرفة الضاد والظاء ٣٣٢، لسان العرب ٨/ ٧٩.

(١٩٣). اللسان: ٥ / ٤٦٧ (ضلل).

(١٩٤) - ينظر: الفرق للزنجاني ٢١، حصر حرف الظاء ٣٦٢، زينة الفضلاء ٩٨.

(١٩٥). اللسان: ٧ / ٤٩٧(حظظ).

(١٩٦) - ينظر: الفرق للصاحب ٩، والفرق للزنجاني ٢٢، معرفة الضاد والظاء ٣٢٥، غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ١٨٦، الفائق للزمخشري ١/ ٢٩٠، النهاية لابن الأثير ١/ ٤٠٠.

(١٩٧). اللسان: ٧ / ١٥٢ – ١٥٣ (حضض).

ضاف[١٩٩]: يقال ضاف السهم عن الغرض يضيف ضيفا إذا مال عنها وضيفت الشمس للغروب أي مالت وتدلت، وضافه الهم إذا نزل به واعتراه[٢٠٠].

والضيف / ١٣ سمي ضيفا ؛ لأنه يضيف بهم إذا مال اليهم، ونزل عليهم، والضيفن: ضيف الضيف وهو الذي يتبعه[٢٠١]، ويقال ضفت بالرجل إذا نزلت عليه، واضفته إذا نزلته عليك، يقال وضفنت الرجل إذا ضربت برجلك على عجزه، وضفنت بالقوم اضفن إذا اتيتهم تجلس إليهم، وضفن البعير برجله إذا اخبط به الأرض، وضفن ببعيره رمى به، وضفنت الأرض بالإنسان إذا ضربتها بها، والضّفَن: الأحمق مع عظم خلق[٢٠٢].

ظل[٢٠٣]: بمعنى صار، قولك ظل قائما وظل سايرا إذا سار نهاره كله ويكون ظل من أفعال النهار، وبات من أفعال الليل[٢٠٤]، قال الله تعالى: (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل: ٥٨]، بمعنى صار، وقال (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) [الشعراء: ٤]، أي صارت.

ضل[٢٠٥]: من قولك ضل الرجل يضل إذا حاد من القصد وعن الحق وضلال ضد الهدى، والضلالة الجهالة، والغواية وكل من غلب هواه على عقله، فقد ضل وهوى، وضلال الحيرة والغفلة[٢٠٦].

الظل: مثل ظل الشجر والحائط يظل وظل دوام أي: واسع وظل وارف. وتقلص الظل رجع إلى مستقره وعقل الظل استوى على راسك نصف النهار، والضلّ الجهل بعينه، يقال انك في ضل من أمرك وضلالة من أمرك، ويقال فلان في ضلة وغفلة إذا كان راكبا لهواه غير مستقيم على منهاج المعمود، والظليل من ظل والظلال والظل الدوام: هو الظل الدائم الظليل[٢٠٧]، ويقال في الدعاء (اللهم اظلنا تحت ظل عرشك يوم لاظل الا ظلك)[٢٠٨].

الضليل[٢٠٩]: من الضلال والضلالة يقال رجل ضالّ وضليل / ١٤ وهو فعيل بمعنى فاعل، والضليل التائه في طريقه الحائر عن قصده وقد يكون فاعل بمعنى مفعول، يقال ضل فهو ضال وأضلّه غيره فهو ضليل، وقد يكون فعيل مرة للفاعل ومرة للمفعول.

الظرير[٢١٠]: نعت لمكان الحَزن، وجمعه أظرّة[٢١١] وظرّان.

---

(١٩٨) - ينظر: لسان العرب: ٧ / ٢٦٤- ٢٧٥ (ظلف).
(١٩٩) - ينظر: معرفة الضاد والظاء ٣٣٦، القاموس المحيط ٣/ ٢٢٤.
(٢٠٠). اللسان ٧ / ٢٥٠- ٢٥٢ (ضيف).
(٢٠١). اللسان: ٧ / ٢٥١ (ضيف).
(٢٠٢). العين: ٢ / ١٠٤٨ (ضفن).
(٢٠٣) - ينظر: الفرق للصاحب ١٨- ١٩، والفرق للزنجاني ٢٢، تثقيف اللسان ٣١، ظاءات القران ٢٦٨، بصائر ذوي التمييز ٣/ ٥٣٧.
(٢٠٤). اللسان: ١١ / ٤٩٦ (ظلل).
(٢٠٥) - ينظر: الفرق للصاحب ١٩، والفرق للزنجاني ٢٢، معرفة الضاد والظاء ٣٣٢.
(٢٠٦). اللسان: ١١ / ٤٦٧ (ضلل).
(٢٠٧). اللسان: ١١ /٤٩٩ (ظلل)، وهو مبالغة من قبيل قولهم: شعر شاعر.
(٢٠٨). النهاية: ٣ / ١٥٩ – ١٦٠ (ظلل).
(٢٠٩). اللسان: ١١٤٧١ (ضلل).
(٢١٠) - ينظر: الفرق للصاحب ١٦، الفرق للزنجاني ٢١، الاقتضاء ٧٨، الارتضاء ١٣١، وحصر حرف الظاء ٣٦٤.
(٢١١). العين: ٢ / ١١١٢ (ظرّ)

الضرير[٢١٢]: هو من العمى والضرارة، يقال رجل ضرير بيّن الضرارة أي: ذاهب البصر، والضرايرالمحاويج[٢١٣]، والضرير: حرفُ الوادي[٢١٤]، والضرير: النَفْس وبقيّة الجسمِ، قال العجّاج: (بحر الرجز)

حامي الحُميّا مِرس الضّرير[٢١٥]

قال أبو عمرو[٢١٦]: (وضرير من الدوابّ الصبور على كلّ شئ)[٢١٧].

الظير[٢١٨]: بهمز، و بلا همز، يقال ظاءرت الناقة عطفت على غير ولدها[٢١٩].

والظئر[٢٢٠]: الدابة المرضعة واتخذت ظئرا وظاءرت مظائرة، واظّائرت لولدي إذا اتخذت له مرضعة[٢٢١].

الضير[٢٢٢]: من قوله ضارة يضورة ويضيره ضيرا وضورا أي: ضره يقال لاينفعني ذلك ولا يضورني ولا يعنيني.

العظين: يقال رجل عظين بكسر الظاء وهو أكلف الغليظ[٢٢٣] ويقال هو الشئ بخلق وهو وهو اسم مشتق من فعل من عظن الرجل إذا كره الشئ واشتد عليه ولا يكادون يتكلمون به ولا يصرفون منه فعلا.

والعضين[٢٢٤]: من القسمة والتعضية، يقال عضيتُ الناقة أعضاء وتعضية إذا قسّمتها وضربتها أعضاء[٢٢٥]، قال الله تعالى: (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) [الحجر: ٩١]، أي مقسّم وأعضاء.

والفظيظ[٢٢٦]: من قولهم /١٥ فظظت يارجل فظاظة وان فظيظ إذا شرب الفظّ وهو ماء الكرش ومن قولهم افتظ الرجل وهو ان يسقي بعيره، وبعد أن تعطش أياما ثم يشقّه فإذا عطش شق بطنه فعصر فرثه فشربه، يقال منه افتظ الرجل إذا فعل ذلك[٢٢٧].

الفضيض[٢٢٨]: سيل الماء وجمعه مأخوذ من قولهم فاض الماء فهو فايض وفضيض المطر.

---

(٢١٢) - ينظر: الفرق للصاحب ١٧، الفرق للزنجاني ٢١، العين ٢/ ١٠٣٨، والقاموس المحيط ٢/ ٧٧.
(٢١٣). اللسان: ٤ / ٥٥٨ (ضرر).
(٢١٤). المصدر نفسه.
(٢١٥). الرجز للعجاج في ديوانه ١ / ٣٧٠، اللسان، ٤ / ٥٦٢ (ضرر)، ومن دون تتمّة.
(٢١٦) - أبو عمرو: زبان بن عمار التميمي المازني البصري(٧٠هـ- ١٥٤هـ) والعلاء لقب أبيه إمام في اللغة والأدب قال عنه أبو عبيدة كان اعلم الناس بالأدب والعربية والقران والشعر، ينظر ترجمته: غاية النهاية ١/ ٢٨٨، وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٦، الأعلام ٣/ ٤١.
(٢١٧). اللسان ٤ / ٥٦٢ (ضرر) من دون نسبة إلى أبي عمرو.
(٢١٨). اللسان: ٤ / ٥٩٢ (ظأر).
(٢١٩) - ينظر: لسان العرب ٤/ ٢٤٦ (ظأر).
(٢٢٠) - ينظر: الاقتضاء ١٥٥، الفرق بين الحروف الخمسة ٢٤٧، زينة الفضلاء ٩٤، حصر حرف الظاء ٣٦٥.
(٢٢١). اللسان: ٤ / ٢٥٤ (٥٩١- ٥٩٣(ظأر).
(٢٢٢) - ينظر: الفرق للصاحب ١٧، الفرق للزنجاني ٢١، معرفة الضاد والظاء ٣٣١.
(٢٢٣). اللسان: ١٣ / ٣٥٠ (عظن).
(٢٢٤) - ينظر: العين ٢ / ١٢٢٨(عضو).
(٢٢٥). اللسان: ١٥ / ٧٦(عضا).
(٢٢٦) - ينظر: الفرق للصاحب ١٥، والفرق للزنجاني ٢٣، الاقتضاء ٤٣، الاعضاد ٦١، حصر حر الظاء ٣٦٨.
(٢٢٧). اللسان: ٧ / ٥١١ (فظظ).
(٢٢٨). اللسان: ٧/ ٢٣٤- ٢٣٥ (فضض).

المظّ [٢٢٩]: نعت الأرض الصلبة ذات الحجارة يقال ارض مظرة وحجر مظرّ أي: جاء من اضرار الأرض، والجمع: ظِرّان و ظُرّان كصنو وصنوان.، وقال الأصمعي[٢٣٠] (معنى مظر أي فيه اذلال) قال الحطيئة: (بحر الطويل)

غضبتم علمنا أي قتلنا نجالة بني مالك ها ان ذا غضب مظر[٢٣١]

والمضر: من الضرر والضرارو المضارّة والمضرة وما أشبه ذلك، ورجل ذو ضارورة وله ضرورة [أي ذو حاجة] [٢٣٢]، قال الشاعر: (بحر المتقارب)

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنيّ مُضِرْ[٢٣٣]

حظل[٢٣٤]: يقال حظل الرجل إذا أقتر والحظل الرجل المقتِّر، وقد حَظَل حَظْلا وحِظْلانا[٢٣٥] وبعير حظل إذا أكل الحنظل[٢٣٦].

حضل[٢٣٧]: من الحضلان وهو فساد النخلة من داء يصيبها حتى يفسد ليفها ويحرق ما فسد منها، يقال حضلت النخلة إذا أصابها ذلك وصلاحها ان يشعل لها حتى يحترق ما فسد من ليفها ثم / ١٦ تجود بعد ذلك[٢٣٨].

المظلة[٢٣٩]: كل شئ غطاك وسترك من ضوء الشمس فهو مظلّة، وهي من الظلال ونحوه، ظل كل شئ فيه وكل شئ ستر شئ وغطاه فهو ظل والظلة القطعة الخارجة من الجبل وعذاب يوم الظلة هو يوم معروف هلك فيه أصحاب شعيب[٢٤٠].

المَضَلّة[٢٤١]: موضع الضلال ومكانه ومقصده وكل شئ ضل به الإنسان فهو مَضَلّة، والشهوة مضلة العقل، ويقال: أخذت ارضا مَضِلّة و مَضِلّة [و أخذت أرضا مَجهلا مَضلا] [٢٤٢].

المَظَنّة: موضع الظن وجمعها مظانّ[٢٤٣].

والمَضِنّة: ما يبخل به وشح عليه وينافس به، يقال فلان عِلْقُ مَضِنّة إذا كان نفيسا مجتربا يبخل بقرافه[٢٤٤].

---

(٢٢٩). اللسان: ٤/ ٥٩٥(ظرر).
(٢٣٠) - سبقت ترجمته.
(٢٣١) - لم أجده في ديوان الحطيئة.
(٢٣٢). لسان العرب: ٤/ ٥٥٨(ضرر).
(٢٣٣). البيت للأشعر الرقبان الاسدي، في اللسان (مسخ) و (ضرر)، والإيضاح: ١ / ٢٨٩.
(٢٣٤) - ينظر: الفرق للصاحب ٢٨، والفرق للزنجاني ٢١، حصر الضاد والظاء ٣٦٢.
(٢٣٥). اللسان: ١١/ ١٨٦ – ١٨٧ (حظل)، وفيه: وحظلت النخلة و حضلت بالضاد والظاء).
(٢٣٦). اللسان: ١١/ ١٨٨ (حظل).
(٢٣٧) - ينظر: العين ١/ ٣٩٦، لسان العرب ٣/ ٢٢٠، والقاموس المحيط ٣/ ٤٩٠، وتاج العروس ٧/ ٢٧٩- ٢٨٠.
(٢٣٨). اللسان: ١١ / ١٨٦ (حضل).
(٢٣٩) - معرفة الضاد والظاء ٣٤٠، حصر حر الظاء ٣٦٦.
(٢٤٠). اللسان: ١١/ ٤٩٩ (ظلل).
(٢٤١) - الفرق للصاحب ١٩، الفرق للزنجاني ٢٢، لسان العرب ٨/ ٨١.
(٢٤٢). اللسان: ١١ / ٤٧١ (ضلل).
(٢٤٣). اللسان: ١٣ / ٣٣٤ (ظنن).
(٢٤٤). اللسان: ١٣ / ٣١٨ (ضنن).

الموظف: من اوظفة الفرس، والوظف، والوظُفُ: مستدقّ الذراع والساق من الفرس والإبل ونحوهما ويجمع أوظفة، قال الأصمعي[٢٤٥] (يستحب من الفرس أن تعرض أوظفة رجليه وتُحدب اوظفة يديه)[٢٤٦].

والإظاف: جمع وظيفة، والوظيفة ما لزمك من طعام كل يوم ومن جرابه[٢٤٧]، يقال قد وظفت عليه وظيفة وقد وظّفت توظيفا، والوظف واحد الاوظاف تعمل شبه القلاع ويرمى فيها بالحجارة، قال الراجز:

ورمين بالاوظاف طيار الأفق[٢٤٨]

تمت رسالة (ما يكتب بالضاد والظاء) تأليف الشيخ المحدّث يحيى بن عمر بن فهد الهاشمي./١٧.

فهرست الآيات على الترتيب

الصفحة	الآيـــــة
١٥	(وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً) [الإسراء: ٢٠].
١٥	(ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [البقرة: ١٩٦].
١٦	(لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) [النساء: ١١].
١٧	(ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل: ٥٨].
١٧	(فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) [الشعراء: ٤].
١٧	(قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [الأنعام: ٥٦].
١٧	(وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) [المائدة: ٧٧].
١٨	(وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ)[البقرة: ٢٣١].
١٨	(مَسَّنِيَ الضُّرُّ) [الأنبياء: ٨٣].
١٩	(وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى) [طه: ١١٩].
١٩	(يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء) [النور: ٣٩].
١٩	(وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ) [يوسف: ٧٢].
١٩	(إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) [يونس: ٣٦].

(٢٤٥) - سبقت ترجمته.
(٢٤٦). اللسان: ٩/ ٤٢٧ (وظف).
(٢٤٧). اللسان: ٩/ ٤٢٧ (وظف).
(٢٤٨) - لم اهتد إلى قائله

٢١	(مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣].
٢٢	(فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) [البقرة: ٢٣٢].
٢٣	(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥].
٢٤	(وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) [آل عمران: ١١٩].
٢٤	(وَغِيضَ الْمَاءُ) [هود: ٤٤].
٢٤	(وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) [آل عمران: ١٥٩].
٢٥	(لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: ١٥٩].
٢٧	(نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) [الزخرف: ٣٦].
٢٨	(يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) [محمد: ٢٠].
٢٨	(فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ) [البقرة: ٢٨٠].
٢٨	(قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الأعراف: ١٤].
٢٨	(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) [القيامة: ٢٢].
٢٨	(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) [المطففين: ٢٤].
٣٠	(وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) [الجاثية: ٢٣].
٣٠	(لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) [الفرقان: ٢٩].
٣١	(ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) [النحل: ٥٨].
٣١	(فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) [الشعراء: ٤].
٣٣	(الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) [الحجر: ٩١].

فهرست الأبيات الشعرية

الصفحة	الأبيات
- الهمزة —	
١٧	وترى يخضل صلدها نقر ماء السماء كأنها الآلاء.
- ب -	
١٣	وترى العنيتة من مخلفها بظة العود بمظراب الضرب. الاحوص
١٧	إن جنبي عن الفراش لنائي كتجافي الاسر فوق الظراب. معد يكرب
٢٨	ابيني لنا لازال ريشك ناعما ولا زلت ترقي غصن ناضرة رظبا. المنذر
- ج -	

٢٣	وقهرتهن بمنعه وحفظه وعضلتهن عن الرجال المنكح
- د -	
١٤	يارب حوذ وبضة وليدة ناعمة جزوعة خريدة. العباس بن مرداس
٢٠	فقلت لهم بالغرض حج سراتهم في الفارسي المسرد. دريد بن الصمة
٢١	ان الرياض زحاريف مضاعفة منها الرياحين والظيان والورد.
- ر -	
١٨	رضوى يا ابنة الأرض التي امها الربا وخالاتها الظرار والهضب القفر. ابن سهيل
١٨	وما ان زال معتديا عليها يطلقها ويمسكها ضرار
١٨	وظفرت بمائها في العين إنسان ناظرها إذا نظرا
١٩	جسم من الماء ريان مفاصله ظافي الضلوع على قلب من الحجر.
١٩	فليلها الضمان ريّ ريقها وللمدنق الشتاق خمر وسكر
٢٠	فان تكن الدنيا عليّ تقلبت سوء فللدنيا بطون واظهر و من حوله الايام و الدهر اننا لنا ضأن مقصورة و لنا بقر المنذر
٢١	وتراهم نحو ربيع دائم زبد الضان وألبان البقر
٢١	سل الدهر عني عظني الدهر الم تر ميرا ما يعادله صبر. الهذلي
٢٤	وادي العقيق سيله غزير عضاهة وطلع كثير. أمية وهو بلا نسبة
٢٩	ترى السابح الخنديد فيها كأنما جري بين لبثته إلى الخد أنضر. الكميت الاسدي
٢٨	كغزال مر شذوي مهجه احور المقلتي معمول النظار. عدي بن زيد
٣٣	غضبتم علمنا أي قتلنا نجالة بني مالك ها ان ذا غضب مطر. الحطيئة
٣٣	فحسبك في القوم أي يعلموا انك فيهم غني مضر.
٢٤	فكونوا كانف الليث لاشم مرغما ولا نال فظ الصيد حتى يعفرى. حسان بن نشبة
- ض -	
١٤	ترى العيون دمعها يبض كلشن اذ يقطر أو يغض
١٤	تراه ان صخر له عرضت يمذ ويخرج بعده البيض. عمر بن احمد
٢٢	لما رأت ما ساءها واغاضها عضت أناملها من الغيض.
٢٣	فوق السهام ولم يرم بها وعلى العضم من القوس قبض
٢٦	ومن يقرض البوم شاهقها يغد يوم يجازي الأهل القرض بالقرض. أبو العتاهية
- ظ -	
٢٦	حتى لو اسطاعوا القريظ محبة اهدوا اليك الشعر بالتقريظ

- ع -	
٢٢	وضعفت امرأة عليها كما هي بعد انتهاض الحول عظم الضالع.
٢٤	وتراه حين يقضي عادلا فإذا حاد عن الحق ضلع الهذلي
- ف -	
٢١	سمرت فوق ضهر المخالم علقه الطود المنيف اللطائف
٢١	وعظ زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف. الفرزدق
- ق -	
٢٣	يا ابا الله إلا ان سرحه مالك على كل أفنان العضاة تروق. حميد بن ثور
- ل -	
١٧	والخيل عابسة الوجوه كأنما تسقى فوارسها نقيع الحنضل. عنترة.
٢٢	كأنهم عند انهزام خميسهم سحاب جراد ساقط متعاظل. السعدي.
٢٤	متغيظ كالليث بران في الوغى بحمى كريم ويقتل الابطالا. الزبيدي
- م -	
١٦	حفضت قوس شوحط واسهم من يانع انعتها بالاقدما.
٢١	وعظتهم الحرب العوان بنابها فأضحوا صريعا لليدين والفم. المهلهل
٢٦	ستحميني عزيمتك القوافي وتروي من قوارضك الحساما. صخر
- ن —	
١٧	أطاعوا أمر جبار فضلوا وما من طاعة للظالمينا. عبد الله بن رواحة
٢٠	على أني اظنك حلت عما عهدت وليس علمي كاليقين. العتابي
٣٤	وتراه يوم الورع يقطر بالقنا فظ غليظ قاتل الأقران. الكندي
- ي -	
٤٦	ضننت عليّ فودها وصفائها ومنحتها ودي ومحض صفائي. إسماعيل بن القسم
٢٨	وليس يمضني غير أمر خطل وان راقه مضي وار ماضي. العتابي

أبيات الرجز:

الصفحة	الأبيات
٢٥	تبادر الناس وقالوا عرس ففيضت عين وفاضت نفس. الراجز
٢٤	وغاض ماء بئرها ثم نضب وخالف الخراب فيها والقطب. الراجز
٣٢	حامي حميا قوس الضرير. العجاج
٣٥	ورمين بالارضاف طيار الأفق. الراجز

فهرست الأعلام:

الصفحة	الأبيات
١٥	أبو زيد.
٢٠	أبو عبيدة
٢٤	أبو عمرو
٣٤	الأصمعي
٢٩	الفراء

فهرست الأمثال:

الصفحة	الأبيات
٣٤	أعطاه غيضا من فيض

فهرست الأماكن والبلدان:

الصفحة	الأبيات
٤٠	خيبر

فهرست الألفاظ:

الصفحة	الأبيات
	- ا -
١٣	الاضراب، الاضراب
١٦	الاحضار
٢٩	الاظل، الاضل.
	- ب -
١٣	البض، البظ
١٤	البغض، البيض، البيظ
	- ت -
١٥	التضفير، التظفير، التقريض، التقريظ
	- ح -
١٦	الحاضر، الحاظر، الحافض، الحافظ، الحض، الحظ
١٣	الحضل
١٦	الحظل، حضيض
٣٠	الحظيظ
	- خ -

١٧	الخضل
	- ض -
٢١	الضان
٣٠	ضاف
١٨	الضرب
١٨	الضرار
٣٢	الضرير
١٨	الضفرة
٣١	ضل
١٩	ضلع، الضمان
١٩	الظن، الضهر
٣٢	الضير.
	- ظ -
٣٠	ظاف
٣٢	ظئر
١٧	الظال، الظراب
١٨	الظرار، الظفرة، الظلع
١٩	الظمان
٢٠	الظهر
	- ع -
٢٢	العض، العضب
٢٣	العضل، العضم
٢٣	العضة
٣٢	العظين
٢٢	العظ، العظب، العظل
٢٣	العظم، العظة
٣٢	العظين
	- غ -
٣٢	الغيظ
	- ف -
٢٤	الفض، الفظ
٢٥	الفيض، الفيظ

- ق -	
٢٦	القارض
٣٦	القارظ
٢٦	القريض، القيض، القيظ
- ل -	
٢٧	اللضلضة، اللظلظة
- م -	
٢٨	المض
٣٤	المضلة
٢٧	المظ
٣٤	المظلة
- ن -	
٢٨	الناضر، الناظر
٢٩	النضار
٢٩	النظار، النظير

ثبت المصادر والمراجع

القران الكريم

١- أدب الكاتب: ابن قتيبة، مط السعادة بمصر ١٩٦٣.

٢- الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء: أبو حيان الاندلسي، ت ٧٤٥ هـ، تح محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦١.

٣- الازهية في علم الحروف: علي بن احمد الهروي، ت ٤١٥هـ، تح عبد المعين الملوحي، دمشق ١٩٥٧.

٤- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي، ت ٩١١هـ، تح د. عبد العال سالم مكرم، بيروت ١٩٨٥.

٥- الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد: جمال الدين محمد بن مالك الاندلسي، ت ٦٧٢هـ، تح حسين تورال وطه حسين، النجف ١٩٧٢.

٦- الاعتماد في (نظائر الظاء والضاد): ابن مالك الاندلسي، تح د. حاتم صالح الضامن، بيروت ١٩٨٤.

٧- الأعلام: خير الدين الزركلي، ت ١٩٧٦، بيروت ١٩٦٩.

٨- الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء: أبو عبد الله محمد بن احمد بن سعود الداني، ق ٥هـ، تح د. علي حسين البواب.

٩- أمالي ابن الحاجب: عثمان بن عمر ابن الحاجب، ت ٦٤٦هـ، تح د. فخر صالح سليمان، بيروت ١٩٨٩.
١٠- أمالي الزجاجي: تحقيق وشرح عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٣٨٢هـ.
١١- أنباه الرواة: علي بن يوسف القفطي: ت ٦٤٦هـ، تح أبي الفضل، مصر ١٩٥٥-٧٣
١٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام عبد الله جمال الدين بن يوسف، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ط٥، ١٩٧٩.
١٣- بصائر ذوي التميز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت ٨١٧هـ، تح محمد علي النجار، القاهرة ١٩٦٤- ١٩٦٩.
١٤- بغية الوعاة: جلال الدين السيوطي، ت ٩١١هـ، تح أبي الفضل، الحلبي بمصر ١٩٦٥.
١٥- البيان والتبيين: أبو عثمان الجاحظ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٥، (١٩٨٥)م.
١٦- البلغة في تاريخ أئمة اللغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت ٨١٧هـ، تح محمد المصري دمشق ١٩٧٢.
١٧- تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ، مط الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ
١٨- تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: حفني ناصف، مطبعة جامعة القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.
١٩- تاريخ بغداد: احمد بن علي الخطيب البغدادي، ت ٤٦٣هـ، مصر ١٩٣١ م.
٢٠- تثقيف اللسان: عمر بن خلف أبو بكر الصقلي، ت ٥٠١هـ، تح د. عبد العزيز مطر، القاهرة ١٩٦٦.
٢١- تحقيقات تاريخية لغوية في حقل اللغات السامية: لفريفوريوس بولسل نهام، ١٩٣٥.
٢٢- تذكرة النحاة: أبو حيان محمد بن يوسف الفرثاطي، تح عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٢٣- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدي، ت ٣٢١هـ، حيدر اباد ١٣٤٤هـ.
٢٤- حجة القراءات: عبد الرحمن محمد زنجلة أبو زرعة، ق٤هـ، تح الأفغاني بنغازي ١٩٧٤.
٢٥- حصر حرف الظاء: لأبي الحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني، ت ٥٧٥هـ، تح د. حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٩١.
٢٦- حياة الحيوان: للدميري، تح احمد الشنتاوي، دار المعرفة بيروت، د. ط. د.ق.
٢٧- خزانة الأدب: عبد القاهر بن عمر البغدادي، ت ١٠٩٣هـ، بولاق ١٢٩٩م.

٢٨- الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، ت ٣٩٢هـ، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م.
٢٩- الدرر اللوامع على همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في العلوم العربية: للشنقيطي، تح وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨١م.
٣٠- ديوان العقابي: تحقيق د. إبراهيم السامرائي ود. احمد مطلوب، دار الثقافة بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
٣١- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء: أبو بركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري، ت ٥٧٧هـ، تح د. رمضان عبد التواب، بيروت ١٩٧١.
٣٢- سر صناعة الإعراب: عثمان ابن جني، ت ٣٩٢هـ، تح د. حسن هنداوي، دمشق ١٩٨٥.
٣٣- سفينة البحار: الشيخ عباس القمي، ط٢، ١٣٨٢هـ.
٣٤- السيرة النبوية: ابن هشام الحميري، ت ٢١٨هـ، تح السقا وآخرين، مصر ١٩٥٥م.
٣٥- شرح أبيات سيبويه: يوسف بن أبي سعيد ابن السيرافي، ت ٣٨٥هـ، تح د.محمد علي السلطاني، دمشق ١٩٧١- ٧٧
٣٦- شرح أشعار الهذليين: الحسن بن الحسين السكري، ت ٢٧٥هـ، تح عبد الستار احمد خراج، دار العروبة بمصر ١٣٨٤هـ.
٣٧- شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، ت ٩٠٥هـ، البابي الحلبي بمصر.
٣٨- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محي عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط١، ١٩٥٥م.
٣٩- شرح الشواهد الشافية: عبد القادر بن عمر البغدادي ن ت ١٠٩٣هـ، تح محمد نور الحسن وآخرين، مط حجازي، القاهرة ١٣٥٨هـ.
٤٠- الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، ت ٢٧٦هـ، تح احمد محمد شاكر، بمصر ١٩٦٦.
٤١- شرح شواهد المغني: السيوطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط،د.ت.
٤٢- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: احمد بن فارس حققه وقدم له مصطفى الشويمي، منشورات مؤسسة بدران، ط١، ١٩٦٣.
٤٣- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجواهري، ت ٣٩٣هـ، تح احمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦م.
٤٤- الصوت وماهيته والفرق بين الضاد والظاء: العلامة الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، تحقيق خليل إبراهيم المشايخي، بابل، مكتب الفسق ٢٠٠٢.
٤٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ، مصر ١٣٥٣هـ - ١٣٥٥هـ.

٤٦- ظاءات القران: سليمان بن أبي القاسم السرقوسي، ق٦هـ، تح د. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٨٩.
٤٧- العربية لغة الضاد: د. عبد الله الجبوري، دائرة علوم اللغة العربية ١٩٧٧.
٤٨- علم اللغة العام: د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.
٤٩- العين: الخليل احمد الفراهيدي، نح د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، ط١، المطبعة قم ١٤١٤هـ.
٥٠- غريب الحديث: القاسم بن سلام أبو عبيد، ت ٢٢٤هـ، حيدر آباد- الهند ١٩٣٢- ٠٦٧
٥١- غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد ابن الجوزي، ت ٨٣٣هـ، تح برجستراسر وبرتزل، القاهرة ١٩٣٢- ١٩٣٥.
٥٢- الفائق: محمد بن عمر الزمخشري، ت ٥٣٨هـ، تح البجاوي وأبي الفضل، البابي الحلبي بمصر١٩٧١.
٥٣- الفرق بين الحروف الخمسة: عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي، ت ٥٢١هـ، تح عبد الله الناصير، دمشق ١٩٨٤م.
٥٤- الفرق بين الضاد والظاء: الصاحب بن عباد، ت ٣٨٥هـ، تح الشيخ محمد حسن ال ياسين، بغداد ١٩٥٨.
٥٥- الفرق بين الضاد والظاء: لأبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني، ت ٤٧١هـ، تح د. موسى بناي علوان القليلي، مط الأوقاف والشؤون الدينية.
٥٦- فقه اللغات السامية: كارل بوركلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة الرياض ١٩٧٧.
٥٧- القاموس المحيط: الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز أبادي الشيرازي الشافعي، ت ٨١٧هـ، ط٢، بيروت لبنان.
٥٨- الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط١.
٥٩- لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، ت ٧١١هـ، بيروت ١٩٦٨م.
٦٠- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: اقليميسيس مطران، الموصل، ط٢، ١٩٨٦.
٦١- مجاز القران: معمر بن المثنى أبو عبيدة، ت ٢١٠هـ، تح فؤاد سزكين ن مط السعادة بمصر١٩٥٤- ٦٢.
٦٢- مجمع الأمثال: لأبي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، ت ٥١٨هـ، ط١.
٦٣- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، تح النجري والنجار والشلبي، القاهرة ١٩٦٦- ٦٩.
٦٤- مختصر في العرب بين الضاد والظاء: محمد بن نشوان الحميري، ت ٦١٠هـ، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦١.

٦٥- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث في اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.
٦٦- المدخل الى اللغات السامية المقارنة: سبيتيوموسكاني، ترجمة د. عبد الجبار المطلبي ود. مهدي المخزومي، بيروت ١٩٨٥.
٦٧- معاني القران: يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ، نح نجاتي والنجار والشلبي، القاهرة، ١٩٥٥.
٦٨- معجم الأدباء: ياقوت الحموي: ت ٦٢٦هـ، مط دار المأمون بمصر ١٩٣٦.
٦٩- معجم البلدان: ياقوت الحموي، طبعة ليبرج، ١٨٦٨م.
٧٠- المعجم المفصل في الأضداد: د. انطونيوس بطرس، دار الكتب العلمية، ط١ ٢٠٠٢، ١٤٢٤هـ.
٧١- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مط الترقي بدمشق ١٩٦١.
٧٢- معرفة الضاد والظاء: أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي، ق٥هـ، تح د. حاتم صالح الضامن، بيروت ١٩٨٥.
٧٣- المقاصد النحوية: محمد بن احمد العيني، ت ٨٥٥هـ، بهامش خزانة الأدب البغدادي، بولاق ١٢٩٩هـ.
٧٤- المقتضب: أبو العباس المبرد، تح محمد عبد الخالق عظيمة، مط دار التحرير ١٩٦٣
٧٥- منهج البحث في اللغة: د. تمام حسن، مط دار الثقافة ١٩٧٩م.
٧٦- النشر في القراءات العشر: ابن الجوزي، صححه وعلق عليه علي الضياع، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، (د.ت).
٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين بن الأثير، ت ٦٨١هـ، تح الطناحي، بمصر ١٩٦٣.
٧٨- النوادر في اللغة: سعيد بن اوس أبو زيد الأنصاري، ت ٢١٥هـ، مطبعة الكاتوليكية – بيروت ١٨٩٤.
٧٩ – هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، ت ١٣٣٩هـ، استا نبول ١٩٦٤.
٨٠- الوجوه والنظائر في القران الكريم: هارون بن موسى القارئ، ق٢هـ، تح د. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٨٨.
٨١- الوجيز في اللغة: محمد الانطاكي، منشورات دار الشرق بيروت، ط٣ (د.ت).
٨٢- وفيات الأعيان: احمد بن حمد ابن خلكان، "ت ٦١٨هـ"، تح د. / حسان عباس، بيروت.

الرسائل والدوريات:

- جهد المقل، محمد المرعشي، تحقيق د. سالم قدوري حمد (رسالة دكتوراه) في كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٢م.

- الضاد في النظام الصوتي العربي مع دراسة كتب الفروق ماجستير تقدم بها حيدر فخري ميران، الجامعة المستنصرية، بغداد، كلية التربية، تشرين الأول (٢٠٠٠- ١٤٢٠هـ).
- معنى القول المأثور لغة الضاد د. إبراهيم أنيس، مجلة العرب، ج ١١٠ من آب لسنة ١٩٦٥م.
- لغات الجزيرة العربية – العربية أم اللغات السامية، د. باكزة رفيق حلمي، مجلة المجمع العلمي العراقي مج /٢٤، ١٩٧٤.

كتاب الفلاحة النبطية

[عقائد وأفكار]

المدرس المساعد

عدنان عبيد المسعودي

كتاب الفلاحة النبطية (عقائد وأفكار)

عدنان عبيد المسعودي

المقدمة

من الكتب التي أثارت النقاش , و أورثت الجدل , هو كتاب الفلاحة النبطية , لأبن وحشية, حتى وجدنا من يقول: إن ابن وحشية مزيفاً للكتاب , يسعى من وراء تزيفه اختلاق تفوق للنبط الكلدان على العرب الفاتحين , غير أن ما قدمه كتاب الفلاحة النبطية في علوم الزراعة و النبات , للعرب و المسلمين مما لا ينكره احد. خصوصاً وإنه يعد الكتاب الأول في نوعه الذي ترجم إلى اللغة العربية من اللسان السرياني , و قد تناولنا في بحثنا هذا الموضوع في عدة مباحث. فكان المبحث الأول ينصب على حياة أبن وحشية و التعريف به , و تناول المبحث الثاني: التعريف بكتاب الفلاحة النبطية و استعراض الأقوال و الأفكار التي تدور حول الكتاب. و في مبحث أخر مستقل أفردنا للغرض أو الغاية من ترجمة الكتاب حقلاً تناول ابرز ما قيل في ذلك الموضوع , ثم جاء المبحث التالي ليبين بعض النصوص المنتزعة من الفلاحة النبطية , تحليلاً لها و استخراجاً لأبرز مضامينها.

و قد انصب مبحثنا على الجزء الأول للكتاب دون سواه لان هذا الجزء جاءت فيه أهم الأفكار الفلسفية و العقائد التي اهتم فيها بحثنا دون سواه من الأفكار التي تتعلق بعلم النبات و طرق الزراعة و الجني و غيرها، والله من وراء القصد...

المبحث الأول: التعريف بابن وحشيه:

ذكر صاحب كتاب الفهرست أن ابن وحشيه هو (أبو بكر احمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن حرثيا بن بدنيا ابن بوراطيا الكرداني , من أهل جنبلاء , و قسين , أحد فصحاء النبط بلغه الكسدانيين)[1]. و الكسدانيون هم النبط الكلدانيون من أهل بابل القدماء. إن معنى كسداني كما ذكر أبن نديم هو (نبطي , و هم سكان الأرض الأولى) [2]. و قد ذكر له ابن النديم عدداً من الكتب , تتعلق بالسحر و الشعبذه , و كتب الصنعة (الكيمياء) فذكر منها (كتاب الأصول الصغير...

كتاب المدرجة, كتاب المذكرات) [٣]. ثم أضاف في موقع أخر من الفهرست : كتاب الفلاحة الكبير و الصغير)[٤]. و كتاب الفلاحة الكبير المذكور هاهنا المقصود به الفلاحة النبطية.

ونجد من المعاصرين الدكتور عمر رضا كحاله , قد خص أبن وحشية بقوله انه ((أبو بكر احمد بن علي المعروف بابن وحشيه " المتوفى سنة ٢٩٦هـ" , له من الكتب في صناعة الكيمياء , كتاب الأصول الكبير , و كتاب الأصول الصغير , كتاب المدرجة , كتاب المذاكرة , و كتاب يحوي على عشرين كتاباً في الكيمياء. و كان ابن وحشيه طبيبا للعيون))[٥]. وواضح أن عمر رضا كحاله يتابع ما ورد عند ابن النديم.

كما جاء ذكر ابن وحشيه في معجم المؤلفين لنفس المؤلف , كحاله , فأثبت ما نصه : ((احمد ابن وحشيه...عالم بالفلاحة , و الكيمياء , و السحر و السموم , و غير ذلك , له من الكتب : السحر و الطلسمات , كتاب السحر الكبير , نزهة الأحداق في ترتيب الاوفاق , و كتاب الفلاحة)) [٦].

و أما الدكتور ياسين خليل فإنه ذكر ابن وحشيه , بقوله ((عاش في العراق – " أوائل القرن العاشر الميلادي " مؤلف كان يعتز بأصله الكلداني أو النبطي , فكتب مؤلفاً كبيراً في الفلاحة أسماه : الفلاحة النبطية , لان اسم النبطيين يشير بين العرب فيما يظهر إلى الكلدانيين الأقدمين أو إلى الثقافة التي و رثها العرب عن الأمة النبطية التي كانت مدينة – بيترا – عاصمة لها))[٧].

و كانت " فون جود شمت " الذي جاء ذكره في مقدمة الفلاحة النبطية , يقول عن ابن وحشيه انه ((ينتمي على نحو ما إلى أتباع الديانة الوثنية القديمة التي استمرت في حران...مدة قرنين أو ثلاثة قرون بعد ظهور الإسلام ,التي زعم أصحابها إنهم الصابئة الذين منحوا في القران الكريم حق التسامح الديني على اعتبار أنهم من أهل الكتاب))[٨].

مما تقدم يكون ابن وحشية من رجال القرن الرابع الهجري و هو القرن الذي بلغت فيه الحضارة العربية الإسلامية النضج , تمثل ذلك بانفتاح الوعي العربي الإسلامي على نتائج الأمم المساهمة في صنع الحضارة , ومنها حضارة النبط الكلدانيين , و التي ورث العرب المسلمون ديارهم وتراثهم , فلم تقف حواجز اللغة مانعاً بل راحت أجيال متعاقبة في ترجمة و استلهام تراث اليونان و الهند وفارس ومصر , وكان ابن وحشية قد أدلى هو الأخر بدلوه – في محاولة منه – لآلفات النظر إلى أهمية تراث النبط الكلدانيين في أغناء الحضارة العربية الإسلامية , ورفدها برافد ثقافي جديد.

المبحث الثاني: كتاب الفلاحة النبطية

يرى فؤاد سزكين في المقدمة التي صدر بها كتاب الفلاحة النبطية إنه ((من الكتب المزيفة التي كانت قبيل الإسلام وفي صدر الإسلام في منطقة البحر الأبيض المتوسط , وكان معظمها مكتوباً بالإغريقية. أما الفلاحة النبطية فقد كان مكتوباً باللغة السريانية , وترجمة أبن وحشية معتقداً إنه كتاب قديم العهد)) [٩].

وهنا نجد إن فؤاد سزكين يتابع ما ذكره (جود شمت) [١٠]. و الذي يرى إن الفلاحة النبطية يحتوي على عناصر من الدين المسيحي , و عليه استنتج إنه لابد أن يكون منتحلاً أو مزيفاً , ثم ما لبث جود شمت أن ارتكب خطئاً بزعمه : إن ابن وحشيه هو مؤلف الكتاب وليس مترجمه.

ولو كان أبو بكر بن وحشيه مزيفاً للكتاب لكان جديراً به أن يدعي ذلك الكتاب لنفسه لا أن ينسبه لغيره من النبط القدماء. والفلاحة النبطية يحتوي على كثير من العناصر والمؤثرات التي كانت شائعة في حوض الأبيض المتوسط , و التي اشتركت ثقافات متعددة في أنتاجها– هذا أمر جلي في الكتاب ولا يحتاج إثباته إلى جهد كبير – ولكن مما لاشك فيه , احتوائه على مضامين وعقائد تؤكد انتمائه في بعض جوانبه إلى حضارة النبط الكلدانيين: مثل تعظيم هؤلاء الناس للكوكب و الشمس , وأيمانهم المفرط بأثر هذه الكواكب على مصائر البشر , و غير ذلك مما يجهد حصره في هذا البحث.

وكان أول كتاب عرفه العرب في الفلاحة هو كتاب أبن وحشيه انف الذكر , وقد ترجم العرب إضافة إلى ذلك كتاب ((الفلاحة الرومية أو الفلاحة اليونانية الذي يعود أصله إلى القرن الرابع الميلادي , فكتب أناضول البيروتي مدوناً في الفلاحة ينقسم إلى أثني عشر كتاباً....وتزود أناضول البيروتي بمعلومات كثيرة في العلم الفلاحي و الزراعي في بلاد الكلدانيين و الآراميين)) [١١]. وترجم سير جودي ريساينا (ت٥٣١م) كتاب أناضول البيروتي إلى اللغة السريانية ((إذ ترجم إلى اللغة السريانية عدة مؤلفات علمية يونانية , و بعد ذلك قام المسيحي قسطا بن لوقا (ت٩١٢م) بنقل تلك الترجمة من السريانية إلى العربية)) [١٢].

وكان الدكتور إسماعيل مظهر قد أكد إن (تنكلوشا القوفاني) يرد مؤلف أبن وحشية إلى ((حكماء أهل بابل الأوائل ودعاهم بأسماء غريبة مثل أرميسيا و برهماينا الخسراوني , فلا ريب أن هذا الكتاب هو المذكور في الفلاحة النبطية... وأن أبن وحشيه ترجمه من لسان الكسدانيين أو النبطية – البابلية القديمة إلى العربية سنة (٢٩١هـ- ٩٠٤م) وأملاه سنة (٣١٨هـ - ٩٣٠ م)على تلميذه طالب احمد بن الحسين بن علي بن احمد الزيات)) [١٣].

وتنكلوشا المشار إليه فيما سبق هو: ((تينكلوش البابلي , وربما قيل تنكلوشا , والأول أصح. هذا أحد السبعة العلماء الذين رد أليهم الضحاك البيوت السبعة التي بنيت على أسماء الكواكب السبعة)[١٤]. وذلك حسب رواية: أبن القفطي في تاريخ الحكماء.

ومما جاء ذكره في كتاب تراث الإسلام " لبوزروث ", أن مؤلف الفلاحة النبطية مجهول في حين عد أبن وحشيه مزيف له فذكر: ((هذا الزيف هو أبن وحشيه الذي عاش حوالي سنة " ٢٨٧- ٩٠٠م " وقد أشتهر كجامع وشارح للمؤلفات القديمة في العلوم القديمة ,وبأنه مترجم لكتاب أحكام النجوم لمؤلف يعرف باسم (تانكلوشا) وأشتهر كذلك ناقلاً لكتابات بابلية قديمة مزعومة أشهرها الكتاب المعروف باسم الفلاحة النبطية))[١٥].

وعلى كل حال – يمكن اعتبار كتاب الفلاحة النبطية: ((من أقدم كتب النبات و الزراعة المكتوبة باللغة العربية , أعتمد عليه الكثيرون بعده ممن كتبوا في هذا العلم. وقد شرح فيه مؤلفه – على مدار ثلاث عشر باباً – العلوم الزراعية و النباتية المختلفة , من علوم التربة و الري و أنواع المحاصيل و طرق الانتفاع بها و المحافظة عليها من الأفات))[١٦]. كما إنه يحتوي خليط من الأفكار الفلسفية والتصورات والعقائد وعلى أرثٍ من ثقافات حوض الأبيض المتوسط من مسيحية و يونانية وعراقية قديمة.

وكتاب ابن وحشيه يقع في ثلاث مجلدات رئيسية. تضمن المجلد الأول منها ((كيفية استنباط الماء و حفر الآبار و غرس الأشجار وعلاجها. واشتمل الثاني على بعض الحاصلات كالأرز و الحنطة و الباقلاء وغيرها. ثم تناول في الجزء الثالث: الكروم و زراعتها وآفاتها و قد أفسح مجالاً واسعاً لكيفية عمل البيادر وخزن الحنطة , وآفات الزرع ومعرفة الأهوية...و يتفق ابن وحشيه في كثير من مواضع الكتاب مع أصول العلم الحديث في مجال النبات و الزراعة)) [١٧].

وفي هذا الموضع لا يفوتنا أن نذكر ما قاله ابن وحشيه حين نقل الكتاب عن السريانية القديمة (لغة النبط): إن مؤلف الكتاب هو ((" قوثامي" الذي أكمل به كتاب سلفه (ينبو شاد) الذي بدوره أتبع (ضغريث) فأضاف إلى كتابه أشياءً مما استنبطه))[١٨].

إن أحداً لا يستطيع أن يقطع بالزمن الذي عاش فيه هؤلاء , و لكن ما يبدو أنهم جزء من ثقافة حضارة اندثرت قوامها ارث يمتد الآف السنين في حياة الكلدان البابليين...

المبحث الثالث: غرض الفلاحة النبطية

يقول ابن وحشيه ((إن قصدي الأول و غرضي إنما هو إيصال علوم هؤلاء القوم النبط الكسدانيين غالى الناس و بثها فيهم ليعرفوا مقدار عقولهم ونعم الله تبارك و تعالى عندهم في إدراك العلوم الغامضة و استنباط ما عجز غيرهم من الأمم وذلك إني وصلت إلى كتبهم في زمان قد درس فيه ذكرهم و انمحت أخبارهم و عدمت أعلامهم...وذكر بعض علومهم ذكر كالخزافات))[١٩].

فالهدف من ترجمة الكتاب إذن إحياء ما اندثر من حضارة الأمة الكلدانية العريقة , وتبيان فضلها على الناس , وإظهار أسبقيتها في مضمار العلوم النافعة. وفي الحقيقة لا أثر نراهُ لشعوبية أو تطرف معادي للإسلام في جهد ابن وحشيه إذ أردنا الأنصاف. وقد ذهب البعض ونخص منهم (بزورث) والذي ذكر أن ((أبن وحشيه قد كان قريباً من حركة الشعوبية في العراق , كان يأمل عن طريق كتاباته القديمة المخترعة أن يثبت تفوق البابليين وهم فيما يزعم أجداد قومه النبط , على العرب الفاتحين الذين كانوا فيما يعتقد أقل ثقافة)) [٢٠]. و سواء أصاب بزورث أم أخطأ فيما ذهب أليه , فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر اليوم على الحضارة البابلية مجدها الغابر أو أن يتنكر لماضيها التليد.

إن عمل أبن وحشيه مكمل لحركة الترجمة والتأليف ومعاصر لها , فهو استجابة منطقية لروح العصر , ورغبة مخلصة في ترجمة كتب الأمم السبّاقة في العلوم و المعارف , يحدوها شغف في حب المعرفة انشغل بها العقل العربي الإسلامي منذ أوائل القرن الثاني الهجري – على أقل تقديرٍ – و بلغت أوجهها في القرن الرابع الهجري , وبالتالي لا يمكن النظر إلى ميلاد الفلاحة النبطية خارجاً عن هذا الرحم.

إن مساهمة كتب ابن وحشيه في أغناء تراث العرب الإسلامي كبير للغاية , فإضافة إلى كون الفلاحة النبطية الأول في نوعه بين المسلمين , في مبادين علم النبات والزراعة , فإن عموم أعمال ابن وحشيه الأخرى: ((تعين على فهم بعض الاصطلاحات العلمية التي كانت متداولة في كتب الكيمياء.... ومثال ذلك أنه (ورد) في هذه الكتب للزئبق ما لا يقل عن عشرين أسماً منها عطارد , والعبد , وروح الأجساد , وماء الحياة , و الهواء المتجسد ,وهرمس ,.....كما يرد للكبريت ما لا يقل عن عشرة أسماء منها النقي , والواقد , والمحرق , والصابغ))[٢١].

ولعلنا ندرك الآن أكثر من أسلافنا الماضيين أن الحضارة النبطية (البابلية) التي حاول أبن وحشية أن يلفت أنظارنا إليها مبكراً , لا يضارعها في انجازاتها الحضارية إلا ما كان للمصريين و الهنود. بعد أن أثبتت التنقيبات الأثرية في وادي الرافدين ذلك بما لا يقبل مجالاً للشك.

المبحث الرابع: نصوص الفلاحة النبطية: عقائد وأفكار

يلقي كتاب الفلاحة النبطية أضواءً على طبيعة العقائد السائدة في بلاد الرافدين خصوصاً و حوض الأبيض المتوسط عموماً , ويعايش الأفكار و الفلسفات المحايثة لها , بل و يعطي تصوراً عن العلاقة التي تربط الإنسان ببيئته من جهة , وبآلهته من جهة أخرى.

فهذا العالم حسب نصوص الفلاحة النبطية هو ((عالم العناصر الأربعة التي هي الماء و الهواء والنار والأرض))[٢٢]. وفكرة العناصر الأربعة تعود بأصولها إلى العالم اليوناني. وأول من قال بها " أمبيذ قليس" Empedocles (ت٣٩٠ق.م) فالوجود عنده ((مزيج من تلك العناصر الأربعة الأولى و تختلف الأشياء باختلاف نسبة المزج بين الأصول الأربعة))[٢٣]. وهذا يشير إن أفكار الفلسفة اليونانية متضمنة في الفلاحة النبطية , خصوصاً إنه ترجم عن اللغة السريانية و السريان – كما هو المعروف – وسطاء نشطين في نقل تراث اليونان في حوض الأبيض المتوسط.

يرى صاحب الفلاحة النبطية إن ((جوهرنا جوهر بارد , فلولا أصلاح الحرارة له بدخولها عليه ما تحرك)) [٢٥]. والأصل الذي تنشأ عنه الحرارة هو الحركة. وتنشأ الحركة عن الشمس: ((الشمس أساس وأصل كون كل شيء)) [٢٥].

والحديث عن الشمس في هذا الموضع يتعدى حدود كونها مجرد ظاهرة طبيعية ترتبط حياة الناس بها – بل يتعداه إلى موشح طقوسي – صوفي ((فالشمس هي نفس الكل و روحه الذي يحيا بها وهو ممد الكل بالحرارة والنور والضياء..فهو ضوء كل ضوء , وحرارة كل حار وبقاء كل باق , وانتقال كل منتقل من حال كان عليها إلى غيرها)) [٢٦].

هذا الموشح الصوفي لا يصف أثر الشمس عند حدود الظاهرة الطبيعية , بل ينحو بها منحى الوحدة العضوية التي تتخلل الكل و تفرض عليه وحدة شمولية.

فهي إذن ((نفس الكل , حياة الكل.. والشمس..مادة الحياة القصوى)) [٢٧].

ولعل في هذا ما يفسر لنا كيف تعلق القدماء بالشمس كمعبود رئيسي ليس في وادي الرافدين – حسب- بل في عموم العالم القديم , و شيدوا لها المعابد و الزقورات. والشمس أو شمش عند الجزريين ((يفضح الأشرار ويكشف العدو , عندما يفيض ضياؤه القوي على الأرض))[٢٨]. فهو إله حامي , مبدد للخوف , وباعث للأمل.....

والملاحظ أن حديث الفلاحة النبطية عن الشمس يتوازى في بعض جوانبه مع حديث أفلوطين (٢٠٥ – ٢٧٠م) عن النفس الكلية التي تتخلل العالم و تشع في السماء ((وتفيض فيها , تدخلها من كل صوب و تنيرها , توقظها من سكونها وتمنحها الحياة , كما تنير أشعة الشمس سحابة قاتمة فتجعلها ساطعة ذهبية.... وبهذه النفس العالم إله , والشمس والكواكب))[٢٩]. فالشمس هي روح العالم و الذي يحيا بهِ ويمنحه البقاء والاستمرار, وفوق كل هذا فإنها لا تفنى , لان طبيعتها جوهرية , أثيرية.

فالحدود التي يقف عندها الفلاحة النبطية , وحديث أفلوطين عن النفس الكلية , تتلاشى وتتداخل , ويصبح بديهياً أن مصدر هذه الأفكار والفلسفات لا بد أن يكون واحداً أستقى منه الجميع.

ولما كانت الشمس هي مصدر الحياة للإنسان والنبات ولكل كائن حي أخر فلا ينوب عنها في فعلها وبض أثرها حين تستتر عن فلك ما دون القمر إلا من طبيعتها الأثيرية لذلك ((كانت الكواكب خلفاً للشمس و بدلاً منها وكذلك حال القمر))[٣٠]. فتعظيم الفلاحة النبطية للكواكب يعود إلى علتين أثنين :

أولاً : إنها تنوب عن الشمس في فعلها و في حركتها وذلك ((باختلاف ما ينبعث منها إلى الأرض بوقوع شعاعاتها عليها)) [٣١]. فصلاح ما في الأرض أو أفساده متعلق بطبائع هذه الكواكب وحركتها , وما يحدث من تغيرات وانقلابات في الفصول والأنواء والاستحالة من حر إلى برد أو العكس مرهون بنيابة الكواكب وقراناتها عن الشمس , بل إنهم ربطوا أيام الأسبوع بـ ((عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل والشمس والقمر)) [٣٢].

ثانياً : ((إن الفلك بما فيه من طبيعة غير هذه الطبائع الأربع وجوهره غير إن هذه الجواهر فبقى لذلك على حال واحدة الدهر وفسد جميع ما كان من العناصر. والعناصر أيضا تفسد بانتقال بعضها إلى بعض وبانتقال جميع الأشياء إلى النواى والفناء والبطلان ليتبين فضل الباقي على الفاني وفضل الفاعل على المفعول)) [٣٣].

فالفلك بما فيه من كواكب وأقمار أنما هو طبيعة خامسة غير الطبائع العنصرية الأربع المتبدلة الفانية. والطبيعة الإضافية للفلك غير فانية , بل خالدة الدهر كله , ولا يجوز عليها الاستحالة و التغير ولا الزيادة أو النقصان , فالأجسام الفلكية ((لا تقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والزيادة والنقصان كما تقبلها الأجسام التي تحت فلك القمر)) [٣٤]. لذا فأنهم نظروا إلى عالم الأفلاك والكواكب على أنها ليست بأجسام وإنما هي نفوس وأرواح مشعّة و طبائع أثيرية خالدة...

ولذا أفترض قدماء الكلدان وسواهم من شعوب الشرق القديمة إلوهية الكواكب وقدسيتها لأنهم أمنوا بكونها روحانية تفعل بإرادة شخصانيه. فأثبتوا لها العقل والإرادة , فهي تؤثر في عالم الكون والفساد , بل ويمكنها أن تحدد مصائر البشر.

وحسب النصوص المستقاة من الفلاحة النبطية فقد أختص القمر بالقدرات العقلية , وتزداد هذه القدرات فاعلية إذا أجتمع تأثير القمر مع فعل المشتري وعطارد , هناك سوف يحصل الكمال في أمزجة سكان الإقليم , فـ ((المشتري و عطارد أذا اشتركا في الفعل في موضع ما من الفلك , وأحدثا هناك مزاجاً ومر القمر – وهو النير الليلي صاحب الأسرار العقلية.... وانبعثت عنهما إلى ذلك الموضع الذي احدثا فيه المزاج كان عن ذلك حادثاً..... في النوع العاقل من الحيوان...(وهذا يعني) بلوغ أشخاص منهم إلى غايات من العلوم والعقول ثم اجتماع تلك الغايات لشخص واحد منهم كحكيم الحكماء وعاقل العقلاء ومعلم لأهل الأرض ما لا يعلمونه))[٣٥].

فاختصاص القمر بالقدرات والمواهب العقلية. واقتران تأثيره بفعل كوكبي العقل : المشتري وعطارد , يمكن أن يفسر تفوق إقليم أهل بابل على سواه , بل ويعطي تصوراً لانبثاق أفراد يتسمون

بالتفوق العقلي والمواهب , فإن هذا حاصل لاستيلاء فعل القمر على مدارك ونفوس أهل ذلك الإقليم.....

إن مثل هذا النص , يمكن أن يستدعي أفكاراً نجدها متداولة في الفلسفة الإسلامية , ومنها الفكرة الخاصة بمراتب العقل عند أبي نصر الفارابي (٨٧٠ – ٩٥٠ م) والتي تتدرج حتى نصل إلى العقل المستفاد والذي يمتلك القدرة على الاتصال بالعقل العاشر المختص بفلك القمر , حيث نجد الفارابي يعرّفه في السياسة المدنية بقوله إنه ((الذي ينبغي أن يقال إنه الروح الأمين , وروح القدس , ويسمى بأشباه هذين الأسماء , ورتبته تسمّى بالملكوت))[٣٦].

وفقاً لهذه النظرية يفسر الفارابي ظاهرة النبوة , باستيلاء العقل العاشر على مخيّلة النبي , وكذلك يمكن تفسير الحكمة عند الحكماء باستطاعة العقل المستفاد عند هؤلاء الفلاسفة على الاتصال بالعقل العاشر , والذي يهيئ لهم القدرة على الإطلاع على ما وراء الحس... وهذه النظرية الشائعة في الفلسفة الإسلامية إذا ما جردت عن المنهج المحكم الذي صاغه الفارابي فيه نجدها لا تبتعد جوهرياً عن الأفكار التي جاء ذكرها في الفلاحة النبطية الخاص باختصاص القمر وكوكبي العقل بالقدرات العقلية.

هكذا نجد إن ((الأفكار والصور القديمة..... إنما تحيى غالباً بطريقة لا شعورية , وتنتشر عن هذا الطريق , وهي في سيرها هذا قد تحارب أحياناً ولكنها لا تقهر))[٣٧].

إن هذا المزيج المتنوع الذي نلاحظه في الفلاحة النبطية , حيث يتعايش التنجيم والسحر مع الفكر الفلسفي اليوناني , المتحد مع الغنوص والعرفان والعقائد الشرقية من بابلية وشرق أوسطية قد عملت مدارس ذات أثر كبير , على أعادة هضمها وبثها , بعد أن صاهرتها مع الفلسفة اليونانية , وصنعت منها هلاماً فكرياً ظل يغذي العالم القديم والوسيط قرون كثيرة , ولعل أبرز تلك المدارس هي : الإسكندرية وأنطاكية وحران والرها ومدرسة جند يسابور , والتي أسسها قبل الإسلام كسرى أنو شروان عام (٥٥٥م) على مقربة من بغداد , حيث نجد أن هذه المدرسة إضافة إلى مدرسة حران قد ((مزجت الأفكار اليونانية بالثقافة الهلينية والثقافة البابلية النبطية)) [٣٨]. ومن ثم نشرها في ربوع عالمنا الإسلامي الكبير , الوريث الشرعي لهذه المدارس والأفكار.

والخلاصة التي يود صاحب الفلاحة النبطية أن ينتهي أليها , هي أقراره بتفوق أهل إقليم بابل , بالصناعات والعلوم والقدرات العقلية على سائر الأقاليم المعمورة الأخرى , وهذا التفوق ليس جزافاً , أو تعصباً لقومه النبط وأسلافه البابليين , بل لأن ((العلم بما هو كائن في المستقبل من الزمان من أفعال الكواكب فلذلك صار أهل إقليم بابل أكابراً لسائر الأقاليم))[٣٩]. وهذا يعني إنهم يتمتعون بقدرات عقلية عالية , حتى أنهم ((إذا فكروا في شيء من العلم استنبطوا منه شيئاً هو ابلغ من استنباط غيرهم فصارت نفوسهم شبيه بالكواكب في المشاكلة لأفعال الكواكب واستقامة حركتها وجودة وقوعها على الأشياء وتمييزها لكل شيء بعضها عن البعض تميزاً خالصاً وصاروا بذلك وغيره ذو أمزجه شبيه بالمعتدلة شبهاً قريباً واعتدلت أمزجة أدمغتهم)) [٤٠].

الخاتمة

- كتاب الفلاحة النبطية من أوائل الكتب التي ترجمت إلى اللغة العربية في ميادين علوم النبات والزراعة , وأغنت الحضارة العربية الإسلامية بما قدمته من أفكار و تصورات في علوم الفلاحة و النبات...
- يتضمن كتاب الفلاحة على خليط من الأفكار الفلسفية والعقائد الشرقية , وعلى جوانب متعددة من التنجيم والسحر , والعقائد الوثنية التي تتعلق بتعظيم الكواكب , وتقديس الشمس والقمر.
- يمكن أن يمثل الفلاحة النبطية نموذجاً على نوع الأفكار الشائعة في حوض الأبيض المتوسط قبل الإسلام , فقد احتوى على الكثير من الأفكار اليونانية والهيلينية , وإن كانت بنيته الأساسية تتألف في بعض جوانبها على عقائد وثنية , كتعظيم الكواكب والنجوم , وعقائد الآلة القتيل، مما يثبت انتمائه إلى تراث النبط الكلدان.
- لا يمكن النظر إلى الفلاحة النبطية على أنه محاولة عنصرية ومتعصبة ضد الإسلام. بل يجب اعتباره جزء من رغبة العقل العربي على الانفتاح على حضارات الأمم والشعوب التي سبقت نهضة الإسلام.
- تمسك ابن وحشية بانتمائه القومي , ورغبته في تأكيد ثقافة النبط الكلدان , لا يُعد الإ تعبيراً عن الحيز الذي أوجده التسامح الديني الذي دعا إليه الإسلام وأكد عليه.

هوامش البحث

١. أبن النديم , الفهرست , دار المعرفة , بيروت /لبنان , ١٩٧٨ م , ص٤٣٣.
٢. المصدر السابق , ص٤٣٣.
٣. المصدر السابق , ص٥٠٥.
٤. المصدر نفسه , ص٤٣٣.
٥. عمر رضا كحّاله , العلوم البحتة في العصور الإسلامية , مطبعة الترقي , دمشق , ١٩٧٢ , ص٢٥٣.
٦. عمر رضا كحّاله , معجم المؤلفين , دار أحياء التراث العربي , جـ٢, بيروت - لبنان , ١٩٥٧م , ص٢٣.
٧. الدكتور: ياسين خليل , العلوم الطبيعية عند العرب , مطبعة جامعة بغداد , ١٩٨٠ , ص٢٨٧.
٨. ابن وحشية , الفلاحة النبطية , تحقيق: فؤاد سزكين , جـ١ , مقدمة الفلاحة , دون تاريخ.
٩. المصدر السابق , المقدمة.
١٠. ينظر: مقدمة الفلاحة النبطية.
١١. د: ياسين خليل , العلوم الطبيعية عند العرب , ص٢٨٨.
١٢. المصدر السابق , ص٢٢٨.
١٣. د: إسماعيل مظهر , تاريخ الفكر العربي , دار الكتاب العربي , مكتبة النهضة , بغداد , دون تاريخ , ص٧٣.

١٤. القفطي , تاريخ الحكماء , طبعة ليبزك , ١٨٠٣ , ص١٠٤.
١٥. شاخت وبزوروث , تراث الإسلام , جـ٢ , ط٢ , ترجمة د. حسين مؤنس وإحسان صيفي العمد , مراجعة :- د. فؤاد زكريا , الكويت , ١٩٨٨ , ص٢٢٩.
١٦. د. طه عبد المقصود عبد الحميد , الحضارة الإسلامية , جـ١ , ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت/لبنان , ٢٠٠٤ م , ص٤٢٨.
١٧. المصدر السابق , ص٤٢٨.
١٨. ابن وحشية , المصدر السابق , المقدمة.
١٩. المصدر نفسه , ص ٢.
٢٠. شاخت وبزوروث , المصدر السابق, ص ٢٢٩.
٢١. عمر رضا كحاله , العلوم البحتة في العصور الإسلامية , ص٢٥٤.
٢٢. الفلاحة النبطية , ص٢٢٥.
٢٣. أحمد أمين , زكي نجيب محمود , قصة الفلسفة اليونانية , ط٦ , القاهرة , ١٩٦٦م , ص٤٥.
٢٤. الفلاحة النبطية , المصدر السابق , ص٢٢٤.
٢٥. المصدر السابق ,ص٢٢٦.
٢٦. المصدر السابق , ٢٥٥ ,
٢٧. المصدر السابق ,ص٢٥٥.
٢٨. جورج رو , العراق القديم , ترجمة : حسين علوان , مراجعة د. فاضل عبد الواحد علي , ١٩٦٣ م , ص١٣١.
٢٩. يوسف كرم , تاريخ الفلسفة اليونانية , ط٦ , مطابع الدجوي عابدين , القاهرة , ١٩٦٦م , ص٣٩٣.
٣٠. الفلاحة النبطية , المصدر السابق , ص٢٢٦.
٣١. المصدر السابق , ص٢٢٧.
٣٢. ينظر: محمد بن يعقوب (الفيروز أبادي) , القاموس المحيط , جـ٢ , القاهرة , ١٣٣٠هـ , ص٨٦.
٣٣. الفلاحة النبطية المصدر السابق , ص٢٣٢.
٣٤. أخوان الصفاء وخلان الوفاء , رسائل الأخوان , جـ٢ , تصحيح خير الدين الزركلي , ط٢ , مصر , ١٩٢٨م, ص٢١٩.
٣٥. الفلاحة النبطية , ص ٩١.
٣٦. أبو النصر الفارابي , السياسة المدنية , تحقيق , د. فوزي نجار , بيروت , ١٩٦٤م , ص٣٢.
٣٧. دراسات لكبار المستشرقين , التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية , ترجمة : د. عبد الرحمن بدوي , مكتبة النهضة المصرية , ١٩٤٠ م, ص١٣.
٣٨. محمد تقي المدرسي , العرفان الإسلامي , نشر المركز الثقافي , الإسلامي , ط١ , ١٤٠٥ , ص٣٢.
٣٩. الفلاحة النبطية, ص٩٠.
٤٠. المصدر السابق , ص٩٠.

المصادر

١- ابن وخشية , الفلاحة النبطية , الجزء الأول , تحقيق فؤاد سزكين , بدون تاريخ.
٢- ابن النديم ,, الفهرست , دار المعرفة , بيروت / لبنان , ١٩٧٨م.
٣- أبو النصر الفارابي , السياسة المدنية , تحقيق: د فوزي النجار , بيروت / لبنان , ١٩٦٤م.
٤- د: إسماعيل مظهر , تاريخ الفكر العربي , دار الكتاب العربي , مكتبة النهضة , بغداد , دون تاريخ.
٥- احمد أمين , زكي نجيب محفوظ , قصة الفلسفة اليونانية , ط٦, القاهرة , ١٩٦٦م.
٦- إخوان الصفاء وخلان الوفاء , رسائل الأخوان , ج ٢, تصحيح: خير الدين الزركلي , ط٢ , مصر , ١٩٢٨م.
٧- جورج رو , العراق القديم , ترجمة حسين علوان , مراجعة , د. فاضل عبد الواحد علي , ١٩٦٣م.
٨- دراسات لكبار المستشرقين , التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية , ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي , مكتبة النهضة المصرية , ١٩٤٠م.
٩- محمد ابن يعقوب (الفيروز أبادي) , القاموس المحيط , ج٢, القاهرة , ١٣٣٠هـ.
١٠- محمد تقي المدرسي , العرفان الإسلامي , نشر المركز الثقافي , الإسلامي , ط١ , ١٤٠٥ هـ.
١١- شاخت بزوروث , تراث الإسلام , ج٢, ط٢ , ترجمة د. حسين مؤنس و أحسان صيفي العمد, مراجعة: د. فؤاد زكريا , الكويت , ١٩٨٨م.
١٢- د: طه عبد المقصود عبد الحميد , الحضارة الإسلامية , ج١ , ط٢ , دار الكتب العلمية , بيروت / لبنان , ٢٠٠٤م.
١٣- عمر رضا كحّاله , العلوم البحتة في العصور الإسلامية مطبعة الترقي , دمشق , ١٩٧٢م.
١٤- عمر رضا كحاله, معجم المؤلفين , دار إحياء التراث العربي , بيروت/ لبنان , ١٩٥٧م , ج٢.
١٥- القفطي , تاريخ الحكماء, طبعة ليبزك , ١٨٠٣م.
١٦- يوسف , كرم , تاريخ الفلسفة اليونانية , ط٦, مطابع الدجوي عابدين , القاهرة , ١٩٧٦.
١٧- د. ياسين خليل , العلوم الطبيعية عند العرب , مطبعة جامعة بغداد, ١٩٨٠م.

القسم الانكليزي

English Part

language writing: Research insights for the classroom (pp. 178-185). Cambridge: Cambridge University Press.

Gascoigne, C. (2004). Examining the effect of feedback in beginning L2 composition. Foreign Language Annals, 37(1), 71-76.

Kepner, C. G. (1991). An experiment in the relationship of types of written feedback to the development of second language writing skills. Modern Language Journal, 75, 305-313.

Krashen, Stephen. (2004a). Applying the Comprehension Hypothesis: Some Suggestions. Retrieved August 5, 2004. Taipei: Crane Publishing Company.

---------- (2004b). Why support a delayed gratification approach to language education? The Language Teacher, 28:7, 3-7.

Lee, S.Y. and Krashen, S. (2002). Writer's block: Is it universal? Does it transfer across languages? Selected papers from the Eleventh International Symposium on English Teaching/Fourth Pan-Asian Conference. (pp. 432-439).English Teachers Association/ROC. Taipei: Crane Publishing Company.

Loewen, S. (1998). Grammar correction in ESL student writing: How effective is it? Retrieved August 3, 2004 from Temple University, Schuylkill.

Robb, T., Ross, S. & Shortreed, I. (1986). Salience of feedback on error and its effect on EFL writing quality. TESOL Quarterly, 20, 83-95.

Semke, H.D. (1984). Effects of the red pen. Foreign Language Annuals, 17, 195-202.

Sheppard, K. (1992). Two feedback types: Do they make a difference? RELC Journal, 23, 103-110.

Truscott, John. (1996). The case against grammar correction in L2 writing classes. Language Learning, 46:2, 327-369.

---------- (1998). Noticing in second language acquisition: A critical review. *Second Language Research*, 14(2), 103-135.

Zamel, V. (1995). Responding to student writing. TESOL Quarterly, 19, 79-101

If the teacher tries to make comments and corrections on the final version of the student paper, the teacher would be exhausted and the student would be discouraged. One alternative can be giving feedback through the process of writing. That is, while the student is planning and organizing his ideas, the teacher can comment on the unity and coherence of ideas. Or while the student is writing his draft, the teacher can proofread for word-order, subject-verb agreement, spelling mistakes. This gradual checking can minimize the exhaustive red marks on the student paper. Another advantage of such correction is that the student sees these comments when the writing experience is still fresh in his mind.

If ESL/EFL writing teachers are really concerned with improving their student's grammatical competency, they should, in lieu of offering grammar correction feedback, constantly stress in their classes the importance of outside reading. Studies have shown that voluntary, 'light,' authentic reading (graphic novels, comics, the easy section of newspapers, popular literature) in the target language greatly helps the overall writing and grammatical skills of second language students (Krashen 2004:29).

Teaching writing can be a very taxing and time-consuming process. Minimizing grammatical error feedback has the advantage of greatly simplifying teachers jobs, giving them needed time to spend on concentrating on other important elements of the writing process, while also removing a significant impediment to their students learning how to effectively write.

References

Ashwell, T. (2000). Patterns of teacher response to student writing in a multiple-draft composition classroom: Is content feedback followed by form feedback the best method? Journal of Second Language Writing, 9(3), 227-257.

Chandler, J. (2003). The efficacy of various kinds of error feedback for improvement in the accuracy and fluency of L2 student writing. Journal of Second Language Learning, 12, 267-296.

Cohen, A.D. (1987) Student processing of feedback on their compositions. In A. Wenden & J. Rubin (Eds.), *Learner strategies in language learning*. New York: Prentice Hall.

Fathman, A. and Whalley, E. (1990). Teacher response to student correction: focus on form versus content. In Barbara Kroll (Ed.) Second

comments. In other words, they commonly view their students' work as language instead of writing teachers, concentrating primarily on form over content. As a consequence, they address only one part of the writing process. What writing teachers need to do is give priority to MEANING and MEANING RELATED problems, to make remarks about students' texts instead of just form. Semke (1984) has demonstrated that students who received comments from teachers only on content did much better and spent more time working on their essays than those who received criticism only on grammar.

Specifically, this means that teachers should devote their time to areas like:

1. Organization by using logical development of ideas and arguments in addition of using effectiveness of introduction and conclusion.
2. Content through the use of description, thesis statement, focus, use of facts and experience, cogency and consistency of how and why explanations

In short, teachers need to train themselves to set aside their red pens and examine ideas and see what students are trying to say instead of simply looking for grammatical errors.

Other important aspect while giving feedback is adopting a positive attitude to student writing. If the student receives only negative feedback, he may easily be discouraged from trying to form complex structures and using new vocabulary. However, feedback sessions can be a beneficial experience for the student if the teacher shows the strong points as well.

Another important point to consider while giving feedback is the amount of correction on the end product. In academic writing, the end product is expected to have:

- A wide range of vocabulary
- Correct grammar
- Meaningful punctuation
- Accurate spelling
- Varied sentence structures
- Unity and coherence in ideas
- Well-supported and explained major points.

The study continued for one studying year. The study represents the most optimal conditions for correction to work: All students were university-level and were able to understand grammar. All were motivated to do well, in some cases grades were at stake. All had plenty of time, from 30 minutes to make corrections and all had access to their grammar texts. All they were asked to do was rewrite their own corrected essay.

Results showed that at the end of the year, no significant differences existed between all the groups in terms of accuracy. When they write new compositions and face same problems in writing their sentences, they try to eliminate sentences when unsure about the grammar. Such sentences would be eliminated even when the idea was important to communicate meaning. Consequently, the researcher concluded that comprehensive treatment and overt corrections of surface errors are probably not worth the trouble for teachers to make.

Conclusions

The most effective solution would be for writing instructors is to simply stop making grammar corrections. This would of course be difficult for teachers to do because it has been shown most students strongly expect teachers to notice their writing errors and comment on them, and they become quite resentful if this does not occur. Adding to this pressure to give grammar feedback is the fact that established curriculum of many language school and university writing programs (especially overseas) is based on the value of grammar correction and if a teacher did not employ it, they would be considered as unprofessional.

One possible solution to this problem which I have found to be useful, through my teaching college composition for five years , is to give periodic short grammatical lessons at the beginning of class (the week after a big homework assignment), and I discuss one or two widespread grammatical problem (e.g. articles, prepositions) that I encountered in the students' homework. This usually has gone over well and generally satisfied the students need for grammatical correction feedback.

But just because grammar feedback is problematic does not mean all feedback is ineffective. The general problem with is with the focus of second language teacher's feedback. Studies indicate that writing teachers spend most of their busy time offering grammatical corrections in their

made by second language writing teachers are frequently arbitrary, not consistent, and greatly dependent upon the age and amount of time the teacher has with L2 students. According to Zamel (1995), teachers also commonly misread student texts and evoke abstract rules and principles in their comments. Moreover, students often find teachers remarks vague, confusing, and contradictory, and feel that teachers do not provide sufficient grammatical explanations about their writing mistakes (Cohen 1987). Finally, students generally only make a mental note of the corrections they have understood, and if they have to rewrite their papers, regularly do not incorporate these corrections into their work (Cohen ,1987: 82).

The Test

The subjects used in this study were first year university students in Kerbala University, College of Education, English Department, for the studying year 2006-2007. They had had considerable instruction in formal grammar.

Adapting Robb, Ross, and Shortreed (1986), the researcher used forty students of the first year as a sample of his study. They were arbitrarily divided to four groups and four kinds of grammar corrections used on the surface errors of these students which were compared to see if they had an influence on the students' writings over time. These types were: (a) explicit correction, where errors were pointed out and correct forms offered; (b) marking mistakes with a yellow pen, without explanation; (c) a tally was kept in the margin of the number of errors per lines, and students were told to examine the line and find and correct the mistakes; (d) the use of a correction code which showed both the location and kind of errors. In all these cases, the students were told to write their essays again, making the necessary corrections.

One group received correction only, the other correction plus feedback on content. Correction was limited to grammar, and consisted solely of underlining all grammar errors (e.g. verb forms, tenses, articles, agreement). Thus students were told the location of their errors only and were not given information on the kinds of errors or shown the correct forms. Students wrote their compositions in class (they were given 30 minutes), the corrected versions were returned a few days later and students were given 30 minutes to rewrite and that was repeated for fifteen times during the first and second semester.

and they were graded on their grammatical accuracy. In these cases, correction was given the maximum chance to work, and the impact of correction was very modest.

Grammatical Correction in ESL/EFL Writing Classes Can Be Discouraging and Ineffective To Students' Performance and Development

Many studies have revealed that grammar correction to second language writing students is actually discouraging to many students, and even harmful to their writing ability (Semke 1984; Kepner 1991; Sheppard 1992; and Truscott 1996). Generally those who do not receive grammar corrections have a more positive feeling about writing than those who did, wrote more, and with more complexity, than those who did receive grammar corrections. Moreover, the time spent by students and teachers on correcting grammatical errors causes needed attention to be sidetracked from other important elements of writing, like organization and logical development of content.

Writing Class Grammar Feedback Doesn't Work

The first reason why writing class grammar feedback doesn't work is that it treats only the surface appearance of grammar and not with the way language develops (Truscott 1996:203). Secondly, learning grammar in a second language is a complex and gradual process which occurs both developmentally and hierarchically (some items are acquired before others). Compounding this is the fact that the learning of linguistic items does not occur in a linear fashion, that the learning curve for an item is full of valleys and peaks, progress and regressions. Therefore, for grammatical correction to work, the correction must be precisely tied into the correct levels of this process. If a student is given a correction for a stage he has not yet reached, it would not be effective. In order to offer useful corrections, a teacher would need to precisely know where the student is developmentally and hierarchically in terms of their grammar level. Yet because of the complexity involved in learning grammar, this would be a virtual impossibility.

The third reason for the ineffectiveness of grammar correction involves the practicalities associated with teachers comments and students understanding of these comments. Research has shown that corrections

kept in the margin of the number of errors per lines, and students were told to examine the line and find and correct the mistakes; (d) the use of a correction code which showed both the location and kind of errors. In all these cases, the students were told to write their essays again, making the necessary corrections. Results showed that at the end of the course, no significant differences existed between all the groups in terms of accuracy. Consequently, the authors concluded that comprehensive treatment and overt corrections of surface errors are probably not worth the trouble for teachers to make.

Additional studies have shown that neither the use of direct or indirect techniques in correcting student errors has an influence on writing ability results. Moreover, making full (every error is corrected by the teacher) or selective (only one type of error is marked at a time) grammatical corrections is also not effective. There is no evidence of a delayed effect to grammatical corrections, that is to say, an effect which later shows up. The kind of instruction used by teachers in the study did not appear to have an impact on the results. Nor was the lack of benefits of grammatical correction dependent upon the students' gender, age, proficiency level, or educational background. (Truscott's seminal article (1996), Krashen (2004a) and Loewen (1998). Interestingly, many of these results are also true of corrections made in first language writing classes).

John Truscott (1996:341) has noted: Veteran teachers know there is little connection between correction and learning: Often a student will repeat the same mistake over and over again, even after being corrected many times. When this occurs, it is tempting for the teacher to say the student is not attentive or lazy; however, the pervasiveness of the phenomenon, even with successful students, argues against any such explanation. Rather the teacher should conclude that correction simply is not effective.

The results of these studies should not be too surprising, for us. Fathman and Whalley (1990), Ashwell (2000), and Chandler (2003), have noted that subjects who were fairly advanced students of EFL who had had considerable instruction in formal grammar, and who, we can assume, believed in conscious learning. In a fourth, Gascoigne (2004), subjects were first year university students in the US studying French. In these studies, the students had the advantage of having the corrections in front of them and had plenty of time. Because the paper was already written, students did not have to think about meaning at all but could focus on form,

Truscott (1998:27)says only that even after substantial grammar study, even very motivated students show only modest gains in accuracy, and these gains occur only on measures that encourage a focus on form.

Some researchers have interpreted this position by saying that all grammar teaching is forbidden. In fact, it is not always true. There are two good reasons for including grammar in the EFL curriculum: The first is for "language appreciation," otherwise known as "linguistics." Linguistics includes language universals, language change, dialects, etc. The second is to fill gaps left by incomplete acquisition and places in which idiolects differ from the prestige dialect. Society's standards for accuracy, especially in writing, are 100%: We are not allowed "mistakes" in punctuation, spelling or grammar. One public error, in fact, can result in humiliation. Even well-read native speakers have gaps, places where their grammatical competence differs from accepted use.

Consciously learned rules can fill some of these gaps, which are typically in aspects of language that do not affect communication of messages. The place to use this knowledge is in the editing stage of the composing process, when appealing to conscious rules will not interefere with communication.

(Krashen, 2002,3) recommend delaying the teaching of these rules until more advanced levels in the university. He suggest firstly giving acquisition a chance, and then use conscious knowledge to fill in some of the gaps. There is no sense teaching rules for Monitoring that will eventually be acquired.

Grammar, thus, is not excluded. It is, however, no longer the star player but has only a supporting role.

rammar Correction in Second Language Writing Courses Does Not Work

Many studies have conducted to measure the effectiveness of different types of feedback on students writing abilities in their second language learning. In a famous study by Robb, Ross, and Shortreed (1986), four kinds of grammar corrections used on the surface errors in English language of Japanese students were compared to see if they had an influence on the students' writings over time. These types were: (a) explicit correction, where errors were pointed out and correct forms offered; (b) marking mistakes with a yellow pen, without explanation; (c) a tally was

Introduction

We have all written papers for some courses to be checked and graded by our instructors. We know very well that a paper that is returned with red markings and notes all over is quite discouraging for the writer. Knowing this, while giving feedback we may of course use pink pens and put smiling faces here and there on the paper but still we see the light in the students' eye fading. If our aim is to win the student instead of discouraging him, we should be looking for ways of giving feedback without losing the student.

Second language writing textbooks for teachers are typically full of advice concerning techniques and activities to use in class, but they rarely tell teachers what things not to do. The purpose of this study is to argue that a widely used and very popular form of writing class correction feedback should be avoided.

Most ESL/EFL writing teachers would strongly agree with the statement that teacher correction feedback is a necessary part of any writing course. They also think that grammar correction is essential. This belief seems to be intuitively obvious and just plain common sense, but many researches conducted in the last 20 years have revealed it to be wrong. This paper aims to explain why grammar correction is not essential, and also attempts to offer some practical recommendations on the type of feedback writing should be giving by instructors to their students in place of grammar feedback.

The case for grammar correction in writing classes is based on the idea that if a teacher points out to a student a grammatical error they have made, and provides, indirectly or directly, the correct form, the student will then understand the mistake they have made, learn from it, and their ability to write accurately will improve. It is also widely felt that if teachers do not correct their students' grammatical mistakes, 'fossilization' will occur, and it will become very difficult to later eliminate these errors. Studies have shown these arguments to be incorrect.

The Value of Grammar Instruction

(Krashen,2004:2) claims that language acquisition does not happen when we learn and practice grammar rules. Language acquisition only happens when we understand messages. This has, of course, been questioned in recent years, as a stream of papers have appeared in the professional journals claiming that grammar instruction is helpful.

تصحيح القواعد في الكتابة المدرسية

Correction of Grammar in Writing Classes

شيماء عبدالحسين

By: Shaymaa Abdul Hussein Al-Mi'mar

ملخص البحث

كلنا قام بكتابة بحوث او قطع انشائية في بعض الفصول الدراسية من اجل تصحيحها واعادتها من قبل اساتذتنا. وكلنا يعلم ايضا بان البحث او المقالة التي تعود وكلها خطوط حمراءو مملوءة بالملاحظات تكون مخيبة للامل بالنسبة لكاتبها.

الكتب المنهجية المخصصة لمهارات الكتابة بالنسبة لمتعلمي اللغة غير الاختصاص (لغة ثانوية) مملوءة بالارشادات التي تتعلق باسليب والفعاليات التي يجب ان تستخدم في داخل الصف الدراسي، لكن قلما تخبر هذه الكتب المدرسين عن الاشياء التي يجب ان لا يتعملوها. ان الهدف من هذه الدراسة هو مناقشة الاساليب المستخدمة والتي يجب تجنبها في تصحيح الكتابة وخاصة في مادة الانشاء.

فمعظم المدرسين يتفقون على اهمية التصحيح النحوي كجزء مهم في اي فصل دراسي. ويعتقدون ايضا بان الاخطاء النحوية ضرورية. هذا الاعتقاد هو الشائع والمالوف بين اساتذة اللغات، لكن عدد كبير من الباحثين اظهروا خطا هذا الاعتقاد السائد. هذا البحث يوضح سبب عدم ضرورة التصحيح النحوي ويحاول ايضا تقديم بعض المقترحات العملية على نوع التصحيح الذي يجب ان يتبع من قبل الاستاذ لطلابه فيما يتعلق بالتغذية المرتدة في مادة النحو.

لقد قامت الباحثة باجراء تجربة على طلبة الصف الاول من قسم اللغة الانكليزية في كلية التربية جامعة كربلاء مستندة على دراسات سابقة وقد اظهرت النتائج عدم اهمية التصحيح النحوي في المراحل الاولى.

تصحيح القواعد في الكتابة المدرسية

[باللغة الانكليزية]

Correction of Grammar in Writing Classes

By: Shaymaa Abdul Hussein Al-Mi'mar
Ministry of Higher Education
Scientific Research &
University of Kerbala
College of Education
English Department

The purpose of easiness and dislike ness of heaviness were among the purposes that

they used in guiding and supporting some grammatical matters and habits of articulation

which were familiar in the ancient Arabic dialects; that they made the rule of easiness and

dislike ness of heaviness as a justification to break the laws of the criterion structure.

Most cases of the formation of the past tense , and the structure of nouns , prepositions

by using the stress (Fatha) or (Damma)stress or (Kasra)stress, instead of the silent case

were among the matters that were interpreted in the light of this quality.

Through our study of the cause of meeting two quiescents , we conclude that the movement of meeting two quiescents in Arabic language is the stress(Fatha) or (Kasra)

or (Damma), and there are three factors that control the choice of this movement; these

factors are the rhythmical movement, nimbleness and preference of a certain movement

for some letters.

Ancient Arabic linguist were deluded when they studied this phenomenon. Perhaps the source of their delusion was the fact that they considered the long stresses as long quiescent letters and their ignorance of knowing the phonetic syllables as well

.

The concept of meaning in the Arabic critical heritage

By: Dr. Mansoor Mathkoor Shalash

ABSTRACT

This study traces the concept of meaning among Arabism critical heritage , through tracing the saying and writing of Arab scholars since pre-Islamic period until the end of the Jordan age (died 474 H.).This period is considered the stage during which the critical approach crystallized and was separated from Arabic rhetoric.

The study arrived at several results among which the most important is that meaning is the thing on which the process of explaining and understanding depends. It is what the writer or man of letters intends to convey to the reciever. Critics have put conditions for meaning in the literary speech, the most important of these is to convey it in the best form of articulation as possible, it shoud not be ambiguous or rare, and it shoud be completely clear. Ingeneral,the concept of meaning among Arab critics does not differ from the concept of meaning in the rhetorical heritage of Arabs. This is because rhetoric and criticism had one start, and they continued like this until the end of the fourth century after Hijra, when the qualities of the critical theory developed among Arabs.

apply it for the interpretation of many cases of grammar , particularly, those cases which are relevant to vocation , imperative and nunnation (Tanween),and this phonological factor

is the most common factor that is used abundantly.

The Role of Phonetics in Justifying Grammatical Issues

Dr.Khalid Abbas Hussien Al-Sayab
Instructor Abbas Ali Ismaeil
Instructor Abdul Ameer Kadhum Essa

ABSTRACT

The classical linguists had used phonology for the benefit of the grammatical study, and we reached such conclusion via our study of phonological factors that were used by

the ancient Arab linguists. Unfortunately, on one hand, they focused their entire attention

on the study of phonetics.On the other hand ,those grammarians who had come after AL-

khaleel,Sibaweih,Al-Furaa and Ibn - Jenni, contributed nothing of value in this field of study , because they were obsessed with what we call " The disease of sanctification of

the individuals ".

Grammarians had observed that parsing of some Arabic words has an effect on parsing of other words ; as one word may occur adjacent to another and affects it. So, grammarians

had structured a phonological phenomenon out of this effect and they called it " Proximity". In the light of this phenomenon, they interpreted the apocopative of the if-clause and other grammatical matters e.g. nomen adjectivum, strengthening and syndesis.

There is another phonological factor which grammarians believed to be true and tried to

Al-Qura'niya in the Alawiyyat of Al-Aheikh

Salih Al-Kawwaz Al-Hilliady

Abstract

Al-Qura'niya is a technique adopted by the poet of form his creative text related to his visions and horizon , structure and rhythm , in accordance with the succession of the holy Qura'n.

These Alawiyyat , being elegies (marthiya) of Al-Hussein – bin –Ali and other martyrs (P.B.U) , represented a turning point for the poet in employing the holy Qura'n verse.

He joins the Qura'nic texts including event , persons , and stories with what had happened in the painful Al-Taff Battle in a wonderful way.

The research consists of an introduction and two chapters. The introduction points out first the poet's career and his literary rank. Secondly it clarifies the concept of Al-Qura'niya and the reason for adopting it.

The first chapter explains the poet's employment for this technique and its influence on the construction of poem.

The second chapter tackles the Qura'nic technique in Al-Alawiyyat. The first technique is the unmodified direct Al-Qura'niya whereas the second is the modified direct Al-Qura'niya.

Finally , the research sets out the most important conclusions arrived at by the researcher.

Ibn Zahr Al- Hafeed (An Artistic Study on His Poetry

By: Dr. Baqir Jawad Muhammed Ridha Al-Zujaji

Abstract

This research tackles the life of a famous Andalusian figure, who was well known among bibliographists and researchers of being an authority in the fields of medicine and literature; especially the "Mowashahat". Ibn Zahr Al-Hafeed (died 596 H.) was a good doctor just like his ancestors of the Zahr family, from which he derived his knowledge and experience. Moreover, he practiced literary writings and was prominent in it. His Mowashahat were characterized with clarity, elegance, and beautiful rhythm, expressing delicate, passionate meanings related to the Andalusia environment and its charming nature, using images charged with vitality and powerfulness, employing his outstanding skill in personification and imagery building and the result arouses admiration and satisfaction.

His poetic themes vary from flirtation, to wine description, nature and sometimes wisdom, mixing sometimes among them; a thing that made his Mowashahat rich in meanings and imagery, his poems are favored by the common readers and are circulated among singers.

The Impact of Comparative Literature on the Dialogue of Civilizations «BILAWHAR WA BŪDĀSF»

By: Hāmid Sedqi , Ph. D

Abstract

Lilerature plays an important rule in the life of nations especially when there are humanistic trends and attitudes.

When various needs of mankind in eras are spoken of in literature then literature and men of letter remain unfailing in time.

Comparative literature plays a significant part in reviving this kind of lasting literature among people and through raising insight of men it can enhance the development of civilizations.

The story of BILAWHAR WA BŪDĀSF is an example of a work of lasting significance in the tale of man which has been translated into many languages.

In this paper , it has been tried to point out the impact of this story in the dialogue of civilizations while introducing the story in brief.

This paper will deal with:

1. the role of humanities in the development of civilizations.
2. the civilization impact of comparative literature.
3. the world of literature and the dialogue of civilizations.
4. the story and its stance in comparative literature.
5. the story of BILAWHAR WA BŪDĀSF and its naming.
6. the origin and the sources of the story.
7. the abstract of the central theme.
8. extracts of the story.
9. the story in Persian and Arabic languages.

the story and its translations in different languages of the world.

Legal Protection of Books and Their Authors
A Comparative Study

By: Assistant Instructor Ashwaq Abdul Rasool
Abdul Ameer Al-khafaji.

Abstract

The law protect in our subject scope is going to maintains a cretin statues and to prevent the aggression on it. Whether the personality is towards writer , the clever gay which have the fecund fiction and the capacity of creation by the book or lecturer or theater or drawing. Drawing for the future a figure different form now when he has the capacity of conception in expression. The clever gay treated by the law and appraise his efforts and product to save what he do for event and for the future. And to encourage other for mock him.

Might between Organizational Thinking and Islamic Jurisprudence

By: Dr.Akram Muhsin Mahdi Al-Yassari

Abstract

The power represents the main effective factor in operational organization and follows theoretical and applied studies in ideals and symbol statement, and its logical results, in clear terms the individual power, leaderships, power of department and organized unit, or power position and personal power ete..

The researcher found clear gap between these studies and applied moral and organizational ideas, Therefore it throws light upon the symbol of power in modern organizational ideas and Islamic studies by making use of Quranic sayings which deals with its variable different contenc by making suitable with organizations and individual behavior in our society.

The research shows the following conclusions:

1. Basing of power according to Islamic terms leads to:
    - It finds the psychological state of faith and confidence and enforce Similiarites of personal knowledge with the aims of organization in which they work.
    - Reduction on managers from using coercive power or referent power.
2. Ability in finding measurable power according to Islamic studies.

The research ended with a number of the following recommendations

Inviting individual and organizations to:

- Preparing to get planned aims by using source of power according to organized ideas and Islamic studies.
- Avoiding all sources of power which differentiate the right not to use the power which God does not permit us.

Basing Islamic introduction in study of organizational theory in specialized colleges and institutions.

Measuring Efficiency of Agricultural Companies in Utilizing Available Sources

An applied study on a sample of agricultural sector companies which are enlisted in the Iraqi financial market)

Assistant Instructor Dr. Khudhair Mahdi Saleh
Assistant Instructor Mahmood Fahd Abd Ali.

Abstract

The present study deals with the efficiency of agriculture companies in using their resources available.

This is carried out by two ways. The first is building the theoretical perspective to identify the concept of efficiency and investment in the elements of assets in addition to dealing with the percentages of activities. The second includes the practical part , analyzing the results of the percentages of activity for five agricultural companies listed in Iraq stock market.

The problem of the study is summarized in the following question: Do agricultural companies invest more or less than required of their assets? The aim of the study is Knowing the extent of efficiency of agricultural companies in using the resources available in their operations. The basic hypothesis is that agricultural sector companies listed in Iraq stock market use their resource in high efficiency.

Abstract of Articles In English

خلاصة البحوث باللغة الانكليزية

Dr.Khalid Abbas Hussien Al-Sayab
Instructor Abbas Ali Ismaeil
Instructor Abdul Ameer Kadhum Essa

18. The Root "Dharaba" Between Lexical Reference and Quranic Use…….338
Dr.Hameed Abd Al- Hamza Obaid Al-Fatli

19. . Ahmad Bin Faris' (395 H.) Critical Situations in " Mo'jam Maqaiess Al-Lugha ……..…354
Proff. Dr. Abdul Kadhim Muhsin Al- Yasseri
Dr.Haidar Jabbar Edan

20. The concept of meaning in the Arabic critical heritage……..376
By: Dr. Mansoor Mathkoor Shalash

21. What is Written With Dhad and Dha'a for Ibn Fahd Al-Shafe'e (848-885) H. …… 388
Assistant Proff . Dr. Hikmat Obaid Al – Khafaji

22. Falahah Al Nabatiah Book. …….426
Adnan Ubaid Al-Masuodi

23. Correction of Grammar in Writing Classes……..…(English Part)15
Shaymaa Abdul Hussein AL– Mi'mar

8. **Constructing the Dam of Lee-Sou on the Tigris and Legal Principles of International Water Passages……..……130**
Dr. Saddam Al- Fatlawi

9. **The Right of Provinces and States in Contracting International Treaties……154**
Dr.Salah Jubair Al-Bassissi.

10. **Legal Regulations for Credit Cards and the Relation of the Issuing Party to the Bearer……172**
Assistant Instructor Wathiq Abdul Jabbar Jallob
Instructor Youssif Oda Ghannim.

11. **Legal Protection of Books and Their Authors: A Comparative Study……192**
Assistant Instructor Ashwaq Abdul Rasool Abdul Ameer Al-khafaji

12. **The Influence of Literary Comparative Studies in Civilizations Dialogue , Belawher and Bothasim as Model……222**
Dr.Hamid Sidqi

13. **Ibn Maqana Al-Ashbooni, the Pet of Al-Hamodiya State in Andalusia……242**
Dr.Adnan Muhammad Al-Tu'ma

14. **Ibn Zahr Al- Hafeed (An Artistic Study on His Poetry……262**
Dr. Baqir Jawad Muhammed Ridha Al-Zujaji

15. **Quranic Allusion in Alaweiat Shaikh Saleh Al-Kawaz Al-Hilly…..276**
Assistant Proff. Dr. Ali Kadhum Al-Masslawi
Instructor Karima Nomass Al-Madeni

16. **Al-Mutanabi's "Ala Qadr Ahlul Azm" A Critical and Aalytical Study……....304**
Assistant Instructor Dr.Ismaiel Khlubass Hammadi

17. **The Role of Phonetics in Justifying Grammatical Issues……..316**

Contents

1. **Editorial Board's Inauguration……..6**

2. **Opinions and Ideas on Re-writing History…….8**
   Dr. Muhsen Baqer Al-Qazweeni

3. **Analyzing the Investment Environment of Financial Foreign Investment in Iraq…….26**
   Proff.Dr.Hakim Muhsin Muhammed.

4. **Measuring Efficiency of Agricultural Companies in Utilizing Available Sources.** (An applied study on a sample of agricultural sector companies which are enlisted in the Iraqi financial market)**…40**
   Assistant Instructor Dr. Khudhair Mahdi Saleh
   Assistant Instructor Mahmood Fahd Abd Ali.

5. **The Management and Design of Bank Loans Wallet Depending an Analyzing Loan Qality Indicator According to Sherrod Model….64**
   Assistant Instructor Methaq Hatif Al- Fatlawi.

6. **Electronic Currency and its role in fulfilling Contractual Commitments……80**
   Dr.Bassim Alwan Al-Uqabi.
   Dr. Ala'a Aziz Al-Juboori
   Dr. Nai'em Kadhum Jabr

7. **Might between Organizational Thinking and Islamic Jurisprudence……112**
   Dr.Akram Muhsin Mahdi Al-Yassari

Consultant staff

Prof. Dr.
H.A.Mahfodh.

Prof. Dr.
Nadhim Shiko.

Prof. Dr.
Khadija Al-Hadithy.

Prof. Dr.
Hakim MMohammed

Prof. Dr.
Hassan A. Al-Zaal

Prof. Dr.
Subhe N. Hussein

Prof. Dr.
Abbas Zuboon Al-Abudy

In The Name Of God Most Gracious, Most Merciful.

ISSN 1819-2033 issue:6

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief - in - Editor
Prof. Dr. Abbas Hussein Jawad

Editorial Secretary
Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

Editors
Dr. Mehdi Dakhel Al-Aobaidi
Dr. Abbas Marzook Flayeh
Dr. Hakmat Aobaid Hassan
Dr. Abod Joody Al-Hlli
Dr. Mohammed A. Al-Khateeb

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019,Tel: 334932
karbala@ahlulbaitonline.com ، www.ahlulbaitonline.com